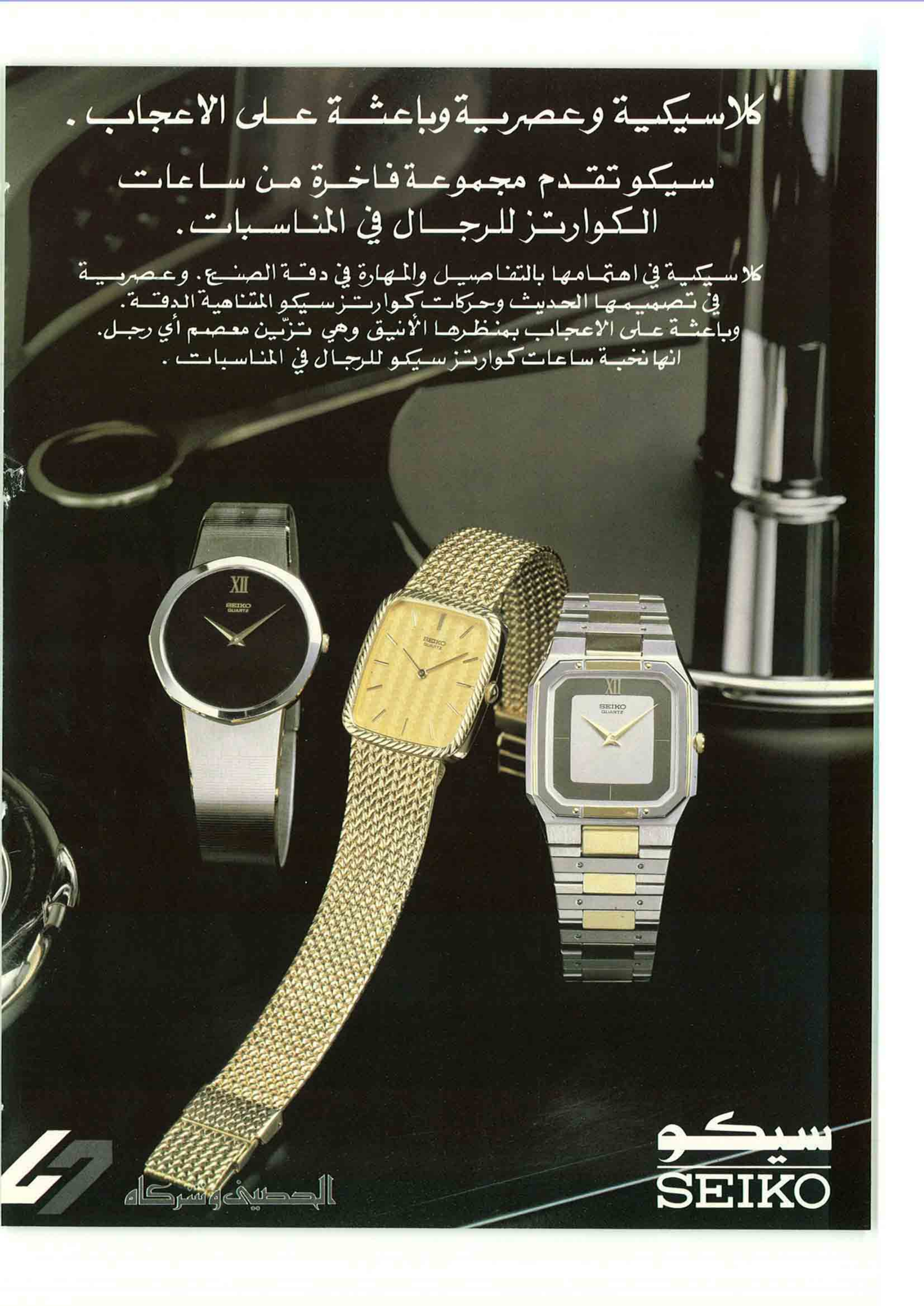


مجلة ثقافية شهرية

AL FAISAL MAGAZINE

العدد (٧٢) ـ جمادى الآخرة ١٤٠٣ هـ ـ السنة السادسة ـ آذار (مارس) / نيسان (أبريل) ١٩٨٣ م

ISSUE 72-SIXTH YEAR—MARCH/APRIL 1983.


كلاسيكية وعصرية وباعثة على الاعجاب.
سيكو تقدم مجموعة فاخرة من ساعات
الكوارتز للرجال في المناسبات.
كلاسيكية في اهتمامها بالتفاصيل والمهارة في دقة الصنع. وعصرية
في تصميمها الحديث وحركات كوارتز سيكو المتناهية الدقة.
وباعثة على الاعجاب بمنظرها الأنيق وهي تزيّن معصم أي رجل.
انها نخبة ساعات كوارتز سيكو للرجال في المناسبات.
SEIKO
QUARTZ
سيكو
SEIKO
الحصيني وشركاه



ALFAISAL MAGAZINE

MONTHLY CULTURAL MAGAZINE — مجلة ثقافية شهرية

PUBLISHED BY AL-FAISAL CULTURAL HOUSE — تصدر عن دار الفيصل الثقافية

ISSUE 72-SIXTH YEAR—MARCH/APRIL 1983.

العدد (٧٢) ـ جمادى الآخرة ١٤٠٣ هـ ـ السنة السادسة ـ آذار (مارس) / نيسان (أبريل) ١٩٨٣ م

رئيس التحرير

علوي طه الصافي

ALAWI TAHA ALSAFI

Editor-in-Chief

All Correspondence To:

AL-FAISAL MAGAZINE
P.O.BOX 3
Riyadh-Saudi Arabia
Tel: 4653026-4653027-TELEX 202600 DRFATH Sj

المراسلات :

الرياض ـ المملكة العربية السعودية
مجلة الفيصل ص . ب (٣)
هاتف : ٤٦٥٣٠٢٦ ـ ٤٦٥٣٠٢٧
تلكس ٢٠٢٦٠٠ DRFATH SJ

EUROPE – AMERICA – ASIA

Belgium	BF	200	Italy	L	4000	Sweden	SKR	30
Denmark	DKR	30	Netherlands	DFL	10	Switzerland	SF	6
Finland	FMK	30	Norway	NKR	30	United Kingdom	£	2
France	FF	15	Pakistan	RS	10	U.S.A.	$	5
F.R.G.	DM	10	Portugal	ESQ	100			
Greece	DR	100	Spain	PTS	150			

ANNUAL SUBSCRIPTION RATES

Personal Subscription : S.R. 150 Others : S.R.250

PAYABLE TO AL-FAISAL MAGAZINE

أسعار بيع النسخ في البلاد العربية

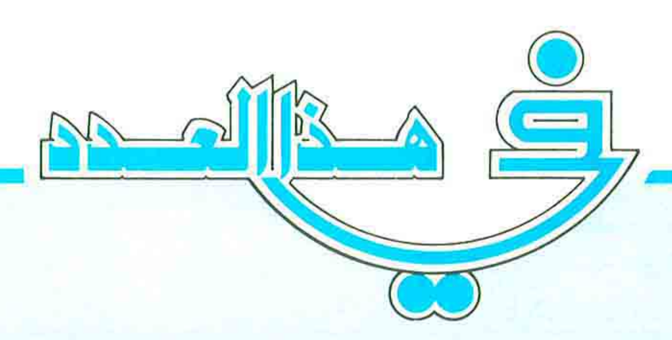
المملكة العربية السعودية	٨ ريالات	الأردن	٤٠٠ فلس	تونس	٥٠٠ مليم
الكويت	٦٠٠ فلس	ج . ع . اليمنية	٦ ريالات	الجزائر	٥ دنانير
الإمارات العربية المتحدة	٧ دراهم	ج . اليمن الديمقراطية الشعبية	٨٠٠ فلس	العراق	٤٠٠ فلس
قطر	٦ ريالات	مصر	٣٠٠ مليم	سورية	٥ ليرات
البحرين	٥٠٠ فلس	السودان	٣٠٠ مليم	لبنان	٥ ليرات
سلطنة عمان	٦٠٠ بيسة	المغرب	٥ دراهم	ليبيا	٨٠٠ درهم

● أسعار الاشتراكات السنوية :

للأفراد ١٥٠ ريالا سعودياً لغير الأفراد ٢٥٠ ريالا سعودياً

ترسل قيمة الاشتراك باسم مجلة الفيصل

طبع في : شركة الطباعة العربية السعودية (المحدودة)
ص . ب ٦٤٦٣ ـ الرياض ، هاتف ٤٦٣٣٤٥٢ ، العمارية ٤٦٥٨٩٩٠





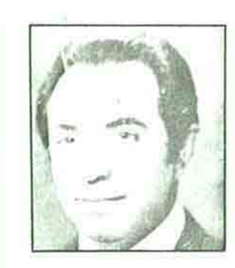
د . كامل مصطفى الشيبي

★ من مواليد بغداد ـ العراق عام ١٩٢٧م .

★ ليسانس آداب ـ ماجستير في الفلسفة الإسلامية ـ جامعة الإسكندرية .

★ دكتوراه ـ جامعة كمبردج .

★ عمل في كلية آداب جامعة بغداد ، وأستاذاً زائراً ومنتدباً وباحثاً في مصر وليبيا والولايات المتحدة الأميركية .



★ حصل على جائزة «جمعية أصدقاء الكتاب اللبنانية» على كتابه «ديوان الدوبيت في الشعر العربي» .

★ له مجموعة من الكتب المطبوعة تأليفاً وتحقيقاً .

★ يعمل حالياً أستاذاً في كلية آداب جامعة بغداد .



د . سعد أبو الرضا

★ من مواليد ديروط ـ بحيرة ، دمنهور ـ مصر عام ١٩٣٨م .

★ دكتوراه في النقد .

★ عمل في حقل التدريس .

★ يعمل حالياً أستاذاً مساعداً بكلية العلوم العربية والاجتماعية في بريدة بالقصيم ـ المملكة العربية السعودية ، ورئيساً لقسم البلاغة والأدب والنقد بها .

★ له مجموعة من الأعمال النقدية المطبوعة .



د . أحمد فؤاد متولي

★ من مواليد الشرقية في مصر عام ١٩٤١م .

★ دكتوراه في الأدب ـ جامعة القاهرة .





●● حركة الإبداع في عالمنا العربي، يعتورها قدر غير قليل من القصور والعجز، لأن أدباءنا الكبار لم يعد لديهم شيء جديد يقدمونه. أما أدباء الشباب فتتقاذفهم التجارب الأدبية المتعارضة. طالع ص (٥١).



●● تم حتى يومنا هذا، كشف عدد لا بأس به من معالم «أفامية» وأوابدها الرائعة المدفونة منذ مئات السنين.. منذ العهد السلوقي (نهاية القرن الرابع قبل الميلاد). وأبرز هذه المعالم: الحمام الروماني ـ قلعة المضيق ـ الفسيفساء ـ قناة العاشق! طالع ص (٣٥).

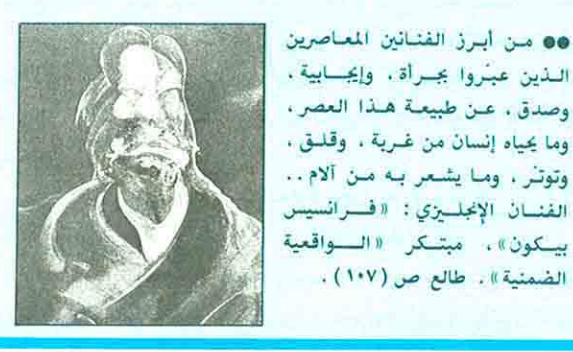


●● القارة القطبية الجنوبية.. قبّة هائلة من الجليد والثلوج، وأقصى قارة بيضاء غير مأهولة على سطح الأرض. والثلج يغطي مساحات شاسعة تبلغ حوالي (١٤) مليون كيلومتر مربع. وهي رئة الكرة الأرضية، لأنها تكيّف جوّها. طالع ص (٩١).



●● «العربية السعودية في القرن التاسع عشر» للدكتور بيلي ويندر.. كتاب محايد لمؤلف يهوى الكتابة عن الجزيرة، وله فيها أبحاث عديدة. ويمتاز هذا المؤلف عن غيره من الأوروبيين والأمريكيين في أنه اعتمد في بعض معلوماته، على المؤرخين النجديين. طالع ص (٨٣).

●● من أبرز الفنانين المعاصرين الذين عبّروا بجرأة، وإيجابية، وصدق، عن طبيعة هذا العصر، وما يحياه إنسان من غربة، وقلق، وتوتر، وما يشعر به من آلام.. الفنان الإنجليزي: «فرانسيس بيكون»، مبتكر «الواقعية الضمنية». طالع ص (١٠٧).



★ يجيد التركية، والإنجليزية، والفارسية.

★ عمل أستاذاً مساعداً بآداب عين شمس.

★ يعمل حالياً مترجماً بدارة الملك عبد العزيز بالرياض.

★ له مجموعة من المؤلفات المطبوعة والمخطوطة.



خديجة محمد سليمان

★ من مواليد القاهرة.

★ درست بمدارس ماريا أوزيليا ترتش للغات الحية.

★ أتمت دراسات ثانوية مكثفة للغتين الإنجليزية والفرنسية.

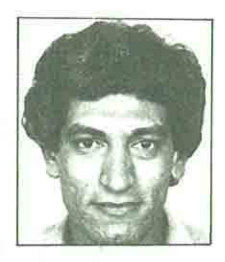


★ تخرجت في كلية الإعلام بجامعة القاهرة قسم الصحافة والنشر.

★ تعد للدراسات العليا بالقسم نفسه.

★ تعمل بالقسم الأدبي بجريدة الأهرام.

★ تصدر أول كتاب لها، ترجمة مجموعة قصص قصيرة للأطفال.



سمير عبد الله ظريف

★ من مواليد القاهرة ـ مصر عام ١٩٤٤م.

★ بكالوريوس كلية الفنون الجميلة بالقاهرة.

★ عمل مصمماً للديكور بالتليفزيون المصري، ورساماً وناقداً تشكيلياً في الصحف والمجلات.

★ اشترك في المعارض التي أقيمت في مصر في الفترة ٦٨ ـ ١٩٧٥م، إلى جانب بعض المعارض الدولية.

★ حصل على جوائز مادية، وشهادات تقدير، وميداليات.

★ يعمل حالياً أخصائياً للفنون التشكيلية بالرئاسة العامة لرعاية الشباب.





مدينة .. وتاريخ

اعتادت هذه المجلة على نشر استطلاعات مصورة عن المدن العربية والإسلامية تحت عنوان «مدينة .. وتاريخ» مساهمة منها في التعريف والمعرفة.

ونحن نعرف أننا لسنا السبَّاقين في مثل هذه الاستطلاعات، فقد سبقتنا بعض المجلات العربية، وتشاركنا مجلات عربية أخرى في الوقت الحاضر .. ولا يستبعد أن تأتي مجلات أخرى في المستقبل لتقدم مثل هذا النوع من الاستطلاعات التي تسعى لتعريف المواطن بالوطن .. وتوثيق الصلة والانتماء للأرض والذكريات.

والذين يتصورون أن هذه الاستطلاعات مجرد تكرار .. أو أنها تتميز بالتشابه إنما يتصورون الأمر من السطح .. أي إن تصورهم لا ينفذ إلى الأعماق لمعرفة الزوايا التي سلط عليها الاستطلاع أضواءه.

وشيء هام فإن هذه الاستطلاعات تساعد الأجيال المختلفة على معرفة شيء عن ماضيهم في مواجهة غياب الكتب التي تؤرخ لمدنهم التاريخية على وجه الخصوص .. فالملاحظ أن أغلب المدن العربية والإسلامية التاريخية لم يؤرخ لها بشكل معاصر .. ولم تسجل آثارها ومعالمها بالصور والخرائط كما هو الحال بالنسبة للمدن العالمية .. فنحن نشاهد عند زيارتنا للمكتبات في الخارج وجود قسم أو جناح خاص بالمدن العالمية يحتوي على كتب مصورة في عدة طبعات ولأكثر من كاتب في الوقت الذي تفتقر فيه المكتبة العربية إلى هذا النوع من الكتب.

ونحن في هذه المجلة حين خططنا لباب (مدينة .. وتاريخ) حرصنا على التركيز على الجوانب التاريخية والحضارية والثقافية والاجتماعية بقدر الإمكان .. وذلك من منطلق أن المدن في صورتها الحاضرة تتشابه نتيجة توظيف وسائل البناء الحديث مما أفقد هذه المدن عنصر التميز، وفقدان الملامح الخاصة بكل مدينة .. هذه الملامح التي كانت تتميز بها مدننا العربية منذ نشأتها.

ولو ذهبنا اليوم إلى أيَّة مدينة عربية لوجدنا أنها لا تختلف عن أية مدينة أمريكية، أو أوروبية .. ولعل فقدان مدننا لشخصيتها المتميزة هو صورة من فقدان شخصيتنا أمام طغيان تيار التقليد والمحاكاة .. وهذا ينطبق أيضاً على حياتنا العامة في مجتمعاتنا التي فقدت كثيراً من ملامحها المتميزة .. فأصبحت أغلب مجتمعاتنا العربية والإسلامية صورة من المجتمعات الأمريكية والأوروبية في العادات والتقاليد .. في الملبس والمأكل والمشرب والمنزع !!

وفي مواجهة هذه الملامح المستعارة وجدنا ضرورة تذكير القارئ العربي المسلم بشخصيته المستقلة من خلال ملامح مدنه التاريخية والحضارية والثقافية التي بدأت في الاندثار .. وبالتالي نسيان القارئ لها.

ونحن نأمل أن يتنبَّه الذين يشرفون على تخطيط مدننا إلى هذا الأمر لإنقاذ شخصيتنا من الضياع في غمار موجة التقليد والمحاكاة للغير .. فالمدينة - أية مدينة - هي صورة من شخصية سكانها وذوقهم في اختيار الشكل واللون المناسبين .. ولكي تظل شخصيتنا متميزة فإننا مطالبون بالحفاظ على شكل مدننا .. وملامحها المستقلة .. والله المستعان.

عالم الكتب

شهدت المملكة العربية السعودية في الآونة الأخيرة نشاطاً جيداً في النواحي الثقافية والأدبية .. تمثل في إصدارات الكتب العديدة بصورة لم تألفها الساحة .. كما تمثلت في معارض الكتب وإقبال الجمهور على شراء الكتب في تظاهرة حضارية تعكس صورة جيِّدة للمستوى الثقافي في بلادنا.

ويتمثل نشاط الحركة الثقافية أيضاً في صدور المجلات المتخصصة .. ومن أبرز هذه المجلات مجلة «عالم الكتب» التي يرأس تحريرها الصديق الأستاذ يحيى محمود ساعاتي، والصادرة عن دار ثقيف للنشر والتأليف .. وقد أسس هذه المجلة الأستاذان الفاضلان عبد العزيز الرفاعي، وعبد الرحمن المعمر.

وعالم الكتب تعنى بالكتاب ومشكلاته .. وهي في نفس الوقت مشكلات النشر والتأليف التي ظهرت مع نشاط الحركة الثقافية، وتعدد هذا النشاط.

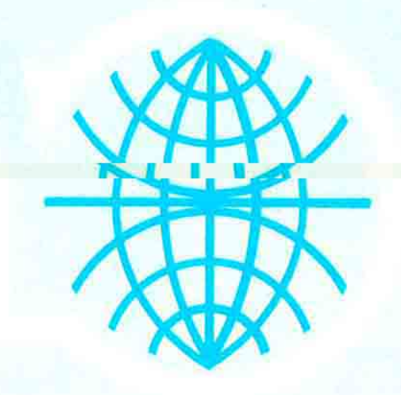
وقد نهجت المجلة نهجاً علمياً يتميز بالطرح الموضوعي العلمي، من خلال تقعيد وتأصيل نهضتنا الثقافية في عصر تجاوز فيه الطرح الانطباعي والمزاجي .. وأصبحت المجلة مصدراً لكل قارئ .. ومرجعاً لكل باحث ودارس.

وهي من حين لآخر تصدر أعداداً خاصة لفن من الفنون الأدبية .. أو لقضية من القضايا الفكرية .. أو لمظهر من مظاهر الحركة الثقافية والأدبية في بعض الأقطار العربية .. فقد أصدرت عدداً خاصاً عن القصة في المملكة العربية السعودية .. كما أصدرت عدداً خاصاً عن حقوق المؤلف .. وأخيراً أصدرت عدداً خاصاً عن «الكتاب في الخليج العربي».

وتتميز مجلة «عالم الكتب» ورئيس تحريرها أحد المتخصصين في علم المكتبات باستمرارية صدورها في الأوقات المناسبة .. فهي مجلة دورية تصدر أربع مرات في السنة .. ونلاحظ مع هذه الاستمرارية ثباتها في المعالجة العلمية والموضوعية .. وعدم انحدار مستواها .. وهذا وحده دليل على أصالتها، وقدرة المشرفين عليها في مواصلة الجهد الخير.

تهنئة من الأعماق لمجلتنا «عالم الكتب» ومثلها للعاملين عليها .. مع تمنياتنا للجميع بالتوفيق والسداد.

رئيس التحرير



* * من خلال هذا «الملف» سوف نحاول رصد الحركة الثقافية من اصدارات جديدة.. وندوات.. ومؤتمرات.. ومعارض.. ومناسبات.. وأحداث ثقافية.. وادبية.. وفنية بصورة نطمح أن تكون مسحاً شهرياً لمجريات الحركة الثقافية ليس في «الوطن العربي» فحسب، بل في «العالم» الانساني.

أملنا أن نجد من المؤسسات العلمية.. والتربوية.. والفنية.. الى جانب الأدباء.. والمفكرين كل عون في إمدادنا بالجديد الدائم من النشاطات لتحقيق الأهداف التي تسعى اليها المجلة لخدمة القارىء.. لإضافتها الى ما يزودنا به مندوبونا، والله الموفق **



- كشوف أثرية، وأكاديمية لدراسة الآثار العربية، ومتحف للحضارة.
- ترشيح العطار والجاسر لجائزة بغداد الثقافية.
- معرض للكتاب بجامعة الموصل.
- فهرس لكتب التراث المطبوعة يعده معهد المخطوطات العربية بالكويت.
- الدكتوراه الفخرية للطيب صالح، وجائزة الطبيعة للفارسي.
- اكتشاف مخطوطات قرآنية في اليمن.



- معهد دولي للاقتصاد الإسلامي بقبرص.
- ترجمة مؤلفات عربية إلى الفرنسية، والإيطالية، والصينية.
- معرض عن الفن الهولندي بباريس، وآخر عن الكنوز السورية.
- متحف لآثار التاريخ القديم في بلغاريا.
- قاموس للنكات اللفظية في العالم.



في الوطن العربي

السعودية

كشوف أثرية

أثناء عمليات التنقيب عن الآثار في منطقة اليمامة التي تقع غير بعيد من الرياض، تم اكتشاف موقع أثري هام يرجع [illegible] حيث قد وجد محتويا على مساكن ومدافن وأدوات صوانية تتمثل في رؤوس سهام، ومكاشط، ومخارز دقيقة، كما تم أيضاً اكتشاف نقوش ثمودية تدل على استمرار مراحل الاستيطان بهذه المنطقة، كما تم أيضاً اكتشاف موقعين هامين في قريتي (الروضة، والفاجة) وهما عبارة عن مستوطنة تشمل عدة قلاع ومباني ومسجداً لا زال بحالة سليمة. مما يذكر أن هذه الاكتشافات قد تمّت من قبل إدارة الآثار (المسح الأثري)، التابعة **للإدارة العامة للآثار والمتاحف التي اشتركت فيها وزارة المعارف.**

ترشيح العطار والجاسر لجائزة بغداد

رشح الأستاذان «**أحمد عبد الغفور عطار**» و«**حمد الجاسر**» لنيل جائزة «**بغداد**» **الثقافية التي تقدمها «اليونسكو» كل عامين.** هذا وقد قدمت المعلومات الكاملة عنهما لمنظمة اليونسكو، إضافة إلى ورقة الترشيح.

العليق.. أميناً عاماً لجائزة الدولة

صدر قرار بتعيين مدير الشؤون الثقافية بالرئاسة العامة لرعاية الشباب (**السيد عبد الرحمن العليق**) **أميناً عاماً لجائزة الدولة التقديرية للأدب**، وهي جائزة تمنح من قبل رئاسة رعاية الشباب في كل عام لثلاثة من الأدباء السعوديين الذين يساهمون في إثراء الحركة الدينية والفكرية والأدبية، وتتكون من:

★ «ميدالية ذهبية».

★ «ومكافأة نقدية» تصرف للحاصل على الجائزة مدى الحياة.

متحف للآثار

قرر مجلس إدارة النادي الأدبي بالطائف إنشاء «**متحف للآثار بمنطقة الطائف**». سيحوي بين جنباته العديد من الآثار القديمة كالملابس، والأدوات المستخدمة في عصور سابقة خاصة في **منطقة الحجاز**، والنادي يسعى حالياً لجمع الآثار القديمة وذلك بقصد إثراء هذا المتحف بكل ما هو مفيد.

في رحاب الحرمين

سلسلة جديدة تصدرها **دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع بالرياض** هي سلسلة

مصر

وفاة الدكتور رشاد رشدي

توفي **الدكتور رشاد رشدي** وذلك عن (٧١) عاماً، حيث ولد عام ١٩١٢ م بالقاهرة، ويعد الدكتور رشاد من الأدباء والنقاد المعروفين في الوطن العربي، كما أنه أول مصري يحصل على الدكتوراه في الأدب الانجليزي، وأول رئيس مصري لقسم اللغة الإنجليزية في كلية الآداب بجامعة القاهرة، كما شغل عدة مناصب منها:

* عميداً للمعهد العالي للفنون المسرحية.
* رئيساً لأكاديمية الفنون.
* مستشاراً لرئيس الجمهورية لشؤون السينما والمسرح والكتاب.

أما نشاطاته العلمية والأدبية



* د. رشاد رشدي *

فكان من النقاد المعروفين واشترك كثيراً في برنامج مع النقاد وذلك عن طريق الإذاعة، وهو أول من قدم تشيكوف باللغة العربية الى مصر، وله هواية كتابة المسرحيات والقصص. أما عن مؤلفاته: فله العديد من المؤلفات بين عربية وإنجليزية بلغت حوالي (١٧) مؤلفاً في النقد الأدبي من قصص، وأدب الرحلات، وتاريخ الأدب الإنجليزي ومسرحيات منها:

* «فن القصة القصيرة».
* «نظرية الدراما من أرسطو الى الآن».
* «النقد والنقد الأدبي».
* «مسرحية بلدي يا بلدي».
* «مسرحية رحلة خارج السور».
* «مسرحية إتفرج يا سلام».
* مسرحية عم أحمد الفلاح».

إلى غير ذلك من المؤلفات، رحم الله الفقيد وإنا لله وإنا إليه راجعون.



أمريكا

وفاة تنسي وليامز

توفي الكاتب الأمريكي **تنسي وليامز** عن (٧٢) عاماً، حيث ولد عام ١٩١١ م وذلك بمدينة كولمبس بولاية ميسيسبي، ووليامز **كاتب مسرحي شهير** ألف العديد من المسرحيات التي تصف مجتمع جنوبي الولايات المتحدة، وقبل وفاته انتهى من كتابة أعماله الأدبية والتي عرض العديد منها على شاشة السينما في الخمسينات منها:

* «معرض الوحوش الزجاجية».
* «عربة اسمها الرغبة».
* «قطة فوق سطح من صفيح ساخن».
* «طائر الشباب الحزين».

* تنسي وليامز *



● «في رحاب الحرمين ــ أشهر رحلات الحج» وسيساهم فيها كبار الكتَّاب، هذا وقد صدر عددها الأول بعنوان «ملخص رحلة ابن عبد السلام الدرعي» تأليف الشيخ حمد الجاسر.

*** كتب جديدة ***

● «أوهام الكتاب»، ج ١، تأليف الشيخ **أبي تراب الظاهري**، صدر عن **النادي الأدبي الثقافي بجدة**.

● «**عذاب البوح**»، ديوان شعر **للدكتور عبد العزيز خوجه**، صدر في **الرياض**.

● «**المسائل السفريَّة في النحو**»، تأليف **العلامة ابن هشام الأنصاري**، تحقيق **الدكتور علي حسين البواب**، صدر عن **دار طيبة للنشر بالرياض**.

● «**كتاب حروف المعاني والصفات**»، تأليف **القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي**، تحقيق **الدكتور حسن شاذلي فرهود**، صدر عن **دار العلوم بالرياض**.

● «**الطب النفسي... معناه.. وأبعاده**»، تأليف **الدكتور محمد محمد خليل**، صدر عن **تهامة**.

● «**شيء من الحصاد**»، تأليف **حامد حسن مطاوع**، صدر عن **تهامة** ضمن سلسلة «**الكتاب العربي السعودي**».

● «**نصاب الاحتساب**»، تأليف **عمر بن محمد بن عوض السنامي**، تحقيق ودراسة وتقديم **الدكتور موئل يوسف عز الدين**، صدر عن **دار العلوم بالرياض**.

* محمد بن علوي المالكي *

● «**محمد ﷺ الإنسان الكامل**»، تأليف **الشيخ محمد بن علوي المالكي الحسيني**، صدر عن **دار الشروق بجدة**.

● «**اتجاهات حديثة في تدريس العلوم**»، تأليف **الدكتور رؤوف العاني**، صدر عن **دار العلوم بالرياض**.



* محمد سعيد العامودي *

● «**من حديث الكتب**»، ج ٣، بقلم **محمد سعيد العامودي**، صدر عن **تهامة** ضمن سلسلة «**الكتاب العربي السعودي**».

● «**شعراء صدر الإسلام وتمثلهم للقيم الاجتماعية**»، تأليف **وفاء السنويوتي**، صدر عن **دار العلوم بالرياض**.

● «**من أدب المرأة السعودية المعاصرة**»، إعداد **عبد الكريم بن محمد بن إبراهيم الحقيل**، صدر في **الرياض**.

● «**البترول والمستقبل العربي**»، تأليف **عبد العزيز مؤمنة**، صدر عن **تهامة** ضمن سلسلة «**الكتاب العربي السعودي**».

كلمة

رسالة إلى القراء

كثيرة هي الموضوعات التي تصل إلينا والتي يريد أصحابها نشرها على صفحات «**الفيصل**».

والواقع أن كل ما يصل إلى المجلة يلق العناية والاهتمام لأننا نقدر جهد الكاتب أو الباحث أو الشاعر أو كاتب القصة، ونحس بالمعاناة التي تجهد أفكاره في سبيل إخراج عمل بنَّاء وهادف يريد صاحبه أن تتم عملية ولادته على صفحات **المجلة** ويراه في شكل يتناسب والجهد الذي بذله حتى ساعة خروجه إلى أيدي وعيون القراء.

ونحن مع تقديرنا الكبير واحترامنا النابع من هذا التقدير لرجال الأدب والفكر خاصة ولحملة الأقلام عامة، لنا بعض الملاحظات التي نأمل أن يتقبلها رفاق الكلمة بصدور رحبة وإدراك خاص، لأن غايتهم بما يكتبون تساعدنا على أداء رسالتنا كما يجب وتسهل علينا «**خدمة الفكر**».

وما نريد أن نقوله من وراء هذه المقدمة هو: «أن يعتني كتَّابنا وقراؤنا الأفاضل بما يرسلونه إلينا. فكثير مما يصلنا يكون مكتوباً على وجهي الورقة، أو تكون رسالة الكاتب مشتركة مع الموضوع الذي كتبه ويريد نشره ــ وهذا بطبيعة الحال يسبب لنا صعوبة في عملية الإيداع والحفظ ــ ولعل البعض يكتب بخط غير مفهوم ــ إذا كان باليد ــ أو غير متكامل ــ إذا كان على الآلة الكاتبة ــ يضاف إلى ذلك أن بعض الكتَّاب لا يشيرون إلى المراجع أو المصادر التي استقوا منها معلوماتهم، أو لا يشيرون أيضاً إلى اللغة التي ترجموا عنها ونبذة عن الكاتب الذي ترجموا له.

كل هذه في الواقع إذا كانت أشياء صغيرة في نظر البعض إلا أنها جديرة بالاهتمام والمراعاة.

ومن هذه الرؤية نود أن تكون جهودنا متآزرة تنشد الأفضل دائماً وتحاول ــ بقدر الإمكان ــ الوصول إلى الغاية التي نريد تحقيقها من وراء تضافرنا المشترك.

وما أروع العمل عندما يؤديه من يدركون أهمية إتقانه وجمال تنسيقه.

نرجو أن نوفق دائماً، ونرجو أن يكون ظن قرائنا حسناً بنا وإن كان ذلك يزيد من ثقل العبء على كواهلنا فهو ثقل نستعذب عناءه لأنه يمنحنا الثقة ويبث في نفوسنا الاطمئنان أثناء سيرنا على الطريق إلى هدفنا المنشود وغايتنا المثلى.

التحرير

● «صحة الأسرة..» دراسة عن الصحة في تربة [illegible]»، تأليف الدكتور زهير أحمد السباعي، صدر

* د. زهير أحمد السباعي *



عن **تهامة** ضمن سلسلة «**الكتاب العربي السعودي**».

● «**رحلة الشوق**»، ديوان شعر **للشاعر علي مصطفى**، صدر عن **القسم الثقافي بالجمعية السعودية للثقافة والفنون بالدمام**.

● «**التذييل والتذنيب على نهاية الغريب**»، تأليف



في الوطن العربي

جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، تحقيق عبد الله الجبوري ، صدر عن دار الرفاعي للنشر بالرياض .

● « الفقه الإسلامي .. نشأته وتطوره » ، تأليف عباس حسني محمد ، صدر ضمن مطبوعات رابطة العالم الإسلامي .

● « نفحات من السكينة القرآنية » ، تأليف محمد ناصر العبودي ، صدر عن دار العلوم بالرياض .

● « الإعجاز والقراءات » ، تأليف فتحي عبد القادر فريد ، صدر عن دار العلوم بالرياض .

● « الفضائل الخلقية في الإسلام » ، تأليف الدكتور أحمد عبد الرحمن إبراهيم ، صدر عن دار العلوم بالرياض .

● « نقعة الصديان فيما جاء على الفعلان » ، للصاغاني ، تحقيق الدكتور علي حسين البواب ، صدر عن مكتبة دار المعارف بالرياض .

● « شظايا كلمات » ، تأليف أحمد المهندس ، صدر عن دار البلاد .

● « المسلمون في تاريخ الحضارة » ، تأليف ستانوود كب ، ترجمة الدكتور محمد فتحي عثمان ، صدر عن الدار السعودية للنشر والتوزيع .

● « أصول الشريعة » ، تأليف محمد سعيد العشماوي ، صدر عن دار اقرأ .

● « كتاب تاريخ المدينة المنورة » ، لابن شبّه ، أبو زيد عمر بن شبّه النميري البصري ١٧٣ - ٢٦٢ م ، تحقيق فهيم محمد شلتوت ، صدر في المدينة المنورة على نفقة السيد حبيب محمود أحمد .

● « ما هي فلسفة التربية » ، تأليف الدكتور بشير حاج توم ، صدر عن مكتبة الوطن بمكة المكرمة .

● « المسك الأذفر في تراجم علماء القرن الثالث عشر » ، تأليف محمود شكري الآلوسي ، تحقيق عبد الله الجبوري ، صدر عن دار العلوم بالرياض .

● « الوجيز في المبادئ السياسية في الإسلام » ، تأليف سعدي أبو جيب ، صدر عن نادي جدة الأدبي .

● « القرآن ... وبناء الإنسان » ، تأليف عبد القادر البكري ، صدر عن إدارة النشر بتهامة .



* عبد الله جفري *

● « علي أحمد باكثير - حياته وشعره الوطني والإسلامي » ، تأليف الدكتور أحمد عبد الله السومحي ، صدر عن نادي جدة الأدبي .

● « تأملات في سورة الأحزاب » ، تأليف الدكتور حسن باجودة ، صدر عن نادي مكة المكرمة الثقافي .

● « تدريس القيم الخُلقية » ، تأليف الدكتور بشير حاج التوم ، صدر عن مركز البحوث التربوية والنفسية بجامعة أم القرى ضمن سلسلة « البحث في خدمة المعلم » .

التوعية الطبية

مريض الصرع والحرمان من الرعاية

في جميع بلاد العالم المتحضر يحظى أرباب الصعوبات الجسمية والعقلية والنفسية بالرعاية الإنسانية الشاملة التي تتناول الجوانب الجسمية والنفسية والعقلية والاجتماعية والتعليمية ، بحيث تعوضهم ما أصابهم من مرض وتعويق ، وتعيدهم إلى حظيرة المجتمع كمواطنين صالحين قادرين على الإسهام في معركة الإنتاج . **ومريض الصرع بنوع خاص يحتاج إلى الرعاية المستمرة والمكثفة** ، ذلك لأن النوبات تهاجمه في أي وقت وفي أي مكان فيرتمي على الأرض ، وقد يسقط مغشياً عليه فوق أجسام حادة أو خطرة مما يعرضه للإصابة بل قد يتعرض للوفاة . وفي الحالات الشديدة يفقد الوعي ويقبض فكيه وفي هذه الحالة قد يقضم لسانه ، ويخرج من فمه الزبد . وهو بذلك يشكل خطراً جسيماً على نفسه وعلى غيره من المحيطين به ، فقد يؤذي نفسه أو يؤذي غيره دون وعي بطبيعة الحال .

وتمتاز شخصية المصروع بالضعف وعدم القدرة على التحمل ومقاومة الصعوبات ومواقف الفشل والإحباط والصد والزجر . ولذلك كثيراً ما تشاهد حالات الإغماء بين صفوف هؤلاء المرضى في المواقف الصعبة كالامتحانات وأثناء المشاجرات والتدريبات العسكرية . حيث يكتنف حياته الخطر من كل مكان وفي أثناء **العمليات العسكرية** تدريباً كانت أم قتالا . ولذلك **ينبغي لأسباب إنسانية وطبية صرف إعادة النظر في موضوع تجنيد مرضى الصرع** ، لأنهم مهما كان الأمر من

● «مجموعة الخضراء»، للشاعر طاهر زمخشري، كتاب يتضمن ستة دواوين شعرية، صدرت ضمن سلسلة مطبوعات تهامة ـ جدة.

● «أضواء على نظام الأسرة في الإسلام»، تأليف الدكتورة سعاد إبراهيم [illegible] «الكتاب الجامعي» التي تصدرها تهامة ـ جدة.

● «حوار في الحزن الدافئ»، تأليف عبد الله عبد الرحمن الجفري، صدر عن تهامة ضمن سلسلة «الكتاب العربي السعودي».

● «في غيابة الجب»، ديوان شعر للشاعر علي الفقي، صدر عن نادي المدينة المنورة الأدبي.

● «المقصد العلي في زوائد أبي يعلى الموصلي»، تحقيق [illegible] ابن هاشم الدعيس، صدر عن إدارة النشر بتهامة ضمن سلسلة «الكتاب الجامعي».

● «صدى الذكرى»، ديوان شعر للشاعرة أغاريد السعودية، صدر عن دار الناصر للنشر والتوزيع بالرياض.

● «الفضائل الخلقية في الإسلام»، تأليف الدكتور أحمد عبد الرحمن إبراهيم، صدر في الرياض.

● «التصنيف في المكتبات العربية: دراسة مقارنة لأنظمة التصنيف العالمية ومدى صلاحيتها لتصنيف العلوم العربية والإسلامية»، تأليف ناصر محمد السويدان، صدر عن دار المريخ للنشر بالرياض.

● «كشاف موضوعي هجائي لمجلتي الإدارة العامة ومكتبة الإدارة»، صدر عن معهد الإدارة العامة بالرياض ـ المكتبة ومركز الوثائق.

أبناء المجتمع الذين لا ينبغي أن نقسو عليهم، أو نضعهم مواضع الخطر، لا سيما أن عطاءهم سوف يكون محدوداً إلى أقصى درجة لأن قدراتهم بطبيعتها محدودة. وفي المجالات المهنية ينبغي إبعادهم عن الأعمال التي تعرضهم للخطر كمهنة قيادة السيارات، والعمل وسط الآلات والماكينات والعدد والمناشير والآلات الحادة أو الكهرباء، ذلك لأن النوبة قد تفاجئه في أي وقت فيتعرض هو والآلة التي يعمل عليها للخطر.

والغريب أن وزارة التعليم وهي مؤسسة تربوية وإنسانية في المحل الأول لا ترعى حقوق المصروع المشروعة وذلك بحرمانه أثناء الامتحانات من الوقت الضائع منه في النوبة، ولا أقل من أن تسمح تعليمات الامتحان بأن يعوض عن الوقت الذي انقضى وهو مغشي عليه. ولا بد كذلك من توفير الأدوية والرعاية الطبية وخاصة المواد التي تستعمل في إسعافه من النوبة ونشر الوعي الاجتماعي والطبي بين صفوف أبناء المجتمع [illegible] بطبيعة المصروع وكيفية التعامل معه على أسس إنسانية نستوحيها من قيم ديننا الحنيف، وعلى أسس سيكولوجية باعتباره إنساناً معوقاً لا ذنب له في هذه الإعاقة، وأنه في الإمكان الاستفادة منه في حدود قدراته، وفي الأعمال والدراسات التي تلائمه، والبعيدة عن مواطن الخطر مع إشعاره بأن المجتمع يحميه ويعطف عليه ويرغب فيه.

د. [illegible] العيسوي
الإسكندرية ـ مصر

مصر

أكاديمية لدراسة الآثار

اهتماماً بالآثار، فقد قررت وزارة الثقافة المصرية إنشاء أكاديمية لدراسة الآثار وصيانتها، وستفتح أبوابها للمهتمين بالآثار في جميع أنحاء العالم. ومما يذكر أنه قد تم أيضاً افتتاح «معهد الدراسات الإسلامية والأثرية» بجوار مسجد عمرو بن العاص.

كشف أثري

تم اكتشاف برديتين جديدتين عمرهما (٤٥٠) عاماً قبل الميلاد، وذلك على عمق ٣ أمتار بمقبرة أسيس عنخ، الواقعة شرق مقبرة بتاح حتب، وغرب هرم زوسر المدرج، وقد تم هذا الاكتشاف في أثناء الحفريات التي يجريها مدير منطقة آثار سقارة داخل المقبرة. ومما يذكر أنه قد عرف بأنهما تترجعان للأسرة [illegible] قبل الميلاد، وهما في حالة جيدة، ومكتوب عليهما على الوجهين بالمداد الأسود.

دراسات علمية عن أبي الهول

تجرى حالياً في «المركز القومي للبحوث» دراسات علمية مكثفة لدراسة تأثير ملوثات الهواء الطبيعية وغير الطبيعية على تآكل جسد تمثال أبي الهول، هذه الدراسة ستستمر لمدة عام، حيث تشمل دراسة وتحديد دور الأتربة الطبيعية والرمال المحمولة بالرياح في تآكل جسم أبي الهول، ومساهمة الملوثات الصناعية غير الطبيعية في ذلك. ومما يذكر أن نتائج هذه الدراسات ستستخدم في عمليات الترميم الشامل والمقرر إجراؤه لهذا الأثر التاريخي وذلك من قبل هيئة الآثار.

الجاحظ وكتاب جديد

عثر الدكتور إبراهيم بسيوني رئيس قسم اللغة العربية بكلية الألسن على كتاب رابع للجاحظ، فقد عثر على مخطوطه الوحيد وأصوله في منطقة (ترمز) بالاتحاد السوفيتي، سيقوم الدكتور بتحقيقه وإظهاره إلى حيز الوجود لينضم مع سابقيه البخلاء، والحيوان، والبيان والتبيين.

* كتب جديدة *


* د. رمضان عبد التواب *

● «ذم الخطأ في الشعر»، تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب، صدر عن مكتبة الخانجي بالقاهرة.


* د. عبد العزيز الدسوقي *

● «الوسيلة الأدبية للآداب العربية»، تأليف حسين أحمد المرصفي، تحقيق الدكتور عبد العزيز الدسوقي، صدر الجزء الأول عن الهيئة المصرية العامة للكتاب.

● «الانتصارات الإسلامية في كشف شبه



في الوطن العربي

النصرانية »، للطوفي الحنبلي السلفي البغدادي، تحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا، صدر عن دار الأنصار بالقاهرة.

● « [illegible] »، تأليف عبد الله شمس الدين، تحقيق عبد العليم المهدي، [illegible] الأهرام [illegible] بالقاهرة.

● « التطور النحوي للغة العربية »، تأليف برجشتراسر، تخريج وتصحيح وتعليق الدكتور رمضان عبد التواب، [illegible] الخانجي بالقاهرة بالتعاون مع دار الرفاعي بالرياض.

العراق:

معرض للكتاب

أقامت جامعة الموصل معرضاً للكتاب وذلك خلال [illegible] شهر فبراير (شباط) عام ١٩٨٣م، الموافق ١ ـ ١٠ من شهر جمادى الأولى ١٤٠٣هـ، اشتركت فيه معظم دور النشر المحلية والعربية، وكانت فرصة لعرض أحدث الكتب في هذا المعرض.

طارق عبد الحكيم رئيساً لمجمع الموسيقى

انتخب رئيس وفد المملكة العربية السعودية إلى المؤتمر الثامن للمجمع العربي للموسيقى، ومدير إدارة الفنون الشعبية الموسيقار السعودي طارق عبد الحكيم، انتخب رئيساً للمجمع العربي للموسيقى بعد أن كان نائباً للرئيس في دورته السابقة. ومما يذكر أن المعهد يتخذ من بغداد مقراً له، وله نشاطات واسعة تتعلق بالفن والموسيقى.

* طارق عبد الحكيم *

* كتب جديدة *

● « مشروع موسوعة الإدارة العربية الإسلامية »، صدر في بغداد بتعضيد من المنظمة العربية للعلوم الإدارية في بغداد.

● « معجم العلماء العرب ـ العلماء القدماء »، إعداد باقر أمين الورد، صدر الجزء الأول عن مطبعة النجوم الخضراء ببغداد.

● « الدراسات اللغوية في العراق في النصف الأول من القرن العشرين »، تأليف عبد الجبار وهيب القزاز، صدر عن وزارة الثقافة والإعلام العراقية.

الكويت:

فهرس لكتب التراث المطبوعة

بدأ معهد المخطوطات العربية الذي يتخذ من الكويت مقراً له في إعداد فهرس شامل لكل ما تم طبعه من كتب



في دائرة الضوء

● **الكتاب: الإسلام ماضيه ـ مستقبله**

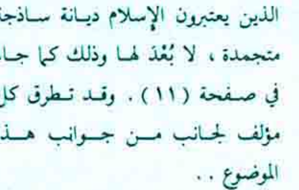
L'ISLAM: Hier - Demain

● **المؤلفان: محمد أركون ولوي قاردي**

M. ARKOUN & L. GARDET

أول ما يلفت النظر في هذا الكتاب الذي صدر في أواخر السبعينات هو أنه من تأليف مؤلفين، وهذا الكتاب يقع في ٢٦٠ صفحة، صدر عن دار باريس بوشي / شاسطال، وهو من سلسلة الكتب التي تتعرض للإسلام وقضاياه الفكرية والروحية، وهذه السلسلة تسمى (مليارات من المؤمنين).

ومن خلال الصفحات الأولى من هذا الكتاب يظهر هدف المؤلفين منه، فهو يتجه أساساً إلى معارضي الإسلام ومناوئيه من الديانات الأخرى وخاصة منها الديانة المسيحية. هؤلاء الذين يعتبرون الإسلام ديانة ساذجة متجمدة، لا بُعْد لها وذلك كما جاء في صفحة (١١). وقد تطرق كل مؤلف لجانب من جوانب هذا الموضوع..



فالمؤلف **لوي قاردي** نجده قد تناول الجانب التاريخي من الإسلام، وهكذا اختص بالحديث عن تاريخ الإسلام، فبدأ بالحديث عن الإسلام، ثم تكلم عن أمة الرسول صلى الله عليه وسلم، وفي الفصل الثاني أشار المؤلف إلى التنوع في التفرد حيث تطرق إلى العائلات الفكرية. وفي الفصول المتوالية نجده يتحدث عن الإسلام والقيم الدينية، ثم العلامات التاريخية والعصر الكلاسيكي، وفي آخر الفصول تحدث عن العلامات التاريخية التي شملت الانحطاط والتجدد.

أما المؤلف الثاني **محمد أركون** فقد بحث في الإسلام من الجانب الفكري، فتطرق في الفصل الأول إلى النظرية الإسلامية، وتكلم كثيراً عن مفهوم الحداثة، ثم تكلم عن مفهوم الإسلام في ماضيه وحاضره، ثم تحدث عن الإسلام في حركة التنمية، ثم الإسلام: معاناة، ثم خصص حديثه عن المسلمين في العالم، وتعرض لمشكلاتهم والمعاناة والاضطهاد الذي يُلاقيه بعضهم في أنحاء مختلفة من المعمورة.. وفي الفصول المتوالية تكلم أركون عن الهوية الإسلامية بإسهاب، ثم تطرق إلى الدين والمجتمع والتاريخ وأثرها على الفرد، وفي الفصل الأخير تكلم عن العالمية المجردة وعن العالمية المحسوسة.

وهذا الكتاب قيّم لما جاء فيه من تحليل تاريخي وفكري للإسلام على مر العصور.

سعيد المكينسي
فاس ـ المغرب

التراث العربي ، وقد أوكلت مهمة تنفيذ هذا الفهرس إلى كل من **الدكتور محمد صالحية** من كلية آداب جامعة الكويت ، **وعبد الجبار عبد الرحمن** ، أمين المكتبة المركزية بجامعة البصرة اللذان يقومان بتعقب ما طبع من كتب التراث العربي في الفهارس والمكتبات العربية والعالمية بهدف [illegible] من أهمية للعاملين في حقل التراث العربي .

* كتب جديدة *

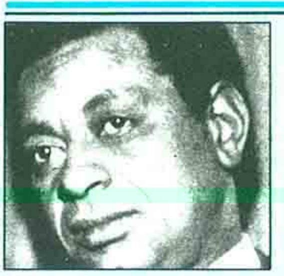
● « **الجداول الجامعة في العلوم النافعة** » ، صَنَّفَهُ وأعده **جاسم مهلهل ، محمود الفلاح ، نبيل يعقوب** ، صدر عن **دار الدعوة ضمن سلسلة « الفقه »** .

● « **هذا هو الإسلام** » ، تأليف **جودة عبد العاطي** ، ترجمة **سالم محمد الحاج** ، مراجعة **عبد الوارث سعيد** ، صدر عن **دار البحوث العلمية للنشر والتوزيع بالكويت باللغة السواحلية** .

● « **الكتاب في الحضارة الإسلامية** » ، تأليف **عبد الله الحبشي** ، صدر عن **شركة الربيعان للنشر والتوزيع بالكويت** .

السودان

الدكتوراه الفخرية للطيب صالح



★ الطيب صالح ★

منحت جامعة الخرطوم الروائي السوداني « الطيب صالح » درجة الدكتوراه الفخرية وذلك تقديراً منها لدوره وجهده الأدبي الكبير . والطيب الصالح غني عن التعريف ، ولعل مما اشتهر به خارج بلاده روايته « عرس الزين » التي مثلت سينمائياً ونالت جوائز عدة . . وكذلك روايته « موسم الهجرة إلى الشمال » .

تونس

جائزة الطبيعة لسعودي

منحت رابطة أصدقاء الطبيعة في تونس السيد **« محمد سعيد فارسي »** رئيس بلدية جدة الجائزة الدولية للطبيعة وذلك عن العام المنصرم ١٩٨٢ م ، وذلك بسبب جهوده من أجل صون الطبيعة في منطقة جدة بالمملكة العربية السعودية . والجدير بالذكر أن « رابطة الطبيعة » التي تتخذ من باريس مقراً لها تعترف بهذه الجائزة التي تعد الوحيدة في العالم ، وتمنح سنوياً لشخصية تتميز بجهودها من أجل صون الطبيعة .



★ محمد سعيد فارسي ★

أيام قصصية

بهدف إتاحة الفرصة لقصاصين شبان لقراءة آخر إنتاجهم القصصي أمام الجمهور ، فقد أعدت **دار الثقافة التونسية** تجربة ثقافية جديدة تتمثل في إقامة **« أيام قصصية »** استمرت أسبوعاً كاملاً ، وكانت الدار ذاتها قد أجرت في أواخر

أخبار الغد

متحف للحضارة في القاهرة

●● « **سينشأ في القاهرة (متحف للحضارة)** وقد أطلق عليه اسم « **متحف الحضارة القومي** » ، وبهدف إظهاره إلى حيز الوجود فقد تم تشكيل (١٤) مجموعة عمل تضم (٣٥) عضواً من المتخصصين في المجالات الأكاديمية والعلمية لعلم المتاحف والآثار في الفترات التاريخية المختلفة ، التي تبدأ من عصر ما قبل التاريخ حتى العصور الحديثة . هذا وتعاون هذه المجموعات مجموعة من الخبراء الأجانب ، لتحديد الفكرة العامة لهذا المتحف ، والتسلسل التاريخي للمعرض ، واختيار القطع التي سيتم عرضها ، وفي هذا الإطار ستقوم الحكومة بطرح مسابقة دولية للتصميم المعماري والداخلي للمبنى الذي سيتم إنشاؤه على مساحة (٢٥٠) ألف متر مربع ، على أرض المعارض في الجزيرة .

مجلة المجمع في مجلدات

●● **سيصدر في دمشق فهرس لمجلة مجمع اللغة العربية** بدمشق وذلك ابتداء من المجلد الحادي والأربعين إلى المجلد الخمسين ، وهو من إعداد محمد خير محمد .

نشاط مركز دراسات الخليج العربي

●● **سوف يقوم مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة في خطته العلمية لعام ١٩٨٣ م ، بإعداد البحوث والترجمات والإصدارات والنشاطات التالية :**

★ إعداد كتاب عن مشاكل اقتصاديات الخليج العربي يتناول كل فصل فيه موضوعاً اقتصادياً عن قطر من أقطار الخليج العربي .

★ تأليف كتاب عن المنجزات الاقتصادية في العراق لفترتي ما قبل الثورة وما بعدها .

★ إعداد كتاب عن اقتصاديات الخليج العربي قبل ظهور النفط ، حيث يتناول كل قطر على حدة .

★ إعداد فهرس البحوث الاقتصادية في الدوريات العلمية التي تتناول منطقة الخليج العربي أو أحد أقطاره ، ويتضمن الفهرس البحوث المنشورة في المجلات العلمية ، ذات الطابع التحليلي الأكاديمي .

★ إعداد كراس يحوي جميع الإحصاءات الخاصة بأقطار الخليج العربي التي يحتاجها الباحث الاقتصادي ، حيث ستغطي هذه الإحصاءات فترة ١٥ سنة تنتهي بعام ١٩٨١ م .

★ المشاركة في الكتابة بمجلة الخليج العربي والدوريات والصحف .

★ الاشتراك في الحلقات العلمية التي ينظمها قسم الاقتصاد بجامعة البصرة .



الحركة الثقافية في الوطن العربي

يناير (كانون الثاني) الماضي تجربة مماثلة تحت اسم «**أيام شعرية**»، كما أقامت ندوة عن الشاعر اللبناني الراحل «**خليل الحاوي**».

البحرين :

مؤتمر للآثار العربية

عقد في المنامة اجتماع اللجنة الدائمة للآثار في الأقطار العربية وذلك خلال شهر جمادى الأولى ١٤٠٣ هـ، نوقشت فيه عدة موضوعات تتعلق بمشاريع الحفاظ على الآثار في الدول العربية، وتبادل الخبرات وكذا التنسيق فيما بين الدول التي لها صلة بهذه اللجنة.

المغرب :

وفاة بنجلّون

توفي الموسيقار المغربي «**بنجلّون**»، الذي يعد **أحد رواد الموسيقى العربية، ورئيس جمعية الموسيقى الأندلسية في المملكة المغربية**. كان الفنان الراحل نشطاً أسهم في تأسيس «**المجمع العربي الموسيقي**»، ورأس لجنة المخطوطات والبحوث التاريخية، وظل عضواً في هذه اللجنة ثماني سنوات، كما أشرف على تنظيم عدة مؤتمرات موسيقية، لا سيما في بغداد وفاس. **هذا وقد ترك (بنجلون) جملة أبحاث ودراسات في الموسيقى** العربية والمغربية منها خصوصاً، فمن أبرز دراساته: «**التراث العربي المغربي للموسيقى**».

نافذة

الإرادة

يحار الإنسان في تعريف كثير من الأشياء التي يظنها لأول وهلة سهلة التعريف واضحة المعنى، وكثيرون هم أولئك الفلاسفة الذين وقفوا أمام بعض الأشياء، مثل الجمال، والحق، والخير، والإيمان ... إلخ، حيارى لا يحركون ساكناً بالرغم من كل تعريفاتهم المتعددة، ولقد أدرك الفلاسفة أن الأشياء غالباً لا تبدو بظواهرها بل بما تومئ إليه من معاني وأفكار وما تحمل في أعماقها من جوهر وفحوى. إن الإنسان ليحار أشد الحيرة في وصف لحظة قصيرة من لحظات انفعاله، أو وصف صورة من دقائق خلجاته الفكرية أو النفسية، ويجد نفسه أحياناً وقد خانته الإرادة فيصبح مشلول العقل والجسم فلا يستطيع التحكم في انفعالاته. ولكن ما هي الإرادة؟.

إن الإرادة وهي جزء فعّال من العقل يمكن أن تتبع الإحساس، ولكن هذا الإحساس غالباً يخضع إلى ملكات العقل المختلفة، ويمكن بعملية دقيقة أن يتحكم الإنسان في أحاسيسه بسيطرة إرادته التي تتبع القدرة العقلية والتي تسيطر على جميع الأحاسيس والانفعالات عند الإنسان.

والإرادة مفهوم معنوي حار الكثير من الفلاسفة وعلماء النفس في تحديده وتعريفه تعريفاً كاملاً، ولعل هذا يعود إلى تعدد مظاهر الإرادة وفعاليتها في كل

★ الزيارات العلمية: حيث سيقوم المركز بدعوة شخصية أو أكثر من الشخصيات الاقتصادية المرموقة في منطقة الخليج العربي لإلقاء محاضرات.

★ إقامة جرد شامل للكتب والدوريات الاقتصادية باللغة العربية، واللغات الأخرى بقصد جعلها متكاملة قدر الإمكان.

★ إعداد بحوث ومقالات وتقارير سياسية تلقي الضوء على آخر التطورات التي طرأت على ساحة الحرب مع إيران.

★ الاهتمام بكل ما له علاقة مباشرة بالتطورات السياسية الراهنة، وتعاظم مراكز الاستقطاب الدولي على الساحة العالمية ومنها حركة عدم الانحياز، وموقع منطقة الخليج العربي من هذه الحركة، وانعكاسات سياسة هذه الحركة على السياسة الخارجية لأقطار الخليج العربي.

★ القيام بترجمة عدد من الكتب باللغة الإنجليزية ومن هذه الكتب:

★ «السياسة الخارجية الإيرانية ١٩٤٠ ـ ١٩٧٠ م»، تأليف الإيراني رمضاني.

★ «قوة الانتشار السريع»، تأليف الأميركي جفري ريكورد.

★ «الصراع والتعاون في منطقة الخليج العربي»، لعدد من الكتّاب الغربيين.

★ «البحوث السياسية التي تتعلق بمنطقة الخليج العربي»، التي تنتشر في مجلات عالمية كالمجلة الأميركية Foreign Affairs، والصحيفة البريطانية The Times ومجلات علمية وأكاديمية عالمية أخرى.

★ نشر المقالات والتقارير السياسية التي تعالج الوضع الراهن في الصحف والمجلات العراقية.

★ الإسهام بعرض العديد من الكتب في المجلات العربية.

★ مد جسور العلاقة مع العديد من المراكز المتخصصة في الأبحاث سواء في العراق أم في الأقطار العربية الأخرى.

★ توجيه الدعوة لعدد من الأساتذة والباحثين المهتمين بالدراسات السياسية.

★ إعداد بحث بعنوان «شاعرات من الخليج العربي».

★ الاستمرار في البحث عن أسماء المواضع في الخليج العربي ودراستها من الناحية اللغوية والتاريخية.

★ تهيئة كشاف باسم الكتب اللغوية والأدبية المختصة بالخليج العربي والجزيرة العربية الموجودة بمكتبة المركز.

★ القيام برصد النتاج الجديد، وعرض ما يمكن عرضه من الكتب الصادرة حديثاً لنشرها في الصحف والمجلات، والاتصال بالكتّاب والمفكرين في أقطار الخليج العربي للكتابة في موضوعات يقترحها المركز.

★ دعوة إحدى الشخصيات العلمية من داخل القطر وأخرى من خارجه من المهتمين بالدراسات اللغوية والأدبية الخاصة بالخليج العربي.

★ الاستفادة بقدر الإمكان من الاتفاقيات العلمية العربية والأجنبية التي يرتبط بها المركز.

★ العمل على دعم المكتبة الخاصة بالمركز وإغنائها بالجديد من الإصدارات.

مضامير الحياة ، ومن التعاريف الجيدة للإرادة قولهم إنها « الفعل ساعة خلقه » ، وإنها « الشيء الذي ينبثق من أعماق العقل لحفز الإنسان على فعل شيء » ، وإنها « الشيء الذي يحدد أهدافنا ويدفعنا إلى الإبداع والابتكار » . **وقد حصر علماء النفس عناصر الإرادة في العوامل التالية** : (القوة « أي النشاط » ، والمثابرة ، والثبات ، والوجهة) . ويمكن جمع ما تقدم في التعريف التالي الذي أراه مناسباً ، حيث يمكن **تعريف الإرادة بأنها « الحافز الذاتي للعمل سواء كان عملاً إبداعياً ، أو عادياً تدعمه المثابرة والقدرة على العمل ويوجهه هدف واضح وثابت »** .

وعندما نقول إن شخصاً ما يملك إرادة فنحن نعني أنه قوي الشخصية لا يتردد في أي عمل يوكل إليه ، بل يثابر حتى يصل إلى الهدف والغاية . إن الإرادة هي الميدان الخصب الذي تثمر على ثراه الجهود الموجهة بإيحاء من النفس ، وإقدام من العقل ، وقوة من الضمير ، وانبثاق من الوجدان ، بل إن الإرادة هي القوة الإيجابية التي تدفع النفس بكل طاقاتها إلى العمل والمثابرة . وما أروع قول **المفكر الأميركي ايمرسون** عن الإرادة : « ليست هناك قوة حافزة أكبر من الإرادة ، وخير للمرء أن يتحول كله إلى إرادة حتى تصبح الإرادة علماً عليه ويصبح هو علماً على الإرادة » ، وهو قول قمين بالإكبار والاقتداء . ولعله من المناسب هنا أن نذكر بعض القواعد العلمية لتنمية الإرادة ، **ومن أفضل الكتب التي قرأتها عن النفس والشخصية كتاب جوردون بايرون « أتح لنفسك فرصة »** . وفيما يلي أنقل بعض القواعد التي تنمي الإرادة :

(١) اعرف نواحي القوة والضعف في نفسك .

(٢) اعتن بصحتك .

(٣) نم في نفسك النشاط الإنشائي .

(٤) نم في نفسك القدرة على الحسم .

(٥) ابدأ بصنع الأشياء السهلة الميسورة في أول الأمر (يوجد جدال حول هذه القاعدة) .

(٦) توخ الوصول إلى قراراتك بوحي نفسك وبغير توجيه خارجي .

(٧) خذ على نفسك « كلمة وعد صادقة » أن تنجز أعمالا معينة .

(٨) أعدد نفسك للعمل إعداداً تاماً .

(٩) ضع نصب عينيك أهدافاً محددة واضحة المعالم .

(١٠) راجع مدى تقدمك أولا بأول .

(١١) اسع إلى خلق المنافسة .

(١٢) ابدأ بتدريب إرادتك في ميادين العمل التي تمتعك وتلذ لك .

(١٣) اتخذ لنفسك مثلاً أعلى من الشخصيات المعاصرة أو التاريخية .

(١٤) تسلح بروح الفكاهة والمرح ولكن كن جاداً في بذل الجهد .

(١٥) اخل نفسك بعض الوقت كل يوم وتأمل مدى تقدمك .

وتوكل على الله أولا وأخيراً في كل أعمالك ، وسر في طريقك إلى الحياة السامية فإن الله معك ﴿ **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون** ﴾ صدق الله العظيم .

د . أحمد عبد القادر المهندس

الأردن :

كشف أثري

عثر في مدينة (جرش) **الأردنية** على آثار مبنى يرجع تاريخه إلى عام ٥٧٠ م ، وذلك إثر حفريات تجرى في مشروع تعمير جرش ، وقد عثر على لوحات كبيرة من **الفسيفساء** نقشت عليها **حروف يونانية** أشارت إلى تاريخ البناء وذلك بداخله . المعروف أن **دائرة الآثار الأردنية** قد اكتشفت في العام الماضي **آثاراً رومانية** يعود تاريخها إلى القرن الثاني الميلادي .

* كتب جديدة *

● « **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر** » ، تأليف **محمد عبد القادر أبوفراس** ، صدر عن **دار الفرقان بعمان** .

● « **النمط النبوي** الخليجي » ، تأليف بشير الخضرا ، صدر عن **الجامعة الأردنية** .

● « **غزوة بدر الكبرى** » ، بقلم **محمد عبد القادر** ، صدر عن **دار الفرقان بعمان** .

* محمد حسن عواد *

● « **تناوب حروف الجر في لغة القرآن** » ، تأليف **محمد حسن عواد** ، صدر عن **دار الفرقان بعمان** .

● « **لباس المرأة وزينتها في الفقه الإسلامي** » ، تأليف **مهدية شحادة الزحيلي** ، صدر عن **دار الفرقان بعمان** .

الجزائر :

* كتب جديدة *

● « **النظرية العامة للأجور والمرتبات ـ دراسة مقارنة** » ، تأليف **الدكتور حماد محمد شطا** ، صدر ضمن **منشورات المطبوعات الجامعية بالجزائر** .

فلسطين :

* كتب جديدة *

● « **التعذيب في السجون الإسرائيلية** » ، تأليف **المحامي سعيد علاء الدين** ، صدر ضمن **منشورات فلسطين المحتلة** .

● « **تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام** » ، بقلم **بندلي جوزي** ، صدر ضمن سلسلة « **إحياء التراث الفلسطيني** » ، التي تصدر عن **الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين** .

● « **قرارات الأمم المتحدة بشأن فلسطين** ـ والصراع العربي الإسرائيلي عام ١٩٨٠ م » ، صدر عن **مؤسسة الدراسات الفلسطينية** .

● « **الحب والنار** » ، مجموعة قصصية **للدكتورة رشيدة مهران** ، صدرت عن **منشورات فلسطين المحتلة** .

اليمن :

اكتشاف مخطوطات قرآنية

عثر مؤخراً ، خلال حفريات أثرية في **مدينة صنعاء** ، **على ثلاثة أكياس كبيرة** قرب **جامع صنعاء** تضم **حوالي عشرين ألف صفحة من الآيات القرآنية الكريمة** منسوخة بالخط الكوفي ، وتقوم حالياً لجنة يمنية

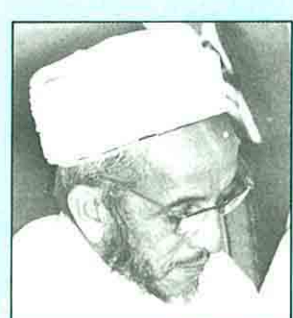




الحركة الثقافية

في الوطن العربي





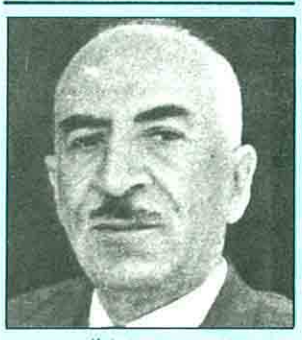


* اسماعيل الاكوع *

يرأسها **القاضي إسماعيل الأكوع** بدراسة هذه المخطوطات الأثرية القيمة التي يعود تاريخها إلى القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) ، وتقوم هيئة خبراء ألمانية مختصة بترميم المخطوطات بمساعدة اللجنة اليمنية .

قطر :

* كتب جديدة *





* محمود شيت خطاب *

● **« العسكرية العربية الإسلامية »** ، تأليف **محمود شيت خطاب** ، صدر **في قطر** ضمن سلسلة **كتاب « الأمة » الفصلية** .

الإمارات العربية المتحدة :

منع كتب من التداول

منعت السلطات في الإمارات العربية المتحدة تداول **عدة كتب** منها :

★ **دار شيب سيرفيس** ، وذلك لتضمنه مواد للتبشير بالدين المسيحي .

★ **الحركات الفكرية للإسلام** ، وذلك لإساءته للرسول صلى الله عليه وسلم .

★ **سوبر بورتدر ناشيونال و سود إربيان توادي** لإساءتها للإسلام والعرب .

★ **مدرن جيجوري** لتعريفه بإسرائيل كما تمت مصادرته أيضاً .

سورية :

* كتب جديدة *

● **« الأوباش »** ، **رواية** تأليف **أحمد يوسف داود** ، صدرت عن **وزارة الثقافة والإرشاد القومي** .

● **« الجوهرة في نسب النبي ﷺ وأصحابه العشرة »** ، تأليف **محمد بن أبي بكر الأنصاري التلمساني المشهور بالبري** ، تحقيق **محمد التونجي** ، صدر عن **مكتبة النوري بدمشق** .

● **« المغرب في ترتيب المعرب »** ، تأليف **أبي الفتح ناصر الدين المطرزي** ، تحقيق **محمود وعبد الحميد مختار** ، صدر عن **مكتبة أسامة بن زيد بحلب** .

في العالم

قبرص :

معهد دولي للاقتصاد الإسلامي

شرع الاتحاد الدولي للبنوك الإسلامية في إقامة « المعهد الدولي للبنوك والاقتصاد الإسلامي » في قبرص الذي سبق أن وقعت اتفاقية إنشائه منذ عام ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م ، وتتناول الدراسة في هذا المعهد ما يلي :

★ **علوم القرآن .**

★ **علوم الحديث .**

★ **أصول الفقه .**

★ **الأسس الفقهية للمعاملات الاستثمارية بالمصارف والمؤسسات الإسلامية .**

★ **المدخل إلى الاقتصاد الإسلامي .**

★ **التحليل الإسلامي للقيمة والتوزيع .**

★ محددات الدخل القومي .

★ العلاقات الاقتصادية الدولية .

★ **الاقتصاد الإسلامي المعاصر .**

★ المدخل إلى علم النفس .

★ سيكولوجية الشخصية .

★ علم النفس الإداري .

★ علم النفس التنظيمي .

★ القياس النفسي .

★ **أساليب القيادة والرأي العام .**

★ **علم النفس الاجتماعي .**

هذا وقد بدأت الدراسة في المعهد لهذا العام ١٤٠٢ ـ ١٤٠٣ هـ ، حيث يمنح درجة الدبلوم العامة في البنوك والاقتصاد الإسلامي .

ألمانيا :

وفاة بيتر فايس

توفي في العاشر من شهر مايو (أيار) عام ١٩٨٢ م ، **الكاتب المسرحي الألماني « بيتر فايس »** عن (٦٥) عاماً ، فقد ولد (فايس) في عام ١٩١٦ م ، في **برلين** ، وفيها تعلّم ثم هاجر إلى **« تشيكوسلوفاكيا »** ودرس في أكاديمية الفنون في **(براغ)** ونالت إحدى لوحاته جائزة كبيرة ، وفي عام ١٩٣٩ م ، نزح إلى **(السويد)** وكتب فيها عدة مسرحيات ونشر الكثير من القصص باللغة السويدية ، لكنه لم يشتهر ، وعندما بدأ إنتاجه باللغة الألمانية ذاع صيته فكان ذلك الذي يجمع بين الكتابة والرسم والإخراج . من مؤلفاته رواية **« ظلال الحوذي »** ، ورواية **« وداع الوالدين »** .

إلى جانب **مسرحياته « مطاردة ومقتل جان باول ماراتس »** وتعتبر هذه المسرحية حجر الزاوية في شهرته وقد نشرها عام ١٩٦٣ م ، ومسرحيات **« التبليغ » ، « أغاني عن الغول البرتغالي » ، « حديث فيتنام »** .

واشترك في إخراج مسرحية «المحاكمة الجديدة».

وعلى العموم كان في مسرحياته يتعاطف دائماً مع نضال الشعوب ضد السيطرة الاستعمارية، وقد فقد الأدب المسرحي الألماني بموته دعامة شامخة بعد «برتولد برشت».

فرنسا :

مؤلفات من التراث العربي إلى الفرنسية

أصدرت دار منشورات باريس بالتعاون مع **دار منشورات المتوسط في بيروت** ستة مجلدات من (**عيون التراث العربي الإسلامي**) مترجمة إلى **اللغة الفرنسية وهي:**

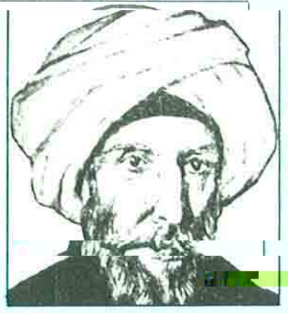
★ «**رسالة حي بن يقظان**»، لابن طفيل، ت ٥٨١ هـ.

★ «**في المعاش والكسب والصنائع**»، لابن خلدون، ت ٨٠٨ هـ.

★ «**رحلة إلى بلاد الصقالبة**»، **لأحمد بن فضلان**، من علماء **القرن الرابع الهجري**.

★ «**في عجائب المخلوقات**»، للأشبيهي، ت ٨٥٠ هـ.

★ «**سيرة صلاح الدين الأيوبي**»، **لبهاء الدين بن شداد**، ت ٦٣٢ هـ.



★ ابن خلدون ★

★ «**طوق الحمامة**»، **لابن حزم الأندلسي**، ت ٤٥٦ هـ.

وقد ألحق بالمجموعة مجلد سابع ضم دراسة كتبها **المستشرق «أندريه مايكل»** تناولت الفنون الأدبية العربية عامة، وتعريفاً بالكتب الستة ومؤلفيها، كما ألحق بكل جزء مجموعة رائعة من الرسوم الملونة مستمدة من المخطوطات العربية بعضها ينشر لأول مرة.

معرض عن الفن الهولندي



★ فان جوخ ★

أقيم في (باريس) معرض عن الفن الهولندي في الرسم، حيث عرض فيه عدد من لوحات أشهر الرسامين الهولنديين، من بينهم **(فان جوخ)** و**(مورتدريان)** اللذين يطلق عليهما رساما العصر الذهبي في هولندا. ومما يذكر أنهما قد عكفا في رسم المناظر الطبيعية وكذا الطبيعة الصامتة، ومن أشهر اللوحات التي عرضت في هذا المعرض لوحة **(آكلو البطاطس)** للرسام فان جوخ عام ١٨٥٣ – ١٨٦٠ م، التي يرجع تاريخها إلى عام ١٨٨٠ م.

الاحتفال بديدرو

تستعد مدينة (لانجر) الفرنسية – **مسقط رأس الفيلسوف (ديدرو) صاحب الموسوعات الشهير** – للاحتفال بمرور (٢٠٠) عام على وفاته، وسوف يقام في (باريس) وذلك خلال الفترة من ٤ إلى ٨ يوليو (تموز) عام ١٩٨٤ م، ندوة دولية باسم **(ديدرو في جامعة السوربون)** حيث ستناقش فيها موضوعات منها:

★ ديدرو والفن.

★ ديدرو والموسوعات.

★ ديدرو والعالم الخارجي.

★ ديدرو والتأليف الأدبي.

★ ديدرو والسياسة.

★ ديدرو والعلوم.

★ ديدرو والفلسفة.

إلى غير ذلك من الموضوعات التي تتعلق بالفيلسوف وأعماله، كما سيقام معرض يضم أعماله، وعرض مسرحي لمسرحية كان قد كتبها بنفسه ولم تنشر من قبل.

* أحدث الكتب *

● «**فضائح الدادائيين**»، بقلم **جوفروا**، صدر عن **منشورات لافون بباريس**.

● «**مناقب العارفين**»، **للعفلكي**، ترجمها عن الفارسية **كليمن هيوارث**، صدر في جزءين باللغة الفرنسية عن **دار سندباد**.

الصين الوطنية :

* أحدث الكتب *



★ محمد حسن باكلا ★

● «**ابن جني عالم الصوتيات**: مقدمة للدراسات الصوتية واللسانية لدى العرب الأوائل»، تأليف **الدكتور محمد حسن باكلا**، صدر في **تايبيه ولندن أيضاً**.

هولندا :

معرض للوحات بروير

أقيم في هولندا معرض خاص لفنان القرن السابع عشر الإسباني «**أدريان بروير ١٦٠٥ – ١٦٣٨ م**». ضم المعرض المجموعة الكاملة التي رسمها في حياته والتي توضح تأثره بالمدرسة الواقعية، كما ضم المعرض أيضاً لوحات لتلميذه **الفنان «دافيد تينير ١٦١٠ – ١٦٩٠ م»**. ومما يذكر أن لوحات «بروير» على الرغم من قصر حياته تعتبر من أثمن اللوحات التي تعرض في العالم.

بلغاريا :

متحف عن التاريخ القديم

أقيم بمدينة **(فارنا)** البلغارية **متحف خاص للفنون**

معرض للكنوز الأثرية السورية

●● **سيقام خلال الفترة** من العشرين من شهر أكتوبر (تشرين الثاني) القادم عام ١٩٨٣ م، إلى الثامن من شهر يناير (كانون الثاني) عام ١٩٨٤ م، **معرض في باريس للكنوز الأثرية السورية** وذلك باتفاق بين الحكومتين. سيضم المعرض (٢٧٠) قطعة أثرية تمثل مختلف الحضارات التي عرفتها سورية منذ عام (٩) آلاف قبل الميلاد وحتى القرن السابع الميلادي.



في العالم

والتاريخ القديم، حيث عرضت فيه مجموعة من الأعمال الفنية التي تم العثور عليها في منطقة (بوبيتيه كاماني) والتي تدل على وجود حضارة فريدة من نوعها في بلغاريا قبل الميلاد بـ ٨ آلاف عام، كما عرض فيه الكنز الذهبي الذي اكتشف في مدينة (فارنا) ويرجع عهده إلى **العصر النحاسي**، ويضم مجموعة من الحلي والأواني الذهبية، كما ضم المتحف من بين معروضاته مجموعة [illegible] تدل على وجود ارتباط بين الحضارة والفنون القديمة بالبحر [illegible] ومجموعة أخرى من الخزف والحلي صنعت خلال العصور الوسطى، بالإضافة إلى نصوص للكتابة البلغارية القديمة.

إيطاليا :

* أحدث الكتب *

● **« الأربعون النووية »**، ترجمة **محمد علي صبري**، صدر عن **مركز البحوث الإسلامية للتأليف والترجمة والنشر بروما باللغة الإيطالية**.

تركيا :

* أحدث الكتب *

● **« فهرس المخطوطات التركية والفارسية والعربية المحفوظة بمكتبة راشد أفندي بقيصري تركيا »**، إعداد **علي رضا قرة بلوط، قيصري تركيا**، صدر **باللغة التركية**.

● **« انتشار الإسلام في جنوب شبه جزيرة العرب »**، تأليف **مصطفى فايدة**، صدر عن **كلية الإلهيات بجامعة أنقرة**.

أمريكا :

قاموس للنكات اللفظية

قام الكاتب الأمريكي **« جون كروسبي »** بعمل قاموس غريب من نوعه جمع فيه جميع **النكات** [illegible] والتلاعب بالألفاظ. وكروسبي [illegible] يستعد لمنصب رئيس بمجلس إدارة **جمعية حماية النكات اللفظية من الضياع**، وقد اعتمد في تأليف قاموسه هذا على ملايين الخطابات التي كانت تصله من القراء في مختلف أنحاء العالم يرسلون له بالنكات التي يستعين بها في كتابته.

* أحدث الكتب *

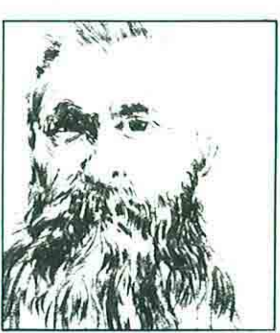
● **« نفقات العالم العسكرية والاجتماعية »**، بقلم **روث ليجر سيفارد**، صدر في **واشنطن**.

● **« النظام الاجتماعي في الإسلام »**، تأليف **الدكتور عبد الملك السيد**، صدر **بالإنجليزية في نيويورك**.

الهند :

معرض للفنان روادن

أقيم في « معهد الفن الحديث » بنيودلهي معرض للنحات الفرنسي « روادن ».



* روادن *

ضم المعرض (١٠٧) قطع فنية، بالإضافة إلى (٧٠) لوحة فنية من التي قام برسمها. ومن أشهر المعروضات تمثال « الرجل » وتمثال « المفكر ». المعروف أن روادن واسمه الكامل « أونجست روادن » مثال فرنسي ولد عام ١٨٤٠م، وتوفي عام ١٩١٧م، ومعظم أعماله تجمع بين الواقعية والشاعرية.

بريطانيا :

* أحدث الكتب *

● **« العيش في حصار بيروت »**، بقلم **لينا مقدادي**، صدر عن **دار النشر البريطانية « أونيكس »**.

● **« فن الحوار »**، تأليف **ريتشارد غولدين**، صدر في **لندن**.

● **« ابحث عن الشمس »**، تأليف **جون هايل**، صدر في **لندن**.

● **« أمريكا ... الجيل الجديد »**، تأليف **تشارلز بارسونز**، صدر في **لندن**.

● **« [illegible] الليل الأبيض »**، تأليف **الكاتب الأسترالي جون غلاسر**، صدر في **لندن**.

● **« صفحة في الهواء »**، تأليف **جون أوينز**، صدر في **لندن**.

● **« رياضة الصباح »**، تأليف **[illegible] بولوك**، صدر في **لندن**.

● **« وعود »**، تأليف **كاترين غاسكين**، صدر في **لندن**.

● **« الأرض وجبالها »**، **للفلكي البريطاني ريموند ليتلتون**، صدر في **لندن**.

بلجيكا :

ندوة عن شاعر فرنسي

●● **ستقام في العاصمة البلجيكية ندوة دولية عن الشاعر الفرنسي « أبوللنير »**، يشترك فيها أدباء ونقّاد وشعراء من كل من أستراليا، وكندا، واليابان، والولايات المتحدة، بالإضافة إلى الدولة المضيفة، وستتم في الندوة مناقشة عدة دواوين شعرية للشاعر وتحليلها، منها :

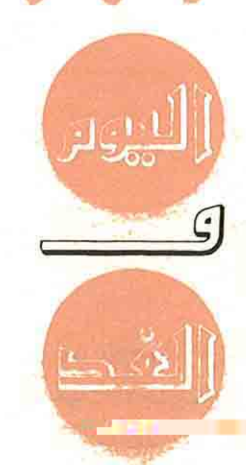
★ « العشق ».

★ « المرأة العجوز ».

★ « الأميرة الصغيرة ».

كما ستعقد أيضاً مقارنات بين الشاعر وعدد من الشعراء الآخرين أمثال « فيكتور هيجو »، و« هنري مازيل » وغيرهما.

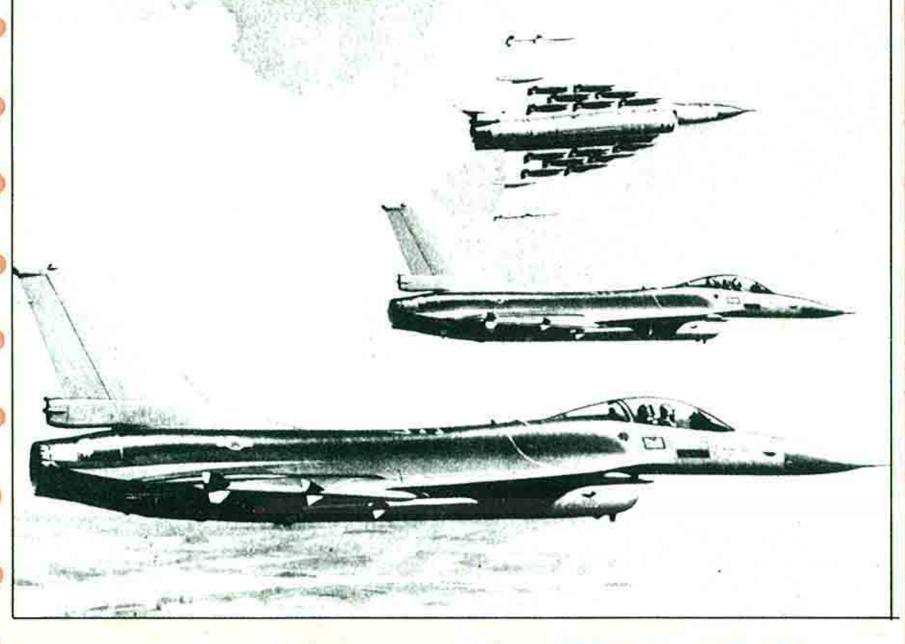
ومما يذكر أن العلاقة بين البلجيكيين وبين الشاعر الفرنسي كانت قد تمت من مجرد زيارته لمدينة « ستافولو » البلجيكية وذلك في إجازة صيف عام ١٨٩٩م، وقد تركت هذه الزيارة من الأثر ما جعلهم في بلجيكا يحتفلون بها كل عام ... وهذا العام زادت دائرة الاهتمام فكانت هذه الندوة الدولية.



الحاسب الهاتف

المس أحد الأزرار في الهاتف الإلكتروني الجديد من ابتكار **شركة «بيل» الأميركية**، فيتم طلب الرقم المطلوب بصورة آلية (دون الحاجة إلى تدوير القرص كما هو مألوف) خلال أقل من ٣ ثوان فقط. **الحاسب الميكروي** يخزن ويطلب ١٢ رقماً. وتدعي الشركة الصانعة (**ويسترن إليكتريك**) أن هذا الهاتف الإلكتروني يجعل صوت المتكلم أكثر وضوحاً.





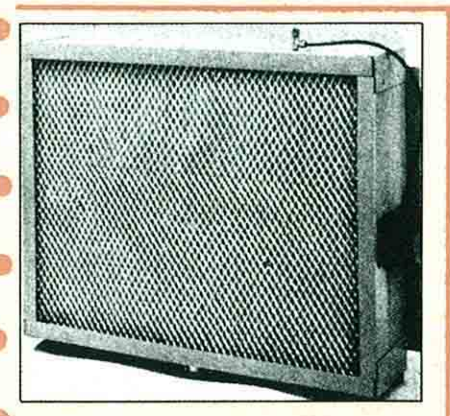
طائرة التسعينات المقاتلة

تزمع **شركة (جنرال ديناميكس) الأميركية** إنتاج طائرة مقاتلة لاستخدامها في تسعينات القرن الحالي، وهي نسخة مطورة عن طائرة **فانتوم ف ـ ١٦**. سيتميز النموذج المقترح والذي سيحمل الرمز (F-16XL) بأجنحة أوسع ومقدمة أطول. كما سيسمح التصميم الجديد بمضاعفة تسليح الطائرة ويقلل المسافة اللازمة للإقلاع ويكبّر نطاق الدائرة التي بمقدور الطائرة المقاتلة المناورة ضمنها وتوسيع مداها.

سحابات حديثة

هذه السلال المصنوعة من الفولاذ المقاوم للصدأ قد تحل يوماً ما محل **السحابات المصمتة** وآلياتها الميكانيكية المعقدة، لأنها أسهل استخداماً وتوفر الكثير من الحجم. هذه السلال والحوامل تصنع في **السويد** بأشكال وحجوم مختلفة ومن السهل فكها وتركيبها.





المبرد التمهيدي

يقوم هذا «**المبرد التمهيدي**» **بخفض درجة حرارة الهواء** قبل دخوله إلى المكيف الأساسي. وتدعي **الشركة الصانعة** أن تركيب هذا **المبرد التمهيدي** يخفض استهلاك الطاقة بنسبة ١٠ ـ ٢٠ بالمائة في المناطق الحارة الجافة.

افكار منشورة



●● إن الشعوب العربية مطالبة بأن تقدم قضاياها للعالم من الوجهة التي تساعد الشعوب الأجنبية على فهم هذه القضايا مع ملاحظة أن الشعوب الأجنبية ليست عربية الإحساس والقناعات وليست مطالبة بأن تكون مؤمنة سلفاً بما تؤمن به الشعوب العربية . لذلك فإن من واجب شعوبنا أن تساعدها على فهمنا بالموعظة الحسنة . وإن من مفارقات الإعلام العربي أن بين العرب قضية عادلة لم يستطيعوا شرحها للعالم في حين ما انفك الصهاينة يكسبون التأييد لقضيتهم الظالمة الباطلة ، وأوضح أن ذلك عائد إلى الممارسات العربية الخاطئة طوال ثلاثين سنة ●●

الشاذلي القليبي
جريدة «عكاظ» السعودية



●● الشاعر ليس أكثر الناس اختزالا للتجارب ، وليس أقدر الناس على التعبير عن مشاعره ، وليس أقدر الناس على التفاعل مع الآخرين .. فهذا كله وهم .. والوهم يشجع الشعراء ويشجع النقَّاد الذين يحاولون أن يجعلوا من الشاعر إنساناً يختلف عن غيره إلا بشيء واحد فقط وهو أنه يستطيع أن يعبِّر عن نفسه وعن شعره فقط ، فهو لا يستطيع أن يعبِّر عن نفسه أحسن من غيره ، ولا بطريق أرق من غيره ●●

د . غازي القصيبي
جريدة «عكاظ» السعودية



●● لقد كان فيصل يجمع بين السماحة الدينية والحدة الدبلوماسية ، كما كان عظيماً وحاسماً ، وكان ينتقي كلماته بحذر ، ولم يحدث أن تكلم دون معنى فكل جملة لها معنى ●●

كيسنجر
وزير الخارجية الأميركي السابق
مجلة «آخر ساعة» المصرية



●● نتمنى على مؤسسة الملك فيصل الخيرية التي تمنح جائزة الملك فيصل العالمية أن تخصص جائزة ثابتة باسم «جائزة القدس» ، ذلك لأن جلالة المغفور له الملك فيصل كان شهيد القدس .. وإيجاد جائزة سنوية باسم القدس هو تكريس تاريخي لجهاده وكفاحه العظيم في سبيل أن تظل القدس مدينة عربية إسلامية ●●

عبد الرحيم نصار
جريدة (الجزيرة) السعودية

تصورات
حول

إدارة الأقسام الأكاديمية

في كليات ومعاهد الجامعات العربية السعودية

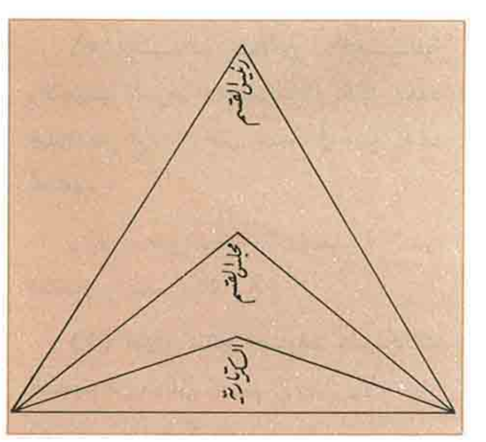


لقد بات من المؤكد الدور الفعال الذي هو للإدارة السليمة في الأقسام الأكاديمية في كليات ومعاهد الجامعات العربية السعودية أو في غيرها من الجامعات لما لها من آثار مباشرة وغير مباشرة على مسيرة الأنشطة الأكاديمية لأساتذة وطلاب وطالبات أقسامهم والإداريين والفنيين ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «كلكم راع وكل مسؤول عن رعيته» . فإدارة الأقسام هي «المايسترو» الذي يحرك بانتظام إيجابي أو سلبي جميع منسوبي القسم من أساتذة وإداريين وفنيين وطلاب القسم والتي تحدد مسيرة القسم وسمعته ومكانته بين باقي أقسام الكلية بل والجامعة .

بقلم : د . أحمد رمضان شقلية

وعليه فقد أصبح من أهم برامج التنمية في الأقطار النامية كما سبقتها في ذلك الدول الصناعية «المتطورة» هي التنمية الإدارية التي تعني التغيير الكيفي والإيجابي في الوظيفة والهيكل . بمعنى أنها أصبحت متطلب وأمل حضاري خير تنشده الحكومات والشعوب في أقطارنا العربية والإسلامية . وتجيء معلومات هذه الصفحات المحدودة ضمن اهتمام متواضع **باتجاه الإدارة في الأقسام الأكاديمية في جامعة المملكة العربية السعودية ..** وتتخذ شكل تصور من ناحية وضعها الحالي ومستقبلها ثم وضع اقتراحات متواضعة لإصلاح أوضاعها .

تتوزع المهام الإدارية في الأقسام الأكاديمية



الشكل رقم ١ - الجهات الإدارية في الأقسام الأكاديمية

الجامعية في جامعات المملكة العربية السعودية بين الجهات الثلاث التالية (الشكل رقم - ١) التي تتخذ الشكل الهرمي بحيث يوزع رئيس القسم القرارات والأوامر إلى مختلف جهات القسم الإدارية والأكاديمية .

أ - رئيس القسم : وهو نظامي على رأس جميع الجهات الإدارية والأكاديمية في القسم ، كما أنه ممثل القسم في مجلس الكلية ذات الصلاحيات الإدارية والأكاديمية الأعلى ، وينتخب الرئيس من بين أعضاء هيئة التدريس لمدة تتراوح ما بين سنتين إلى ثلاث قابلة للتجديد لفترة أخرى ، ويعين بقرار من عميد الكلية والمعهد إذا تعذرت أمور الانتخاب .

وليعطى بذلك السلطة القانونية في داخل

تصورات حول إدارة الأقسام الأكاديمية في كليات ومعاهد الجامعات العربية السعودية

القسم ومع جهات الجامعة الأخرى .

ب ـ **مجلس القسم** : والذي يتكون من جميع أعضاء هيئة التدريس في القسم والمحاضرين ويرئسه رئيس القسم . . ومن صلاحياته استعراض جميع أمور القسم الإدارية والأكاديمية وإقرارها بالأغلبية بعد عرضها عليه .

جـ ـ **سكرتارية القسم** : وهي الاختصاصات التحضيرية والاتصالات الإدارية والأكاديمية السرية أو المعلنة في داخل القسم ومع خارجه .

● أولا : فيما يخص رئيس القسم :

فإننا نجده من حيث السن إما أن يكون شاباً في عمره وفي سنوات تخرجه وبالتالي في عدد سنوات خبرته الإدارية . . . أو أن نجده كبيراً في عمره وقديماً في تخرجه وبالتالي في توفر عدد السنوات الطويلة في خبرته الإدارية . . . ولكل من هذين العمرين في رئاسة مجلس الأقسام محاسنه ومساوئه الإدارية على النحو التالي :

ففيما يتعلق بالإدارة الشابة ، فهي تتميز بالمحاسن الآتية :

(١) اختفاء الفارق العمري بينها وبين زملائها من أعضاء هيئة التدريس ينعكس على اختفاء التكلف في التعامل وتأكيد التعاون معها .

(٢) إن صغر السن النسبي وقلة الخبرة لكفيلة باختفاء البيروقراطية المكتبية وبالتالي الاسراع في إنجاز الأعمال الإدارية والأكاديمية .

(٣) تتوفر لديها الصراحة مع منسوبي القسم في دراسة وحل المشكلات الاجتماعية التي تعترض أحد منسوبي القسم .

(٤) تتوفر لديها الصراحة في القول ، والعمل الأكاديمي والإداري الذي يتكفل بوجودهما صغر السن .

(٥) إنها ما زالت تنعم بالمعلومات الأكاديمية المعاصرة بحكم حداثة تخرجها .

(٦) إنها تتمتع بالحيوية والمرونة في تحركها المستمر والتي تمنحها إياهم أعمارهم وصحتهم الشابة .

أما المثالب فهي كما يلي :

(١) عدم توفر الخبرة الإدارية ينعكس على عدم تقدير المشكلات الإدارية والأكاديمية التي تواجهها أقسامهم .

(٢) الأخذ بما تعرضه عليهم جهات الكلية والجامعة من آراء وأوامر دون القدرة على الامتناع أو التردد .

(٣) الغياب النسبي للتقدير الاجتماعي بين الطلاب والطالبات من جهة وبين رئاسة القسم من جهة أخرى .

(٤) تحجيم نشاطهم الأكاديمي من أبحاث ومحاضرات في أقسامهم مقابل قيامهم بخدماتهم الإدارية .

(٥) إنشغالهم بالأمور الاقتصادية والاجتماعية لأسرهم الشابة والمبتدئة لكفيل بتعدد غيابهم عن الإدارة وخلق تسيب في سير أعمال أقسامهم .

وفيما يتعلق بالإدارة المتقدمة السن فتتميز بالمحاسن التالية :

(١) ضمان نتائج حلولهم لمشكلات أقسامهم من منطلق خبرتهم الإدارية والأكاديمية الطويلة وركازة تفكيرهم البعيدة نسبياً عن العاطفة .

(٢) ضمان إعطائهم لمن حولهم النصح والإرشاد المأمون والمأمول من حصيلة خبرتهم الإدارية والأكاديمية الطويلة وكبر سنهم التي تمنحهم مهارة شخصية في القدرة على الإدارة وفهمها .

(٣) ضمان عمرهم لاحترامهم وقراراتهم وآرائهم لدى جميع منسوبي أقسامهم من أساتذة وإداريين وطلاب وطالبات .

(٤) ينظر إليها كقدوة خلقية حسنة لمن حولها من منسوبي أقسامهم الذي تتكفل لها بها كبر عمرها .

أما مثالب هذه الفئة من الإدارة :

(١) تعرضه للأمراض نتيجة لسنه المتقدم مما يتوقع معه كثرة غيابه وبالتالي تأخير البت في مشكلات القسم عامة والمستعجل منها خاصة .

(٢) القصور المتوقع لديهم في حل المشكلات العلمية المعاصرة التي لا تتوفر لديهم معلومات عنها نظراً لقدم تخرجه وكبر عمره الذي يفصله عن التطور الأكاديمي الدائم النمو والتغيير والتبديل .

(٣) يطلق على هؤلاء الرؤساء لقب **(التقليديون)** لأنهم تقليديون في تفكيرهم وفي معالجة أمور أقسامهم . وعلى الرغم من تعميم تعدد المحاسن والمساوئ في كلا النوعين من الأقسام الأكاديمية **فإن هذا التصور يعرض لعدد من الصفات الجيدة** لرؤساء الأقسام :

(١) إن الإنسان وحده هو الذي يستطيع أن يجعل من نفسه مديراً أو أن يفشل كمدير بعدما يعطى لقب مدير . . . ونجاحه مرهون باستطاعته أن يدير نفسه بجدارة سواء في مكتبه

أو في أسرته والمبني على قدرته على التحكم والمراقبة لما يجري في نفس ومن حوله .

(٢) إن العمل الناجح هو الذي يبدأ بإحساس وشعور لإدارة واثقة قادرة على استقلال أمور القسم وتوجهها الوجهات التي تحترم المصلحة العلمية والاجتماعية للقسم . . .

(٣) إن على الرؤساء المخلصين مسؤولية التغيير والتبديل في أقسامهم إلى الأحسن والمناسب لأقسامهم وكلياتهم وجامعاتهم .

(٤) إن رئيس القسم الناجح هو الذي يوزع البهجة والمتعة على أسرته ومجتمعه ونفسه وهذا كفيل بأن ينال منسوبي قسمه نصيباً من هذه البهجة والمتعة .

الصفات السيئة لرؤساء الأقسام

(١) لقد أثبت بعض رؤساء الأقسام فشلهم وعجزهم عن استيعاب مشاكل أقسامهم وفشلهم في تحديد الأهداف والوسائل الكفيلة بتحقيق مهامهم الإدارية وذلك لعدم إعدادهم إعداداً إدارياً مناسباً مع مسؤوليات أقسامهم الإدارية الجسام .

(٢) إن بعض رؤساء الأقسام يتذرعون بالغطرسة والإبهام والتعالي على منسوبي أقسامهم ، واتباعهم للأساليب الإدارية غير الودية وإصدارهم لتعليمات غير واضحة .

(٣) إنه إذا نجح بعضهم في تحديد بعض المشكلات فإنه يفشل في إيجاد الحلول المناسبة لها مما يجعله يتجه إلى اتباع أنماطاً من السلوك والأساليب الإدارية غير المنطقية .

(٤) تعامل بعض أولئك الفاشلين من رؤساء الأقسام مع من هم حولهم بالتعالي والتسلط وإضعاف ثقتهم بأنفسهم واحترامهم لذاتهم .

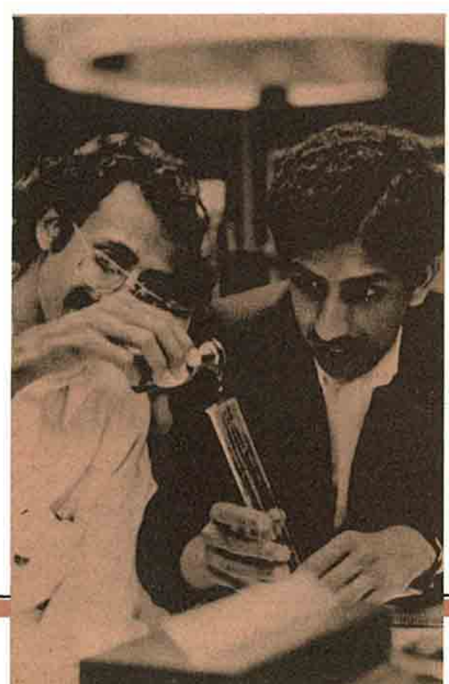
الاقتراحات

(١) أن ينظم لرؤساء الأقسام دورات تدريبية إدارية خلال أشهر الإجازات الصيفية تتناسب مع قدراتهم العلمية والنفسية .

(٢) أن لا تزيد سنوات رئاسة رؤساء الأقسام على سنة قابلة للتجديد إذا أثبت صلاحية الرئيس للتجديد .

(٣) أن ينتخب أيضاً نائباً للرئيس أو وكيلاً له ولمدة سنة قابلة للتجديد ليتعاون معه في إصلاح أمور القسم وأن يحل محله أثناء غيابه الطويل أو القصير وعليه أن يخضع لدورة تدريبية إدارية .

(٤) أنه لا بد من وجود أي صورة من إدارة القسم في الفترة الدراسية المسائية لضمان توفير المتطلبات الإدارية للأساتذة في هذه الفترة وطلابهم وطالباتهم .



● **ثانيا : فيما يخص مجلس القسم :** فيغلب على أعضائها الصغر في السن والذي ينتخب منهم رئاسة القسم ، وبالتالي فإن لأعضائه من المحاسن ما سبق وأن أسلفنا في الرئاسة الشابة كما أن لأعضائه من المثالب تعدد الآراء المطروحة من أعضاء مجلس القسم وتفاوتها أحياناً أثناء انعقاد مجلسهم .

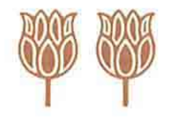
ويقترح في هذا المجال أن يقوم سكرتير (أمين) القسم بمهام أمين مجلس القسم لما له من خبرة إدارية وفي كتابة نصوص القرارات وتنظيمها خاصة وإنه مضطلع على جميع أمور القسم السرية أو المعلن عنها .

● **ثالثا : فيما يخص السكرتارية :** لا تتوفر في معظمها العناصر المتخصصة أو المدربة على أعمال السكرتارية والطباعة مما يعيق كثيراً من الأعمال الإدارية للقسم بل ويربك نشاطه المسند إليه وعليه فإنه لإصلاح هذه الجهة الإدارية في الأقسام الأكاديمية يرى ما يلي :

(١) يؤكد على أن يكون موظفو السكرتارية من المتخصصين فنياً وعلمياً في مهام السكرتارية وإلا فيجب تنظيم دورات تدريبية لهم في أعمال الإدارة والسكرتارية خلال عدة أسابيع أثناء عملهم « تفرغ جزئي » .

(٢) أن يتوفر لهم في مكاتبهم متطلبات السرية والحفاظ على إمكانات القسم واتصالاته .

(٣) أن يداوم أحد موظفي السكرتارية في الفترة الدراسية المسائية ليقوم بتوفير متطلبات الكتابة والوسائل وغيرها .



ماذا يريد التربويون من الإعلاميين

بقلم:
د. لطفي بركات أحمد

من خلال دعوة مكتب التربية العربي لدول الخليج بالتنسيق مع أجهزة الإعلام تعقد ندوة موسعة تدور حول ماذا يريد التربويون من الإعلاميين كانت دواعي ومبررات اختيار هذه الدراسة موضوعاً للبحث والمناقشة وذلك في الحدود التالية :

المتواضع عليه بين جمهرة التربويين أن التربية هي الجهود المقصودة التي تبذل لإحداث تغيير مرغوب فيه في الإنسان ، ومغزى ذلك أن التربية تشمل الإنسان عموماً ؛ صغيراً كان أم كبيراً ؛ ذكراً كان أم أنثى ؛ سوياً كان أم معوقاً ؛ كما تشمل أيضاً المدرسة وغيرها من المؤسسات الثقافية كالبيت والمسجد والنادي وأجهزة الإعلام المتعددة الأوجه والتي سنحاول إبراز العلاقة التبادلية التفاعلية الترابطية بينها وبين التربية باعتبارها إحدى رسائلها ذات الفاعلية المؤثرة في بناء الإنسان ومن خلال ما تتميز به من خصائص يمكن إجمالها على النحو التالي :

(أ) قدرتها الفائقة على دعم الصلة العضوية بين العلم وتطبيقاته أي دعم الترابط بين البحث العلمي وأنشطة المجتمع واستبعاد الفصل اللامنطقي بين العلم النظري والعلم التطبيقي انطلاقاً من أن العلم للعلم في حد ذاته لا يستطيع واقعنا العربي في هذه المرحلة أن يتحمل أعباءه .

(ب) قدرتها الفائقة على نقل التطور الهائل في مجالات المعرفة الإنسانية المتلاحقة يومياً .

(ج) قدرتها الفائقة على تأصيل القيم والاتجاهات الكفيلة بتوجيه التقدم العلمي والتكنولوجي لخدمة الإنسان .

(د) قدرتها الفائقة على تعرية مشكلات التخلف الثقافي ومشكلات البناءات الاجتماعية ومشكلات انحراف الثقافة ومشكلات قدم التنظيم وغيرها .

(هـ) قدرتها الفائقة على إبراز الخصائص المميزة للمجتمع العربي من حيث قدمه وأصالته ؛ تمسكه بالقيم الروحية والخلقية ؛ قدرته على التغيير والتجديد .

(و) قدرتها الفائقة في توعية المواطن بالتحرر من مخلفات الاستعمار بالمشاركة الفعلية في تحديث الواقع العربي وتقصيره ؛ في ممارسة أساليب النقد والنقد الذاتي ؛ بتنمية الولاء بالانتماء للأسرة العربية الكبيرة ؛ بحفز المواطن على الإنتاج باعتباره المقياس الحقيقي للقوة الذاتية العربية ؛ بتقدير الصناعة باعتبارها الطاقة الخلاقة في دعم الوطن والمواطن ؛ بتبصير المواطن بأن تقدمه الذاتي هو في جوهره أعظم أنواع الدفاع عن النفس ضد الأخطار المتربصة بواقعه الاجتماعي ؛ بتنمية مدركاته بأن طبيعة العصر لم تعد تقبل وسيلة للأمل غير العمل ؛ بنبذ المراهقة الفكرية باعتبارها نوعاً من الإرهاب المعنوي يعوق مسار واقعنا العربي .

والحقيقة أن الصلة العضوية بين الإعلام والتربية مردها إلى الماضي السحيق وليس أدل على ذلك – مثلاً – من أن **سقراط** الفيلسوف اليوناني المعروف كان يعلّم تلاميذه عن طريق الإعلام حيث كان يسير معهم في الطرقات ويحاورهم في الأسواق ويجادلهم في المتنزهات الحجة بالحجة والمنطق بالمنطق والبرهان بالبرهان حتى عرفت مدرسته **بالمشائيين** ؛ وإذا كان ذلك كذلك ؛ فلعل السؤال الذي تطرحه هذه الدراسة هو : **ماذا يريد التربويون من الإعلاميين ؟** .

أهداف التربويين

ووصولا إلى إجابة محددة ؛ فلا بد من إلقاء بعض الضوء على أهم الأهداف العامة التي يسعى التربويون لتحقيقها في واقعنا التعليمي وذلك على النحو التالي :

- **تحقيق الفرص المتكافئة بين الجميع** ؛ لا فرق في ذلك بين غني أو فقير ؛ كبيراً وصغيراً ؛ سوي أو معوق ؛ فالكل سواسية والكل يستطيع أن يشارك حسب ما تسمح به قدراته وإمكاناته واستعداداته في تطوير الواقع العربي والنهوض به .

- **تعليم المجتمع كل المجتمع عن**

طريق التوسع في مجالات الخدمات التعليمية وإتاحة الفرص للجميع لمواكبة المتغيرات التقنية الحاصلة في عالمنا المعاصر.

● **الأخذ بمبدأ التعليم المستمر ولمدى الحياة**؛ انطلاقاً من أن التعليم العصري لم يعد مخزناً للمعلومات وإنما هو سبيل للحركة والتغيير.

● **الأخذ بمبدأ التعليم الوظيفي المنتج النافع اجتماعياً** ارتكازاً على أن التعليم لذاته أصبح ترفاً لا طائل من ورائه.

● **دعم التعليم الفني والتوسع فيه** وذلك في ضوء عدة مقاصد رئيسية منها تنمية الذكاء الاجتماعي للمواطن وتبصيره بأسس العلاقات التي تحتويها التنمية الاقتصادية وتنمية الاتجاهات التعاونية والارتفاع بمستوى القدرات الميكانيكية.

● **مواجهة سلبيات التعليم الحالية** والحد منها ومن أمثلتها عدم تحقيق التوازن بين مراحل التعليم وفروعه؛ بين الخدمات التعليمية في الريف والحضر؛ بين الذكور والإناث؛ بين التعليم الرسمي والتعليم غير الرسمي؛ بين الكم والكيف؛ بين الحاجات والإمكانات؛ بين تكوين المواطن العربي لذاته وتكوينه من أجل مطالب واقعه العربي.

التربويون يطالبون الإعلاميين

وإذا كانت هذه بعض الأهداف التي يسعى التربويون لإنجازها، فما مطالبهم من الإعلاميين لإنجاح ذلك؟. يمكننا رصد هذه المطالب على النحو التالي:

(أ) العمل على مواجهة التمركز حول السمات الحضارية والعشائرية:

ونقصد بذلك أن كثيراً من القطاعات التي انتقلت من حالة البداوة إلى حالة التحضر ظلت محتفظة ببعض معتقداتها البالية وظلت هذه المعتقدات تعوق مسار تطورنا الثقافي والحضاري مما يستلزم بالضرورة من الإعلاميين تعريتها وبيان تهافتها ودحض حججها والكشف عن مآربها.

(ب) العمل على مواجهة التفاوت في أطر التنشئة الاجتماعية:

فليس من شك في أن هذا التفاوت يزيد الفرص في انتشار الخرافات الثقافية وشيوع اللفظية؛ كما يساعد على تغلغل الممارسات الطقسية المبتذلة؛ مما يتطلب من الإعلاميين تنقية الثقافة العربية مما علق بها من علائق وعوائق وشوائب.

(ج) ضرورة إعادة النظر في محتوى أجهزة الإعلام:

بحيث يتضمن هذا المحتوى برامج لمحو الأمية وتعليم الكبار، ورعاية الموهوبين والمعوقين.

(د) مواجهة سلبيات بعض المأثورات الشعبية:

ذلك أن دوامها من شأنه بناء شخصية فهلوية تتسم بالمسايرة السطحية والمجاملات الشكلية والمبالغة في تأكيد الذات.

(هـ) التحرر من كل مظاهر التضليل الإيحائي:

وذلك للحد من عمليات الانغلاق والانشطار الفكري بين قطاعات المجتمع الواحد وتحقيق التطابق بين الفكر والعمل وابتلاع الترسبات المنهجية التي تجعل اهتماماتنا الفكرية حبيسة على الانشغال بالماهيات الساكنة التي تؤدي إلى أحكام تقييمية سطحية.

(و) العمل على التنسيق بين عناصر الثقافة العربية، وإيجاد صيغة للتفاعلات السوية بين هذه العناصر لدى المواطن وهذا التنسيق يتضمن عمليات اختيار وانتقاء وحلولا لمشكلات تواجه عناصر هذه الثقافة في تغيرها وتطورها.

(ز) العمل على تدعيم كل وشائج القربى بين أجهزة الإعلام وأوعية التربية على نحو متكامل مترابط بحيث يصبح التخطيط الثقافي والتربوي أداة لتحقيق التوازن الاجتماعي الدينامي.

الإعلاميون يطالبون التربويين

وإذا كانت هذه هي بعض تصوراتنا عن مطالب التربويين من الإعلاميين؛ فلعل السؤال الذي يثور الآن هو: **وماذا يريد الإعلاميون من التربويين؟ وبمعنى آخر ما مطالب الإعلاميين من التربويين؟**

وفي تصورنا؛ فإن هذه المطالب تنحصر في الآتي:

● **أولا: ضرورة إشراك الإعلاميين** كأعضاء عاملين في جميع منظمات التعليم العربية وأجهزة وإدارات البحوث التربوية.

● **ثانياً: ضرورة تزويد الإعلاميين بالملامح المميزة لسياسات التعليم العربية واستراتيجياتها ومراميها وأغراضها.**

● **ثالثاً: ضرورة تزويد الإعلاميين بالخطوط العريضة لخطط التعليم العربية** ومدى ارتباطها بخطط التنمية الاقتصادية والثقافية.

● **رابعاً: ضرورة تزويد الإعلاميين بالبحوث التشخيصية والعلاجية والوقائية** التي تقوم بها أجهزة وإدارات البحوث التربوية العربية عن واقع التعليم وصيغه وأساليبه وأهدافه ومعوقاته.

● **خامساً: ضرورة تزويد الإعلاميين بالجهود التربوية العربية المبذولة** في مجالات رعاية الموهوبين والمعوقين والمسنين.

● **سادساً: ضرورة تزويد الإعلاميين بأحدث الإحصاءات التعليمية** التي تبرز مثلاً؛ التطور الكمي والكيفي للتعليم في مراحله المتعددة ومدى وفاء ذلك باحتياجات الواقع العربي الحالية والمستقبلية؛ التطور الكمي والكيفي في مواجهة مشكلة الأمية؛ مشكلة استيعاب الملزمين في المرحلة الأولى وغيرها.

● **سابعاً: ضرورة تزويد الإعلاميين بالتجارب التربوية العربية المستحدثة في مجالات تحقيق النمو المهني للمعلم**؛ ترقية المناهج والمقررات الدراسية لمواكبة روح العصر؛ تطوير أساليب التدريس؛ تطوير أساليب الرعاية التربوية للناشئة وغيرها.

PEUR LA NUIT. "C'est difficile de vraiment définir la peur. C'est quelque chose qu'on ressent au niveau du corps. C'est physique. J'ai peur d'être blessée, de mourir."



لا عاصم

خلال الأعوام العشرة الماضية تزايدت الأخطار التي تهدد النساء اللائي يسرن مفردات في شوارع المدن الكبرى والصغرى في أوروبا، وبلغت حوادث العدوان على النساء درجة اقتضت عقد مؤتمر أوروبي كبير في باريس لتدارس هذه الظاهرة. من الدراسات تبين أن ظاهرة مهاجمة النساء المفردات في الطرقات عمت كل بلاد أوروبا وخاصة لندن وباريس وروما ومرسيليا وليون ونابولي وفرانكفورت وأمستردام وغيرها وبلغت مبلغاً اقتضى من سلطات البوليس إصدار تحذيرات إلى النساء بألا يخرجن مفردات ولا يتلكأن في الطرقات لا بالنهار ولا بالليل، لأن الظاهرة عمت وطمت حتى أصبحت الشكاوى إلى البوليس بالمئات في كل يوم في كل مدينة من المدن الكبرى ونصف الكبرى بل الصغيرة.

وقد تبين من دراسة الشكاوى التي قدمت إلى مراكز الشرطة أن أحفل المدن بالخطر هي كبراها، وأن أشد المناطق خطراً في هذه المدن وغيرها مناطق الضواحي والأحياء القليلة السكان، والأحياء التي تكثر فيها الفيلات ذات الحدائق ويسود السكون، وكذلك الحدائق العامة ومنتجعات السيارات (الباركنجز) الليلية وخاصة ما كان منها تحت الأرض، ومحطات المترو وممراته الطويلة، وسيارات التاكسي.

ويتزايد هذا الخطر بالليل، وخاصة بعد الحادية عشرة مساء. وقد صدرت توجيهات إلى كل الهيئات التي تستخدم السيدات في أعمالها في أوقات متأخرة من الليل كالممرضات والعاملات في الفنادق والطائرات ونوبات الليل في حضانات الأطفال والمستشفيات وما إليها أن تؤمن لأولئك العاملات حراسة فعالة في الذهاب والمجيء. ولكل من هذه الهيئات الآن سياراتها الخاصة التي تؤمن سلامة العاملات في الذهاب والإياب.

وقد قال مؤتمر رجال الشرطة في أوروبا إن ظاهرة مهاجمة النساء والعدوان عليهن زادت زيادة مفزعة خلال السنوات الخمس الماضية، وظهر أن الحوادث التي يبلغ عنها لا تمثل إلا جانباً يسيراً من مجموع حوادث العدوان التي تقع لأن الكثيرات يتعرضن للعدوان ويفضلن السكوت خوف الفضيحة، ثم إن الخسائر في بعض الحالات لا تصل إلى درجة تستلزم الشكوى إلى السلطات. أما حوادث تعقب الرجال للنساء أو ترقبهن في الأجزاء المظلمة من الشوارع فليست هناك امرأة في الغرب إلا تروي من ذلك الكثير مما حدث لها.

وقد تبين أن الحالة أسوأ في الولايات المتحدة، ففي البلاد الكبرى هناك وخاصة نيويورك وشيكاجو ولوس أنجيلوس وسان فرانسيسكو ودنفر وديترويت تحذيرات رسمية إلى النساء بألا يبارحن بيوتهن مفردات ولا يسرن في الطرقات وحدهن بعد التاسعة مساء بأي حال، وفي بعض نواحي تلك المدن، حيث تكثر الحدائق العامة والشوارع الواسعة الخالية وتقل المحال التجارية وتخف الرجل تعتبر السلطات كل امرأة تتعرض للأذى مسؤولة عما يجري لها، ورجال البوليس لا يكلفون أنفسهم عناء التحقيق في أي شكوى من عدوان في هذه الحالات إلا إذا أدى الأمر إلى نتائج وخيمة من مثل قتل أو جرح بليغ، أو سرقة نقود، أو جواهر، أو عدوان إجرامي فعلي. وحتى في هذه الحالات نادراً ما يحقق البوليس تحقيقاً جدياً.

إلا الله

وتحرص سلطات البوليس في نيويورك ولوس أنجيلوس على تحذير النساء من الخروج بالليل في برامج الإذاعة والتليفزيون، وتحمّل من يتعرضن هذا الأذى مسؤولية ما يصيبهن.

ومن المسلّم به الآن في كل بلاد أوروبا ـ حتى التي كان يظن أنها في مأمن من ذلك الخطر، مثل بلاد سويسرا ـ أن أي امرأة تخرج منفردة بعد غروب الشمس تتعرض للأذى وتتحمل مسؤولية إقدامها على الخروج.

وقد كنا ونحن في مداخل الشباب، أيام كنا مبهورين بحضارة الغرب، نحسب أن التشدد في حماية المرأة من العدوان مبالغة لا معنى لها، وأن الإنسانية كما كانوا يقولون لنا قد بلغت من الرقي في ظل الحضارة الغربية مبلغاً يسمح للمرأة بأن تضرب في مناكب المدن وحدها دون خوف، لأن ذلك دليل تقدم وتحرر واتساع ذهن. وكانوا يقولون لنا إن العدوان على المرأة المفردة ظاهرة وحشية قديمة قضت عليها حضارة الغرب!

والآن، وقد عقلنا وأدركنا رأينا بالبرهان القاطع أن شريعتنا وتقاليدنا التي ورثناها عن الأجداد على حق، فإن المسألة هنا ليست مسألة تقدم أو تأخر، بل هي مسألة طبع حيواني داخل في كياننا، فإن العدوان على النساء طبع مركب في نفس الإنسان ولا بد من التحرز منه، والحديث النبوي الشريف الذي يقول إنه ما اجتمع رجل وامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما حديث صحيح يدل على إدراك صحيح للطبيعة الإنسانية، فالشيطان في الحقيقة راقد في كيان الإنسان أو هو الإنسان نفسه إذا انعدم الإيمان وقل الوازع وأمن المرء العقوبة أو الفضيحة. وفي رواية «الوحش الآدمي» لإميل زولا نقرأ أمثلة تؤيد ذلك يسوقها في فنه القصصي الممتع ذلك الأديب الفرنسي الواقعي الصريح. وفي سياق تلك الرواية قطعة من حوار بين رجل يعمل سائقاً في سكة الحديد في نوبة ليلية وابنته، فهو يحذرها من الخروج بعد غروب الشمس وهي تستهين بنصيحته وتقول له إنها لا تخشى الشيطان فيقول لها الأب: لست في حاجة يا ابنتي إلى أن تخافي من الشيطان، لأنك أنت الشيطان.. أنت هو ولا تدرين.. وتخرج البنت ولا تعود.. اختطفها الشيطان.

حقاً إن ديننا كله حق، وكل أمر من أوامر الله سبحانه وكل نهي من نواهيه حق، وكلام علمائنا الأجلاء من السلف الصالح كله خير وحكمة، والحضارة ـ سواء أكانت هذه أم السابقات عليها ـ كلها حافلة بالأخطار على الأخلاق وسلامة المجتمع، ولا يعصم الإنسان إلا الإيمان الصحيح العميق والتزام مأثور ما جرى عليه الآباء والأسلاف، فهؤلاء قطعاً يعرفون معنى ما يقولون.

د. حسين مؤنس

PEUR LA NUIT. Les femmes se sentent beaucoup plus vulnérables que les hommes à l'insécurité des grandes villes. C'est un facteur d'inégalité, et de dépendance, auquel on songe trop rarement.

LA NUIT 61 % DES FRANÇAISES ONT PEUR

Vous arrive-t-il d'avoir peur lorsque vous vous déplacez seule le soir après 22 heures dans votre ville?

Ont peur	61 %
N'ont pas peur	
Ne répondent pas	18 %
Ont peur	15 %
N'ont pas peur	51 %

« ... villes. Vous, personnellement, auriez-vous peur de vous déplacer la nuit... »

	OUI	NON	NR*
Dans la banlieue parisienne	75	9	16
A Marseille	70	9	21
A Paris	69	16	15
A Lyon	62	12	26
A Bordeaux	52	18	30
A Lille	51	16	33
A Nice	51	23	26
A Grenoble	51	20	29
A Toulouse			
A Rennes	48	21	31

CE DONT LES FEMMES ONT PEUR

« Lorsque vous avez peur d'une agression, est-ce plus d'une agression physique (bousculade, coups, tentative de viol) ou bien d'un vol des objets que vous possédez (sac, argent, bijoux...) »

Plus d'une agression physique	
Plus d'un vol concernant des objets	
	19

CE QUI EST DÉJÀ ARRIVÉ

« Vous est-il ou non déjà arrivé, lorsque vous étiez en ville seule la nuit... »

	OUI	NON	NR*
D'être suivie par quelqu'un que vous ne connaissez pas	43	44	13
D'être bousculée	30	57	13
D'être insultée par quelqu'un que vous ne connaissez pas	27	60	13
D'être agressée physiquement...	17	70	13

LES LIEUX QUI FONT LE PLUS PEUR

	OUI	NON	NR*
Les quartiers « mal famés »	78	5	17
Les quartiers déserts	77	7	16
Parking souterrain	75	7	18
Métro	56	21	23
Train	32	51	17
Autobus	29	55	16

« Certains disent que les femmes ont de plus en plus peur dans les plus grandes ... »

إذا كانت الدراسات التي قامت حول الإعجاز القرآني قد أثبتت تفوق اللغة العربية على نفسها ، فإن ذلك يدعونا إلى معاودة النظر في بلاغة هذه اللغة ، مرات ومرات حتى نمكنها من أداء رسالتها المنوطة بها ، بالكشف عن توظيف قيمها في دراسة النصوص الأدبية المختلفة .

البلاغة العربية

قيمة متجددة

بقلم : د . سعد أبو الرضا

ولست أدعي أن قيم البلاغة العربية قد أحاطت بكل شيء في تبيان إعجاز القرآن ، فلقد كان القرآن الكريم هو النموذج الذي تحاول البلاغة التسامي إليه ، كما أن هذه القيم لم تحط بكل شيء في مجال الدراسة الفنية للنصوص المختلفة حسب أجناسها الأدبية المتباينة ، لكنها يمكن أن تسهم في هذه المجالات كلها بالشيء الكثير ، لا سيما إذا تناولت هذه القيم بالدراسة أقلام واعية مخلصة لإسلامها وعروبتها ، لتجلو عنها ما علق بها من غبار الزمن ، وادعاءات من لم يؤت حظاً من الصبر والإدراك المنصف لهذا اللون من التراث .

ويمكن أن نشير هنا إلى بعض المجالات التي لو وظفت فيها قيم البلاغة العربية لكشف لنا هذا التوظيف عن قيمتها المتجددة في الإبداع . . والخلق الفني .

النظرية البنائية

وفي مجال النقد الأدبي اليوم تتردد أصداء **النظرية البنائية** التي تعتمد ـ فيما تعتمد ـ على إدراك العلاقات بين مكونات العمل الفني ، وتتبع ما يقيمه الأديب من أنظمة داخل هذا العمل ، واستثمار لكثير من خصائص الدراسات الصوتية وبنية الكلمة ، وكل ذلك بهدف الوصول إلى المعنى الأساسي ، وما يوحي به النص من معان إضافية أو ثانوية أو هامشية ، وما يمكن أن يترتب على ذلك من مستويات لمعنى النص الأدبي ذاته . . قد تثريه وتخصبه .

علم المعاني

وأعتقد هنا أن **علم المعاني** بمباحثه يمكن أن يساهم في الكشف عن كثير من المعاني الإضافية للنصوص المختلفة بإدراك جانب من العلاقات الداخلية في النص الأدبي بتوظيف مباحثه من أنواع للخبر ، وتباين درجات المعنى وتأكيده نتيجة كل لون من ألوان الخبر ، حيث تختلف الصياغة باختلاف المؤكدات التي تتصل بالعبارة .

إن قيمة **التقديم أو التأخير** لبعض الكلمات في التراكيب المختلفة مهمة حيث تتكشف الدلالة من خلال ذلك التقديم أو التأخير ، عندما يصبح ظاهرة عامة يلجأ إليها الأديب في التأثير بفكرته خلال عمله الأدبي كله ، وفي ضوء وحدته الشاملة .

وليس **التعريف أو التنكير** وما يكشف عنه من عموم أو خصوص ، وتعظيم أو تحقير ، وتكثير أو تقليل ، إلا سبيلاً من سبل الكشف عن المعنى ، وإضاءة النص من داخله ، لا سيما إذا عمقنا دلالات هذه الظواهر خلال النص كله ، لتصور الأنظمة التعبيرية للعلاقات بين الكلمات التي يمكن أن تكونها هذه الظاهرة البلاغية .

ونشير هنا إلى أن بعض كتّاب القصة أو المسرحية قد يوظف شخصيات معينة في عمله الفني ، ويعرفها بالعلمية التي تجعلها قرينة بدور معين ، يسهم في بناء هذا العمل وتطوره ، والأمثلة كثيرة على ذلك . ففي مسرحية **نعمان عاشور** « عائلة الدوغري »[1] ، نجد شخصية عم علي الطواف الذي يرمز اسمه « **الطواف** » إلى مهنته حيث يقضي مصالح الأسرة طوافاً كل يوم بالسوق ، ومن خلال طوافه هذا وهو حافي القدمين يعكس الكاتب عليه تطلعات طبقة الكادحين المحرومين في مجتمعه ، والتي بها يمثل شريحة إنسانية في هذا المجتمع ، يستهدف الكاتب لفت النظر إليها ، وتحقيق الرعاية الاجتماعية والإنسانية لها ، بل إن الآداب الأجنبية لتولي هذه الوسيلة الفنية عناية خاصة في مجال النقد الأدبي فهناك مثلاً كتاب « روائع التراجيديا في أدب الغرب » **لكلينث بروكس** ، يضم مجموعة مقالات تعتمد ـ فيما تعتمد عليه ـ في التحليل الفني على هذه الوسيلة ، فنجد كاتباً يحلل مسرحية أو أديب يعمد إلى الربط بين مدلول هذا الاسم المعرف بالعلمية ، وبين دوره في هذه المسرحية ، حتى ليتجلى لنا أهمية **أوديب** بهذا المدلول اللغوي المستفاد من تعريفه عماداً لهذه المسرحية ونموها وتطورها[2] .

وما القصر إلا سبيلاً آخر من سبل الكشف عن المعاني ، بما له من دلالة في جلاء التأكيد

على قضية معينة قد تشغل الأديب خلال إبداعه لنص من النصوص مسرحية أو قصة أو قصيدة أو أي فن آخر من فنون الأدب .

ويمكن أن تتجلى قيمة **الإيجاز والإطناب** بأنواعهما في تبين مستويات المعنى ، عندما نتتبع أثرهما خلال النص كله ، وما يترتب على ذلك من تفاوت في الدلالة لاستخدامه تراكيب معينة دون غيرها ، وإيجاد علاقات بينها كالتماثل أو التخالف أو المفارقة[٣] ، تتمدد خلال النص كله كاشفة عن أهداف الأديب الإنسانية التي يتغياها من وراء عمله الفني مهما كان جنسه الأدبي .

ومجالات **الحوار في المسرحية أو القصة** ــ وكذلك السرد في الأخيرة ــ من أخصب المجالات التي يمكن أن تستثمر في دراستها هذه القيم البلاغية بشرط ألا يقف المتلقي عند أثرها الموضعي في التركيب ، بل لا بد من تعميق ذلك على امتداد العمل الفني كله .

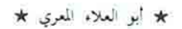
وليست **صياغة القصيدة الشعرية** ، واجتلاء علاقات بنائها إلا مجالا خصباً لتوظيف القيم السابقة التي أشرت إليها ، ــ وغيرها من قيم البلاغة العربية ــ فيتكشف لنا ما يتغياه الأديب من معنى بمستوياته ، وما يربطه بالواقع المعيش من علاقات على أي مستوى من مستويات الحياة فردياً أو اجتماعياً أو إنسانياً ، كما تتضح عواطفه من خلال هذه الدراسة الكلية للنص .

الصور البيانية

وللصور البيانية من تشبيه واستعارة وكناية دور هام في مجال الإبراز الجمالي للفكرة ، ومستويات دلالاتها ، وهي من نقط الالتقاء الهامة بين البلاغة والنقد ، كما تعول عليها الدراسات النقدية الحديثة في مجال الصورة الأدبية ، خاصة إذا تجاوزنا الفكرة التقليدية حول الصور البيانية من حيث التركيز على أثرها الموضعي ، إلى استجلاء العلاقات الكلية بين هذه الصور ، وإبراز مدى إسهامها متعاونة في الكشف عن بناء النص وقيمته الفنية ، والأثر العميق والعريض لذلك في المتلقي .

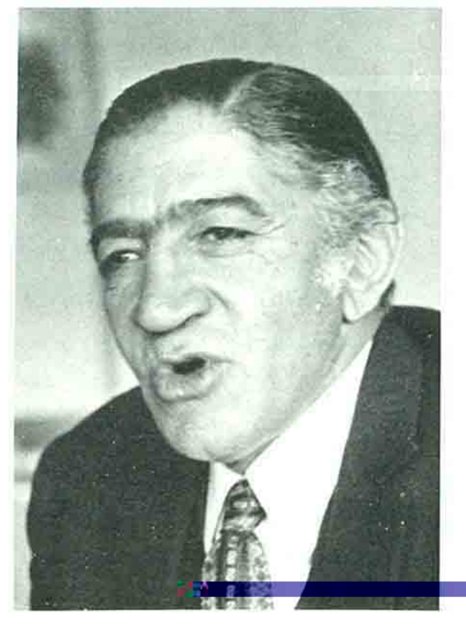
وبصورة عامة يمكن أن يكون **المجاز** ــ وهو قاسم مشترك بين كثير من اللغات ــ أفسح السبل لتحليق المبدعين ، حيث تتسع اللغة من خلال مجازاتها لكل التصورات المعينة على إقامة بناء فني ممتع خصب فسيح الدلالة ، يتشكل حسب متطلبات الجنس الأدبي الذي يبتغيه المبدع ، وما يثقفه من فروق بنائية في هذا المجال .

وبرغم ما يقال عن **البديع** وشكلياته ، وتكلفاته ، وما ينوه به تاريخه الطويل ، فإنه سوف يظل ، لما يستخدم منه استخداماً فنياً واعياً ، أثر محمود في تشكيل كثير من علاقات التماثل والتخالف ، والتفارق لإنجاز البناء الفني ، وعلى أساس ذلك يمكن للمبدع أن يصوغ


★ أبو العلاء المعري ★



★ نعمان عاشور ★



قصيدته مثلاً من خلال احتكاك المتناقضات فيها كما فعل **أبو العلاء المعري** مثلاً في قصيدته :

غير مجد في ملتي واعتقادي
نوح باك ولا ترنم شادي

كما يمكن لمبدع القصة من خلال إيجاد ألوان من التماثل والتخالف أن يسمح لحدثه بالتحدر المنطقي نحو نهايته الفنية ، وكذلك في مجال المسرحية عندما تصبح الشخوص بسلوكها وما تنطقه في الحوار من تراكيب تكشف بتناقضاتها وتقابلاتها عن مجالات الصراع ومستوياته ، وصولا إلى الحل أو النهاية الدرامية .

وليست مثل هذه التوظيفات إلا سبيلاً من سبل استخدامات قيم البلاغة العربية التي يمكن أن نجد كثيراً منها مسهماً في أبنية الأجناس الأدبية ونقدها ، ولكن عدم معرفة هذه القيم البلاغية في مصادرها ومظانها الأساسية ، وما أحاط بها من تجاهل بقصد أو بغير قصد ، هو الذي أدى إلى عدم معرفتها ، مع أنها في الآثار الأدبية بأجناسها المختلفة ، وما يدور حولها من نقد ، منتشرة ذائعة بحيث لا تخفى على بصير ، فهي كالهواء تقوم عليه حياتنا ولا نراه .

ثم إن علو صوت الدراسات النقدية ، وسهولة الوصول إليها قد غشى على هذه القيم ، وهو ما سبق وأشرنا إليه ، من هنا فالأمل يحدونا في كثير من المخلصين لعروبتهم وإسلامهم حتى تتعاون جهودهم في هذا المجال وليس الرجاء ببعيد ، وليس الإخلاص والمعاناة بغريب على روّاد الكلمة وسدنة الحرف .

الهوامش

(١) انظر : مسرح نعمان عاشور ، ج ١ ، « مسرحية عائلة الدوغري » .

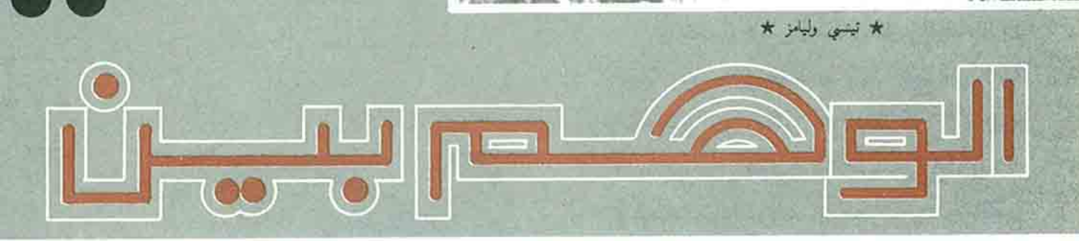
(٢) كلينث بروكس : روائع التراجيديا في أدب الغرب ، ترجمة د . محمود السمرة ، المقالة الأولى عن « أوديب » .

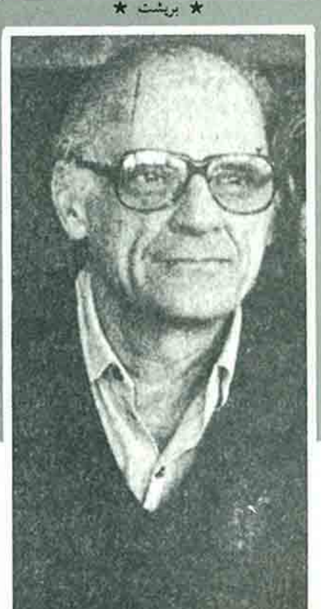
(٣) انظر : التمهيد في « الكلمة .. والبناء الدرامي » للمؤلف ، ط . دار الفكر العربي ، بالقاهرة ، سنة ١٩٨١ م .



★ بريشت ★

★ تينسي وليامز ★





★ آرثر ميللر ★

ينقسم الوهم إلى نوعين : أحدهما مرضي والآخر صحي . أما الوهم المرضي فهو الذي يسلب الإنسان إرادته ويفقده القدرة على المبادرة نتيجة لعقد الخوف المترسبة في اللاشعور وخاصة عقدة الإحساس بالذنب تجاه أشخاص أو مواقف غير محددة . وإذا كان علم النفس قد اتخذ من الوهم مجالا عريضاً له يصول فيه ويجول ، إلا أن الإنسان استطاع أن يتعرف على هذا الوهم المرضي منذ فجر الوعي الإنساني ، ورآه متجسداً في الشخص الذي فقد ثقته بنفسه .

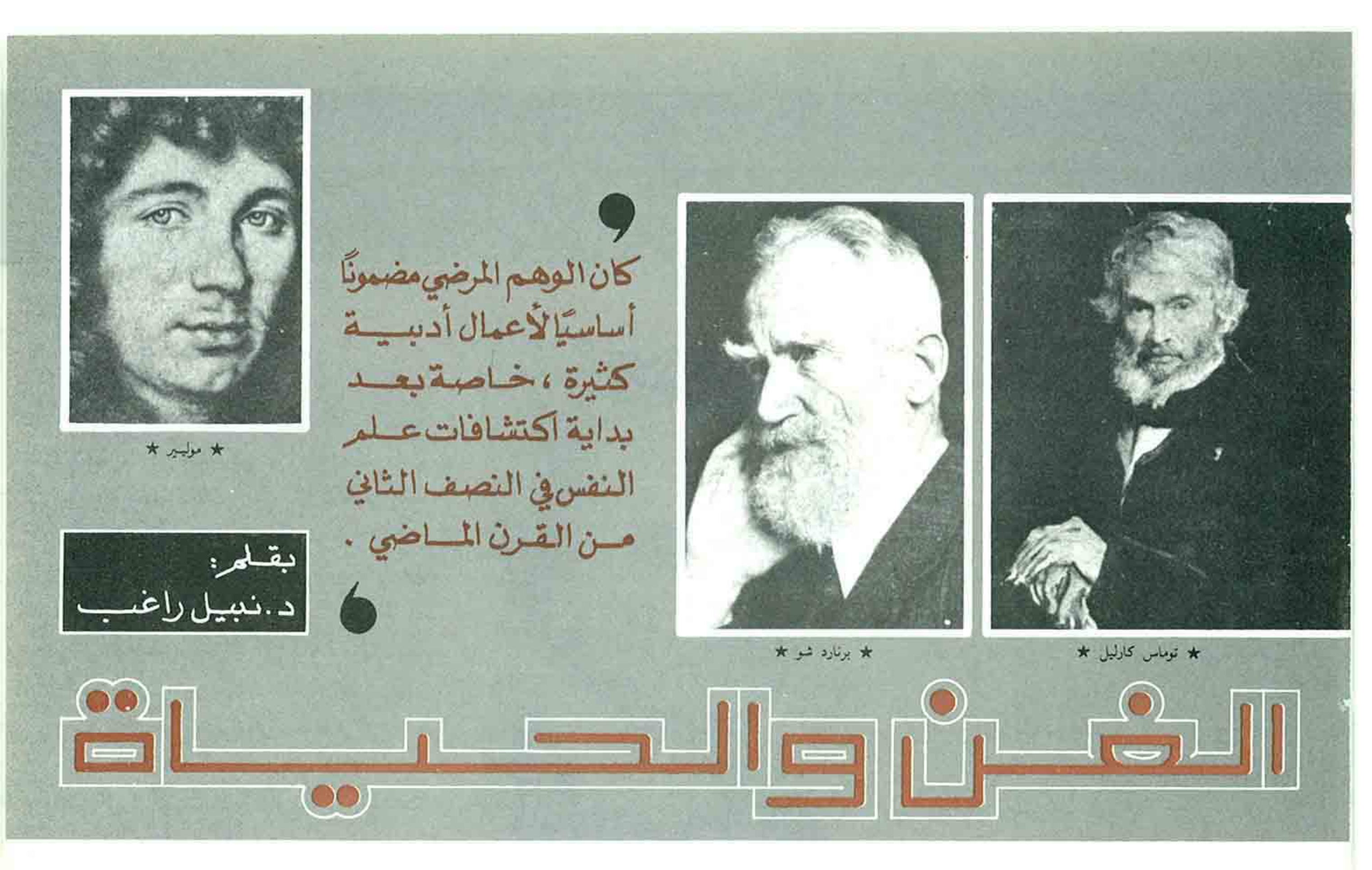
فعندما عرف الإغريق المسرح كفن مستقل بذاته ، اكتشفوا أن الممثل الذي يعتلي خشبة المسرح وهو يعلم أنه سوف يواجه بألوان من النقد والسخرية ، قد يفشل فعلاً نتيجة لهذا الوهم الذي أفقده ثقته بنفسه وأصابه بالتوتر والاهتزاز . كذلك فإن المتحدث الذي يعلم أن أفكاره سوف تكون موضع نقد أو رفض من المستمعين قد يقضي هذا الوهم الانفعالي عليه بالفشل في الإلقاء والإقناع . فالوهم قد زاد الموقف خوفاً وفزعاً . وقد يبالغ الوهم في تصوير الموقف ويضخم ألوان النقد التي توجه للفرد مما يترتب عليه رهبة الفرد وخشيته من الجماعة ، وقد لا يؤثر هذا بالسلب على سلوكه المؤقت تجاه موقف معين فحسب ، بل يمتد ليشمل شخصيته بصفة عامة .

أما إذا كان مصدر الوهم هو نقص الخبرة أو الجهل فإن مواجهة مثل هذه المواقف لا تتأتى إلا عن طريق العمل والعمل وحده . ومعظم الأعمال الأدبية كانت تجسيداً لمواجهة الإنسان لأوهامه ومخاوفه وانتصاره عليها بطريقة أو بأخرى . وقد تنطوي المواجهة أحياناً على احتمال الفشل إلا أنه ليس ثمة وسيلة أخرى لاكتساب الخبرة والشجاعة والمقدرة على التنافس بغير العمل . وكانت ملحمتا **هوميروس** « **الإلياذة** » و « **الأوديسا** » ـ مثلاً ـ تجسيداً فنياً للأعمال الحاسمة التي قام بها الأبطال في مغامراتهم المثيرة . أما الهروب من القيام بعمل ما لأن الوهم يصور للإنسان الفشل والارتباك فهذا معناه استسلام الإرادة لمظهر من مظاهر الفردية التي يستطيع العقل المنظم المستنير أن يسيطر عليها . فالطاقة الذرية مثلاً إن لم نسيطر عليها فإنها تخرب وتدمر ، أما ضبطها والتحكم فيها واستخدامها فإنه يعتبر عملاً مثمراً نافعاً للصالح العام . وهذا صحيح تماماً بالنسبة للوهم والخيال ، أو بالنسبة للوهم الصحي الذي سنتحدث عنه بعد قليل .

الوهم .. والأدباء

وعلى الرغم من أن الأدباء كانوا من أوائل الروّاد الذين عالجوا هذا الوهم المرضي في أعمالهم ، فإن بعضهم لم يسلم من الإصابة به . فقد ذكر **جون بانيان** (١٦٢٨ ـ ١٦٨٨ م) ـ وهو من آباء الرواية الإنجليزية ـ كيف أنه في أيام شبابه كان يجد لذة كبيرة في قرع أجراس كنيسة البلد كنوع من العبث ، غير أنه عندما استيقظ فيه الضمير بدأ يحس بالخطيئة والجرم في القيام بمثل هذا العمل . ومن ثم ظهرت لديه الأوهام التي اتسمت بالخوف الشديد من رؤية الأجراس أو سماع صوتها .

وكان الفيلسوف **إيرازموس** يخاف من رؤية الأسماك ، ووصل الحال **بسكال** إلى الخوف من أي شيء ، ومن كل شيء . أما **شوبنهاور** فكان



★ توماس كارليل ★

★ برنارد شو ★

★ موليير ★

بقلم: د. نبيل راغب

الفن والحياة

يخاف أشد الخوف لرؤية الموسى. **وتوماس كارلايل** الذي مجد الأبطال والبطولة كان يخاف أن يخطو داخل محل من المحلات، وكان **إدجار آلان بو** يرى في الظلام الرعب كله، أما **موباسان** فكان يصاب بالرعشة والرهبة من الأبواب الموصدة... إلخ.

كان الوهم المرضي مضموناً أساسياً لأعمال أدبية كثيرة، خاصة بعد بداية اكتشافات علم النفس في النصف الثاني من القرن الماضي. أما الوهم الصحي فقد ارتبط بالشكل الفني لهذه الأعمال وغيرها. فالفن بطبيعته وهم جميل يعيد صياغة الواقع بأسلوب يجعل المتذوق أكثر قدرة على استيعاب الحقيقة. ولذلك فهو وهم صحي لا يهرب من الواقع أو الحقيقة بل يعمل حثيثاً على مواجهتها، وبذلك يقترب من طاقة الخيال عند الإنسان بل يتوحد معها في كثير من الأحيان. **فالأدب الراقي لا يمد جمهور المتذوقين بأوهام تصور حالات يتم فيها إشباع رغباتهم**.

الوهم.. والفن

والبون الشاسع بين الوهم المرضي والوهم الصحي أن الأول يكمن في اللاشعور ويؤثر تأثيراً سلبياً ضاراً بالإنسان، أما الثاني فيتركز في الوعي ويهدف إلى إحداث تأثيرات إيجابية في فكر الإنسان وسلوكه. وهذه هي وظيفة الفن الذي يسمو فوق الواقع، ويجمع الكون كله في وحدة فنية موضوعية تشمل الحقيقي وغير الحقيقي. وإذا كان فعل التوهم أو التخيل، فعلاً قد تحقق بالفعل، فإنه لا يلزم أن يكون الشيء المتخيل أو الموقف المتخيل حقيقياً أو غير حقيقي. والأديب الذي يتخيل شخصياته ومواقفه لا يتخيلها باعتبارها حقيقية أو غير حقيقية، كما أنه عندما يمارس فعله التخيلي، فإنه لا يفكر في كونه حقيقياً أو غير حقيقي. ويرى **روبين جورج كولنجوود** في كتابه «**مبادئ الفن**» أن الوهم هو الخيال عندما يعمل تحت رقابة الرغبة، وذلك حيث لا تعني الرغبة: الرغبة في التخيل أو حتى الرغبة في تحقق موقف متخيل، بل الرغبة في أن يكون الموقف المتخيل حقيقياً. ولكننا لا نجد فرقاً كبيراً في الحالتين لأن الهدف النهائي يتمثل في الربط بين الخيال والحقيقة أو بين المثال والواقع حتى لا يقع الإنسان ضحية الفجوة بينهما.

ويرفض **كولنجوود** القول إن الفن إشباع وهمي للرغبات كما يعتقد بعض علماء النفس. فالفن ليس هروباً من الواقع وإنما مواجهة له. وهناك حد فاصل بين الفن الترفيهي التجاري والفن الإنساني الحق، ولذلك فالفنان ليس مجرد حالم يعيش في الأوهام أو بائع لأحلام اليقظة، يسعى إلى تشييد عالم من الوهم، بل يستغل طاقة الخيال والوهم عند المتذوق ليدفعه إلى تطوير حياته فعلاً. **إن الوهم صورة للتجربة تعمل على تقديم الحقيقي وغير الحقيقي في خليط أو مزاج غير محدد المعالم، بحيث يقوم الفهم بعد ذلك بترسيب الحقيقة منه أو بلورتها، وبذلك يصبح الفن بصفته وهماً أو خيالاً مهمة حقة وهامة في حياة الإنسان**. وهي مهمة شبيهة بمهمة العالم عندما يتخيل مختلف الفروض الممكنة، التي سيتم بعد ذلك اعتماداً على التجربة والمشاهدة رفضها، أو رفعها إلى مرتبة النظرية. ووفقاً لهذه النظرية، تكون مهمة الفن هي إنشاء عوالم ممكنة سيرى الفكر فيما بعد بعضها حقيقياً، أو سيحولها الفعل إلى حقيقة.

والأديب عندما يتخذ من الوهم مضموناً لعمله أو أداة لتشكيله فنياً، فإنه لا يمكن أن يقف موقف عدم مبالاة بالحقيقة. فهو أساساً يرمي إلى بلوغ الحقيقة. إلا أن الحقيقة التي يبحث عنها

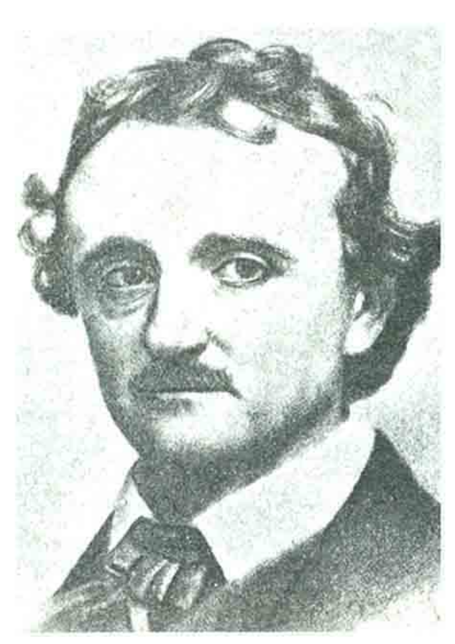
الــــوهــــم
بــين
الــفــن والحيــاة

ليست حقيقة خاصة بصلات بين الأشياء ، بل هي حقيقة إدراك ماهية الواقعة المفردة . والحقائق التي يكتشفها الأدب هي تلك الأشياء الفردية القائمة بذاتها . ويتميز كل شيء من هذه الأشياء الفردية عندما يكتشفه الأديب بطابعه المفرد المشخص المكتمل الذي لم يتعرض إلى أي تجريد نظري . والشاعر أحياناً يقول إن محبوبته هي نموذج للفضائل كافة ، وأحياناً أخرى يقول : إن لها قلباً أسود كالجحيم . وهو تارة يرى العالم نعيماً ، وتارة أخرى يراه كوماً من التراب أو وباء مزمناً . ويبدو هذا الكلام في مفهوم التجريد النظري أو في نظر الفهم المجرد متناقضاً . فالمحبوبة ـ كما يقال لنا ـ لا يمكن أن تكون نموذجاً للفضيلة في وقت ما ، وقلبها أسود كالجحيم في وقت آخر . **وطبقاً لهذا فإن قائل هذا الكلام يتوهم أشياء غير موجودة ، ولا بد أن تكون نظرته قد اتجهت إلى المظاهر بدلا من الحقائق ، أو إلى الانفعالات وليس إلى الوقائع .**

لكن مقاييس الفن الخصب تختلف عن مقاييس المنطق المجرد ، ذلك أن الفن يرى الصدق والحقيقة والواقع في الانفعالات الإنسانية حتى لو كانت عابرة ومتغيرة . فالشاعر الذي سئم الحياة اليوم ، وأفصح عن ذلك ، لم يعن تعهده أن يظل على هذه الحال غداً . على أن هذا لا يعني أنه لم يكن صادقاً عندما أعلن أنه قد سئم الحياة اليوم . وقد يكون سأمه انفعالا أو وهماً ، إلا أنه حقيقة يشعر بها ، ومن ثم فهو أمر واقع . **فالحدود بين الوهم والحقيقة ـ في الحياة وبالتالي في الأدب ـ ليست بالدقة والوضوح اللذين يتصورهما المغرمون بالمنطق والجدل .**

الوهم .. والمسرح

وقد حاول **برتولت بريشت** في العصر الحديث القضاء على عنصر الإيهام في المسرح حتى لا يندمج المتفرج مع النص المسرحي ويتوهم أنه عنصر حيوي فيه أو طرف في القضية المطروحة لا بد أن ينحاز إلى جانب دون الآخر . إن **بريشت** يريد من المتفرج أن يتخذ موقفاً تجاه القضية بناء على حكم موضوعي متجرد ، مثله في ذلك مثل القاضي الذي يضع عينه دائماً على الحقيقة الموضوعية مهما كانت انفعالات ومآسي الأطراف المعنية . وبحكم أن الوهم جزء حيوي في حياة البشر فقد رأى **بريشت** أن المسرح يجب ألا يعالج المضامين المعاصرة بأسلوب يحاكي الحياة ، وبذلك يتخلص الأديب من الوهم ويصبح همه الأكبر البحث عن الحقيقة الموضوعية . فلا بد أن ينفصل المتفرج عن المواقف والشخصيات بحيث تصبح غريبة عنه تماماً ، وبذلك ينفصل الماضي عن الحاضر لأن الأديب لا يعالج مضامين تاريخية بمفاهيم عصرية ، وإنما يثير في المتفرج إحساساً بأنه لو كان يمر بالظروف التي تصورها المسرحية لتحتم عليه أن يتخذ موقفاً إيجابياً . وعندما يرى أن الأمور قد تغيرت في إطار ظروفها التاريخية فإنه عندئذ يدرك إمكان إحداث التغييرات المطلوبة بالنسبة للواقع والحاضر .



★ إدغار الن بو ★

ويؤكد **بريشت** على ضرورة وعي المتفرج بأن ما يقدم أمامه على خشبة المسرح ليس سوى مسرحية ، بدلا من أن يتوهم بأنها حقيقية ، ولذلك يستخدم **بريشت** السرد والرواية وكل ما من شأنه كسر حاجز الإيهام المسرحي التقليدي ، وعدم السماح للمتفرج بالخلط بين ما يراه على المسرح وبين الحياة . فالمسرح التقليدي يوحي للمتفرج أو يوهمه بأن المنصة التي أمامه عبارة عن غرفة سقط حائطها الرابع ، وأنه يرى ما يدور عليها بأسلوب المتلصص . وهذا وهم خادع في نظر **بريشت** ولا ضرورة له على الإطلاق . فلا بد أن يعي المتفرج أن ما يشاهده مجرد مسرحية ، كما يجب أن يعي الممثل أن ما يؤديه مجرد. شخصية منفصلة عنه تماماً . فالوهم يجب أن يتلاشى سواء بالنسبة للمتفرج أو بالنسبة للفنان .

الوهم كمضمون فكري

أما الوهم كمضمون فكري ونفسي فقد لعب دوراً بارزاً سواء في الأعمال الكوميدية أو التراجيدية . فمثلاً وجد فيه **موليير** مادة خصبة لإثارة المتناقضات الاجتماعية الصارخة كما نجد في مسرحية « **مريض الوهم** » حيث يرتبط الوهم بالأنانية والبخل . ويتركز العنصر الكوميدي في تحليل شخصية **أرجان** ، ذلك الرجل السليم البنية الذي يتوهم أنه مريض ، ويحيط نفسه بالأطباء ، ويفرط في تناول العقاقير . وتقوم الخادمة **طوانيت** بالمحاولة الرئيسية في القضاء على وهمه عندما تتنكر في زي طبيبه **بورجون** وتشير عليه بأن يبتر من جسمه ذراعاً ليقوي ذراعه الأخرى ، وأن يفقأ إحدى عينيه لتشتد حدة بصره في عينه الأخرى . **وتنتهي المسرحية بالتخلص من كل أعراض الوهم المرضي .**

أما في المسرح الحديث فنجد أن مضمون الوهم قد ارتبط بالجانب التراجيدي في حياة الإنسان . فمثلاً تدور قصص **بيراندللو** ومسرحياته حول الشخصية الإنسانية بين الوهم والواقع . فليست هناك حقيقة راسخة متصلة بهذه الشخصية لأنها مجرد صورة نسبية تختلف باختلاف الأهل والغرباء والأصدقاء والأعداء . ولذلك تتساءل قصص **بيراندللو** ومسرحياته عن كنه الشخصية الإنسانية وهل هي شيء كائن حقاً

وفعلاً؟، هل الحقائق حقائق في ذاتها، أم هي موجودة بالنسبة لنا فحسب؟، ونحن؟ هل نحن حقائق؟ هنا تتلاشى حقيقة الوجود الإنساني نفسه عندما يدرك الإنسان أنه موجود بالنسبة لنفسه، وللذين يعرفونه فقط أما بالنسبة للألوف والملايين فهو ليس موجوداً. وبالإضافة إلى ذلك فإن الحياة نفسها تحتوي مفاجآت وألغازاً قد لا يصل الإنسان إلى كنهها وتبقى لغزاً طول حياته. والإنسان بطبيعة تكوينه قد يقع تحت طائفة من الأوهام وقد تشتد وطأة الوهم عليه حتى ليظنه الحقيقة. يصف **بيراندللو** في إحدى قصصه ما يدور داخل بطله من وقائع وأوهام فيقول:

«كانت تراني على هذه الصورة، وإذن لن أنجح في أن أنتزع منها هذه الصورة. وإذا كانت تنكر حقيقة الأمور، وإذا كان لا فائدة من أن يهبها المرء كل حياته، فماذا يكون؟ فأنا عندها لست أنا بل آخر، أنا آخر، يستطيع الكذب والخداع ويستطيع أن يأخذ ما يريد في الخفاء وبلا حب. يستطيع أن ينقص من قدره ويعيش في العار. أليس كذلك؟..... فالحقيقة تتألف من حقيقتين: حقيقتها وحقيقتي، ولا يمكنني أن أقنع نفسي بأني ارتكبت ما تظنني ارتكبته، وأني فكرت فيما لم أفكر فيه، وأني آخر، وأني شخص غير أمين كما تراني، يختلف عني كل الاختلاف».

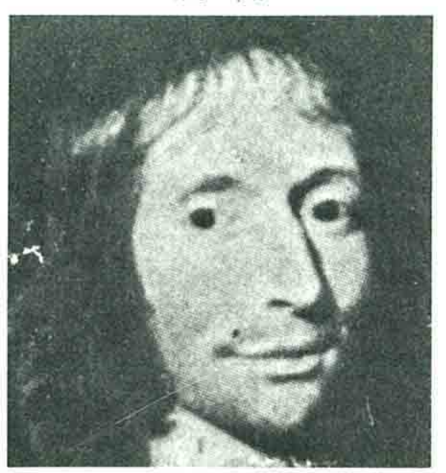
في مثل هذه القصص المبكرة نجد أساس فن **بيراندللو** الذي عبر عنه في مسرحياته بعد ذلك وخاصة في مسرحية «**ست شخصيات تبحث عن مؤلف**» التي يجسد فيها الحقيقة التي تؤكد أن الأمور في الحياة ليست كما تبدو للإنسان في ساعة أو لحظة من اللحظات، بل هي شيء غير ما يبدو للناظرين. فالحقيقة عند **بيراندللو** أمر نسبي، فكثيراً ما نخطئ الحقيقة ويختلط علينا الأمر ولا نميز بين الوهم والواقع. بل إن في الحقيقة نفسها مستويات عديدة تتراوح بين الصدق والكذب،

> **البون الشاسع بين الوهم المرضي والوهم الصحي أن الأول يكمن في اللاشعور ويؤثر تأثيراً سلبياً في الإنسان، أما الثاني فيتركز في الوعي ويهدف إلى التأثير الإيجابي في فكر الإنسان وسلوكه.**

بل إن الكذب ذاته يتراوح بين الكذب على الآخرين كرذيلة اجتماعية وبين الكذب على النفس كمأساة إنسانية. والفرق بين هذا وذاك كالفرق بين الوجه الحقيقي للإنسان والقناع الذي يصطنعه لإخفاء هذا الوجه.

أما **برنارد شو** فيقف موقفاً أكثر إيجابية من **بيراندللو** تجاه قضية الوهم في حياة الإنسان. فهو لا يأخذها من الناحية الفلسفية المجردة بل يركز على جانبها الاجتماعي الملموس الذي يؤثر في تفكير

★ باسكال ★



الناس وسلوكهم. ويرى أن الأوهام يمكن أن تسيطر على مجتمع بأكمله وليس على فرد واحد فقط. ومن هنا كان هجومه في أعماله الروائية والمسرحية على المثاليات الرومانسية الجوفاء وإهداره للهالات المحيطة بالتقاليد البالية التي لا تخرج في معظمها عن نطاق الأوهام الزائفة. وكان أبشع وهم ـ في نظر **شو** ـ ممثلاً في الحب الرومانسي الذي لا يملك سوى الوهم الكاذب والخيال المزيف. فالحب الحقيقي لا بد أن ينهض على الاستقلال الاقتصادي والنظرة الواقعية؛ ولم تعد المرأة مجرد لعبة في يد الرجل أو متعة لناظريه وجسده كما كان المجتمع الإنجليزي يتوهم في عصر الملكة فيكتوريا.

ولذلك تميزت بطلات شو بالاكتفاء الذاتي، وتحدي التقاليد، وقوة الشخصية، ومواجهة الواقع، وانطلاق التعبير عن الذات دون حساسيات أو أوهام. وهذا على النقيض من البطلات اللاتي تقابلهن في الأعمال الرومانسية المسرفة في العاطفية. ففي الحياة الزوجية مثلاً تخلصت بطلات **شو** من الحب الرومانسي الذي يغطي الزواج بأوهام وخيالات لا أساس لها من الواقع. ولذلك يجب منع حدوث زواج بين العشاق لأن الزواج عبارة عن شركة مساهمة تقوم على شريكين متساويين في الكفاءة والمقدرة والاستقلال، وكلها خصائص تتنافى مع أوهام الحب الرومانسي التي تفقد الزواج توازنه وثباته. ولا ينطبق هذا على الحب فحسب، بل نجد معظم شخصيات **شو** يكنون أشد الاحتقار والاشمئزاز من كل الأوهام التي تفسد جمال الواقع.

وإذا كان **شو** قد استطاع القضاء على كثير من الأوهام الرومانسية لكنه قضى حياته موقناً بوهم كبير اسمه «**السوبرمان أو الإنسان الأعلى**». لقد كان السوبرمان عنده بمثابة رؤيا حالمة كثيراً ما طغت أمام عينيه ولم يستطع مقاومة جاذبيتها برغم أنها لم تخرج عن كونها مجرد فرد نظري بحت، وبرغم أنه لم يخترعها بل استعارها من **نيتشه وشوبنهاور ولامارك وبرجسون**. ولكن فكرة

الوهم بين الفن والحياة

رجل المستقبل المثالي الذي سيحقق للبشرية حلمها القديم متمثلاً في نموذج خالد للكمال المطلق قد أثارت خيال شو وجرى وراءها في معظم أعماله المسرحية . ومن ثم فقد تحول شو المفكر الواقعي الصارم إلى فنان خيالي يراوده وهم لن يتحقق بالمنطق السهل الذي يتصوره .

أما الكاتب المسرحي الأميركي **آرثر ميللر** فقد وجد أن الوهم يلعب دوراً مدمراً في حياة الإنسان المعاصر الذي يلجأ إليه عندما يفشل في تحقيق طموحاته في ظل الظروف الضاغطة على كيانه . وتتمثل المأساة في أن الإنسان يستكين إلى العيش داخل شرنقة الوهم ، لكن هذا الوهم لا يستطيع الاستمرار إلى ما لا نهاية بل سرعان ما يذوب عند أول احتكاك له مع الواقع الصارم ، مثلما يذوب الجليد تحت أشعة الشمس . في هذه اللحظة المأسوية يخرج الإنسان من شرنقته عرياناً مهزوزاً ضعيفاً لا يقدر على مواجهة الحياة وسرعان ما ينهار . وهذا ما حدث في مسرحية «**موت قومسيونجي**» **لميللر** الذي يقول في مطلع الفصل الأول إنه لا توجد عودة مفاجئة للماضي ، فنحن لا نرتد إلى الماضي أبداً ، كل ما يحدث هو أن الماضي لا يكف عن الفيضان على الحاضر ، وهو يحضر معه مناظره وأشخاصه ؛ وفي بعض الأحيان نرى الماضي والحاضر معاً على سبيل تجسيد الصراع بين الوهم والحقيقة . ومن هنا كانت القيمة التراجيدية لشخصية **ويللي لومان** الجياشة العظيمة . إنه يتمتع بنوع من الشرف التراجيدي بغيظه مما يلاقيه من ازدراء الناس ، وبصراعه في سبيل احترام الناس له بنفس قدر صراعه في سبيل احترامه لنفسه . كان **ويللي** يبحث عن حقيقة نفسه وحقيقة واقعه ، وكانت كل مرات الرجوع بالذاكرة إلى الماضي وكل الأوهام في «**موت قومسيونجي**» إنما تمثل وعي ويللي المؤلم بالفشل . ولذلك يقول **جون جاستر** في كتابه «**المسرح في مفترق الطرق**» إن **ويللي** يبحث عن الحقيقة ويكافح ضدها داخل حدوده الشخصية والاجتماعية بصورة لا تقل عنفاً ولا فجيعة عن **أوديب** .

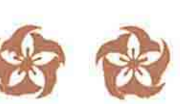
أما في معظم مسرحيات **تنيسي ويليامز** فتكتشف أن إيهام الإنسان لنفسه هو الملجأ الأخير للمهزومين ذوي الآمال الضائعة . حتى في مسرحياته الأولى ذات الفصل الواحد مثل «**صورة وجه لسيدة**» يجسد بطريقة علمية جادة جوانب هذه الظاهرة في شخصية بطلتها الذواية الذابلة التي تتخيل أو تتوهم أنها قد اغتصبت على يد معجب خفي سابق ، وتتصرف على هذا الأساس لدرجة أنها تبتكر شخصيات وهمية كي تعيش معها . ومن الواضح أن هذه البطلة قد مهدت ذهن **ويليامز** فيما بعد لابتكار شخصية **بلانش دي بوا** بطلة «**عربة اسمها الرغبة**» . فقد أحب **ويليامز** أن يمنح هؤلاء التعساء مأوى من الأوهام لأن العالم قد سلبهم كل شيء على مستوى الواقع .

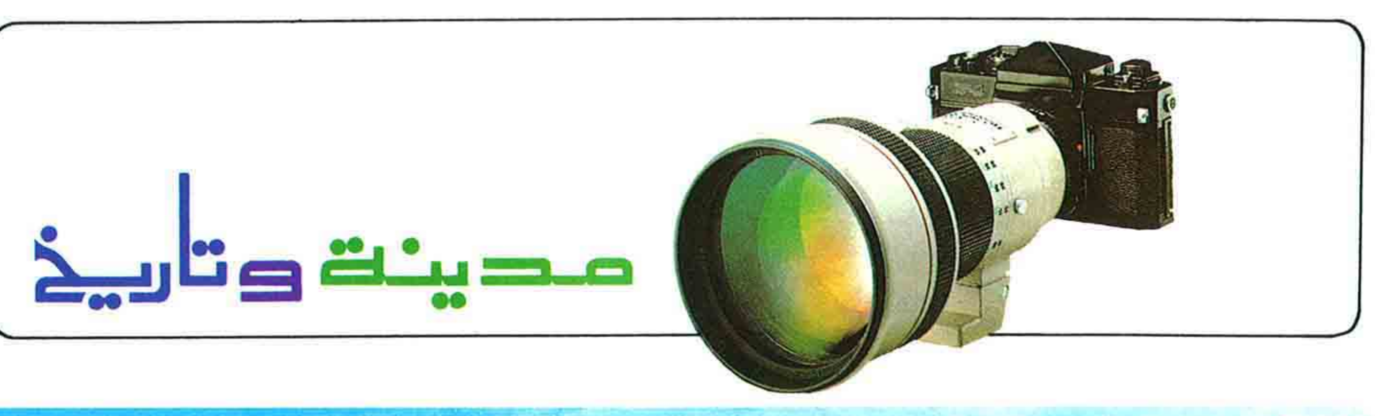
في مسرحية «**سيدة لوسيون رجل القبرة**» تصبح مسز **هاردويك مور** أضحوكة سيدتها ومثار سخريتها . فهي تهزأ من إدعاءات المرأة الفقيرة ومن اختراعها لنبات برازيلي للمطاط تسبب في تأخير دخلها وتعويقه إلى درجة كبيرة . ولا يوجد إلا زميل في السكن ، يشتغل كاتباً ويقترب في فقره من مسز **هاردويك مور** ، لكنه يطوي بين جوانحه من الخير ما يجعله يتفهم مأساة المرأة البائسة ، بحيث يقول : «**ليست هناك أكاذيب ، سوى الأكاذيب التي تحشوها في الفم يد الحاجة الغليظة القاسية**» . ويشرع في مشاركتها أوهامها لأنها لم تعد تملك عالماً سواها كي تعيش فيه .

ولكن يجب أن نذكر أنفسنا بأن الأضواء الكاشفة التي قدمها علم النفس في مجال الشخصيات التي تعيش الوهم وتعاني الإحباط ، هي إنجازات غير كافية كي تدب الحياة في الشخصيات فوق المسرح . إن علم النفس يحلل حالات ولا يبتكر شخصيات . كذلك يجب ألا نسلم دائماً بالفكرة القائلة إن الشخصية المريضة الواهمة أكثر أهمية وإمتاعاً من الشخصية الصحيحة ، **ذلك أن قيمة الشخصية تتمثل في الدور الدرامي الذي تلعبه في العمل الأدبي ، وليس لمجرد أنها حالة مرضية مثيرة للتساؤل وحب الاستطلاع .**

ينطبق هذا المنهج على **مسرح العبث** الذي لعبت فيه عناصر الوهم والضياع واليأس والإحباط واللامعنى دوراً حيوياً في تشكيل سماته الفكرية وملامحه الفنية . ففي هذا المسرح تحل الحركة النفسية والعالم الوهمي مكان مطابقة الشخصيات للواقع . فلا وجود للحدث الواقعي والتسلسل السببي ، بل إن المأسوي يصير هزلياً ، والهزلي مأسوياً . إنه مسرح يجسد الوعي الحاد بالعبث والفراغ ، لا عن طريق المنطق الأرسطي بل عن طريق تجارب معزولة ، تتصل بأوهام النفس المرتاعة أمام مأساتها الهائلة المستعصية على الإدراك . ولذلك يستعين هذا المسرح بالإيحاءات الفرويدية فيما وراء عالم المنطق ، كالأوهام والأحلام ، ويلجأ إلى وسائل في صورة عبث منطقي ، كأن تخاطب الشخصيات زائرين غائبين ، وأصدقاء وهميين ، أو تتوجه بحديثها إلى الكراسي الخالية ، أو تثير ذكريات بين الواقع والوهم . وفي ذلك كله قد تزدوج الشخصية الواحدة ، وقد تكرر نفسها ، أو تحل في أفعالها وأقوالها محل شخصية أخرى ، أو تكون مجرد صدى لها ، وقد تتضاد مع مجرد الإدراك الواعي تماماً .

لكن الوهم الأكبر يتجلى في مأساة الحياة البشرية عندما تواجه الهلاك طلباً للنجاة ، وتحطم نفسها بنفسها لتدعيم حريتها . وهذا مسلك عابث . فقد جعل الإنسان من نفسه سائلاً ومجيباً ، ومتهماً وقاضياً ، وظالماً ومظلوماً ، فهو يلعب دوره في طبيعة تنكره وينكرها ، وإنكاره التام لها هو مواجهة العدم . وهو يؤكد بهذا العدم حرية موهومة ، واستقلالا ذاتياً زائفاً . ومع ذلك فإن هذه المعاناة المحمومة ترد الوعي إلى التفكير المعقول في الواقع المحدود حتى يصبح أكثر تناغماً مع الحاجة الإنسانية .





★ منظر البحيرة من القلعة ★

أفامية العاصي و قلعة المضيق

بقلم: وليد قنباز

★ خريطة غربي سورية يظهر فيها موقع أفامية ومخطط عام لمدينة أفامية ★







★ الجامع كما يبدو من قرب منحدرات القلعة الجنوبية وتظهر بحيرة أفامية في أعلى الصورة ★

تتوالى انتصارات الإسكندر المقدوني ، ويُمكَّن له في الأرض ، ويُقَيَّض له اجتياح الإمبراطورية الفارسية بعد هزيمة دارا الثالث (داريوس) ملك الفرس في معركة إيسوس عام (٣٣٣) ق . م .

ويرغب القائد الكبير إلى قواده المتميزين أن يتزوجوا بأميرات فارسيات ، ويضع ذاته في المقدمة حين يتزوج الأميرة روكسانا (ابنة دارا نفسه) ، وكأنه في هذا يدعم مبدأه الذي كان يعتقده ـ كما يرى العديد من المؤرخين ـ وهو السعي إلى جعل شعوب الغرب والشرق كلها شعباً واحداً ، والربط بينها بالمساواة والمحبة .

واندفع ثمانون من القادة يبحثون عن زوجات لهم ، وتمكنوا من الاختيار ، وكانت الأميرة الحسناء **أبامي البختيارية** من نصيب القائد الفذ سلوقوس نيكاتور .. أو الظافر ، وتمت حفلات الزواج هذه في أعراس **سوزا (سوسة)** الذائعة الصيت عام (٣٢٤) ق . م .

ويموت الإسكندر في ريعان شبابه من غير وريث ، دون أن يحقق حلمه ، ويقتسم قواده الكبار مملكته الشاسعة الواسعة ، فكان **أنتيغونوس** في مقدونيا وآسيا الصغرى الشمالية ، **وبطليموس** في مصر وفلسطين ، **وسلوقوس نيكاتور** في سورية وآسيا الصغرى الوسطى والعراق وإيران .

ويشرع **نيكاتور** في بناء مملكته وعمرانها .. فكان أن عمد إلى إنشاء (٥٩) مدينة في رحابها ، منها خمس مدن باسم أفامية على اسم زوجه ، ثم بنى ابنها أنطيوخوس الأول مدينة سادسة[1] ، ويؤكد المؤرخون والباحثون القدماء بأن هذه المدن الست جميعاً كانت مثالا في الكمال والروعة والإتقان ؛ على أن **أفامية العاصي** كانت أكثرها لمعاناً وإشراقاً ، إذ نافست أنطاكية والسويدية واللاذقية .. وهي أكبر مدن المملكة السلوقية وأعظمها ، في الازدهار والشهرة والروعة ... وها نحن أولاء معاً في جولة عامة وشاملة في أرجاء أفامية العاصي وتاريخها وأوابدها الأثرية وأطلالها المتشامخة وقلعتها السامقة وسهلها العظيم ..

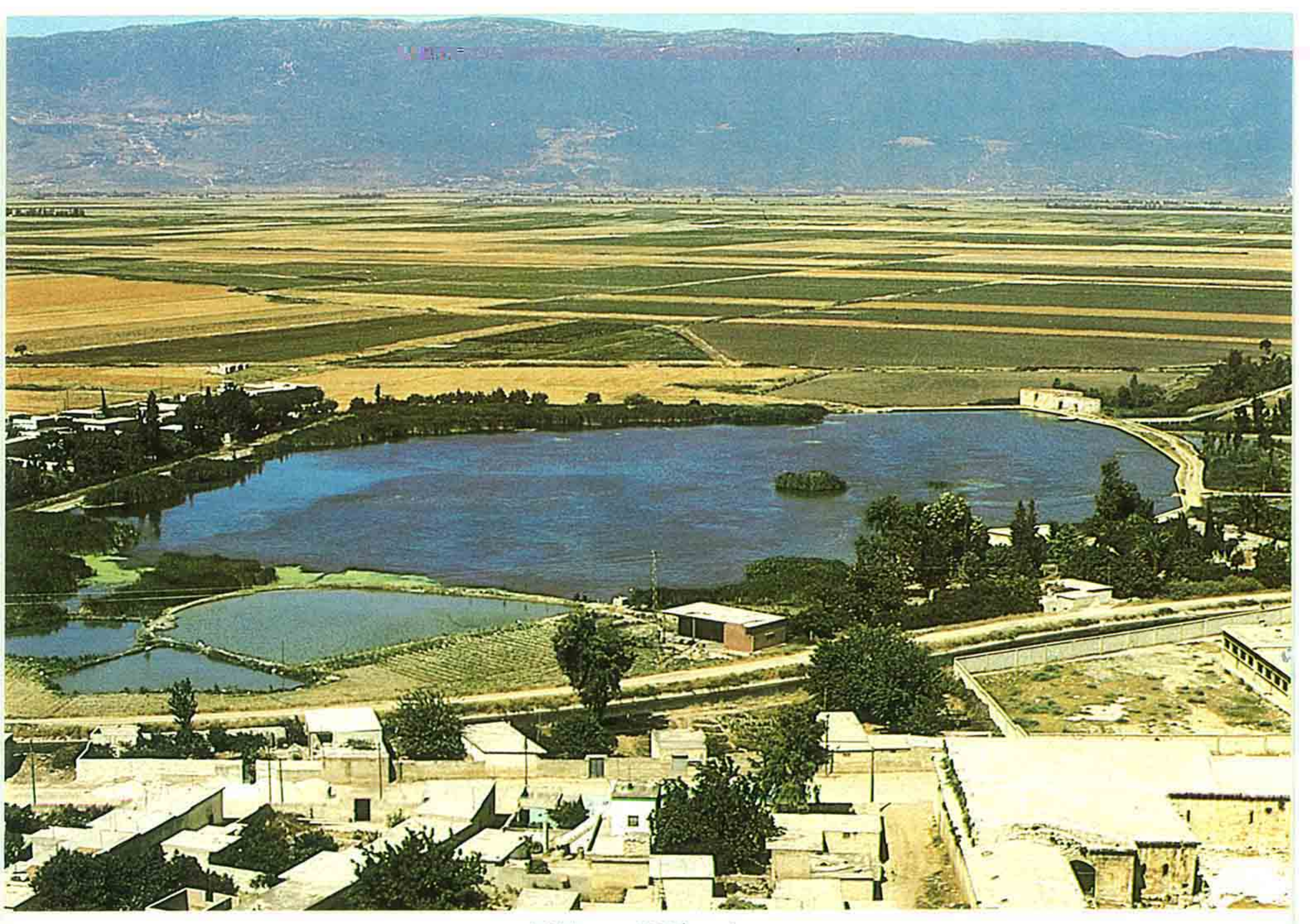
من خلال هذه الرحلة الجديدة من رحلات مجلة « **الفيصل** » في آفاق « مدينة وتاريخ » .

جغرافيتها

تقع أطلال مدينة أفامية الأثرية في الشمال الغربي من سورية على بعد (٥٦) كم عن مدينة حماة ، و (٩٧) كم عن مدينة اللاذقية ، و (٢٤) كم عن بلدة خان شيخون ، و (٧) كم عن بلدة السقيلبية ...

وتتوضع على الهضاب الشرقية التي ترتفع نحو مائة متر عن **سهل الغاب** ، وتمتد على مساحة (٢٥٠) هكتاراً من الأرض المنبسطة مدعومة من الشمال **بجبل شحشبو** ، وهو امتداد لجبل الزاوية ، وعند حافة الهضبة الشرقية يبرز منها نتوء صخري يشكل أساس الحصن أو القلعة التي كانت **أكربول أفامية** ، وتحولت من بعد إلى قرية صغيرة تختبئ ضمن أسوارها الإسلامية ، وتعرف اليوم **بقلعة المضيق** ، وتبعد عن الأطلال حوالي (١) كم .

ولقد بنيت أفامية في العهد السلوقي (نهاية القرن الرابع قبل الميلاد) وفق أفضل



★ بحيرة أفامية كما تبدو من القلعة ★

الشروط المطلوبة في ذلك العهد لبناء المدن ، وتمتعت بموقع استراتيجي هام للجيوش والقوافل معاً ، وكانت تتصل ببقية المدن الكبرى بطرق واسعة مرصوفة ما تزال بقاياها موجودة حتى الآن ... وفي يومنا هذا يمكن الوصول إلى الأطلال عن طريق مسالك خمسة :

١ ـ حماة ـ السقيلبية ـ قلعة المضيق ـ الأطلال .

٢ ـ حماة أو حلب ـ خان شيخون ـ كفرنبودة ـ الأطلال .

٣ ـ اللاذقية ـ جسر الشغور ـ قلعة المضيق ـ الأطلال .

٤ ـ اللاذقية ـ الصلنفة ـ جورين ـ عبد الطاقة ـ قلعة المضيق ـ الأطلال .

٥ ـ مصياف ـ السقيلبية ـ قلعة المضيق ـ الأطلال .

ومن الجدير بالذكر أن عدد سكان أفامية قديماً قد أربى على نصف المليون ، في حين أن سكان حصن أفامية (قلعة المضيق) مع نهاية عام (١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م) قد اقترب من (٨٠٠٠) نسمة .

قدمها .. ونشأتها

إن مدينة أفامية أو (فامية) مدينة معروفة في مؤلفات كثير من الجغرافيين والرحالة من لاتين وإغريق ، فهي مغرقة في القدم ، ويؤكد ذلك المؤرخون العرب حتى وصل الأمر **بياقوت الحموي** في سفره **« معجم البلدان »** إلى نقل هذه الكلمات : **« وذكر قوم أن الأصل في فامية ثانية ، وذاك أنها ثاني مدينة بنيت في الأرض بعد الطوفان .. !! »** .

ولقد أظهرت الحفريات أن المنطقة كانت مأهولة منذ عصور ما قبل التاريخ ، فقد وُجدت مخلفات بشرية ترقى إلى **العصر الحجري الوسيط** وما بعده تتوضع على الأكربول (قلعة المضيق) والسفح الشمالي للأخدود المواجه (المضيق) ، بالإضافة إلى انتشار زراعي أصيل يرقى إلى العصر الحجري الحديث دلت عليه المكاشط والأزاميل والمناجل التي أظهرتها الأسبار المتتابعة إلى النور ، ثم هناك مستوطن ذو طبقات متعاقبة يرقى إلى **العصر البرونزي** (٢٥٠٠ ق . م) أظهرته حفريات أجريت من قبل بعثة سورية برئاسة **الباحث عبد الرزاق زقزوق** عام (١٣٩٠ هـ ـ ١٩٧٠ م) في أرضية القلعة إذ كشفت عن لُقى فخارية عديدة ومدافن غنية ... ومن المرجح أن نعيا (نيجا) التي ورد ذكرها في رقم تل العمارنة والنصوص الحثية والأكادية وغيرها منذ الألف الثاني قبل الميلاد كانت في موقع أفامية نفسها .

ونجد أن كثيراً من الباحثين والدارسين وفي مقدمتهم الجغرافي اليوناني استرابون (٢٥) ق . م ، يرى أن أفامية تكونت على يد الملك سلوقوس نيكاتور في موقع قرية صغيرة وذلك في عام (٣٠١ ـ ٢٩٩) ق . م ، ومن ثم اتسعت وتطورت واتخذت من التل المجاور لها حصناً لها ، وكان لها الشأن الخطير من بعد .

أسماؤها

إن أقدم اسم وصلنا لموقع أفامية هو ـ على الأرجح ـ نعيا (نيجا) ، وذلك في الألف الثاني قبل

الميلاد ، ومن ثم حمل الموقع اسم فارناكة في مستهل الألف الأول قبل الميلاد ، وحينما اجتاح جنود الإسكندر المقدوني المنطقة في خاتمة القرن الرابع قبل الميلاد ، أعجبوا بالمكان فسكنوه واستوطنوه وأطلقوا عليه اسم « **بيلا** » ، وبعد وفاة الإسكندر تبدل الاسم إلى **كرسونسوس** ، وحين استلم نيكاتور ملك المنطقة ، أمر بعمارة الموقع وأطلق عليه اسم « **أبامي** » ، وكانت تدعى اختصاراً « **فامي** » ، كما دعيت باسم « **أفامية كلوديا** » في مستهل القرن الأول الميلادي خلال فترة حكم الإمبراطور الروماني كلوديوس ، وباسم أنتونينو بوليس زمن الإمبراطور كاراكالا في مطلع القرن الثالث الميلادي .

أما العرب فقد أطلقوا عليها اسمين اثنين هما : فامية وأفامية ، وقد حمل لنا الشعر العربي هذين الاسمين معاً ، وهذا أحد شعراء معرة النعمان يذكر الاسم (فامية) من دون همز عام (٢٩٠ هـ ــ ٩٠٣ م) حين سخر من هروب حاكمها أبي الحجر المؤمل بن المصبح الذي ألقى نفسه في بحيرتها :

جازت هزيمته أنهار فامية
إلى البحيرة حتى غطَّ في ماها

وأورد ياقوت الحموي في المشترك أبياتاً عذبة للشاعر **عيسى بن سعدان الحلبي** (القرن السابع الهجري ــ الثالث عشر الميلادي) يعرّج فيها على ذكر أفامية من دون همز حيث يقول :

ليت العواصم من شرقي فامية
أهدت إليَّ نسيم البان والغرَب

وهذا **أبو العلاء المعري** يذكرها بالهمز حين امتدح **الشريف أبا إبراهيم** الذي أنقذ أفامية من الروم . . فيقول :

ولولاك لم يسلم أفامية الردى
وقد أبصرت من مثلها مصرع الرَّدي

وأما حصنها (قلعتها ــ أكربولها) فقد حمل الاسمين نفسيهما (فامية ــ أفامية) بعد احتراق المدينة وزلزلتها وخرابها ــ كما سيأتي من بعد ــ وبقي على ذلك إلى مطالع القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي) حين تبدل إلى اسم قلعة المضيق الذي استُمدَّ من الأخدود الضيق الذي يقع شماليه ، وما يزال حتى يومنا يحمل هذا الاسم .

أفامية عبر التاريخ

عثر خلال حفريات أعوام (١٣٤٩ هـ ــ ١٩٣٠ م) (١٣٥٧ هـ ــ ١٩٣٨ م) على رقيم حثّي ــ وهو موجود الآن في **متحف حلب** ــ أعطى صورة سريعة عن تاريخ المدينة القديمة ، وأظهر أنها عرفت نشاطاً واسعاً منذ العصر الحجري الأوسط (**الباليوليتيكي**) ، وكذلك برهنت الحفريات الجديدة على وجود معمل كبير لقطع الحجارة على الطرف الغربي للسور ، وفي العصر الحجري الحديث (**النيوليتيكي**) كان أكربول المدينة والسفح الشمالي مأهولين بجماعات زراعية بدليل ما عثر عليه من الأدوات الزراعية العديدة ، وفي العصر البرونزي (**الكالكوليتيكي**) ، ومنذ الألف الثالث قبل الميلاد ظهرت أشكال متوالية من البرونز القديم والمتوسط وقبور غنية ، مما أكد أن هذا الموقع بقي مأهولا ومعموراً على مدى هذه العصور جميعاً .

وقد جاءت الوثائق الفخارية الملونة (السيراميك) المكتشفة عام (١٣٩٠ هـ ــ ١٩٧٠ م) لتؤكد اتحاد هذا الموقع بمكان **نعيا (نيجا)** التي عُرفت خلال القرون التالية ولا سيما من القرن السادس عشر إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، وكان لها دور في حملات الفراعنة المصريين على سورية الشمالية وبخاصة تحوتمس الأول والثاني وأمينوفيس الثاني حتى ظهور مرحلة تهديدات الحثيين وهجماتهم المتوالية على المنطقة .

وتحت اسم فارناكه أسهم الموقع في مصير الإمبراطورية الفارسية ، وقبع سكانها في الحصن (الأكربول) خاضعين للامتداد الهيليني في وقت مبكر .

وبعد معركة إيسوس عام (٣٣٣) ق . م ، التي أسفرت عن انتصار الإسكندر المقدوني . . زُوّد الموقع بحامية من الجنود المقدونيين الذين أطلقوا على الموقع اسم بيلّا تذكاراً لمدينتهم في اليونان .

ويموت الإسكندر ، وتتأسس الدولة السلوقية عام (٣١٢) ق . م ، ويسير مؤسسها سلوقوس الأول نيكاتور على خطة الإسكندر في تشييد المدن ، فيبني (٥٩) مدينة في أرجاء إمبراطوريته يدعو بعضها باسمه

★ الأعمدة ذات الأخاديد الحلزونية ★



مثل سلوقية (السويدية) ، أو باسم أبيه أنطيوخوس (أنطاكية) ، أو باسم أمه لاوديسّا (اللاذقية) ، أو باسم أحد خلصائه كالسيس (قنسرين) ، أو باسم زوجه الأميرة الفارسية أبامي (أفامية) . . . وكان همه أن يضفي على المدن الآسيوية الصفة الإغريقية ، ولهذا خصها جميعاً بعناية فائقة ، وكانت أفامية من أبرز هذه المدن ، إذ جدد عمرانها في أعوام (٣٠١ ــ ٢٩٩) ق . م ، وأحاطها بسور عظيم ، وجعل منها ثكنة عسكرية هامة للدولة كلها ، يتجمع فيها المرتزقة الذين يؤجرون خدماتهم في الحروب ، ويفد إليها المجندون المحدثون لاستلام أسلحتهم والقيام بتمريناتهم ، وكانت ــ إلى هذا ــ الموقع العسكري القيادي المجهز بالعدة والعُدد ومعامل الصناعات الحربية ومستودعات الذخيرة ، وآلات الحرب واصطبلات الخيول الملكية الواسعة . . وجمع فيها ــ حسب رواية استرابون ــ (٣٠٠) جاموس ، و (٣٠٠) من كرام الخيول ، و (٥٠٠) من فيلة الهند الهائلة التي تشكل قوة هجومية تحطيمية لا تباريها فيها أفيال الأعداء الإفريقية الصغيرة الحجم ، وغير المدربة على فنون القتال ، و (٢٠٠٠٠) من الجياد المستعملة في حروب تلك العهود . . فكانت من ذلك جميعه الحصن المنيع والمركز العسكري الهام والقاعدة الرئيسة للعمليات السلوقية الهامة في الهجوم والدفاع والانسحاب .

وكان لأفامية وجه آخر ، فهي مكان من الأرض تصلح الإقامة فيه وتطيب ، وكانت مع ضواحيها تعج بالمنشآت العامة من معابد وملاه وقصور كثيرة ، وقد خصصت بحيرة صغيرة عند منتصف الطريق بين التحصينات والنهر وفي وسط الخضرة لمن يقصد النزهة في ضواحي المدينة ، وكان إلى جانب البحيرة معبد يكرَّمُ فيه أحد آلهة المياه ، ويتمتع قاصدوه بروعة المناظر الطبيعية وسحرها هناك .

وظلت أفامية في عهد خلفاء نيكاتور السلوقيين تزهو بعظمتها ورونقها ووفرة سكانها وبذخهم وترفهم ، حتى غدت تحسب الثانية بين مدن سورية الشمالية بعد العاصمة أنطاكية ، وكانت تشاطرها كل بؤس ونعمى ولا سيما أن المسافة بينهما جد قريبة عبر الرصيف الباقية آثاره حتى يومنا هذا . . في عام (٢٨٥) ق . م ، كانت أفامية مقر إقامة ديمتريوس بوليورست أسير نيكاتور العنيف حتى موته في عام (٢٨٣) ق . م ، ونعمت بالهدوء والسعادة في زمن الإمبراطور أنطيوخوس الثالث الملقب بالكبير (٢١٣ ــ ١٨٦) ق . م ، الذي بسط سلطانه على ولايته الشرقية التي كانت شقّت عصا الطاعة ، ثم استعد لاستخلاص مصر من أيدي البطالسة ، ففتح في طريقه سورية المتوسطة والجنوبية ، لكن الرومانيين ظهروا في تلك الحقبة ، بعد أن استفز غضبهم ، فشغلوه واضطروه بعد **معركة ماغنيسيا** (غربي



★ جانب من الأعمدة ذات الأخاديد الشاقولية ★

الأناضول) إلى أن يتخلى لهم عن سفنه الحربية وأفياله وممتلكاته شمالي طوروس وغربيها . . . وذلك في **معاهدة أفامية عام (١٨٨) ق . م .**

وأتى بعد أنطيوخوس الكبير عدد من الملوك أبرزهم **أنطيوخوس الرابع أبيفانوس** (١٧٥ — ١٦٣) ق . م ، الذي حاول القضاء على اليهودية وصبغ مناطقها بالصبغة الهيلينية مما أدى إلى ثورة اليهود بزعامة المكّابين (إحدى الأسر اليهودية البارزة) . . . وهناك **أنطيوخوس السادس** الذي اعتلى العرش عام (١٤٥) ق . م ، وتم تتويجه في أفامية ، وإلى أفامية نفسها التجأ قاتله تريفون ديودوت واستمر لاجئاً فيها حتى حاصره الملك أنطيوخوس السابع وقتله في ميدانها العام سنة (١٣٧) ق . م .

وفي أواخر العهد السلوقي تمكن ديكران الأرمني من الاستيلاء على جزء من سورية ، ومنح أفامية امتيازات نقدية ، كما منحها حق الهيكل ، أي حق الملاذ .

أفامية في العهد الروماني

وتتابعت الفتن والكوارث في أنحاء البلاد ، فابتلع الفرس جزء المملكة الواقع شرقي الفرات ، وعمت الفوضى الجزء الذي بقي في يد السلوقيين ، وكثر الخلاف بين الملوك والقواد ، وتوالى الحريق في أنطاكية وأفامية وهياكلها . . وتمكن سيسيليوس باسوس من احتلال أفامية ، ثم خضع بدوره لحصار طويل فرضه عليه أنتيستيوس فيقوس ، إلى أن كان عام (٦٤) ق . م ، حين استطاع **القائد الروماني بومبي الأكبر (بومبايوس)** أن ينهي حكم السلوقيين باستيلائه على سورية وتسميتها إقليماً رومانياً . . ولقد دخل مدينة أفامية ، وأمر بهدم قلعتها . . ولكنه قام من بعد بجعل أنطاكية قاعدة ولاية سورية الأولى ، وأفامية قاعدة ولاية سورية الثانية وأسماها (**سورية الطيبة**) ، ومنبج قاعدة ولاية سورية الثالثة أو الفراتية . . وكانت حدود ولاية أفامية تنحدر إلى جوار حمص ، ويلحق بها أبيفانيا (حماة) ومريمين ، وأرثيوزا (الرستن) ورافانية (بعرين) . . وغيرها .

من هذا المنطلق احتفظت أفامية في العهد الروماني بأهميتها الإدارية والاستراتيجية ، وكانت موطناً لموجات مختلفة من الشعوب شأنها في ذلك شأن جارتها أنطاكية ، ولكنها — كما يبدو — كانت أكثر محافظة على شخصيتها .

وتمنحنا سطور التاريخ أن أفامية كانت ملاذاً لديسيليوس ساكسا ضد لابينيوس بين عامي (٤١ — ٤٠) ق . م ، ومن ثم منحها الإمبراطور الروماني أنطوني (أنطونينوس) الاستقلال الذاتي مكافأة لها على مقاومتها الفرس (البارثيين) ، ووُضع تنظيم الدفاع عن حدودها مباشرة تحت تصرف الإمبراطور الروماني ، وظلت محتفظة بسك نقودها حتى عام (١٥) م ، حينما أوقف هذا الحق باستثناء فترات قليلة في زمن الإمبراطور كلوديوس (٤١ — ٥٤) م ، الذي أعطى المدينة — كما ذكرنا — اسم أفامية كلوديا .

ولنا أن نشير إلى أن أباطرة الرومان عُنوا بأفامية عناية فائقة بحكم وجود **سهل الغاب (مرج أفامية)** إلى جوارها . . ذلك السهل الذي كان يدر محاصيله الوفيرة عليها ، وترتعي فيه الخيول والأفيال الخاصة بجيوشهم ، فرمموا ما كان انتقض من عمرانها السلوقي ، وزينوها بكثير من الدور والقصور والهياكل حينما كانوا وثنيين ، وبعدد من الكنائس الكبرى حينما صاروا نصارى ، كما زينوها بالشوارع والحمامات والمسارح والمدارج وقنوات الري حتى صارت من أعمر المدن وأزهاها ، ونعم سكانها بحياة زاهية فارهة بعد أن زاد عددهم وربما حتى تجاوز نصف المليون من الناس . . كما يدلنا على ذلك إحصاء كيرينيوس في عام (٦) م ، الذي اكتشف خلال الحفريات .

وكما كان العصر الروماني غاصاً بالبناء والاتساع والأفراح والمسرات ، فقد كان هدفاً للكوارث والأتراح والنكبات ، إذ توالت حروب الفرس واجتياحاتهم المدمرة ، كما توالت المؤامرات والانقلابات الداخلية وعصيان الجنود ووثباتهم ، والمنافسات والمناحرات الدينية بين أنصار الوثنية والنصرانية ، ثم بين أرباب المذاهب النصرانية نفسها ، بالإضافة إلى المجاعات والأوبئة والحرائق . . . وكان نصيب أفامية من ذلك جميعه وافراً .

ولعل الصراع مع الفرس كان في المقدمة ،

فالفرس ـ على حد قول **الباحث أحمد وصفي زكريا** ـ أعداء ألداء لليونان ثم لخلفائهم الرومان، وقد ظل الفريقان يتصارعان ويتعاركان خلال عهود الأكاسرة والقياصرة كلها، وعلى مدى اثني عشر قرناً (من القرن السادس قبل الميلاد إلى القرن السابع بعد الميلاد)، وتمدنا صفحات التاريخ بعشرات من أسماء المعارك الكبيرة التي وقعت بين الطرفين منذ عهد **قورش الثاني الكبير الفارسي** (٥٨٨ ـ ٥٢٨) ق. م، وكم من مرة اجتاحت الجيوش كل ما في طريقها حتى وصلت إلى عاصمة عدوها، كما حدث في عام (٤٨٠) ق. م، حيث تمكنت الجيوش الفارسية بمعونة الفينيقيين والقرطاجيين من احتلال أثينا وما حولها، وفي عام (٣٣٣) ق. م، حين استطاع الإسكندر المقدوني إنهاء حكم الفرس لمدة سبعين عاماً بعد انتصاره الساحق في **معركتي إيسوس وكوكميلة**، واحتلال بلادهم بكاملها.

وفي العصر الروماني يهمنا أن نذكر عام ٢٤٢ م، الذي تمكن فيه الإمبراطور الروماني جورديان من هزيمة الملك سابور الأول الفارسي، ولكن الأخير لم يسكت على الهزيمة، وشرع في تجهيز نفسه جيداً حتى تمكن من جعل الإمبراطور فيليب يعقد صلحاً معه في عام ٢٤٧ م، ثم ما لبث أن قام بهجوم كاسح في عام ٢٥٦ م، واجتاح في طريقه كل المدن التي صادفته حتى وصل أفامية فاستباحها ونهبها فكانت إحدى المدن السبع والثلاثين التي استولى عليها الفرس، والتي وردت في نص مكتوب يدعى (نقش رستم).

أفامية في العهد البيزنطي

ليس ثمة فرق بين العهد الروماني والبيزنطي بالنسبة لأفامية، فهما متداخلان ومتتابعان.. على أن بداية العهد البيزنطي كانت ـ والحق يقال ـ معطاء ومصدر هناءة وسعادة لأنطاكية وأفامية معاً، إذ نعمتا بالسكينة والطمأنينة مدة أربت على مائة وأربعين عاماً إلى أن داهمتهما نكبتان عظيمتان لم يكن لهما قبل في ردهما.. الأولى: غارات الفرس العنيفة.. والثانية: الزلازل الأرضية الفظيعة.

فمنذ عام (٥٠٢) م، عادت الحروب الفارسية إلى عنفها، وبلغت حداً بالغاً في عام (٥٤٠) م، حين انطلق **كسرى أنو شروان** إلى سورية واستولى على الفرات ومنبج، ثم نهض إلى أنطاكية وشدد عليها الحصار، واهتدى إلى ثغرة في السور، فدخل منها، وسيطر على أنطاكية، وأباحها للنهب والحريق، ثم انحدر إلى سلوقية، ومنها إلى أفامية، فدخلها، وسلب كنيستها، ونهب الدور والمباني، وعاد بألوف الأسرى إلى عاصمته طيسفون ودخل قصره (طاق كسرى) مكللاً بالظفر والنشوة معاً، ورغب إلى نحات فنان أن يخلد هذا الانتصار الكبير.. فعمد إلى نحت لوحة رائعة ناطقة على أحد جدران الطاق تمثل مشاهد من معركة أنطاكية.. وهي ـ أي اللوحة ـ التي أوحت **للشاعر العربي البحتري** لقطات تصويرية نثرها في سينيته الشهيرة، وتعتبر من أجمل لقطاته وأبدعها.

وبقيت أنطاكية وأفامية وأخواتها في يد الفرس مدة أربع سنوات، ثم عادتا إلى البيزنطيين، وكان لحصانة قلعة أفامية ـ كما يرى المؤرخون ـ دور كبير في هزيمة الفرس من المنطقة.. ثم كانت الهدنة بين البيزنطيين والفرس والتي تأكدت بشكل دائم في عام (٥٦٢) م.

بيد أن الحرب ما لبثت أن عادت إلى الظهور بين أعوام (٥٧٢ ـ ٥٩١) م، إذ وصلت الجيوش الفارسية في عام (٥٧٢) م، إلى أفامية بعد تدميرها مدن **منبج والأندرين وقنسرين** وغيرها، وخرج سكان أفامية متشحين بالبياض لمقابلة القائد الفارسي كما فعلوا في غزوة عام (٥٤٠) م، لكنه احتل بوابات المدينة، وقيّد الرجال والنساء بالسلاسل، ثم سلب تلك المدينة الغنية، وأشعل فيها النار، وأرسل إلى فارس حوالي (٢٩٢) ألف أسير من أهلها، بعد أن قتل عشرات الألوف، وخلّفها تئن من الجراح النازفة والحرائق الجائحة والغصّات الخانقة.

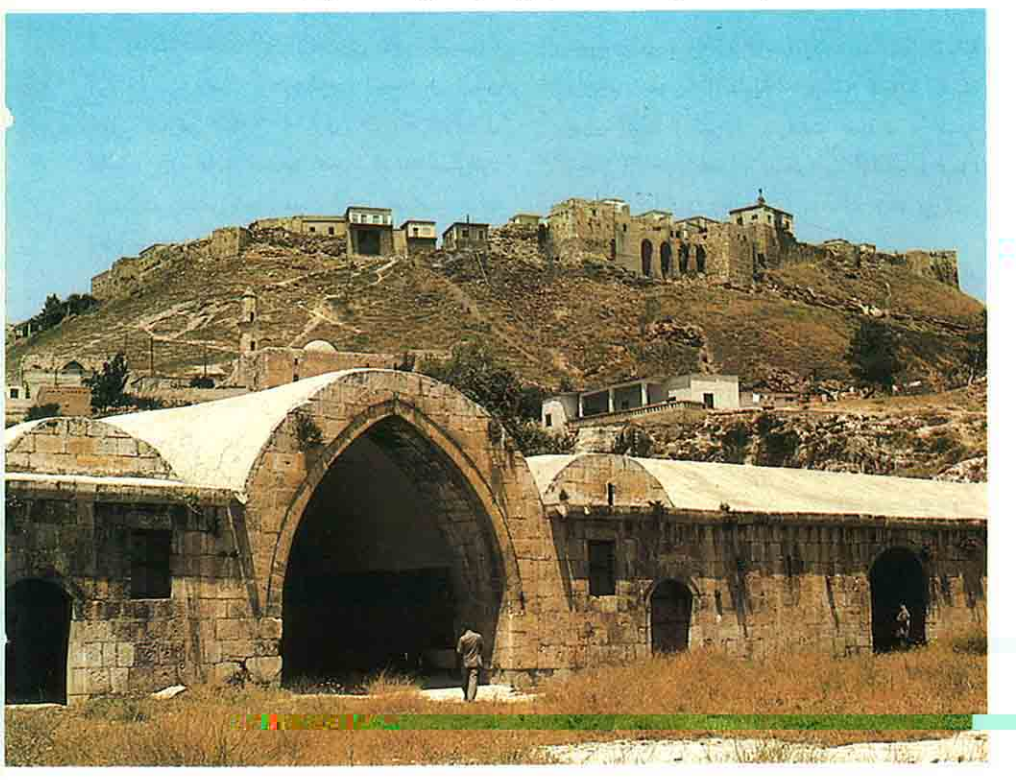
ولم يقف الخراب والدمار عند هذا الحد، إذ إنه في عام (٦١٢) م، وفي غضون حروب الأعوام (٦١٠ ـ ٦٢٨) م، تمكن كسرى **أبرويز الثاني** خلال حملته على أنطاكية من احتلال أفامية وتخريبها رأساً على عقب، وأحرز الانتصار الساحق الكبير.

وكانت الزلازل الأرضية قبل ذلك وبعده ضغثاً على إبّالة، فقد توالت على أفامية خلال أعوام (٥٢٦ ـ ٥٢٨ ـ ٥٤٣ ـ ٥٥١ ـ ٥٧٧ ـ ٥٨٩ ـ ٥٩٩ ...) ونالت منها كل النيل ولا سيما زلزال عام (٥٨٩) م، الذي كان أعظم الزلازل وأفظعها، إذ دمر مدن بيروت وبعلبك واللاذقية ومنبج وأنطاكية وغيرها من مدن سورية ولبنان، وأهلك مئات الألوف من سكانها، وكانت أفامية واحدة من أكثر هذه المدن تقويضاً وهدماً ودماراً حيث غدت قاعاً صفصفاً وأطلالا وبقايا بعد أن كانت فاتنة الزمان وحسناءه.

ولم يرتفع لمدينة أفامية شأن بعد الزلازل المدمرة واجتياح الفرس التي أتت على منشآتها كافة باستثناء بيوت معدودة متناثرة هنا وهناك خاصة في الجهة الشرقية، مع بعض ملاجئ رديئة بقيت تحوي بضع مئات من الناس كانت مرتبطة بطريق المصادفة بين جوانب السور والأعمدة المطروحة أرضاً.. ولم يبق سليماً منها سوى حصن أفامية (القلعة ـ الأكربول) الذي كان مبنياً في غربيّها على تل متماسك شاهق، فالتجأ إليه ما تبقى من السكان وهم بحدود الألفين فقط، في حين كان عددهم في عام (٥٧٠) م، ينوف على نصف المليون من الناس حين زارها السائح الإيطالي دوبليرانس ووصفها في رحلته، وقال عنها: «إنها مدينة زاهرة ...».

واستطاعت بعض المدن السورية ـ ما خلا أفامية ـ العودة إلى الحياة في ظل البؤس والشقاء

★ مدخل الخان العثماني (بمتحف أفامية) وأبواب الأروقة، ومن الخلف الجامع والقلعة ★



★ أحد مداخل المسرح ومخارجه .. ما يزال سليماً ★

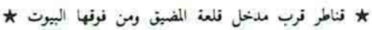
اللذين استمرا ضاربين أطنابهما في طول البلاد وعرضها ، في حين كان تذمر السوريين يتعالى من تمادي المنازعات الدينية ، ومن فساد الحكام البيزنطيين ، وتوالي الكر والفر بينهم وبين الفرس إلى أن خفقت أعلام العرب المسلمين في هذه الآفاق جميعاً .

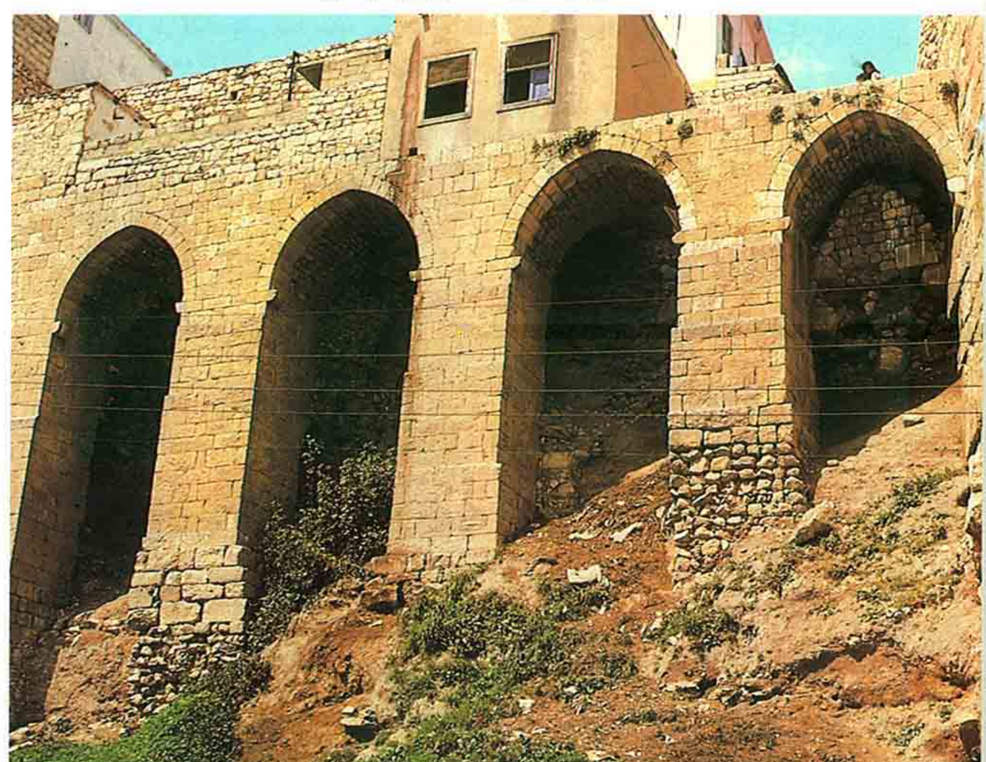
أفامية في ظلال الإسلام

وكان انتصار العرب المسلمين المبين في **معركة اليرموك** الشهيرة بعد ظفرهم في **معركة أجنادين** وانهزم الروم البيزنطيون أمام جحافل الإيمان كأعدائهم الفرس ، وشرعت المدن السورية تفتح ذراعيها لاستقبالهم بدءً من دمشق وحتى أنطاكية ، فقد سار **الصحابي الجليل أبو عبيدة عامر بن الجراح** في عام (١٧ هـ ــ ٦٣٨ م)[٢] ، بعد افتتاح شيزر إلى أفامية فتلقاه أهلها بالصلح ــ كما يقول **البلاذري** ــ فصالحهم على الجزية والخراج .. ولقد وجد المسلمون المدينة خراباً يباباً ، فاكتفوا بقلعتها ، ولم يعمروا المدينة ، وهم إذا ذكروا اسمها عنوا هذه القلعة والقرية المبنية داخلها .

ويؤكد **اليعقوبي** في كتاب « البلدان » أن قوماً من **قبيلتي عذراء وبهراء** سكنوا أفامية وامتزجوا بأهلها ، ويرى بعض المؤرخين أنها ضُمَّت وما حولها إلى أعمال جند حمص .

وفي عهد **يزيد بن معاوية الأموي** جُعلت مع [illegible] وفُصلت عن حمص ، ومع مطالع **العصر العباسي** أضحت من العواصم .. ومنذ القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) طفقت تتنقل بين أيدي **العباسيين والإخشيديين والحمدانيين والفاطميين** .. بالإضافة إلى احتلال الروم البيزنطيين لها مرات ومرات .. ومُلْك الشيزريين لها فترة من الزمن .


★ قناطر قرب مدخل قلعة المضيق ومن فوقها البيوت ★





أفامية والصليبيون

ومع عام (٤٨٨ هـ ــ ١٠٩٥ م) ، بدأت أولى جحافل الصليبيين متمثلة في الحملة الصليبية الشعبية تتدفق على الشرق العربي ، وبعد مرور عام كانت الحملة الصليبية الأولى ، والتي تمكن أحد قوادها **بوهيموند الأول** من تأسيس إمارة صليبية في أنطاكية عام (٤٩٢ هـ ــ ١٠٩٨ م) ، وكان من الطبيعي أن تجتذب قلعة أفامية مزيداً من اهتمامه ، فقام بمهاجمتها وقاتل أهلها أياماً وأفسد زرعها ، ثم رحل عنها إلى حلب ومرعش .. ثم عاد خلفه **تانكريد** إلى احتلالها ثانية عام (٤٩٩ هـ ــ ١١٠٦ م) ، ومَلَكَها ، واستقر فيها وجعلها من أولى المعاقل الأمامية لإمارة أنطاكية وأبرزها ، وطفق يناوش منها مسلمي شيزر وحماة ، ويناوشه هؤلاء .

وفي عام (٥٠٥ هـ ــ ١١١١ م) ، جهز **السلطان محمد بن ملكشاه السلجوقي** جيشاً لقتال الفرنجة في الشام وتمكن من مناوشتهم قرب أفامية ، والعودة إلى شيزر بغنائم وأسرى .. وبعد أربع سنين حاول ثانية ، وحاصر أفامية ، ولم يستطع فتحها ، فعاد جيشه إلى معرة النعمان بعد أن أيقن بعدم جدوى الحصار .

وبقيت أفامية وما حولها في يد الإفرنج الصليبيين حتى كان عام (٥٤٤ هـ ــ ١١٤٩ م) ، وفيه سار **نور الدين محمود بن زنكي** إلى حصن أفامية واستخلصه من الصليبيين ، وملكه ــ **كما يقول ابن الأثير** ــ وحصنه بالرجال والذخائر ، وكان الإفرنج في الشام جميعهم قد اجتمعوا ليرحلوه عنه ، فلم يصلوا إلا وقد ملكه ، وبذلك عادت أفامية إلى الحكم العربي الإسلامي ، ولم تعد إلى الفرنجة من بعد .

ومن الغريب أن الزلازل عادت إلى المنطقة من جديد ، في عام (٥٥١ هـ ــ ١١٥٦ م) ، انهدم برج من بروج الحصن بسبب زلزال قوي ، ولكن الكارثة المروعة كانت في العام التالي حين زلزلت الأرض في غربي سورية وخربت أكثر المدن ، وأكملت هدم المدينة القديمة القائمة على الهضبة ... وانسحب من تبقى من السكان الذين كانوا في زوايا المدينة المدمرة بشكل نهائي إلى القلعة ، وسكنوها .. ولم تقم لمدينة أفامية بعد هذه الحادثة أية قائمة ، ودخلت في سجل النسيان والإهمال ، وأما الحصن فقد تهدمت أبراجه وأقسام من سوره ، فقام نور الدين بترميمه وكان ذلك في عام (٥٥٣ هـ ــ ١١٥٨ م) .



أفامية والأيوبيون

وفي عام (٥٨٤ هـ ــ ١١٨٨ م) دخلت أفامية في

ملك **السلطان صلاح الدين الأيوبي** الذي دخل أنطاكية صلحاً في العام نفسه ، ولم يهدأ بال المسلمين في حصن أفامية إلا بعد أن سقطت **قلعة برزويه** التي كانت بيد الصليبيين ، وصار سهل الغاب جميعه في يد صلاح الدين ، وعهد به وببعض المدن المتاخمة إلى المنصور تقي الدين عمر بعد موته .

وإثر وفاة صلاح الدين كانت أفامية بيد **عز الدين إبراهيم بن شمس الدين بن المقدم** ، ثم صارت إلى أخيه **شمس الدين عبد الملك بن محمد** الذي حاصر الملك الظاهر غازي أفامية في أيامه ولم يتمكن منها في عام (٥٩٧ هـ ــ ١٢٠١ م) لكنه تسلمها في العام التالي ، وقام ببناء **البرج الشمالي** ، وانتهى تشييده في عام (٦٠٢ هـ ــ ١٢٠٥ م) .

وفي عام (٦٥٤ هـ ــ ١٢٥٦ م) زارها **الملك الناصر يوسف صاحب حلب** ، وقام بترميم كثير من أبراجها ، وأقسام من سورها ، وعمل على بناء **القنطرة الجنوبية** ومدخل الحصن بشكل منيع وقوي .

أفامية من بعد . . .

وبعد زوال **دولة الأيوبيين في حلب** عام (٦٥٨ هـ ــ ١٢٦٠ م) انتقلت أفامية كغيرها إلى أيدي السلاطين **المماليك** ، ويغلب على الظن أن جيوش **هولاكو التتاري** لم تصل إليها ، ولم تنل منها .

وفي عام (٦٦٦ هـ ــ ١٢٦٨ م) جاء **الملك الظاهر بيبرس البندقداري** إلى قلعة أفامية ، وجمع جيوشه فيها ، ثم زحف منها عن طريق الغاب الشرقي إلى مدينة أنطاكية ، وكانت لمّا تَزَلْ في يد الصليبيين ، فحاصرها واستولى عليها .

وفي أيام **الملك المنصور قلاوون سادس المماليك البحريين** (٦٨٩ هـ ــ ١٢٩٠ م) ، كانت قلعة أفامية في حوزة **الأمير الثائر سنقر الأشقر** .

وبعد خروج الصليبيين من البلاد كاملة عام (٦٩٠ هـ ــ ١٢٩١ م) ، وزوال الحاجة إلى الدفاع ، لم يبق للقلعة مكانة حربية ، بل ظلت قرية مزدحمة يعتصم أهلها فيها من هجمات الأعراب والأشقياء أيام فوضى الأحكام في عهود المماليك والعثمانيين وفي سنوات الانتداب الفرنسي .

ولقد عانت قلعة أفامية (قلعة المضيق) ــ كما عانت البقاع السورية ــ الشيء الكثير من الظلم والتخلف والتقهقر إلى أن كان عام (١٣٦٥ هـ ــ ١٩٤٦ م) حين أشرق فجر الاستقلال ، وعادت البلاد إلى أبنائها ، وسارت أفامية مع شقيقاتها يداً بيد ــ من جديد ــ لرسم صفحة المجد والحرية والاستقلال .

الرحالة . . والبعثات الأثرية

أفاض **الباحثان ج . بالتي وعبد الرزاق زقزوق** في تقصي الرحالة والسياح والأثريين الذين زاروا أفامية ، وتحدثوا عنها . . ونجتزئ فنقول : إن السيدين **نيبور وبوركهارد** كانا أول من أقر بوجود مدينة أفامية إلى الشرق من قلعة المضيق وذلك في عامي (١٧٦٦ ــ ١٨١٢ م) .

وكان **السيد تومسون** في عام (١٨٤٦ م) أول من تعرف إلى أطلالها بشكل علمي ، وتمكن **العالمان زاخو ، وبتلر** عام (١٨٨٠ ــ ١٩٠٠ م) من وضع أول مخطط إجمالي للمدينة مع مخططات تفصيلية لبعض المباني ، في حين وجّه **العالمان فان برشيم ، وفاتيو** (١٨٩٥ م) اهتمامها الكلي إلى أسوار القلعة وأبراجها .

وكان **للمركز القومي للأبحاث العلمية في بروكسل (بلجيكا)** الفضل الكبير في هذا المجال ، فأرسل البعثة الأولى برئاسة **فرديناند مايانس** خلال أعوام (١٩٣٠ ــ ١٩٣٨ م) إلى موقع أفامية ، فكشفت عن عدد من المباني الهامة ، وعثرت على مجموعة من التحف ، فضلاً عن العديد من اللوحات الفسيفسائية الرائعة . . نقل بعضها إلى بروكسل ، وبعضها الآخر إلى متحفي دمشق وحلب .

ثم كانت البعثة الثانية برئاسة **هنري لاكوست** خلال أعوام (١٩٤٧ ــ ١٩٥٣ م) ، وقد قامت بفتح عدد من المواقع ، وشرعت في كتابة الأبحاث العلمية .

ومنذ عام (١٩٦٥ م) ، كانت البعثة الثالثة التي ترأسها **جان شارل بالتي مدير فرع أفامية في المتاحف الملكية للفن والتاريخ في بروكسل** والسيدة زوجه . . وقد تابعت التنقيب وما تزال في المواقع السابقة ، كما قامت بفتح عدة مواقع جديدة .

وفي عام (١٩٧٠ م) ، تشكلت **بعثة وطنية سورية برئاسة عبد الرزاق زقزوق رئيس دائرة آثار محافظة حماة** ، وتركزت أعمالها في السفح الجنوبي من تل قلعة المضيق ، كما كشفت عن جزء كبير من الحمام الروماني .

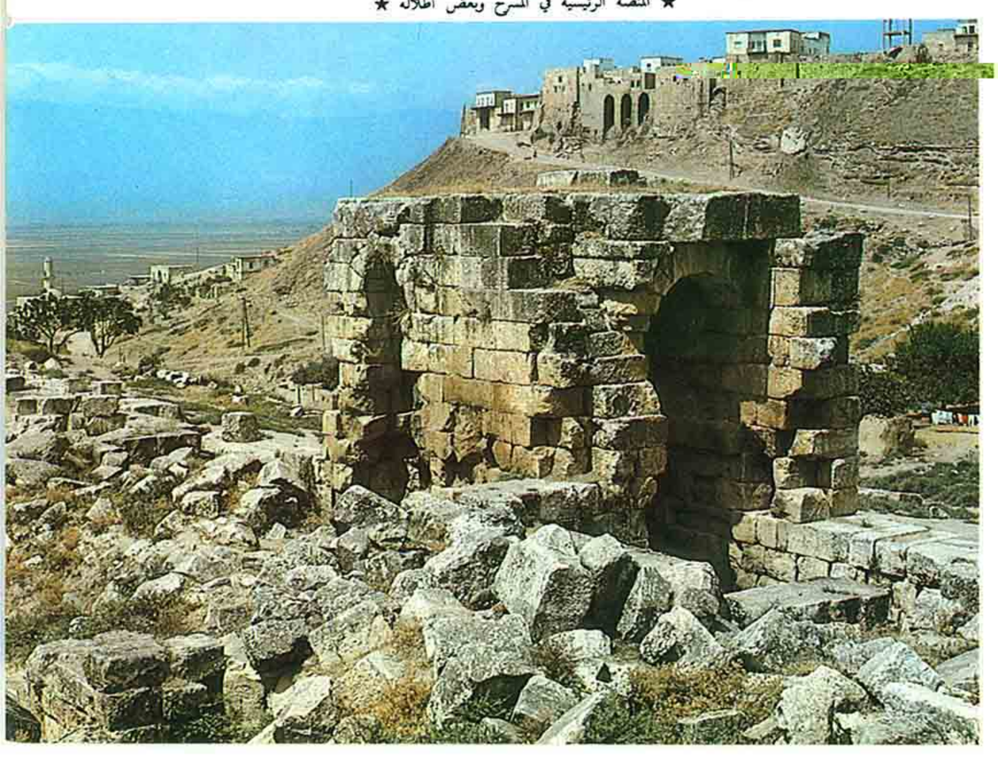
أبرز الأوابد الأثرية المكتشفة

تم حتى يومنا هذا كشف عدد لا بأس به من معالم أفامية وأوابدها الرائعة المدفونة منذ مئات السنين ، ولعل من أهمها وأبرزها :

●● **شارع الأعمدة** : ويسمى الشارع الأعظم ، وهو الشارع الرئيسي الذي يشق المدينة من شماليها إلى جنوبيها بشكل مستقيم ، وعلى امتداد (١٨٥٠) متراً ، وأما عرضه فهو (٢٢,٥) متراً ، وعلى جانبيه وامتداده رواقان عرض كل منهما (٧,٥) م ، وبذا يكون عرض الشارع مع الرواقين (٣٧,٥) م ، والرواقان مخصصان لمرور الأهلين المشاة واستظلالهم ، وهما مبلطان بالفسيفساء الملونة البديعة التي تمتد أمام مدخل الحوانيت والأبنية العظيمة ، ويستند كل رواق على صف من الأعمدة الجسيمة التي يبلغ ارتفاعها مع القاعدة (١٠,٥) م ، وقطر كل منها (١٢٠) سم ، وعددها على الجانبين (١٢٠٠) عمود ، ويبعد واحدها عن الآخر (٣) م .

ومن الثابت ــ حتى الآن ــ أن جمال النقوش على هذه الأعمدة لا يدانيه جمال في أي مكان آخر ، فالتيجان الكورانثية والقواعد متشابهة في الشكل ، وأما الزخارف فمختلفة ، على أن أروعها وأبرزها القنوات الحلزونية التي تزين قسماً من الأعمدة من رأسها إلى قدمها والتي يختلف اتجاه دورانها في كل عمود عن العمود المجاور .

★ المنصة الرئيسية في المسرح وبعض أطلاله ★



قال **الهمذاني** في مختصر كتاب البلدان حين حديثه عن أفامية إنه «كان فيها ملعب يعد من البناء المذكور في العالم».

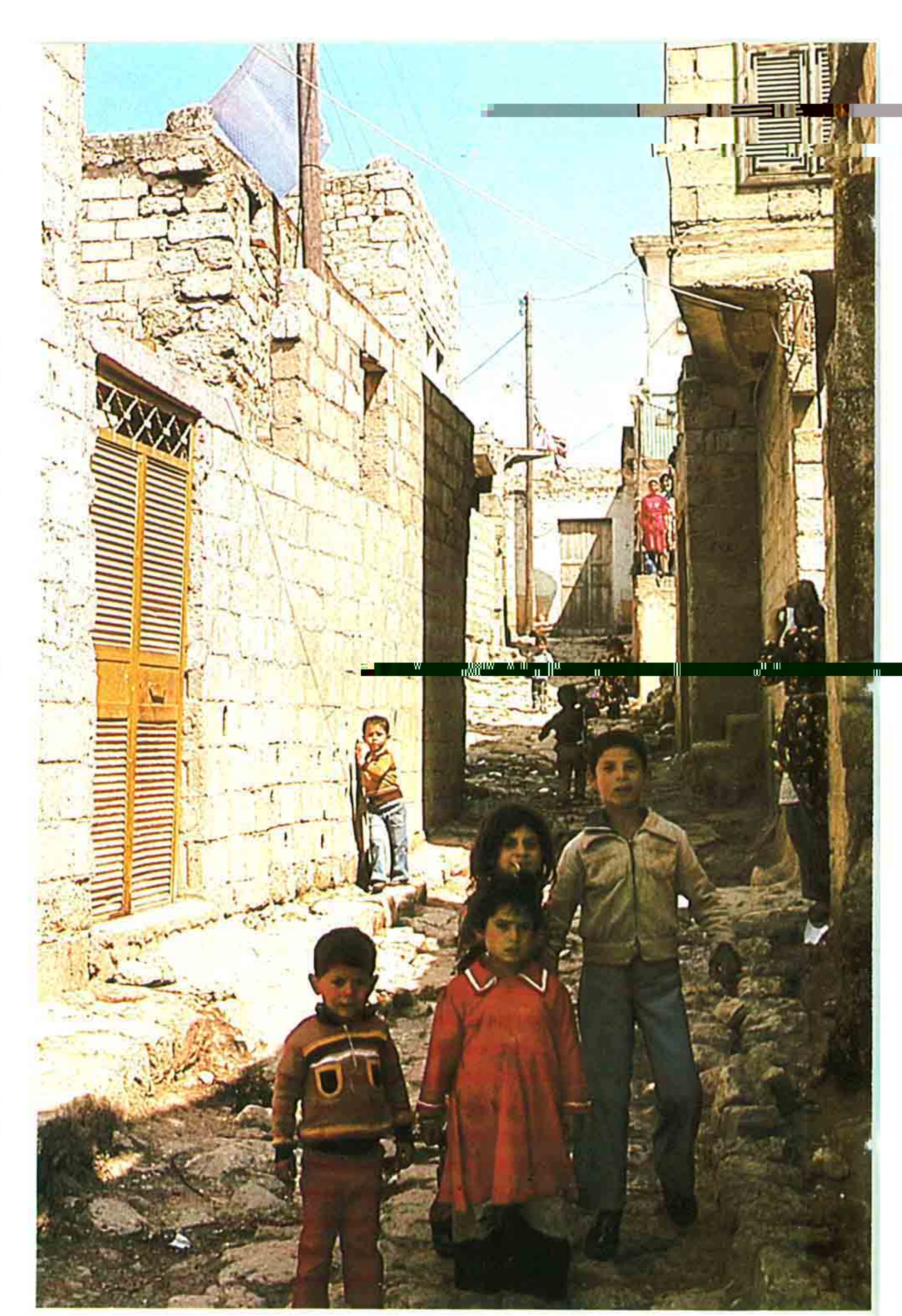
ولقد بقي هذا المسرح الكبير محفوظاً حتى القرون الوسطى، لكنه بسبب قربه من القلعة تعرض لكثير من التخريب، ونقلت حجارته إليها بعد زلزال عام (٥٥٢هـ ـ ١١٥٧م)، وإلى الخان الكبير في العهد العثماني.. ولهذا ضاعت معالم كثيرة من هذا المسرح العملاق الذي كان يستوعب عشرات الألوف من المتفرجين أيام الأعياد والاحتفالات.. ومن أبرز سماته الساحة الكبرى الفسيحة ذات الطبقات المتعددة والمحاطة بصف من الأعمدة، والمدرج العظيم الذي شيدت مقاعده من الأحجار الضخمة المنحوتة، والمنصة الواسعة، والأركان المزخرفة التي تمثل مشاهد وأشخاصاً تتعلق بعبادة باخوس إله الخمر.

●● **قصر الحاكم**: ويتألف من مجموعة من الغرف تقدر بثمانين غرفة تحيط ببهو متسع يرتكز كل ضلع من أضلاعه على ثمانية أعمدة، وله قاعتان داخليتان أصغر من البهو، وثلاث قاعات رئيسية مخصصة للتشريفات والاستقبال، وفي أرضيته لوحات فسيفسائية ثمينة جداً.. فضلاً عن تبليط سجادي هندسي نادر المثال.. وذلك جميعه بني في القرن الرابع الميلادي، ويبدو أنه اتخذ مقاماً لبعض الحكام المحليين الذين حكموا ولاية سورية الثانية.

●● **الكنائس**: تم الكشف عن عدة كنائس في أفامية حتى الآن، وأهمها **الكنيسة الشرقية** التي تشغل مساحة (١٢٠٠٠) متر مربع، وتقع غربي قصر الحاكم، ولها واجهة عريضة ذات ثلاثة أقواس، وبعد المدخل يوجد بهو مبلط، وبعده باحة كبيرة لها ثلاث بوابات من ثلاث جهات وهي تؤدي إلى المعبد.

ولقد أُدخلت عليها بعض التعديلات بعد زلزالي عامي (٥٢٦ ـ ٥٢٨م)، كما نُثرت أعداد من الزخارف الفنية الغنية على الجدران والأعمدة والأرضية مما جعلها تحمل اسم كاتدرائية بكل معنى الكلمة.. وهي مع كنيسة الرصافة وكنيسة جرش في الأردن تؤلف مجموعة من أهم الأوابد المعمارية الكَنَسيَّة في الشرق المسيحي وأجملها.

●● **الحمام الروماني**: ويقع شرقي شارع الأعمدة، وقرب البوابة الشمالية، ويعود إلى عامي (١١٦ ـ ١١٧م)، وتم الكشف عن مدخله الأثري الذي ينفتح في الجدار الشرقي، كما أُكتُشفت قاعتان كبيرتان يمكن التعرف من خلال مخططها ومن نظام التسخين فيها إلى أن هذا الحمام كان يحوي أقساماً باردة وأقساماً ساخنة، فهناك قسم للتعرق، وقسم آخر للمغاطس يحتوي على مغاطس جانبية وأنابيب



★ زقاق من أزقة قلعة المضيق ★

وعلى امتداد هذا الشارع كانت هناك ثلاثة ميادين واسعة وكبيرة ناجمة عن التقاء الشوارع الثانوية مع الشارع الرئيسي، بحيث تتراجع الأعمدة تدريجياً مع الأروقة لتشكل باحة رحبة، وكان أعظمها وأوسعها الميدان العام بمداخله الجبارة واتساعه الذي يبلغ قطره (١٥٠)م، ويقوم في وسطه نصب تذكاري شامخ ارتفاعه (١٤)م.

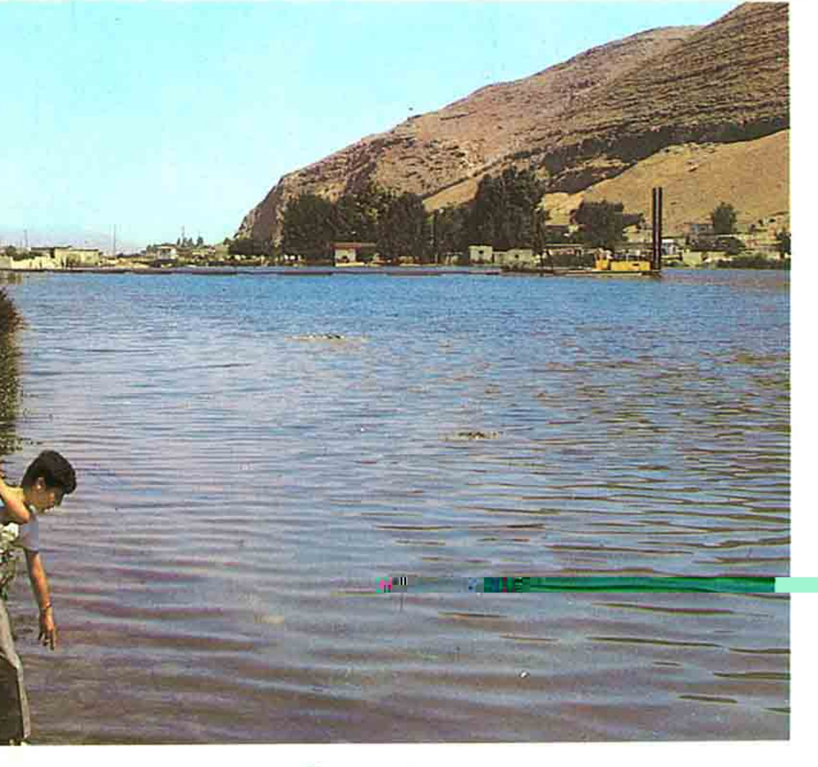
وأما تاريخ إنشاء هذا الشارع بأعمدته على اختلاف زخارفها، ورواقيه فهو يعود في قسمه الشمالي إلى عامي (١١٦ ـ ١١٧م)، في حين أن بقية الأقسام تعود إلى أعوام (١٣٨ ـ ١٦٩م)، ولقد غدا هذا الشارع منذ اكتشافه في عام (١٩٣٠)م، صورة بارزة عن معمارية أفامية، وهو الذي أعطاها الشهرة العالمية.

●● **المسرح**: يقع المسرح المدرج الذي يرق بناؤه إلى الفترة الواقعة بين عامي (١٦١ ـ ١٦٨م)، في غربي المدينة، على بداية مرتفع صخري مواجه للقلعة (الأكربول)، وهو يعتبر من أضخم المسارح الرومانية في العالم، إن لم يكن أضخمها على الإطلاق، إذ إن قطره يبلغ (١٣٩) متراً، ومن هنا

للتدفئة تمر بها أبخرة الماء ، وهي مصنوعة من الآجر ، وممددة ضمن الجدران ، وما تزال حنيّة هذا القسم محفوظة تماماً بنوافذها العالية .

●● **الفسيفساء** : حفل العهدان الروماني بعامة والبيزنطي بخاصة في مدينة أفامية بالنقوش ذات الألوان من **الفسيفساء** ، وهي البلاط المؤلف من الحجارة أو الفصوص الصغيرة الملونة المنقوشة ، حتى إنه لم تخل منها بقعة من بقاع المدينة ، وهي تختلف عنها في الأمكنة الأخرى من حيث عدم إغراقها في موضوعات أساطير الميثولوجيا اليونانية والرومانية ، وإنما باختصاصها بصور تمثل مختلف موضوعات الحياة كالعلوم الطبيعية والعامة ، والنواعير ، وقوافل الجمال ، وهيمنة عرائس الشعر ، والمشاهد الريفية ، وحوادث الصيد . . . ويتجمع كل ذلك وسط عناصر نباتية محورة غالباً على نمط البسط التي تحف بها حواشيها ، وأما الموضوعات الهندسية فتبدو وكأنها — على الرغم من قدمها البعيد — بساط أو سجادة فرغ منها صانعوها اليوم أو الأمس . . ومن الطبيعي أننا لن نستطيع تعريف هذه اللوحات المكتشفة جميعها ، ومن أبرزها : **(لوحة الصيد)** وهي من اللوحات الثمينة النادرة ، ولقد استُخلصت من قاعة الولائم في قصر الحاكم ، وكانت تزين أرض قاعة واسعة مستطيلة وتغطي بكاملها سطحاً مساحته (١٣٠) م٢ ، وهي الآن محفوظة في المتاحف الملكية للفن والتاريخ في بروكسل (بلجيكا) . . ولوحة **(الأمازونات)** ، وهي ثاني اللوحات المتميزة والهامة ، وتمثل فارستين من الفارسات الأمازونات ، وهما في مشهد صيد تحيط بهما ثلاث شجرات ، وأمامها حيوانان مفترسان ، ويحيط باللوحة أطر أربعة من الزخارف الهندسية والتزيينية . . وأما الأمازونات (موضوع اللوحة) فهن شعب من النساء المحاربات كُنَّ يكْوين في صغرهن الثدي الأيمن الذي يتوقف عن النمو ليسهل عليهن استخدام القوس في كبرهن ، ومن هنا جاءت تسميتهن (أمازون = بلا ثدي) . . وستُعرض هذه اللوحة في متحف أفامية (خان قلعة المضيق) .

ولوحة (حوريات البحر «مسابقة الجمال») ، وهي لوحة جدارية طويلة وجميلة عثر عليها بجانب الكنيسة الشرقية ، وتعبّر عن تصور شرقي لحكم حوريات البحر أو بنات نيروس ، وذلك على خلاف التصور اليوناني والروماني القديم الذي ينهي الجلسة بإصدار الحكم بالإدانة ، في حين أن هذه اللوحة تنهي المسابقة والتحكيم بتتويج كاسيوبة حفيدة بيلوس (إله أفامية) على عرش الجمال . . وسيضمها متحف أفامية . . ولوحة (**سقراط . . أو الحكماء السبعة**) وهي قطعة نادرة من العهد الوثني ، وجدت في الدير الأوسط من الكاتدرائية وتعود إلى عام



★ بحيرة عين الطاقة ★

(٢٦٢ — ٢٦٣ م) ، ويبدو في وسطها **سقراط** يرفع يده اليمنى بإشارة معلم ، ويحيط به ستة فلاسفة مسنون من غير مدرسته هم : **كليوبيل — برياندروس — بياس — تاليس — سولون — كيلون** . . وهم مع سقراط الحكماء السبعة لبلاد اليونان القديمة . . وقد فرشت هذه اللوحة بعد ترميمها في أرضية مدخل الجناح الشمالي من متحف أفامية .

قلعة المضيق

وهي قلعة عظيمة شكلها مستدير تقريباً ، وقطرها (٢٥٠) متراً ، تجثو على تل عظيم على شكل مخروط مقطوع ، ويظهر أنها شُيِّدت في مكان حصن قديم مهدوم كان مأهولا منذ عصور ما قبل التاريخ ومن هنا يرى الباحثون أن قلعة المضيق شاهد مدهش على ديمومة سكنها منذ العصر الحجري الوسيط حتى الآن .

ومع إنشاء مدينة أفامية شكلت القلعة أكربولها ، وكان يحيط بها خندق عظيم ، كما أن البلاط الذي كان يصفح منحدرات التل قد زال بأجمعه ، وهي الآن سور عظيم على هيئة مضلع غير منتظم ، وأكثر هذا السور سالم ، وقد ركبت عليه أبراج كبيرة مربعة الشكل تتوالى في كل الجهات ، وأكثرها الآن خراب وتحول إلى مساكن لفلاحي القرية ، وفي شمال القلعة بقي **برج سالم** مربع الشكل ، جميل البناء ، وفي جداره القبلي كتابة تحوي اسم **الملك الأيوبي الظاهر غازي** وتاريخها عام (٦٠٢هـ — ١٢٠٥م) .

وأما سبيل الوصول إلى القلعة فهو من عقبة عريضة في الطرف الجنوبي لتلها ، وإذا صعدها الزائر بلغ باب القلعة الوحيد ، وقد كان فوقه قنطرة وبرجان متقابلان لحراسته ، وفي حنايا القلعة دور مكتظ بعضها على بعض وأكثرها صغير ورديء البناء ، في حين أن الأزقة في غاية الضيق .

ويرى **الباحث فان برشيم** أن بناء القلعة عربي صرف ، ولقد بقيت بعد زوال مدينة أفامية تحمل اسمها ألف عام أو يزيد ، ومن هنا قال **العالم الأثري دوسو في كتابه «الطوبوغرافيا التاريخية للبلاد السورية»** : «مدينة أفامية القديمة اختفت باكراً ، والقرية التي عاشت في العهد العربي باسم أفامية انحصرت في القلعة . . » ، وقد مر معنا أن اسمها تحول إلى قلعة المضيق منذ حوالي ثلاثة قرون ليس غير .

الجامع

وفي منتصف المنحدر الهابط من القلعة باتجاه الوادي يوجد جامع صغير ، بناؤه بسيط وأنيق ، ويتألف من صحن تحيط به أعمدة من الحجر الكلسي مزنرة بالبرونز مع ثلاثة أقواس وباب واحد ، وحرم على طرفيه عقدان ، وفي وسطه قبة ، وفي الزاوية الشمالية الغربية مئذنة بيضاء لطيفة ذات مقطع مثمن . . ويعود تاريخ بناء هذا الجامع إلى عام (٩٣١هـ — ١٥٢٤م) على يد **الوالي محمد علي قزلار متسلم أفامية من قبل الدولة العثمانية** .

الخان (متحف أفامية)

يقع الخان الأثري في أسفل الوادي الهابط من

القلعة، وهو من أكبر خانات سورية، وأهم محطات القوافل في المنطقة.. وقد بني على شكل مربع طول كل ضلع من أضلاعه (٨٠) م، ويحوي باحة واسعة حولها رواق وأبهاء كبيرة ذات سقوف معقودة، وفي جدرانها مداخن المدافئ التي تقطع رتابة الجدران الداخلية وطولها البعيد.. ويُدخل إليه من الباب الشمالي الكبير فقط.

وقد تم بناؤه مع الجامع في وقت واحد ليكونا محطة هامة لقوافل الحجاج والتجّار العثمانيين في طريقهم من القسطنطينية إلى مكة المكرمة.. ومع مرور الأيام تهدمت أجزاء كثيرة منه إلى أن امتدت إليه يد المديرية العامة للآثار والمتاحف وقامت بترميمه كاملاً، وأُعدّ ليكون متحفاً محلياً لآثار أفامية، وهو يضم روائع قطع الفسيفساء الهامة والنادرة التي اكتشفت في أفامية بخاصة وفي الرستن وحورتة وطيبة الإمام بعامة مما يجعله أغنى متاحف العالم بالفسيفساء الرائعة.

قناة العاشق

كانت أفامية تشرب من مياه بلدة سلمية الواقعة شرقي مدينة حماة عبر **قناة العاشق** التي تعد من أضخم مشروعات الري في العصور الغابرة، إذ تتدفق المياه إلى **عين الزرقاء** ثم تسري خلال مسافة (١٥٠) كم عبر أراض مختلفة التكوين والارتفاع بتعاريجها وتلافيفها، ولقد تتبعها **الباحث كامل شحادة** في أيامنا ورصدها من مصدرها إلى منتهاها ووجد آثارها كاملة.. وتبين له أن عرض مجراها الداخلي (٦٠) سم، وعمقها بين المتر وثلاثة أمتار، وطراز بنائها متباين، وأقيم لها على الأودية اثنا عشر جسراً.

ويعتقد أنها أُنشئت في القرن الثاني الميلادي، وأما اسمها فنابع من حكاية حب أمير سلمية ابنة ملك أفامية التي اشترطت لقبوله وزواجه إيصال الماء النقي العذب من بلدته سلمية إلى أفامية قبل غيره من المحبين... وهكذا كان..؟!.

بحيرة أفامية

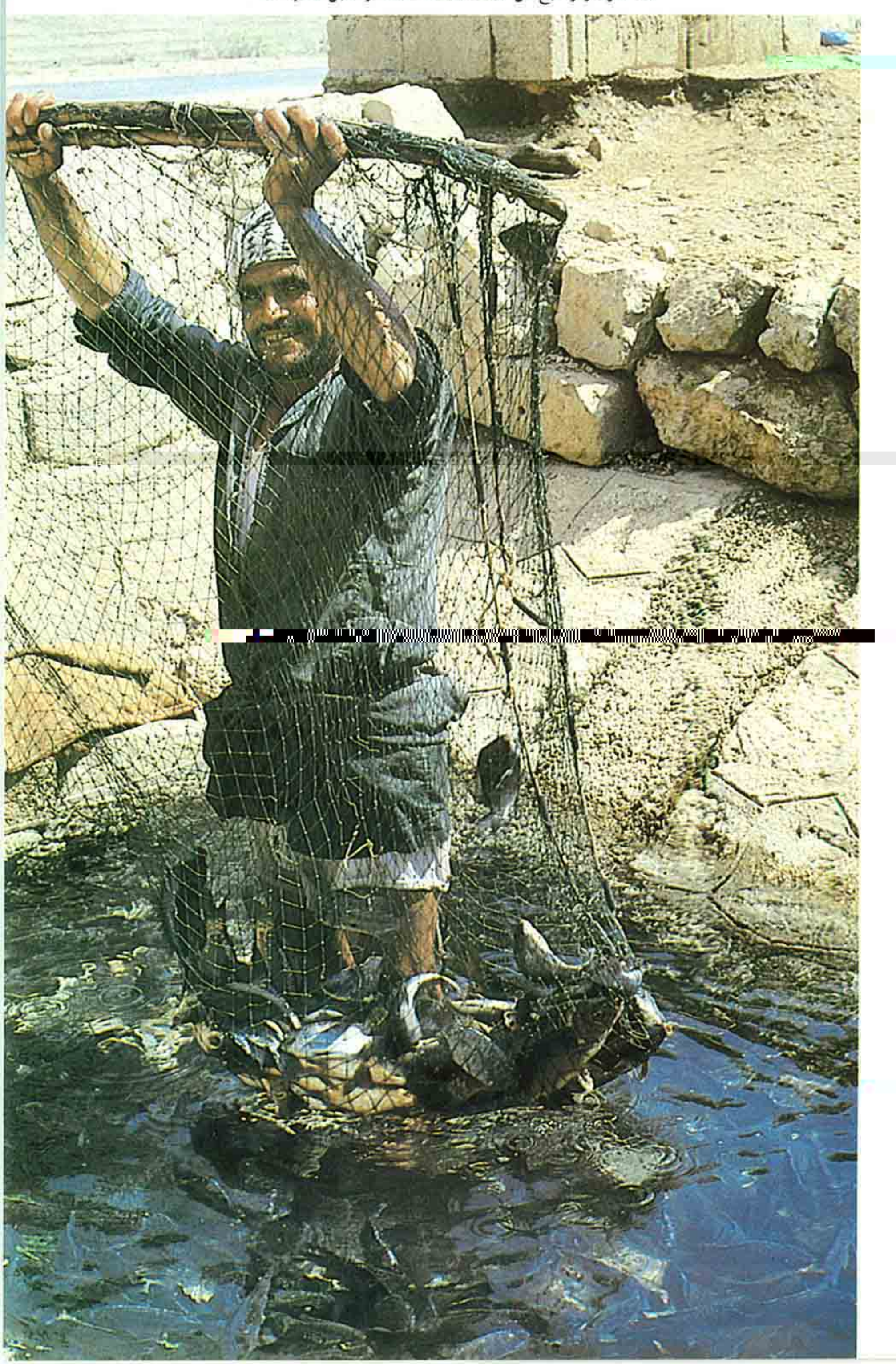
وفي الوادي تقع **بحيرة أفامية**، وهي شهيرة ومعروفة، ومنظرها من القلعة رائع، ومنظر القلعة منها أروع، وكانت في الماضي متنزه أفامية ومقصفها المقصود، وفي العهود الإسلامية أضحت عدة بطائح تموت الخضر أفاض في وصفها **أبو الفداء**، **وياقوت الحموي**، **والقلقشندي**، **وشيخ الزبوة** وذكروا نباتاتها وطيورها وأسماكها.. وهي في أيامنا محاطة من الناحية الشمالية والغربية بحاجز حجري فوقه ممشى، وفي زاويتها الجنوبية الغربية طاحون مائي قديم مهجور، وعلى جوانبها أحواض تربية الأسماك، وما تزال فيها نباتات كالنيلوفر والقصب والبردي... وإلى شمالها تقع **بحيرة عين الطاقة**.

سهل الغاب

وهو سهل واسع رحب يبلغ عرضه (١٠) كم، وطوله (٦٠) كم، ومساحته تتعدى الـ (٦٠٠) كم² من الأراضي المترسبة السهلية الممتازة في خصبها ووفرة مياهها، وصلاحها لإنبات أكثر المزروعات والمغروسات، وتربية المواشي والأسماك، وعمل الصناعات الزراعية المختلفة.

يقع غربي مدينة أفامية، ويمتد بينها وبين **بلدة جسر الشغور**، وهو أهم أسباب وجود أفامية وبواعث عمرانها وازدهارها، وكان يدعى قديماً **«مرج أفامية»**، وكان في زمن اليونان والرومان مجففاً يُزرع ويُستثمر.. وبعد خراب أفامية أهمل شأنه، فامتلأ بالوحول والرواسب على مر السنين، ثم تشكل فيه عدد من البحيرات والمستنقعات بسبب السيول

★ محصول وافر للبيع من أسماك المسامك الخاصة في سهل الغاب ★





★ النيلوفر يغطي سطح الماء في بقاع من بحيرات الغاب ★

ومياه عشرات العيون التي تسبب فيضان العاصي وطغيانه على ما حوله.

ومن الجدير بالذكر أن هذه المستنقعات كانت مرتعاً خصباً لجراثيم الملاريا وغيرها، وموطناً طيباً للسمك المسمى (السلّور) الذي كان يشكل ثروة اقتصادية طائلة ويدوم اصطياده أربعة أشهر ونصفاً بدءاً من شهر تشرين الثاني (نوفمبر) حتى أواسط شهر آذار (مارس)، وطرائق صيده كانت بواسطة زوارق صيد كبيرة وشباك واسعة تدعى (الجاروف)، وزوارق وحراب صغيرة وقصيرة...

وسبب تسمية السهل بالغاب - كما يرى **المهندس الزراعي محمد كنعان خطاب** - نابع من تجمع نباتات البردي الذي يدعى (الغاب) في أكثر بقاعه، فكان أن أُطلق اسم الجزء على الكل.

ومع عام (١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م) قامت الحكومة السورية بمعونة **الصندوق الخاص للتغذية والزراعة في الأمم المتحدة** بمشروع الاستثمار النموذجي لسهل الغاب، فأُقيمت السدود، وجُففت المستنقعات، وحُفرت الأقنية، وشُقت الطرقات، وأُنشئت الجسور، وبُنيت محطات التوليد الكهربائي، ومحطات تربية الأبقار، وأحواض تربية الأسماك، والمستودعات المختلفة، ومراكز مناطق الإصلاح الزراعي حتى غدا الغاب سهلاً رائعاً منظماً بكل ما للكلمة من معنى، علماً بأن محاولات فردية لتنظيمه وتجفيفه قد بدأت منذ مطالع الخمسينات من هذا القرن.

ومن أبرز محصولاته حالياً: القمح - الشوندر السكري - القطن - البطاطا - عباد الشمس - الذرة - التبغ - الخضار المختلفة.. وفي مجال الثروة الحيوانية: الأبقار - الأغنام - الماعز - الدواجن.

ولعل المناطق السياحية والترفيهية في هذا السهل تتميز بالكثرة والفتنة، وفي مقدمتها: **طاحونة الحلاوة - عنّاب - عين الطاقة - نهر البارد - نبع الفوار - نبع الطيب - نبع شطحة - ناعور شطحة - نبع الخطيب - نبع اشتبرق.**

أفامية.. والأدب والفكر والفن

إن دارس تاريخ أفامية يخرج بقائمة مشرقة تطفح بأسماء العديد من المفكرين والأدباء والفنانين، ولعل اسم **بوسيدونيوس** يأتي في المقدمة إذ كان أغزر رجال عصره علماً، وربما كان أغزر رجال **المدرسة الرواقية** في العلم بشكل خاص.. وقد ولد في أفامية عام (١٣٥) ق.م، وبرع في الفلسفة والعلوم الطبيعية والجغرافية والتاريخ والرياضيات والفلك، وتمكن من نشر الفلسفة الرواقية في العالم وتتلمذ عليه عدد كبير من قادة العالم **كماريوس وبومبايوس وشيشرون.**

وثاني الأسماء هو **نومينيوس** الذي ولد في أفامية في مطالع القرن الثاني الميلادي، وغدا من بعد أشهر الأفلاطونيين السوريين، وعُدَّ زعيم المذهب، وصار له مقام كبير عند الأفلاطونيين الجدد في القرن الثالث الميلادي، حتى إن الباحثين ودارسي تاريخ الفلسفة يرون أن أفلوطين زعيم مذهب الأفلاطونية الجديدة قد ادعى لنفسه أفكار نومينيوس.

وفي خاتمة القرن الثالث الميلادي (٢٥٠ - ٣٣٠ م)، لمعت شهرة أفامية أيما لمعان بندوة أفلاطونية جديدة، وكان **جامبليك (الكامل)** في هذه الندوة أكثر أعضائها شهرة وإشراقاً، فقد علّم في الإسكندرية واقترن بتلاميذه عدد غفير من المثقفين والأدباء والشعراء والخطباء.

واشتهر **سوپاتروس** من أفامية - صديق ليبانتيوس - **بالألعاب الأولمبية** شهرة واسعة، كما كان الطبيب أرخيجينس ذا سمعة ومكانة ساميتين في طب الأمراض العقلية...

ويذكر ياقوت الحموي شهرة **قاضي أفامية العساكري عبد القدوس بن الريان بن إسماعيل البهراني وروايته الواسعة للأحاديث النبوية الشريفة.**

وفي أيامنا نجد أسماء متميزة ومعروفة.. أولها نجدت نصر الله في كتاباته الفكرية والأدبية،

★ جزء من لوحة سقراط أو الحكماء السبعة.. وتبدو الأجزاء المخربة والمرممة ★



ومصطفى رعدون ـ الذي رافقني في أغلب جولاتي الاستطلاعية ـ في كتاباته التاريخية ولمساته الفنية في الرسم والنحت والتصوير، **ونشأت رعدون** في منحوتاته الرائعة التي يبدو أثر بلدته أفامية في بعض موضوعاتها . . .

وأفامية كانت وما زالت منطلقاً وملهماً لكثير من أدباء سورية سواء أكان في الموضوع أم في الأحداث . . ومن هذا الكثير رائعة الدكتور شكيب الجابري القصصية (وداعاً يا أفامية) . . ثم إن اسم (أفامية) الناعم قد جاوز الحد في انتشاره، فعشرات من الشركات والمكاتب والمحال والصالونات والحوانيت في ربوع سورية جعلته عنواناً لها.

بين الماضي والحاضر

ذاك كان عالم الماضي، وشذرات من عالم الحاضر، وإذا رمنا أن نسلط الضوء أكثر على أفامية (قلعة المضيق) في أيامنا لوجدنا أن سكانها شرعوا في النزوح الفردي منذ عام (١٣٦٠ هـ ـ ١٩٤١ م) واتخذوا من السفوح الممتدة في غربها أماكن لإنشاء بيوت واسعة رحبة لهم بجوار أراضيهم الزراعية، وبلغ النزوح أشده بدءاً من عام (١٣٧٨ هـ ـ ١٩٥٨ م) حتى إنه لم يبق الآن سوى ربع السكان في القلعة في حين اختصت السفوح المنداحة على جانبي الطريق الواصلة بين السقيلبية وجسر الشغور بثلاثة أرباعهم، وما تزال تفتح ذراعيها لاستقبال المزيد منهم حتى كادت قلعة المضيق الحديثة تلتحم بالسقيلبية جنوباً، في حين تمَّ التحامها بعين الطاقة شمالاً، وراحت تمتد غرباً نحو قرية التونية، وشرقاً نحو الأطلال . . . وهذا سَبَّب نشوء مجتمع جديد فيه شيء من الخلخلة وعدم الترابط إذ إن بيوت السكان تتناثر على مدى (٧) كم على جانبي الطريق بعد أن كانوا يعيشون في إطار واحد وبيوت متلاصقة وأزقة ضيقة تجعل منهم عائلة واحدة.

ولقد لفت نظري وجود بعض القطع الأثرية ملقاة على قارعة زقاق في القلعة، مثل هذا الحجر الغاص بالكتابة اليونانية، كما أن البرج الشمالي يتعرض للتشويه وتغيير المعالم بعد أن طُلي بالدهان والكلس . . ويا ليت المديرية العامة للآثار والمتاحف تستدرك ما تبقى.

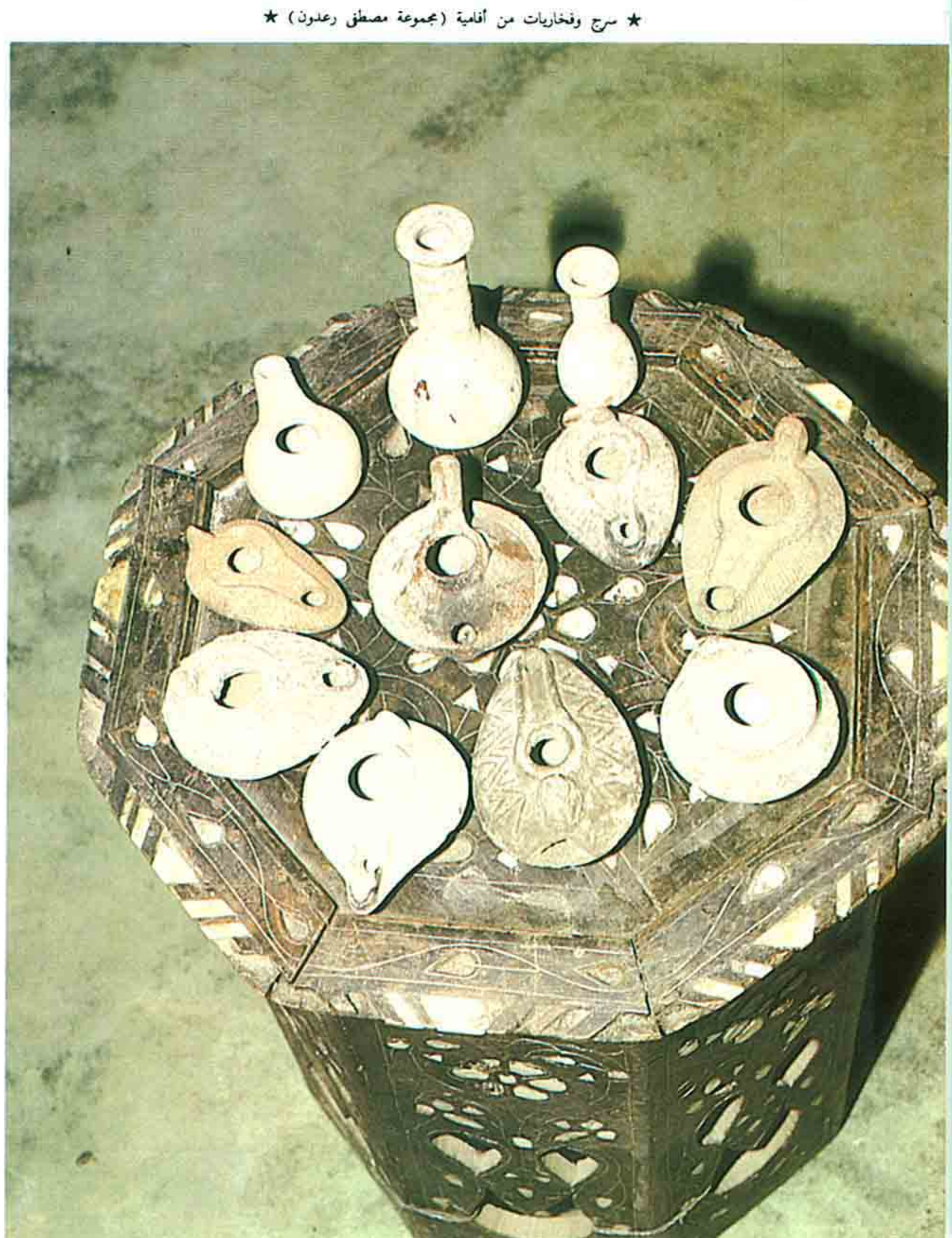
وأما سهل الغاب فهو صورة عن العطاء الزاخر، وبخاصة في الثروة السمكية التي تتركز في مسمكتين حكوميتين في قلعة المضيق وعين الطاقة، ولو تساءلنا عن السلّور لوجدنا أنه كاد ينعدم إثر تجفيف المستنقعات والبحيرات . . وأما سمك الأنكليس الذي وصفه شيخ الربوة بأنه «شبيه بالحيّات ولحمه شبيه بالإلية، ورغبة الناس فيه عظيمة . . .»، فقد انقرض في أيامنا ولم يعد له وجود . . ولا يفوتنا أن نذكر أن عدد المسامك الأهلية الخاصة قد تجاوز الـ (١٢) مسمكة، وزاد وزن إنتاجها السنوي على طنين من أسماك الكارب والمشط، في حين بلغ إنتاج المسمكتين الحكوميتين (٢١٤) طناً.

ولعل من أبرز عطاءات الحاضر في قلعة المضيق صوامع الحبوب التي تم إنشاؤها عام (١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م)، وهي مجموعتان، كل مجموعة تتكون من ست خلايا معدة لتخزين (٢٠) ألف طن من حبوب سهل الغاب الوفيرة . . وإلى جوارها معمل البذار الذي يقوم على تعقيم الحبوب وغربلتها وتنقيتها، وقد هيأ في العام الماضي (٧٠٠٠) طن.

ومن الجدير بالذكر أن لأفامية وجوداً خارج سورية، إذ قامت المتاحف الملكية للفن والتاريخ في بروكسل بإنشاء جناح خاص بأفامية العاصي في حناياها يضم نماذج من المكتشفات بأنواعها، ويتقدمها رواق من شارع الأعمدة بأعمدته الحلزونية بطول (٣٥) متراً، وقد تم تشييده في نهاية الثلاثينات من هذا القرن، وتهدّم في نهاية الحرب العالمية الثانية، ثم أُعيد إنشاؤه ثانية بعد انقضاء هذه الحرب المدمرة. كما أن اللوحات الفسيفسائية المعروضة هي من الروعة والندرة بمكان كبير.

إن الحديث عن أفامية العاصي شيّق، شيّق . . ولعل في هذه الدراسة لفتة حانية وبقعة ضوء في ثنايا أفقها الزاخر.

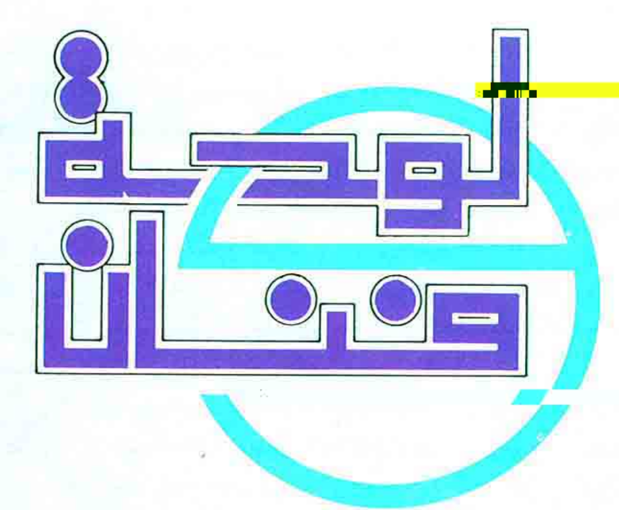
★ سرج وفخاريات من أفامية (مجموعة مصطفى رعدون) ★



الهوامش

(١) أفامية كيبوتوس وأفامية زوغما وأفامية ميرلي في تركيا ـ أفامية العاصي في شمال غربي سورية ـ أفامية البابلية على نهر دجلة شمالي العراق، أفامية راجيانا في شرقي إيران.

(٢) هناك خلاف في تاريخ سني المعارك والفتح لدى المؤرخين العرب والإفرنج، فبعضهم يرى أن معركة اليرموك قد تمت في عام (١٣ هـ ـ ٦٣٤ م)، وفتح بقية المدن السورية في عام (١٥ هـ ـ ٦٣٦ م) . . والغالب ما أثبتناه.



● غيط رقم (٢) ●

● يصور الفنان عملية [illegible] في اللوحة المعروضة التي [illegible] إلى مساحات هندسية متنوعة مختلفة، وتتصدر اللوحة إحدى تلك المساحات وهي المساحة البيضاء ذات الظلال الخضراء، واللون الأبيض هنا هو رمز الخير.. وتتقاطع تلك المساحة مع ثلاثة أضلاع من اللوحة، وتحتوي على المحراث والإنسان الذي يقوم بعملية [illegible] لذا نجده في حالة ديناميكية تتضح من الخط الخارجي للشخص، بالإضافة إلى الحركة الدائرية التي صورها الفنان بشكل أقرب إلى الهلال الأخضر على الأرضية البيضاء، وذلك ليوحي للمتلقي بالحركة «حركة الإنسان والمحراث».. بالإضافة إلى تحريك عين المتلقي حركة دائرية في اللوحة، وهو الأساس البنائي في تكوين تلك اللوحة.

● تحليل الأجسام البشرية «المشخصات» والمساحات الأرضية والأشجار [illegible] أن الفنان يعالج موضوعه في إطار البعدين، رغم أنه يلتزم بقواعد المنظور من حيث الحجم، ولا يلتزم به من حيث اللون، فنجد أن شدة الدرجات اللونية في أعلى اللوحة «السماء ـ الأشجار ـ الحقل الأخضر» مماثلة لتلك الدرجات في أسفل اللوحة «الشخصان الجالسان ودرجة اللون الأخضر في الحقل الأبيض».

● قدم الفنان تحليلاً جديداً للأشجار كمساحات هندسية متنوعة توحي بالحركة، كما أنه حقق الاتزان عن طريق توزيع الكتل، وترديد الألوان كانتشار اللون الأبيض واللون الأصفر والأخضر.. كما أن اللوحة بها هارموني لوني مستمد في معظم أجزاء اللوحة من الألوان ذات الشق البارد، كما حقق الفنان الاتزان اللوني من حيث الدرجات والسخونة والبرودة.

● رغم أن الفنان رسم منظراً خارجياً للطبيعة، مشهداً من الواقع، إلا أن اللوحة خرجت بشكل هندسي البناء، وأقرب إلى التجريد، فأساس التكوين هو وضع المربع الأبيض داخل مستطيل اللوحة.

● شاكر بهاء الدين المعداوي ●

● من مواليد مصر عام ١٩٤٤م.

● حصل على شهادة بكالوريوس كلية الفنون الجميلة بالإسكندرية عام ١٩٦٧م.

● نال الدبلوم العالي لأكاديمية الفنون الجميلة بإيطاليا بروما عام ١٩٧٨م.

● يعمل حالياً وكيلاً لقصر ثقافة الحرية بالإسكندرية للشؤون الفنية.

● أقام معرضين بقاعة آرت ستينا عام ١٩٧٧م، وقاعة آرت أربس بإيطاليا عام ١٩٧٨م.

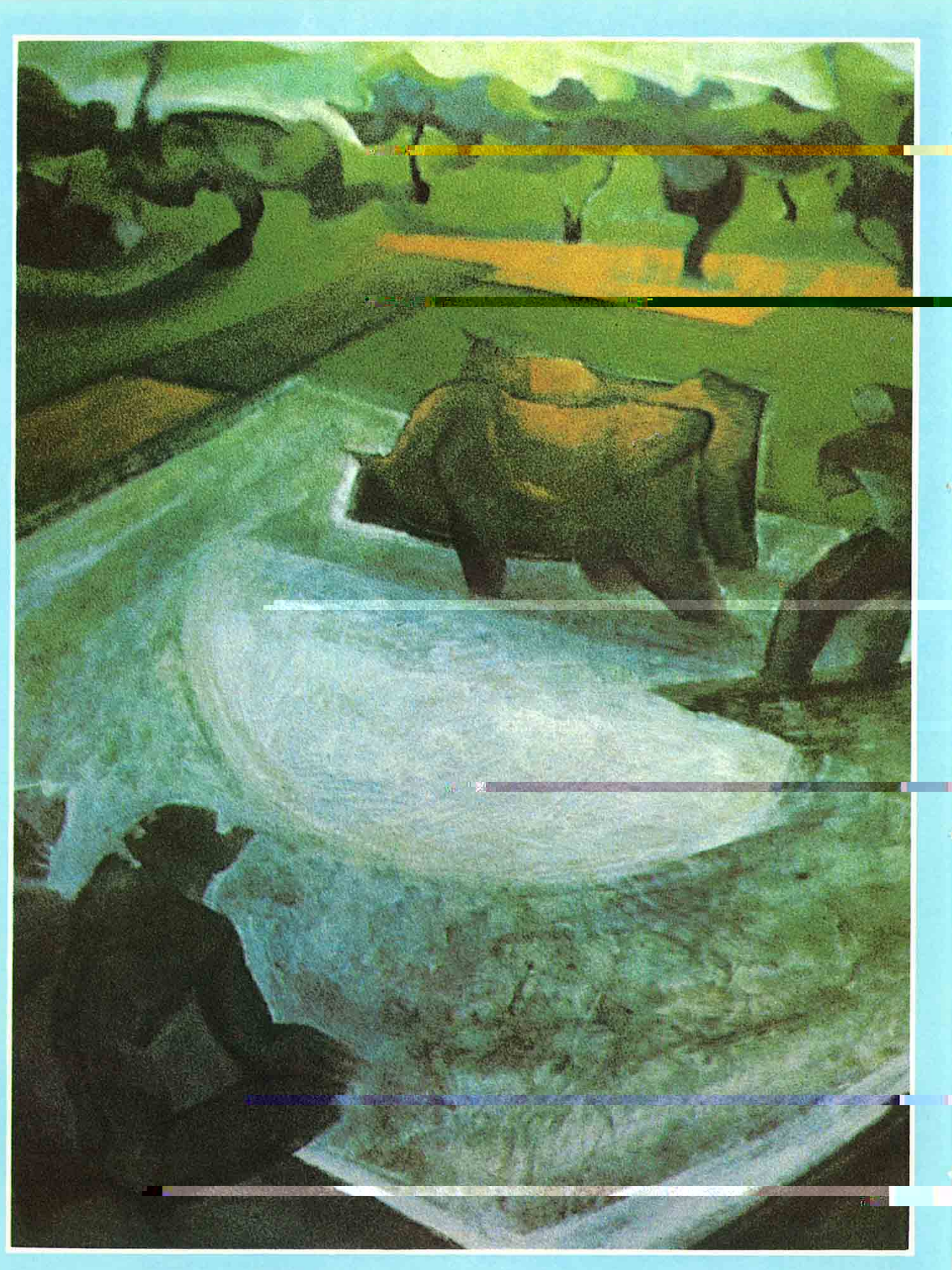
● اشترك في معرض الفنانين الشبان الدارسين بروما عام ١٩٧٦م. كما اشترك في معرض الفن المصري المعاصر بإيطاليا، ومعرض الفن المصري المعاصر بإسبانيا، ورومانيا عام ١٩٧٨م.

● أقام معرضاً خاصاً بالمركز الثقافي الألماني بالإسكندرية عام ١٩٨٠م.

● اشترك في معرض بينالي الإسكندرية الثالث عشر، كما اشترك في معرض فناني الإسكندرية من مواليد الأربعينات عام ١٩٨٠م.

● حصل على العديد من الجوائز، وله تقنيات خاصة.





قال تعالى

انفروا خفافًا وثقالًا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله .

صدق الله العظيم





إلى طريق العز والكرامة ... ولتكن رمز الفداء .

أخي الشاب السعودي الجسور إذا كنت من حملة الكفاءة المتوسطة أو مايعادلها أو معيد الكفاءة المتوسطة .. بادر بالإنضمام لطيران الجيش بالقوات البرية السعودية .. الذي سيتيح لك فرصة الإلتحاق بمعهد الدراسات الفنية بالظهران لدراسة صيانة الطائرات وستتاح الفرصة للإبتعاث إلى أمريكا بعد إكمال اللغة الانجليزية بنجاح للتخصص في صيانة الطائرات العمودية والمعدات المتعلقة بها .

شروط الإلتحاق :

١. الا تقل سنه عن ١٧ سنة ولا تزيد عن ٢٤ سنة .
٢. الا يكون متزوجاً .
٣. ان يكون سعودي الجنسية بموجب حفيظة نفوس أو شهادة ميلاد أو حفيظة نفوس والده .
٤. ان يجتاز الفحص الطبي بالمركز الطبي بالظهران .
٥. ان يكون حاملاً للكفاءة المتوسطة أو معيد الكفاءة أو ناجح في سنة ثانية متوسطة .
٦. ان يكون حسن السيرة والسلوك ولم يسبق أن صدر بحقه حد شرعي .

المميزات خلال الدراسة :

١. مكافأة شهرية مقدارها ٧٥٠ . ريالاً لحملة الكفاءة المتوسطة .
٢. مكافأة شهرية مقدارها ٦٢٥ . ريالاً لحملة الثانية المتوسطة .
٣. ملابس وسكن واعاشة على حساب الدولة .
٤. اجازة لمدة ٩٠. أسابيع في السنة ٥٠. أسابيع اجازة سنوية تضاف إليها اجازة عيد الفطر .
أ ـ أسبوعان إجازة عيد الفطر ب ـ أسبوعان اجازة الربيع .
٥. مدة الدراسة سنتان وشهرين فقط ـ المدة حسب تفوق الطالب دراسيًا .
٦. ينطبق على الطالب التابع لطيران الجيش أثناء الدراسة بالمعهد الفني ما ينطبق على طلبة القوات الجوية من حيث الرتبة والراتب والمميزات الاخرى .

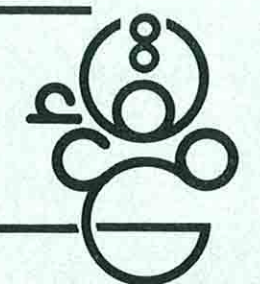
المميزات بعد التخرج :

١. يعين برتبة وكيل رقيب فني براتب شهري يصل إلى أكثر من ٥٤٥٠ . ريالاً مع علاوة سنوية مقدارها ١٥٤. ريالاً .
٢. جوائز تقديرية للأوائل والمجتهدين .
٣. يمكنك طيران الجيش من التحدث باللغة الانجليزية بطلاقة في فترة وجيزة والحصول على مهنة فنية تفتخر بها طول حياتك وتضمن لك راتباً مغرياً يساعدك على مستوى معيشي رفيع .
٤. السكن المريح حسب ما هو متوفر لدى القوات البرية .
٥. يعتبر المتخرجون الأوائل كفنيين في طيران الجيش من الكوادر الفنية القيادية في المستقبل .
٦. الشهادة التي يحصل عليها الطالب بعد التخرج تعادل شهادة الثانوية العامة



أخي الشاب إذا كنت تجد في نفسك الكفاءة ، سارع واتصل بمكاتب التجنيد في الرياض ـ قيادة طيران الجيش بوزارة الدفاع والطيران ـ ت : ٤٧٨٥٩٠٠ توصيلة : ٣١٣٦ ـ ٣٠٧٨ ـ ٤٧٠٨ أو مكتب التجنيد ت ٤٦٤٩٢٧٨ ـ منطقة الطائف : سنترال ٢٧٢٦٠٧٤٥ / ٢٧٣٦٠٧٤٦ . توصيلة ١١٧ / ١١٩ ـ منطقة تبوك : سنترال ٤٤٢٢٠٠١ . داخلي ١٦١٨ ـ المدينة المنورة : مكتب التجنيد ٨٢٣٢٥٤٩ داخلي ٢١٤ . ـ قيادة منطقة جده : ت ٦٤٢٨١١١ / ٦٤٢٩١١١ داخلي ٢٦١٨٥ ـ الظهران : معهد الدراسات الفنية ت ٨٧٩٢٨٠٩ .







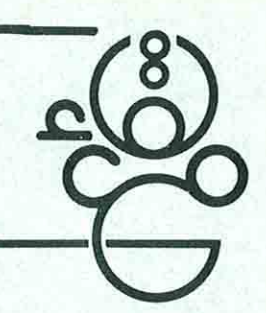
الدكتور
محمد مصطفى
هدارة

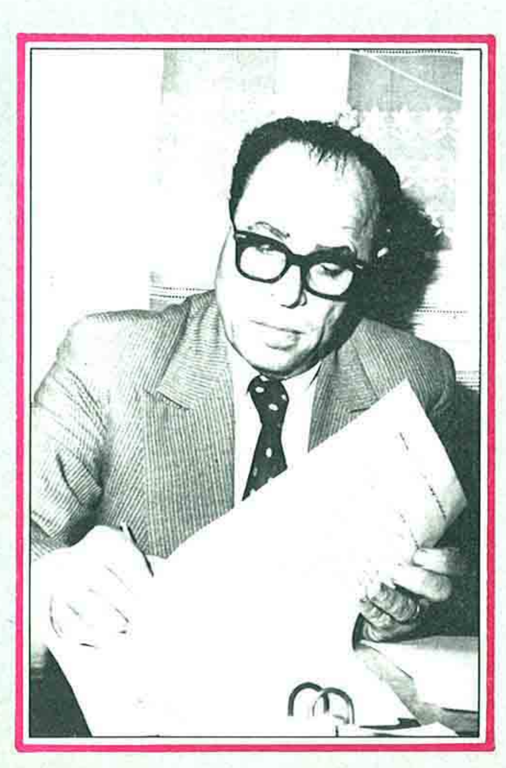
الأدب والنقد

أجراه :
مصطفى عبد الله









★ د. محمد مصطفى هدارة ★

منهج الدراسات الأدبية

●● ما المنهج الأدبي الذي تصطنعه في دراستك من (اتجاهات الشعر في القرن الثاني) وحتى (مقالات في النقد الأدبي)؟

● «منهجي في الدراسة الأدبية يعتمد على **تحليل النصوص تحليلاً موضوعياً وفنياً**، واستخلاص النتائج المختلفة من هذا التحليل، كما يعتمد على **تحليل الظواهر الفنية الخاصة** من خلال منظور شامل للعصر بكل اتجاهاته، وذلك حتى تستبين لنا الظواهر الفردية من الظواهر العامة، **كذلك أهتم في**



منهج الدراسة الأدبية بالشكل والمضمون معاً .

أما في **منهجي النقدي** فأنا أومن بالمنهج النقدي المتكامل الذي يهتم بالنص أكثر من الاهتمام بصاحبه ، والذي لا يغفل الجانب النفسي أو الجمالي أو أية ناحية تعين الناقد على حسن تقويم النص وتذوقه وحسن تمثله .

وهذا المنهج لا يعرف المجاملة أو الالتواء إن كان بصدد الحكم أو تسجيل النتائج وإن كان يهدف في جملته إلى التفسير والتحليل وتسجيل مظاهر التجاوب الفكري » .

الأساتذة .. والزملاء

●● من هم أساتذتك وزملاؤك ؟

● « أساتذتي الذين أعتز بهم كثيرون وأولهم الكتاب الذي عشقته منذ فجر الصبا ، وعلمني الكثير ، وأخص من أساتذتي الذين أثروا في تكويني مدرس اللغة العربية في العباسية الثانوية المرحوم **الأستاذ أحمد الشبيني** الذي لقيت منه كل تشجيع ، وكان منفتحاً على الأدب الغربي ، وأستاذي **محمود محمد شاكر** الذي ترددت على مجلسه منذ ثلاثين سنة وكان آية في سعة العلم بالأدب وفي القدرة على فهم النصوص وتذوقها واستخلاص النتائج منها ، وأستاذي **محمد خلف الله أحمد** بأناقة تعبيره وبراعة منهجه في الغوص على عناصر الجمال وإدراك المؤثرات النفسية ، وأستاذي **الدكتور طه الحاجري** بقوة استيعابه ودقة منهجه في التحقيق ، **والدكتور محمد محمد حسين** في ولعه بالنص وخوضه تجربة فنية كاملة في تحليله . وكنت قريباً في أثناء عملي بالجامعة العربية من المرحوم **الدكتور طه حسين** خمس سنوات كاملة راعني فيها بسعة الأفق ، وحرية الرأي ، والقدرة الهائلة على التذوق ، وبراعة الأسلوب ، على الرغم من الاختلاف بيننا في وجهات النظر ، وقد زاملت في الدراسة .أو في العمل أو في محيط الجامعة وميدان الأدب زملاء كثيرين أعتز بهم جميعاً ويمكن القول إن نسبة كبيرة من العاملين في مجال الدراسات الأدبية في الجامعات وخارجها في مصر والعالم العربي كله زملاء تربطني بهم أواصر صداقة ، بل وشائج قربى » .

> **حان الوقت لكي نقول بشجاعة إن الأدباء الكبار في عالمنا العربي لم يعد لديهم جديد يقولونه ، ولعل هذا من أهم أسباب أزمة الإبداع الأدبي عندنا اليوم .**

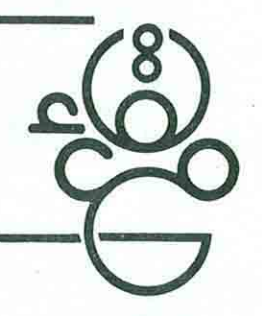
●● ما أحدث مؤلفاتك الأدبية والأكاديمية التي صدرت والتي ستصدر في القريب ؟

● « أحدث ما كتبت فصل طويل عن الشعر العربي عبر العصور كتبته **لموسوعة الحضارة العربية** التي تقوم بنشرها **المؤسسة العربية للدراسات والنشر** ، كذلك أعددت للطبع بالاشتراك مع صديقي **الدكتور شكري عياد** كتابين : أولهما التعريف بالفنون الأدبية ، والآخر التعريف بالبلاغة ، وقد اصطنعنا فيهما منهجاً جديداً يربط القديم بالحديث ، والعربي بالأوروبي ، وأودعناهما خلاصة تجاربنا في التدريس ، كذلك أعددت للنشر تحقيق كتاب (**نهاية الإيجاز في دراسة الإعجاز**) **للفخر الرازي** ، وأنا الآن أقوم باستكمال بحث بدأت فيه منذ مدة عن اتجاهات القصة السودانية ، كما يشغل وقتي كله الإعداد لحلقات جديدة في تاريخ الأدب العربي على نسق (**اتجاهات الشعر في القرن الثاني**) وسأبدأ بالشعر الجاهلي بإذن الله » .

دور الجامعات ثقافياً

●● دور الجامعة في الحياة الثقافية هام للغاية ، فماذا عن دور جامعة الإسكندرية في الحياة الثقافية السكندرية ؟

● « تقوم جامعة الإسكندرية بدورها الطبيعي في مجال الحياة الثقافية العامة في الإسكندرية ، فإلى جانب ما تقيمه من ندوات ثقافية ومحاضرات عامة في داخل جدران الجامعة ، يقبل عليها جمهور الناس ويشترك فيها صفوة الأدباء والشعراء في الإسكندرية والأعلام البارزون في القاهرة أو من جامعات أجنبية .



ينتشر أساتذة الجامعة في النوادي الثقافية ويشاركون في الندوات أو في إلقاء المحاضرات وأنوه في هذا المقام باستضافتنا **ندوة طه حسين** هذا العام ، ومشاركتنا مع قصور الثقافة في تقديم عرض ثقافي مشرف ، كما أنوه بمحاضرات (**جامعة الهواء**) التي تذيعها جامعة الإسكندرية على الطلبة المنتسبين فصارت وسيلة سهلة للتثقيف بالنسبة للمواطنين العادين » .

تاريخ جامعة الإسكندرية

●● سمعنا عن مشروع تاريخ جامعة الإسكندرية الذي تقوم الجامعة بإنجازه الآن، فهل من تفصيلات عن هذا المشروع ؟

● « تفكر جامعة الإسكندرية في إعداد كتاب عن تاريخها ومراحل تطورها منذ إنشائها عام ١٩٤٢م ، حتى الآن وقد تم تأليف لجنة لهذا الغرض سوف تشرع في فحص الملفات والأوراق الرسمية الخاصة بالجامعة ، وسوف نقابل كبار الشخصيات ممن كانوا يعملون بالجامعة وصحبوها منذ إنشائها ، وذلك لتسجيل ذكرياتهم ومعرفة الحقائق التي لا تتضمنها الوثائق ، ومن دواعي سروري أن أشارك في أعمال هذه اللجنة ، **وحبذا لو قامت كل الجامعات العربية بمثل هذا العمل لتأريخ تطور التعليم الجامعي في العالم العربي** » .

عودة جماعة أبولو

●● ما رأيكم في عودة جماعة أبولو وأنتم أحد الأعضاء المؤسسين فيها ؟

● « قامت **جماعة أبولو** بدور أدبي رائد حرك وجدان العالم العربي واتسع لتجارب متعددة جمعت بين القديم والجديد ، ولكن الجديد كان أحلى صوتاً وأجمل رنيناً في الأسماع والقلوب ، وقد انبعثت مزاهر **الرومانسية** الغالبة على اتجاه أبولو بأرق الأنغام التي استجابت لها عواطف الناس في كل مكان ، وحين تعود أبولو من جديد بعد تصرم السنين وتطور الأفكار ، والقفزة الهائلة في التغير الاجتماعي والثقافي في العالم العربي ، يكون ذلك حدثاً جديداً مؤثراً ، وقد صادف وقته تماماً لعدة أسباب ، **أولها** كسر رتابة الحياة الثقافية ، **وثانيها** إتاحة الجو الثقافي الملائم للشباب للتعبير عن نفوسهم وتجاربهم في وجود ريادة واعية ، **وثالثها** تنظيم التجارب الشعرية الجديدة التي تلهث وراء كل جديد بإعطائها مضموناً حقيقياً وعمقاً فكرياً ، **ورابعها** أن معظم الشعراء في العالم بعد أن طوفوا بالعديد من المذاهب الأدبية عادوا مرة أخرى يحلقون في سماء الرومانسية التي تجعل الإنسان وعواطفه محوراً لها ، ولهذا كله لم أتردد في الدعوة لإعادة أبولو إلى الوجود عندما أثار الفكرة إخوة كرام أعتز برأيهم من أمثال **الدكتور مختار الوكيل ، والدكتور محمد عبد المنعم خفاجي** » .

الإبداع .. والنقد

●● ما رأيك في حركة الإبداع وحركة النقد المواكبة له في هذه الأيام ؟

● « حركة الإبداع في عالمنا العربي يعتورها قدر غير قليل من القصور والعجز لأن أدباءنا الكبار لم يعد لديهم شيء جديد يقدمونه ، أما أدباء الشباب فتتقاذفهم التجارب الأدبية الجديدة المتعارضة ، وتمزقهم الاتجاهات السياسية المصاحبة لهذه التجارب عادة ، وليس لديهم القدرة على النفاذ للمضمون وتمثل أي تجربة تمثلاً حقيقياً بحيث يبدعون منها تجربة خاصة بهم ، ومن واقع مجتمعنا وقضايانا وبيئتنا .

وحركة النقد عندنا شبه مشلولة لانصراف النقاد الكبار عن متابعة الإنتاج الأدبي الجديد إما لعدم تذوقهم لهذا الجديد ، أو لإحساسهم بفجاجة التجربة الفنية فيه ، وإما إيثاراً للعافية بعد أن خضعت المذاهب الأدبية للاتجاهات السياسية .

ولا شك أن ضغط الحياة المادية على الأدباء والنقاد معاً ، وعدم وجود المناخ الفكري الملائم من الأسباب التي تبرر هذا القصور والعجز اللذين أشرت إليهما بالنسبة لحركة الإبداع والنقد على السواء وكذلك كان غياب المجلات الأدبية المتخصصة من عوامل هذا العجز . ولم تغن الإذاعة ولا التليفزيون في دفع حركة الإبداع أو حركة النقد لقصور مجاليهما عن ذلك ، واقتصار البرامج الثقافية على أصوات ووجوه معينة لا يعد أصحابها من ذوي الإبداع الحقيقي لا في الأدب ولا في النقد ، فالأمور في



ذلك خاضعة للمجاملة والملق » .

دور الترجمة

●● ترجمة الأدب من وإلى لغتنا العربية هل أدت دورها ؟

● « في مطلع النهضة الأدبية الحديثة ظهرت ترجمات أدبية لروائع الفكر الغربي كان لها أثر كبير في تعبيد الطريق لأدبائنا في اتجاههم في الثقافة الغربية للنهل منها ، وكانت هذه الترجمات تتم بجهود فردية مخلصة في عملها ، ثم صارت الترجمة مسؤولية الهيئات الحكومية ، فظهرت ترجمات فيها الغث والسمين ، والصحيح والسقيم ، وقل الشيء نفسه عن الترجمة من العربية إلى اللغات الأجنبية التي اقتصرت على بعض القصص لكبار الكتاب ـ فيما أعلم ـ ولم يتحقق لها أسباب الرواج في العالم الخارجي لأسباب كثيرة **ويكفي أن أقول إن الترجمة فن لا يتقنه إلا من أتقن اللغتين : هذه التي ينقل منها ، وتلك التي ينقل إليها ، مع بصره الجيد بمضمون ما ينقله .** وهذه القواعد الضرورية سبق **للجاحظ** أن اكتشفها في خلال حديثه عن الترجمة في العصر العباسي ولكننا ـ وهذا أمر مؤسف ـ كثيراً ما نخرج على هذه القواعد فيما نعهد به من كتب للترجمة ، إلى جانب تدخل العوامل الشخصية في اختيار الكتب نفسها التي نرشحها للترجمة » .

التراث في الوقت الحاضر

●● تراثنا العربي كيف السبيل إلى جعله يحتل مساحة عريضة من اهتمامنا في الوقت الحاضر ؟

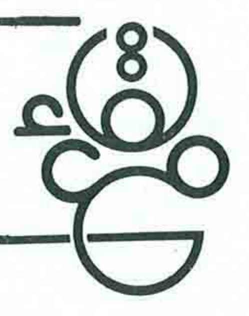
● « هذا السؤال على جانب كبير من الأهمية ، وخاصة في ظروفنا الحاضرة التي تحاصرنا فيها الدعوة إلى الانقطاع عن التراث من جانب أصحاب الأيديولوجيات الخاصة ، **والأمة التي تنقطع عن تراثها تفقد معنى حاضرها ومستقبلها . والتراث الفكري للأمة العربية تراث مجيد له دور إبداعي في الفكر الإنساني كله ، ودوره لا يقل عن دور التراث اليوناني أو الروماني الذي قامت على أساسه النهضة الأوروبية بل الغربية بصفة عامة** ، ولا يزال الغرب يتعبده ، فلماذا نهمل تراثنا أو ننقطع عنه بدعوى التقدمية والتحضر .

والسبيل إلى جعل هذا التراث يحتل مساحة عريضة من اهتمامنا أن نقدم فيه جوانب مضيئة في المجالات المختلفة لطلابنا منذ بدء رحلة حياتهم التعليمية ، لكي تتشربه نفوسهم ويتغذى به وجدانهم ، أما أن ننفرهم منه بتقديم نماذج أدبية على سبيل المثال أسيء اختيارها لبعدها عن مدارك الطلبة وواقعهم فهو تشويه متعمد للتراث ، ومحاولة لبث كراهيته في نفوس الأجيال الجديدة ، **وتقتضي خدمتنا للتراث أن نظهر روائعه في طبعات رخيصة الثمن جيدة الإخراج** ، محذوفة منها أسانيد الروايات التي لا تهم القارئ العادي ، مع تحليل النصوص وضبطها وشرحها » .

علاقته بالإبداع

●● مارست الإبداع وقدمت لنا قصة تاريخية بعنوان (المنصورة) فلماذا لم تستمر في هذا الاتجاه ولماذا انصرفت عنه ؟

● « كان ذلك منذ عهد بعيد حين كتبت قصة (المنصورة) التاريخية التي نالت جائزة **المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب** ، والحقيقة أنني أمارس الإبداع في **الشعر والقصة** ، ولي قصائد منشورة قديماً في **مجلة الثقافة** ، أما **القصص** فقد كتبت هذه الرواية التاريخية التي طبعت عدة مرات ، واختارتها **وزارة التربية والتعليم** بضع





سنوات للقراءة الخارجية ، وكتبت عدداً من القصص القصيرة نشرت في مجلات مختلفة ، وأذيع بعضها في إذاعات عربية ، ولا شك أن اهتمام الأستاذ الجامعي بالبحث العلمي وإثقاله بالمحاضرات والإشراف على الرسائل إلى جانب الأعمال الإدارية الأخرى يعتصر قوة الإبداع لديه ، ذلك الإبداع الذي لا تكفي فيه الموهبة أبداً ، بل لا بد له من الاستمرار في ممارسته . وكل ما أرجوه أن يتاح لي شيء من الفراغ لأنطلق في مجالات الإبداع التي أعشقها وأعتقد أنني أستطيع أن أقدم فيها جديداً » .

الناقد .. والمبدع

●● النقد والإبداع يتجهان بنا نحو سؤال ملح وهو : هل هناك عقلية ناقدة وأخرى مبدعة بالفطرة ؟ وهل يعتبر الناقد مبدعاً من الدرجة الثانية ؟ وهل يؤثر النقد على اتجاه تفكير الإنسان فيوجهه في خط مضاد للإبداع ؟

● « لا أشك قط في أن النقد موهبة إلى جانب كونه دراسة وممارسة ، ويخطئ كثيرون في اعتبار النقد عملية آلية منفصلة عن الإبداع . **إن النقد الأدبي بالمفهوم الحقيقي له إبداع في حد ذاته ، على الرغم من أنه عمل لاحق بالإبداع الأدبي** ، كذلك يخطئ الذين يظنون أن الناقد مبدع من الدرجة الثانية ، بل يحلو لبعض الأدباء أن يسموا النقاد « المبدعين الفاشلين » . ولتفسير العلاقة بين المبدع والناقد أود أن أطرح سؤالاً وهو : **هل يمكن لأي مبدع عبقري أن يمارس النقد ؟** والجواب عن ذلك بالنفي مما يدل على أن الإبداع الفني شيء مختلف عن النقد . ولو عكسنا السؤال لكان الجواب بالنفي أيضاً ، فالناقد مهما تكن عبقريته لا يستطيع أن يكون مبدعاً في الفن الذي ينقده ، **فالمجالان إذن على الرغم من تلازمهما منفصلان .**

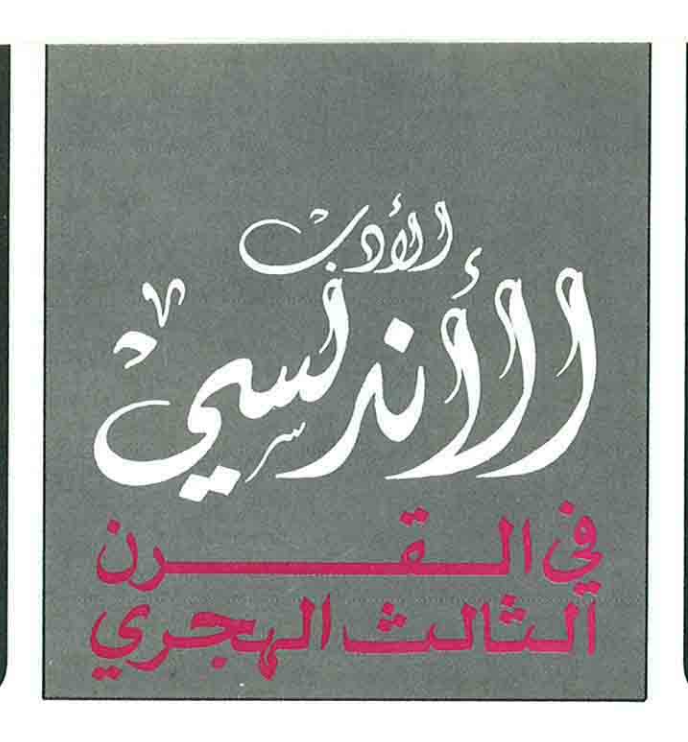
أما أن يكون النقد إبداعاً فأعني ذلك تماماً ، لأن النقد ليس حكماً على نص بالصواب أو الخطأ ، ولكن النقد الحقيقي معاناة جديدة في داخل النص ، وفي داخل سراديب عقل المبدع ، واكتشاف جديد لعالم مجهول ، ودراسة تحليلية للعناصر الإبداعية في العمل الأدبي ، أشك كثيراً في موافقة المبدع على نتائجها ، بل ربما لم تخطر له على بال تلك المعاني والمضامين التي يستخرجها الناقد » .

الشعر .. والشعراء

●● من هم أقرب شعراء كل عصر إليك وما رأيك في الصيحات الجديدة في عالم الشعر ؟

● « لكل شاعر عالمه الخاص به ، وكل قارئ للشعر له عالمه أيضاً ، ويستهويني من الشاعر مواقف معينة فكرية أو جمالية أن عاطفية تنسجم مع عالمي الذاتي وشخصيتي .

ولهذا تجدني لا أفضل شاعراً على آخر إلا بقدر ما أجد للشاعر من شعر يعبر به عن تلك المواقف الفكرية أو النفسية التي تستهويني مع صدقه الفني وبراعة تعبيره ، وروعة خياله ، ومصداقاً لهذه الفكرة تراني أعجب في بعض المواقف بشاعر **كالمتنبي** أو **أبي العلاء** ، وفي مواقف أخرى أضيق بشعرهما ، وكذلك الحال مع الشعراء الكبار منذ العصر الجاهلي حتى العصر الحديث . **أما الصيحات الجديدة في عالم الشعر فوقفي منها بالتأكيد ليس الرفض على إطلاقه ، فأنا أرحب بكل جديد ولكن بشرط أن يحس الشاعر إحساساً قوياً في فكره ووجدانه وألا يكون موقفه منه ببغاوياً لا يفقه ما ينطق به** ، ومن المؤسف أن الصيحات الجديدة في عالم الشعر تبدو وكأنها خواطر معتوه حيث يعرض الشاعر خواطر عقله الباطن متخفياً برداء السريالية ، فلا تفرق عندئذ بين عبث الأطفال وحكمة الكبار ، وتتغلب الفوضوية على العقل والنظام فإذا أبديت عجزك عن الفهم ، قيل لك إنها الرؤيدية والمستقبلية إلى غير ذلك من مصطلحات تنتهي كلها إلى وسم القارئ بالجهل والتخلف والجمود » .



إن الأدب الأندلسي في هذا القرن هو امتداد طبيعي للأدب في القرن الثاني من حيث موضوعاته أو [illegible] ولا سيما من حيث ارتباطه بتطور الحركة الأدبية في المشرق . إذ يلاحظ بوضوح تأثير أشعار المولدين والمحدثين من الشعراء ليس في موضوعات الأدب الأندلسي في هذا القرن فحسب ، بل في أشكاله وتعابيره ، دون أن يعني ذلك أنه غير مرتبط بوطنه وأرضه أو أنه لا يتمتع ببعض الصفات التي تميّزه شكلاً ومضموناً .

بقلم: د. محمد جليل مصطفى

ومعلوماتنا عن هذا القرن رغم قلّتها أيضاً أكثر بكثير مما لدينا عن سابقه فقد وردت أسماء العديدين من أدباء هذه الفترة في كتب التاريخ والتراجم ، كما انتشرت هنا وهناك نماذج مختلفة لإنتاجهم الأدبي ، كان بعضهم صلة الوصل بين القرنين مثل **أبي المعري عباس بن ناصح الثقفي**[1] من أهل الجزيرة الخضراء ، **والشاعرة حسانة التميمية**[2] **بنت أبي الحسين الشاعر من أهل البيرة** ، اللذين نبغا في زمن **الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل** ، أما الآخرون فقد برزوا على وجه الخصوص في زمن حكم **الأمير عبد الرحمن الثاني** (الأوسط) (٢٠٦ ـ ٢٣٨ هـ) (٨٢٢ ـ ٨٥٢ م) وابنه محمد (٢٣٨ ـ ٢٧٣ هـ) (٨٥٢ ـ ٨٨٦ م) ، حيث أخذت الشخصية الأندلسية بالنضوج وقطع التقدم الحضاري شوطاً بعيداً ، واستطاعت الدولة الأموية في الأندلس أن تقف في وجه الزعازع والعواصف التي هبت عليها من الداخل والخارج بفضل حزم **الأمير عبد الرحمن الأوسط** وعزمه . كما انفتحت الأندلس في هذه الفترة على مصراعيها للتيارات الحضارية المزدهرة التي كانت تتدفق من المشرق وعاصمته بغداد ، واستطاعت أن تهضمها وتقوم بدورها في تطوير الحضارة العربية الإسلامية ، فظهر فيها أوائل الفلاسفة **كمحمد بن مسرة** ، والمؤرخين **كعبد الملك بن حبيب** وغير قليل من علماء اللغة والأدب والشعراء والكتّاب .

وكما هو المنتظر فقد تأثر الأدب الأندلسي في هذه الفترة باتجاهات الشعراء المحدثين والمولّدين في المشرق ، كما عانى من الصراع بين القديم والجديد .

وقد برزت أسماء كثيرة ولا سيما في زمن عبد الرحمن الأوسط ابن الحكم ، لعل أسطعها أسماء **عبد الله بن الشمر والغزال ومأمون بن سعيد وعباس بن فرناس والعتبي وسعيد بن جودي** . . . وسنكتفي بالتعرض لشاعرين من هذه الفترة يمكن أن يقدما لنا نموذجاً لشعراء هذا العصر .

عبد الله القرطبي

هو عبد الله بن الشمر بن نمير القرطبي ، شاعر عبد الرحمن الثاني ونديمه ومنجّمه[3] بل إنه كان على رأي الحجاري رئيس المنجّمين في الأندلس ، ويروي عنه **ابن حيان** قصصاً تؤيد كفايته في التنجيم ويقول : « إن الأمير عبد الرحمن كان مصغياً لأحكام التنجيم ولم يكن عنده من المنجمين مثل ابن الشمر »[4] . وعلى كل حال فما يهمنا منه هو مقدرته الشعرية ومنزلته الأدبية ، والأبيات القليلة التي ينقلها مؤرخو الأدب تدل دون شك على باع طويل في الشعر ومقدرة فائقة في النظم ، قال مرة وقد أرق عبد الرحمن الثاني في بعض الليالي حين كان في غزوة في بلاد جليقية ، فحضر الشاعر فوصف الأمير أرقه وأنه تذكر بعض من حن إليه[5] فقال ابن الشمر على لسان الأمير :



عَداني عنك قرار العِدى
وقَودي إليهم هاماً مَهَيبا

وكم قد تَعَسَّفْتُ من سَبْسَب
ولاقيت بعد دؤوب دؤوبا

وأدرع النَقْع حتى لَبِسْتُ
من بعد نظرة وجهي شُحُوبا

ألاقي بوجهي سُموم الهجير
وقد كاد منه الحصى أن يذوبا

أنا ابن الهشاميَيْن من غالب
أشب حروباً وأطفي كروبا

بي ادارك الله دين الهدى
فأحْيَيْتُه واصْطَلَيت الصليبا

سَمَوت إلى الشرك في جَحْفَل
ملأت الحزون به والسُهوبا

وفضلاً عن دلالة هذه الأبيات على مقدرة ابن الشمر الشعرية فإنها تدل على صلته المتينة بالأمير وعلاقته القوية به ، ولا شك أنه كانت لهذه الصلة أكبر الأثر في حياته إذ إنها وجهته في الطريق الذي وضعته الأرستقراطية الحاكمة للشعر ، فكان يستجيب لرغباتها ويسد حاجاتها وما الأبيات التي مر ذكرها إلا مثال واضح على ما نقوله .

ولقد مدحه ابن حيان كثيراً فقال عنه إنه نسيج وحده مجموعاً من الخصال النبيلة ما فرق في عمره من جميع التعاليم والأدب والشعر والنثر ، وكان لطيفاً حلواً يغلب على قلب شاهده[٦] . وقال عنه **الحجازي** إن الله حباه بحسن الخلال التي بأقلها يبلغ الكمال[٧] .

ويذكر المؤرخون أن علاقته بالأمير عبد الرحمن الثاني قد بدأت قبل توليه الحكم وأنه هو الذي بشّره بأن الأمر سيصير إليه ، فلما كان ذلك أحسن جزاءه وأجرى عليه رزقاً للشعر ورزقاً للتنجيم[٨] . فكان يلازمه في حروبه كما رأينا كما كان يلازمه عند خروجه للصيد ، فقد ذكر **الرازي** أنه خرج مرة مع الأمير عبد الرحمن لصيد **الغرانيق** (وهي طيور مائية سوداء وقيل بيضاء ، مفردها غرنوق) وكان الأمير مولعاً بها في فصل الشتاء فأبعد ، فقال ابن الشمر :

ليت شعري أمن حديد خلقنا
أم نُحتْنا من صخرة صَمَّاء

كل عام في الصيف نحن غُزاة
والغرانيق غزونا في الشتاء

إذ نرى الأرض والجليد عليها
واقع مثل شقة بيضاء

وكأن الأنوف تجدع منا
بالمواسي لزعزع ورخاء

نَطْلب الموت والهلاك بالحا
ح كأنا نشتاق وقت الفَناء

ويبدو أن علاقته ساءت بالفتى نصر حاجب الأمير وقائده فامتنع من زيارة عبد الرحمن خوفاً منه حتى إذا هلك نصر بعد خيانته للأمير . قال عبد الله بن الشمر :

لئن غاب وجهي عنك إن مودتي
لشاهدة في كل يوم تُسلِّم

وما عاقني إلا عدو مسلَّط
يذل ويُشجي من يشاء ويرغم

ولم يستطل إلا بكم وبعزكم
وما ينبغي أن يمنح العز مُجْرِم

فنحمد ربًّا سرنا بهلاكه
فما زال بالإحسان والطول يُنْعم

بل إنها ساءت لحد أدى به إلى السجن فكان أن استعمل سلاحه الوحيد لينقذ نفسه من السجن ، وهو شعره . ولم يصلنا مما قاله سوى هذين البيتين :

قل لمن أمسى بأرض الغَر
ب للخلق ربيعا

لا يضيق لي منك ما قد
وسع الناس جميعا

هذه هي أهم الأخبار التي وردتنا عن الشاعر عبد الله بن الشمر بن نمير القرطبي وهي في الوقت التي تدل على أنه كان شاعراً مبرزاً من شعراء عصره تؤكد ما قلناه سابقاً من أنه كان سائراً على الأساليب العربية السائدة في المشرق وأنه يكون جزءً من الأدب العربي وإن كان قد استوحى موضوعاته الشعرية مما يحيط به من ظروف .

يحيى الغزال

قد يكون الغزال أشهر شعراء القرن الثالث الأندلسيين وأكثرهم تمثيلاً للروح الأندلسية وللاتجاه الأدبي العربي الذي سبق الحديث عنه . على أن قلة ما لدينا من أشعاره يجعل اطلاعنا على إنتاجه الأدبي وتفهمنا له محدوداً جداً . وقد رأيت **الأستاذين ليفي بروفنسال ، وكارثيا كوميت** يهيئان مجموعاً من شعره للطبع ، ولا أدري ما تم من جهودهما ، لذا فلا بد من الاعتماد على ما بين أيدينا من مصادر ليس غير .

نعرف أن اسم الشاعر **يحيى بن الحكم وأنه لقب بالغزال لجمال وجهه وأنه ينتسب إلى القبيلة العربية المعروفة بكر بن وائل كما يلقب بالجياني أيضاً** نسبة إلى مدينة جيان الواقعة في جنوب غربي الأندلس . قال عنه ابن حيان في المقتبس إنه كان حكيم الأندلس وشاعرها وعرّافها[٩] . ويقول إنه لحق أعصار خمسة من الأمراء أولهم **عبد الرحمن بن معاوية** وآخرهم الأمير **محمد بن عبد الرحمن الثاني** (أي عبد الرحمن الأول وهشام والحكم وعبد الرحمن الثاني ومحمد) ، وأنه بلغ الرابعة والتسعين من العمر[١٠] إلا أن الغزال نفسه قال في إحدى قصائده مشيراً إلى سنّه :

وما لي لا أبلى لتسعين حجَّة
وسبْع أتَت من بعدها سَنَتان[١١]

أي أنه نظم هذه الأبيات وسنّه تسع وتسعون سنة فلا بد أن يكون قد مات بعد ذلك ويذكر ابن حيان أنه مات في حدود المائتين والخمسين

للهجرة[١٢] . فلا بد إذن أن يكون قد ولد في حدود المائة والخمسين للهجرة . وقد كان مقرباً على وجه الخصوص من الأمير عبد الرحمن الثاني الذي تولى الحكم منذ عام ٢٠٦ هـ ، حتى عام ٢٣٨ هـ . ويبدو أنه احتل بعض المناصب الهامة في زمانه فقد ولاه الأمير قبض الأعشار واختزانها في الأهراء ، وكان توسل إليه بمديح مدحه به . ويذكر المؤرخون أن الطعام نفق في ذلك العام وسما السعر بالقحط سمواً كبيراً فوضع يده في البيع حتى أتى على ما كان عنده في الأهراء . ثم إنه نزل الغيث ورخص الطعام ، فأعلم السلطان بما صنع الغزال من البيع فأنكره وقال : « إنما تعد الأعشار لنفقات الجند والحاجة إليها في الجهد فماذا صنع الخبيث خذوه بأداء ما باع من أثمانها ، واشتروا به طعاماً وأصرفوه في الأهراء إلى وقت الحاجة إليه » . فلما طلب منه ثمن ما باع ، أبى من ذلك وقال إنما أشتري لكم من الطعام عدد ما بعت من الأهراء ، وبين العددين بون كثير ، نحو من ثلاثين ألفاً . فأعلم السلطان بامتناعه من الأداء وما ذهب إليه من شراء مثل ما باع فأمر بحبسه ، وحمل إليه بالكبل . فسيق منها إلى قرابة وسجن بها »[١٣] . وتهمنا هذه الحكاية لأنها كانت دون شك مناسبة لإنتاج عدد من القصائد الفياضة بالعاطفة والشعور ولا سيما في السجن ، لم تردنا منها مع الأسف سوى قصيدة بائية ، يبدو أنها كانت طويلة افتتحها على عادة الشعراء العرب القدماء بالغزل فقال :

بعض تصابيك على زينب
لا خير في الصَّبوة للأشْيب
أبعد خمسين تَقَضَّيْتَها
وافية تصبو إلى الربرب
كل رجاج الردف خُمْصانة
كالمهرة الضامر لم تركب

ويقول **ابن دحية الكلبي** بعد ذكره لهذه الأبيات إن في القصيدة تشبيب كثير اختصره لطوله . بعد ذلك لنذكر جزءاً مما قاله في مدح عبد الرحمن واستعطافه :

من مبلغ عني إمام الهدى
الوارث المجد أباً عن أب
أني إذا أطنب مُدّاحه
قصدت في القول فلم أُطنب
لا فك عني الله إن لم تكن
أذكرتنا من عُمَرَ الطيِّب
وأصبح المشرق من شوقه
إليك قد حن إلى المغرب
منبره يهتف من وجده
إليك بالسهل وبالرحب
هفا به الوجد فلو منبر
طار لوافى خطفه الكوكب
إلى جميل الوجه ذي هيبة
ليست لحامي الغاية المغضب
لا يمكن الناظر من رؤية
إلا التماح الخائف المذنب

ويعجب ابن دحية بهذه الأبيات كل الإعجاب ويشير إلى أن الغزال قد سبق **البحتري** في المعنى الذي ورد في بيته الشهير في مدح المتوكل :

فلو أن مشتاقاً تكلَّف غير ما
في وسعه لسعى إليك المنبر

وإن كان فضل البحتري على الغزال أنه اختصر ما قاله هذا الأخير في ثلاثة أبيات في بيت واحد ، كما يعجب ابن دحية أيضاً بالبيتين الأخيرين ، رغم أن ما ورد فيهما من المعاني قد تردد كثيراً لدى الشعراء .

ثم يتطرق في آخر القصيدة إلى المشكلة التي قادته إلى السجن ويحاول أن يقنع الأمير ببراءته ويجلب عطفه :

إن تُرد المال فإني أمرؤ
لم أجمع المال ولم أكسب
إذا أخذت الحق مني فلا
تلتمس الربح ولا ترغب
قد أحسن الله إلينا معاً
أن كان رأس المال لم يذهب

ويقال إنه عندما قرئت هذه القصيدة للأمير عبد الرحمن أعجب بها كما أعجب بها الحاضرون وشفعوا له لدى الأمير وذكروا له عسره وقلة ماله فأمر بإطلاق سراحه .

ويبدو أن الغزال كان يتمتع بصفات شخصية جعلت الأمير عبد الرحمن يعهد إليه بعمل مهم هو السفارة بينه وبين ملك النورمانديين الذين هاجموا إشبيلية في زمن عبد الرحمن وعاثوا فساداً قبل أن يهاجمهم المسلمون ويردوهم على أعقابهم . وقد انفرد ابن دحية يذكر بعض التفاصيل عن هذه السفارة التي تهمنا لأنها كانت المناسبة التي نظم فيها الغزال جزءاً مهماً مما وردنا من شعره ، رغم أن بعض المؤرخين أنكرها وقال إن السفارة كانت في **القسطنطينية** يقول ابن دحية :

« لما وفد على السلطان عبد الرحمن رسل ملك المجوس يطلبون الصلح ، بعد خروجهم من إشبيلية وإيقاعهم بجهاتها ، ثم هزيمتهم بها وقتل قائد الأسطول فيها ، رأى أن يراجعهم بقبول ذلك . فأمر الغزال أن يمضي في رسالته مع رسل ملكهم لما كان الغزال يتمتع به من حدة الخاطر ، وبديهة الرأي وحسن الجواب ، والنجدة والإقدام ، والدخول والخروج من كل باب وصحبته **يحيى بن حبيب** . فنهض إلى مدينة شلب ، وقد أنشئ لهما مركب حسن كامل الآلة ورجع ملك المجوس على رسالته وكوفئ على هديته . ومشى رسول ملكهم في مركبهم الذي جاءوا فيه مع مركب الغزال ، فلما حاذوا الطرف الأعظم الداخل في البحر الذي هو حد الأندلس في آخر الغرب هاج عليهم البحر وعصفت بهم ريح شديدة وحصلوا في الحد الذي وصفه الغزال في قوله :

قال لي يحيى وصرنا
بين موج كالجبال
وتَولَّتْنا رياح
من دبُور وشمال
شَقَّت القِلْعَيْن وانبتَّت
عُرى تلك الحبال

وتمطَّى ملك الموت
إلينا عن حيال
فرأينا الموت رأي العين
حالا بعد حال
لم يكن للقوم فينا
يا رفيقي رأس مال

ويقول ابن دحية : إن هذه القصيدة يجول عليه رونق الانطباع وهو الغريب غير المستطاع ، والواقع أن الغزال حاول أن يرسم صورة حية متحركة للحظة الحرجة التي مرت عليه .

ويشير ابن دحية إلى أن للغزال في القصيدة أبياتاً قالها في الغزل فيها معنى انفرد وأبدع ما شاء في إبداعه وهو قوله :

وسليمي ذات زهد
في زهيد من وصال
كلما قلت صليني
خاطبَتْني بالخيال

ويقول إن هذا اختراع عجيب ومعنى غريب ، وزاد فيه بعد ذلك فقال :

والكرى قد منعته
مقلتي أخرى الليالي
وهي أدرى فلماذا
دافعتني بمُحال
أتراني اقتضيها
بعد شيئاً من نَوال ؟

ويواصل ابن دحية الحديث عن سفارة الغزال فيقول :

« ثم إن الغزال سلم من هول تلك البحار وركوب الأخطار ووصل أول بلاد المجوس إلى جزيرة من جزائرها . فأقاموا فيها أياماً وأصلحوا مراكبهم وأجموا أنفسهم وتقدم مركب المجوس إلى ملكهم فأعلمه بلحاق الرسل معهم ، فسر بذلك ، ووجه فيهم ، فمشوا إليه في مستقر ملكه ، وهي جزيرة عظيمة في البحر المحيط (يبدو أنه يقصد بريطانيا أو الدانمارك) فيها مياه مطّردة وجنات ، وبينها وبين البحر ثلاثة مجار (كذا) وهي ثلاثمائة ميل ، وفيها من المجوس ما لا يحصى عددهم . وتقرب من تلك الجزيرة جزائر صغيرة ، منها صغار وكبار أهلها كلهم مجوس ، وما يليهم من البحر أيضاً لهم مسيرة أيام ، وهم مجوس . وهم اليوم على دين النصرانية ، وقد تركوا عبادة النار ودينهم الذي كانوا عليه ورجعوا نصارى ، إلا أهل جزائر متقطعة لهم في البحر هم على دينهم الأول من عبادة النار ونكاح الأم والأخت وغير ذلك من أصناف الشنار . وهؤلاء يقاتلونهم ويسبونهم . فأمر لهم الملك بمنزل حسن من منازلهم ، وأخرج إليهم من يلقاهم واحتفل المجوس لرؤيتهم ، فرأوا العجب العجيب من أشكالهم وأزيائهم . ثم إنهم أنزلوا في كرامة وأقاموا يومهم ذلك واستدعاهم بعد يومين إلى رؤيته ، فاشترط الغزال عليه ، ألا يسجد له ، ولا يخرجهما عن شيء من سنتهما ، فأجابهما إلى ذلك ، فلما مشيا إليه قعد لهما في أحسن هيئة وأمر بالمدخل الذي يفضي إليه فضيق حتى لا يدخل عليه أحد إلا راكعاً ، فلما جاز الباب استوى واقفاً ، والملك قد أعد له واحتفل في السلاح والزينة الكاملة فما هاله ذلك ولا ذعره ، بل قام ماثلاً بين يديه فقال : « السلام عليك أيها الملك وعلى من ضمه مشهدك والتحية الكريمة لك ولا زلت تتمتع بالعز والبقاء والكرامة المفضية إليك إلى شرف الدنيا والآخرة ، المتصلة بالدوام في جوار الحي القيوم ، الذي كل شيء هالك إلا وجهه ، له الحكم وإليه المرجع . ففسر له الترجمان ما قاله فأعظم الكلام وقال : هذا حكيم من حكماء القوم وداهية من دهاتهم ، وعجب من جلوسه على الأرض وتقديمه رجليه في الدخول وقال أردنا أن نذله ، فقابل وجوهنا بنعليه ، ولولا أنه رسول لأنكرنا ذلك عليه ، ثم دفع إليه كتاب السلطان عبد الرحمن ، وقرئ عليه الكتاب وفسر له فاستحسنه وأخذه في يده فرفعه ثم وضعه في حجره ، وأمر بالهدية فـفتحت عيابها ووقف على جميع ما اشتملت عليه من الثياب والأواني فأعجب بها ، وأمر بهم فانصرفوا إلى منزلهم ووسع الجراية عليهم . وللغزال معهم مجالس مذكورة ومقاوم مشهورة في بعضها جادل علماءهم فبكتهم ، وفي بعضها ناضل شجعانهم فأثبتهم » .

ولا نريد أن نناقش هذه الرواية تاريخياً فقد يكون فيها ، ما يستحق المناقشة فما يهمنا منها في الواقع هو مبلغ تعبيرها ، عن شخصية الشاعر ومدى تأثيرها في شعره ، وينتقل ابن دحية بعد ذلك لرواية حادثة يذكر أنها حدثت للغزال مع الملكة ، فننقلها هنا كما وردت في كتاب ابن دحية لأنها كانت مناسبة لنظم بعض المقطوعات الشعرية التي وصلتنا تاركين التعليق على التفاصيل التاريخية التي يذكرها المؤلف . قال ابن دحية : ولما سمعت امرأة ملك المجوس بذكر الغزال ، وجهت فيه لتراه ، فلما دخل عليها سلم ثم شخص فيها طويلاً ، ينظرها نظر المتعجب ، فقالت لترجمانها سله عن إدمان نظره لماذا هو؟ لفرط استحسان أم لضد ذلك؟ . فقال : ما هو إلا أني لم أتوهم أن في العالم منظراً مثل هذا ، وقد رأيت عند ملكنا نساء انتخبن له من جميع الأمم ، فلم أر فيهن حسناً يشبه هذا . فقالت لترجمانها سله أجد هو أم هازل؟ . فقال لا بل مجد . فقالت له فليس في بلدهم إذن جمال . فقال الغزال. فاعرضوا عليَّ نساءكم حتى أقيسها بها . فوجهت الملكة في نساء معلومات الجمال ، فحضرن ، فصعد فيهن وصوب ثم قال فيهن جمال وليس كجمال الملكة لأن الحسن الذي لها ، والصفات المناسبة ، ليس يميزه كل أحد ، وإنما يعنى به الشعراء . وإن أحبت الملكة أن أصف حسنها وحسبها وعقلها في شعر يروى في جميع بلادنا ، فعلت ذلك . فسرّت بذلك سروراً عظيماً ، وزهيت ، وأمرت له بصلة ، فامتنع من أخذها الغزال وقال لا أفعل . فقالت للترجمان . سله لم لا يقبل صلتي . ألأنه حقرها أم لأنه حقرني؟ ، فسأله ، فقال الغزال ، إن صلتها

لجزيلة ، وإن الأخذ منا لشرف لأنها ملكة بنت ملك ، ولكن كفاني من الصلة نظري إليها ، وإقبالها عليَّ ، فحسبي بذلك صلة ، وإنما أريد أن تصلني بالوصول إليها إبداء . فلما فسر لها الترجمان كلامه ، زادت منه سروراً وعجباً ، وقالت : تحمل صلته إليه ومتى أحب أن يأتيني زائراً فلا يحجب ، وله عندي من الكرامة والرحب والسعة ، فشكرها الغزال ودعا لها وانصرف .

قال **تمام بن علقمة** ، سمعت الغزال يحدث بهذا الحديث ،فقلت له : وكان لها من الجمال بعض هذه المنزلة التي صوّرتها في نفسها . . . ؟ . فقال : وأبيك لقد كانت فيها حلاوة ولكني اجتلبت بهذا القول محبتها ، ونلت منها فوق ما أردت .

قال **تمام بن علقمة** : وأخبرني أحد أصحابه قال : أولعت زوجة ملك المجوس بالغزال فكانت لا تصبر عنه يوماً حتى يتوجّه فيه ، ويقيم عندها ويحدثها بسير الإسلام وأخبارهم وبلادهم ومن يجاورهم من الأمم ، فقلما انصرف يوماً قط من عندها إلا أتبعته هدية تلطفه بها من ثياب أو طعام أو طيب ، حتى شاع خبرها معه وأنكره أصحابه . وحذر منه الغزال ، فحذر وأغب زيارتها فباحثته عن ذلك فقال لها ما حذر منه ، فضحكت وقالت له : ليس في ديننا هذا ، ولا عندنا غيرة ، ولا نساؤنا مع رجالنا إلا باختيارهن ، تقيم المرأة معه ما أحبّت ، وتفارقه إذا كرهت . وأما عادة المجوس قبل أن يصل إليهم دين روما ، فإنه لا يمتنع أحد من النساء على أحد من الرجال إلا أن يصحب الشريفة الوضيع ، فتعير بذلك ، ويحجره عليها أهلها . فلما سمع ذلك الغزال من قولها ، انس إليه وعاد إلى استرساله :

قال تمام : **كان الغزال مع اكتهاله وسيماً ، وكان في صباه جميلاً ، ولذلك سمي بالغزال** . ومشى إلى بلاد المجوس وهو قد شارف الخمسين ، وقد وخطه الشيب ، لكنه كان مجتمع الأشد ، ضرب الجسم ، حسن الصورة ، فسألته يوماً **زوجة الملك واسمها (تود)** عن سنّه فقال مداعباً لها عشرون سنة ، فقالت للترجمان ومن هو ابن عشرين سنة يكون له هذا الشيب ؟ فقال للترجمان وما تنكر من هذا . . . ألم تر مهراً ينتج وهو أشهب ؟ . . فضحكت تود وأعجبت بقوله فقال في ذلك الغزال بديها :

كُلِّفْتَ يا قلبي هوى مُتْعِبا
غالبت من الضيغم الأغلبا
إني تعشقت مجوسية
تأبى لقرص الشمس أن يغربا
أقصى ببلاد الله لي من حيث لا
يلقى إليها ذاهب مذهبا
يا «تود» يا رود الشباب التي
تُطْلع من أزرارها الكوكبا
يا بأبي الشخص الذي لا أرى
أحلى على قلبي ولا أعذبا
إن قلت يوماً إن عيني رأت
مشبهه لم أعد أن أكذبا
قالت لها يا بأبي إنه
قد ينتج المهر كذا أشهبا
فاستضحكت عجباً بقولي لها
وإنما قلت لكي تعجبا

والرود الجارية الناعمة الجسم .

ويبدي **ابن دحية** إعجاباً لا حد له بهذه الأبيات ، ويقول إنها تضارع أحسن ما قاله شعراء المشرق . ويتهم المشارقة بغمط حقوق المغاربة وعدم إعطائهم ما يستحقونه من مدح وتقدير . ويواصل ابن دحية حديثه عن الغزال فيقول :

(فلما أنشد تود الشعر ، وفسره الترجمان لها ضحكت وأمرته بالخضاب ففعل ذلك الغزال وغدا عليها يوماً ثانياً وقد اختضب ، فمدحت خضابه وحسنته عنده ، وفي ذلك يقول الغزال :

بَكَرَت تُحَسِّن لي سواد خضابي
فكان ذاك أعادني لشبابي
ما لشيب عندي والخضاب لو أنصفت
إلا كشمس جُللت بضباب
تخفي قليلاً ثم يقشعها الصبا
فيصير ما سترت به لذهاب
لا تنكري وضح المشيب فإنه
إطلاقة الأخلاق والآداب

ثم انفصل الغزال عنهم وصحبه الرسل إلى **شنت يعقوب** بكتاب ملك المجوس إلى صاحبها فأقام عنده مكرماً شهرين حتى انقضى حجهم ، فصدر إلى **قشتالة** مع الصادرين ، ومنها خرج إلى **طليطلة** حتى لحق بحضرة **السلطان عبد الرحمن** بعد انقضاء عشرين شهراً .

هذا ما وصلنا من أخبار الغزال كما نعرف أنه نسك وزهد في آخر حياته ، وإن كان هذا النسك والزهد قد منعاه فقط من الإسراف في اللهو ، والانغماس في المجون ، وقد ترك لنا عدة مقطوعات شعرية نظمها في الفترة الأخيرة من حياته في الزهد وذم الدنيا ، وهي في مجموعها توضح المزايا الشعرية والفنية التي سبق أن لاحظناها في شعره .

ولا بد من الإشارة أخيراً إلى أننا حين نتوجّه بهذا الاهتمام للغزال فما ذلك لعظم قيمته الفنية فما لدينا من إنتاجه لا يسمح لنا بإصدار هذا الحكم عليه ، وإنما لنقدمه نموذجاً من الأدب الأندلسي في القرن الثالث ، ذلك الأدب الذي سيصل ذروته في القرون التي تلت هذا القرن ولا سيما في القرن الخامس .

الهوامش

(١) انظر : الضبي ، بغية الملتمس ، ص ٢٧٦ ، ونفح الطيب ، ج ١ ، ص ٤٤٥ ، وابن سعيد المغرب ، ص ٢٥٣ .
(٢) نفح الطيب ، ج ٢ ، ص ٤٨٨ .
(٣) المغرب ، ص ١٢٤ .
(٤) نفس المصدر ، ص ١٢٦ .
(٥) البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١٢٨ .
(٦) المغرب ، ص ١٢٤ .
(٧) المغرب ، ص ١٢٧ .
(٨) المغرب ، ص ١٢٥ .
(٩) نفح الطيب ، ج ٣ ، ص ٢١ .
(١٠) نفس المصدر .
(١١) المطرب ، ٢ و ١٠١ .
(١٢) نفح الطيب ، ج ٣ ، ص ٢٧ .
(١٣) المطرب ، ص ١٠٤ .

بعد الأربعين

شعر : زكي قنصل

وحـدي أنـا في غمـرة الأشـواق
أو لا تهزك دمعـة المشـتاق ؟
ما للـربيع طـلاقـة إن لم تـكن
فيـه مـلامح وجهـك الـبراق
علّلت نفسي بـاللقاء فـزدتني
هجـراً ، كأني طـامع بفـراق
مـا ضر لـو قصرت أسـباب النـوى
وأسـوت جـرح الـواله الخفـّاق ؟
غلـواء كم نـاجيت طيفـك في الدجى
مـا أجـل الأوهـام للعشّاق
لا لن ألـومك إن هجـرت خميلـتي
غضـبانة ، ونـأيت عـن آفـاق
صـدقت فـيّ المرجفـين ، ومـن يـكن
ذا ريبـة أصـغى إلى المذاق
هل تـذكريـن على الـرياض لقـاءنا
في عـزلة عـن أعـين الـطراق
يـرخي علينـا الليـل وارف سـتره
ويضـمنا في قبلـة وعنـاق
للنسـمة الغـيرى حـديث نميمـة
عـن حبنـا تفشـيه لـلأوراق
غلـواء إن ذهـبَ الشـبابُ فنـاره
لما تـزل تنسـاب في أعـراقي
قيثـارتي مـا زال في أوتـارها
نغـم يهيـج مـكامن الأشـواق
أوثقـت إلا عـن هـواك حشـاشتي
سـبحانك اللهـم شـد وثـاقي
لا يضـحكنك أن فـؤادي أبيض
بيض السيوف لغـارة وتـلاق
أنا شاعر الحسـن النـدي ، فـلا يتـه
غـيري بثـوب الشـاعر السبـّاق
كرمـت ألحـاني ، فـلم ألجـأ إلى
بـوق ، ولم أزحف إلى بـوّاق
بئس الأديـب يـريق مـاء جبينـه
ويبيـع زاد الفـكر في الأسـواق

★ ★ ★

أحمـامة الـوادي هـزارك ظـامئ
واحـرقتي لغـديرك الـرقراق !
إن تنكري عهـدي ـ فـديتك ـ فـاعلمي
أني على عهـد المحبـة بـاق





يسعد مجلة «الفيصل» أن تفتح هذه النافذة الجديدة إلى جانب النوافذ الأخرى، للإسهام في تسليط الأضواء على الحركة الفكرية والأدبية والعلمية في المملكة العربية السعودية من خلال إصدارات الكتب العديدة في مختلف فروع المعارف الإنسانية.. وذلك لإيمانها بفاعلية هذا الاهتمام الهادف إلى مد جسور جديدة بين الحركة الأدبية والعلمية في المملكة، وبين القراء في الوطن العربي الكبير.

وقد استقطبت المجلة لتحقيق هذا الهدف أقلام النقاد والباحثين والدارسين في مختلف أقطار الوطن العربي.

ولكي نحقق ما نطمح إليه فإن الكتّاب والأدباء والمؤسسات الثقافية السعودية مدعوة للتعاون معنا بتزويدنا بنسخ من الإصدارات القديم منها والجديد.. والله الموفق.

● الكتاب: موت على الماء

● المؤلف: عبد العزيز مشري

● الناشر: النادي الأدبي بالرياض (كتاب الشهر)

تناول كثير من النقّاد العلاقات الوشيجة بين الأدب والفنون المتعددة، وكان تناولهم – في معظم الحالات – يستهدف عرض جوانب من تألّق الأدب وإشراقه، فهم غالباً يتخذون جانب الأدب دفاعاً وتحمّساً.

وفي كتاب (الأديب وصناعته) – وهو عشرة أحاديث أدبية لنقّاد ألقوها في مناسبة توزيع جوائز «هوبوود» الأدبية للموهوبين في جامعة ميتشجان – نجد كاتباً يرى أن رسالة الأدب لا ينبغي فرضها على الفنون الأخرى، فترانا – كما يقول – مُتْخَم بضروب الرسم الأدبي والنحت الأدبي والموسيق الأدبية، وأن الخيال الأدبي يختلف اختلافاً جوهرياً عن الخيال التصويري أو النحتي أو الموسيقي، وقيمة المادة في حال هذه الفنون، تتفاوت بحسب صلاحها لتترجم إلى اللغة الخاصة بكل فن من تلك الفنون ولا مشاحة في أن الأدب يكتسب دوماً قيماً جمالية كلما تقدمت إليه الفنون الجميلة الأخرى. «ا. هـ».

لست أدري لِمَ تذكرت هذا الكلام وأنا أقرأ المجموعة القصصية (موت على الماء) لعبد العزيز مشري، إذ تقوم – في أساسها وجوهرها – على رؤية شعرية، ويغلب الوجدان فيها على الفكر، فإذا رأينا لدى بعض الأدباء. [تعقيل التجربة الوجدانية] فإنا – على العكس – نجد لدى مشري [تغليب الرؤيا الشعرية] على الجانب العقلي والفكري في تجربته الأدبية، صحيح أن اللغة الأدبية ليست فكراً فحسب، كما أنها ليست إخباراً فقط بل هي بناء تركيبي، لكنها في القصة والدراما تنحو نحو التعقيل أكثر مما تنحو نحو الوجدان.

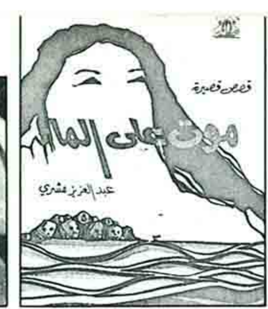
ويكاد مشري «ينظم» تجربة القصصية في قالب نثري، ممتاحاً من الوجدان أكثر من امتياحه من الخبرة بالواقع، هذه هي الأقصوصة التي حملت اسم المجموعة (ص ٨١) حافلة بالرؤيا الشعرية، مصرّحة باللفظ الشعري، والجملة الشعرية، والفقرة الشعرية في بناء هرمي يبدأ من اللفظة إلى الفقرة ويضيق المقام عن سرد الأمثلة، ونكتفي بنماذج منها في قوله (ص ٨١):

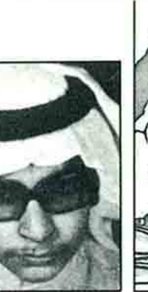
«غنت عصافير اللوز، صاحت ديكة الجيران تسابق تذاكير الشايب، وخيوط الفجر، لحية الشايب، شعيرات الكفن تقطر بالضوء، وبرد الصباح يتنفس، طقيقاً في ركبتيه، وغضاريف ظهره»، وص ٨٩: «الشمس تبعثر ضفائر من ذهب.. إلخ». وص ٨٢: «دجاجتنا تشقشق ملء الدار، تصفّق بجناحيها... إلخ».

بل إذا حللنا أسماء أقاصيصه تحليلاً أسلوبياً وجدنا مصداق ذلك بدءً «بموت على الماء»، و«السماء والخناجر محترقة»، و«غزال يلتحف أوراق الماء»، و«رائحة الجوع والخبز غبار»، و«انكسارات في القلب الأخضر».

وكلها تصلح عنوانات لقصائد غنائية، فيها عشق الصورة الفنية، والتمسّك بوسائل «الاستعارة»، و«المجاز»، و«التشبيه» إلخ.







★ عبد العزيز مشري ★

وينبئنا كاتب المقدمة «علي الدميني» أن مشري شاعر ورسّام وقصاص، وكتابته مزيج من ذلك كله، فلا نملك إلا التسليم والقبول، لكنه قبول مشوب بامتعاض، إذ لا نرى في النهاية في السلّة شيئاً من الثمار ذات الملامح المحددة، فلا ندري أي فاكهة نأكل، أو أي أزهار نشم!!!.

إننا ننادي بتراسل الأجناس الأدبية والفنية، لكنا ننادي - في الوقت نفسه - باتضاح المعالم والسمات، وبأن نشعر بطعم فاكهة محددة عن يقين وقطع ووضوح.

ولن نحاسب - هنا - «مشري» في حساب اللغة من وجهة نظر النحويين الذي يقولون له إن الممنوع من الصرف لا يُنوَّن في قوله (ضفائراً) ص ٨٩.

فقد يشفع له لغة أدبية مُمُوسقة قلنا إنها تكاد تكون شعراً لو دبَّت فيها حياة الوزن بتفاعيله الراقصة.

وعبد العزيز مشري يجيد تلوين اللغة، واستخدام مدلولاتها، بشكل رمزي موح، ومعبِّر، لكنه يعتمد في بعض الأحيان على سيريالية التصوير، فتبدو اللغة بذلك بعيدة عن تلمس الهدف بالنسبة للقارئ العادي، لكنني أحسب أن الفن أداة تعبير جماهيرية، ترق بالجماهير إلى الفكر الناضج، وتسمو بالفن إلى مرتبة الكمال، ومشري في قصصه - على العموم - يجيد التعامل مع فنه تعاملاً يولد كثيراً من العطاءات الإنسانية.

يشكل عالم النفس البشري الباطني إطاراً خاصاً، لتحرك الشخوص، والأحداث عند مشري، وهذا العالم يبدو عالماً غير منغلق، لكنه لا يتسع لكل صخب الحياة، وتوترها، فيبدو عالماً شائكاً، تضيع معالم الذات الإنسانية فيه، وتعاني هذه الذات حالة موات حادة، ومتتابعة.

والموت - بصورة عامة - يبدو قاسماً مشتركاً، لكل أحداث، القصص، وشخصياتها، في مجموعة (موت على الماء)، بل يبدو موتاً فجائياً في بعض القصص، لكن القاص يتعامل مع الموت في قصص أخرى - من نفس المجموعة - تعاملاً ذكياً، وبصورة رمزية، فيأتي موتاً تعادلياً، يجسد الوجه الآخر للحياة.

ومما يثير الانتباه، ذلك التوظيف الجيد من قبل القاص لعناصر الطبيعة، المتباينة لتجسيد رمزية حالة الموت تلك، ونقل إحساسات الإنسان بلحظة شعورية محددة ومعاشة، ولنقرأ هذا الجزء من قصته (السماء والخناجر محترقة، الخناجر محترقة)، إذ تتفاعل كل الإحساسات والرؤى في كل نفس متكامل:

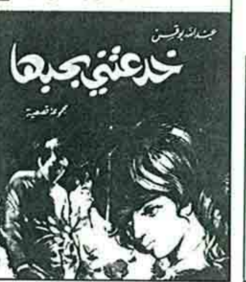
(هذا الصباح ممتقع...
السماء مكتملة... والعم عاطي...
لا... إنها مكنسة، منظفة، وقوية... الرياح...
يا مقسم الأرزاق...
الصباح رباح...
يا عيال الحلال...).

وفي جزء من قصته (غزال... يلتحف أوراق الماء) يبدو الرمز موحياً لكل حالات الموات، والتشنج، والصخب الحياتي، فيقيم القاص علاقات توحّد، وتعادلية مع كل اللحظات المعاشة، بتباين عناصرها، يقول:

(الخيل ترقص بزهو وعنجهية... تعانق الفضاء...
أهدابه الحريرية تتطاول غضة كثيفة... تحلق في خيلاء...
ترتمي على زهرة جبينه... تهبط على عينين جاحظتين ظامئتين...).

وكما أشرت يتعامل «مشري»، قاصاً مجيداً، مع لغة الشاعر، ولعل ذلك راجع لكونه شاعراً من الشعراء المحدثين الذين يتعاملون مع اللغة الرامزة، المكثفة، والإيحاءات، والمدلولات، وتجاوز كثير من تقليديات التعبير الشعري، فجاء عطاؤه القصصي منطلقاً من نفس هذا المنطلق الفني البحت، وتبدو مسحة الشعر مغلّفة كثيراً من أقاصيصه، وإني أرى أن مثل هذه اللغة قد ساعدت القاص - حقيقة - للكشف عن أدق الإحساسات الإنسانية الفاعلة، والموحية، والموصلة إلى فكرة الحدث برمته.

ولغة الشعر هي واحدة من الخصائص، والسمات المميزة لفن القصة المعاصرة - على العموم - بل هي مشكّلة تياراً قصصياً عاماً، سار على نهجه كثير من كتاب هذا الفن وكاتباته، على مستوى العالم كله، ولعلنا نلمح هذا جليساً من كتابات





★ عبد الله بوقس ★

كثير من مبدعي هذا الفن في الأدب السعودي الحديث بوجه خاص .

وقد لعبت هذه اللغة الشاعرة دورها في نقل معالم إطار المجموعة القصصية عند مشري ، فجاء الموت ـ باعتباره قضية على قدر كبير من الأهمية ، والخطورة ـ جاء مجسَّداً ، وبصورة دقيقة ، وعميقة ، وكذلك حدد القاص مع تلك اللغة قضية التواصل ، والانفصال ، التي يعاني بين كليها ، إنسان هذا القرن حالة تمزق رهيب ، حيث يقع في متاهات الضبابية ، والتقوقع داخل النفس ، ويصبح فريسة التردد ، والتراجع ، فيبقى معانياً ، متأزماً ، يقول القاص في جزء من قصته (الدمعة ... و ... الحظ الهارب)

(نظر إلى يديه . وقال : إنهما صغيرتان وبريئتان ، وفيهما الحياة ... صفر متغنياً ... صفر ، وهز شوقه أنه صادف أشياء محببة ، وخالها لدنة ، وساحرة ...

إنك في قاع المدينة ...

إنك لم تعثر على حظك

اقطف دمعة من قلبك

اقطفها ولفها في منديلك

اقطفها وألقها تحت الأقدام

إنك في قاع المدينة) .



● الكتاب : خدعتني بحبها .

● المؤلف : عبد الله بوقس .

● الناشر : تهامة ـ جدة ـ (سلسلة الكتاب السعودي ٤٣) ، ط ١ .

نشرت شركة تهامة في (الكتاب العربي السعودي) ذي الرقم [٤٣] كتاباً بعنوان : « خدعتني بحبها » ، لعبد الله بوقس ، وفيه على الغلاف عبارة : « مجموعة قصصية » .

وعلى كثرة اطلاعي القصصي ، لم يرد ذكر لهذا المؤلف بين كتّاب القصة السعودية المعاصرة . ويبدو أنه معروف ، ومهم لدى صديقه وأخيه (حسن خازندار) مدير الإذاعة الذي أصر ـ كما يقول المؤلف في المقدمة ـ « عليَّ أن أطرق هذا الباب في برنامج قصة الأسبوع .. ووقع اختياره عليَّ ، ولم أجد بدأ من الإذعان لتحقيق رغبته » . ويبدو أيضاً أنه قدير في الفن القصصي من وجهة نظر صديقه (محمد سعيد طيب) مدير عام تهامة ، الذي أصر عليه أيضاً أن يخرج تلك القصص الإذاعية ضمن سلسلة الكتاب السعودي . ويبدو (أيضاً) أن ذلك الإعجاب بـ (بوقس) لم يتعد دائرتي : الخازندار والطيب . وإني لأراهن على أن نعثر للمؤلف على معجب مثقف ثالث .

فأنا لا أعرف المعجبين السابقين ، ولا مكانتهما في الثقافة الأصيلة أو ذوقهما الأدبي الجمالي .. ولكنني أرى أنهما قد مارسا عملية خداع للمؤلف على نحو ما . فالأمانة الأدبية ، ومسؤولية الكلمة ، والاقتناع بجدارتها ، والحرص على رضى القارئ .. تحتم كلها على المرء ـ من موقف المسؤولية ـ أن ينطلق من مبدأ الصراحة والصدق وتجنب المحاباة والمجاملة أو مراعاة الاسم الرسمي لا الاسم الفني .

وإننا لا نشفع لمدير عام تهامة انزلاقه وقبول تلك المجموعة على علاّتها ، ومن ثم إعجابه بها ، أو الكتابة عنها لأحد مثقفينا بأنها « تتناول العديد من الصور الاجتماعية والقضايا والشرائح الإنسانية في طرح قصصي غني بالتجربة الواقعية » . وإن اعتراف المؤلف في مقدمته ـ عدة مرات ـ بعجزه خوض فن القصة ، وتقصيره في كتابة المجموعة بالشكل الذي جاءت عليه .. لا يشفع له كذلك ، أو يخفف عنه قليلاً من لومنا ، لأنه مزهو بقصصه ، ويرى أن « كل قصة منها لا تخلو من آهات ودموع .. قد تكون دمعة فرح أو أسى » .

ولا أدري كيف تستدر مثل تلك القصص دموع القارئ أو السامع .. ؟! وهل كان يظن المؤلف أنها تماثل (عبرات المنفلوطي) ؟ وهل كان المنفلوطي مَثَلَه الأعلى في فن القصة .. ؟ وهل يسير مسيره في النهايات الباكية المأساوية .. ويتنفس في ذات أجوائه الحالمة السارحة في المثل والحب والرومانسية ؟! ، وهل كان في تصوره أن تماثل المضامين الاجتماعية بينهما ـ من حب وزواج ومهور

وأجنبيات وتقاليد وعادات ويُتْم وخطيئة ودأب وجهاد للمستقبل إلى غير ما هنالك من شؤون الشباب ـ كفيلة لتماثل الكاتبين ؟ .

ولكن .. شتان ما بينهما ! لأن المنفلوطي ـ رغم بلاء موضوعاته وقدمها ـ ما زال متميزاً متألقاً في أسلوبه وشخصيته الأدبية . ونحن اليوم ـ في أيامنا المعاصرة ـ وإن كنا لا نستسيغ كتابة المنفلوطي وعبراته وإغراقه في الحزن والرومانسية .. لكنها ترتقي إلى ذرى القمم بالقياس إلى المستوى الذي تردت فيه قصص بوقس .. والتي تفتقد ذلك الأسلوب وإشراقه ، الذي هو أهم عنصر في كتابة القصة ، لأن به يتم امتلاك القارئ وشحنه بالقيم الوجدانية والجمالية والإنسانية .

إن «بوقس» يكتب بلغة يومية مستهلكة ، تهبط عن لغة الصحافة اليومية : وعلى نمط واحد من التعبير والصياغة .. حتى وهو في المواقف التي تتأزم أو تتعقد ، وتصل فيها أحداثه وأبطاله إلى نقطة دقيقة وحادة ـ ومفروض من الكاتب أن يقدم فيها خلاصة انفعاله وإحساسه بالموقف ـ نجده مفتعلاً للحدث والحوار والمفاجآت .

إننا لا نطالب المؤلف بشيء من فنية القصة ، لأنه ـ فيما يبدو ـ تعوزه جميع عناصرها ، إضافة إلى موهبة السرد والحكاية وإقناع القارئ فيما يرويه ويسوقه .

إن المجموعة بكاملها ـ وبلا استثناء ـ تفرض على القارئ ألا يصدق ما يقرأ ، وتستلب منه أجل هدف للعمل الأدبي .. ألا وهو الاقتناع بما يقرأ والتجاوب معه .

إن كتابة القصة موهبة وفن وذوق ومقدرة على استيعاب وانتقاء الحدث والشخصية ووسائل نموهما وتطورهما من حوار ووصف وتحليل واستبطان ونفاذ إلى أعماق الشخصية ، لمعرفة مدى سلوكها وتصرفها وفق منطق الحياة والأحداث .

وحتى الميزة التي يتمتع بها راوي الحكاية (السالفة أو الحدوتة) في أسر اهتمام وانتباه السامعين لا نجدها عند (بوقس) ، لأنها تقوم على موهبة فطرية يتحلى بها الراوي حين يسرد حكاياته ورواياته وأخباره . وقد تغمرنا الحكاية بتسلسل الأحداث ، وصدق سياقها ، وتقنعنا بروحها وجوهرها وعفويتها .. ولكن القصة مع بوقس تعبيرممل وسرد ساذج ينشب في النفس مثيراً السأم ، وإن كان يحاول أن يبرز قصصه بطريقة الاستعراض السينمائي ، فيجيء عرضه مفتعلاً . وتظل السينما تحسب حساب المشاهد ، وتعرف كيف تمتلكه وتؤثر فيه وتقنعه وتشده .. في حين يستفز (بوقس) مشاعر القارئ ، وينغص عليه هناءه وصفاءه ، ويسيء إليه من حيث لا يعلم .

إن كل ما في المجموعة يفتقد الصدق ، لأن الكاتب مغرق في الافتعال : افتعال المشاعر ، وافتعال الشخصيات ، وافتعال الأحداث ، وحتى الحوار نجده مصطنعاً هزيلاً مُنفرًا . وإن عرضه لأفكاره وتجاربه تواجه القارئ كذلك بافتعال سافر .

وعلى من يرغب مطالعة مجموعة (بوقس) أن يتحلى بالصبر ، ويتحمل ما سيعانيه من مشاعر الملل والاستياء .

وإننا لا نقوى على تحليل تلك القصص أو تلخيصها ، أو إعطاء فكرة عن مضمونها ، لأن مستواها لا يشجع على خوض مثل هذه المغامرة . ولقد بذلت جهداً كبيراً لكي أقع على ميزة تسجل في صالح الكاتب وبلا جدوى ، لأن القصص جميعها تخلو من كل ما له صلة بالأدب وقيمه الفنية والشعورية . ومع كل ذلك فلا بد أن نضع أخيراً نموذجاً من كتابة (بوقس) ، بين يدي القارئ ، المليئة بالمواقف المفتعلة والبعيدة عن منطق الأحداث . فيقول مثلاً ـ من قصة الوداع الأخير ص ٥٦ ـ ٥٧ ـ عن الزوج الثري الذي لم يرزق بأولاد ، وقد أحضر معه لقيطاً من مسجد الحي : «ثم قال لزوجته : لقد انتهى الأمر وحلّت عقدتنا .. مبروك يا حبيبتي فقد رزقنا بولد . وارتسمت على شفتي زوجته ابتسامة حزينة وظنت أن زوجها لا بدّ وأن اقترن بغيرها دون أن يشعرها حتى لا يجرح كرامتها وخفضت رأسها واسترسلت تبكي وتشهق . ونظر إليها الزوج في غرابة ، وأدرك ما يجول بخاطرها من أفكار ، ولم يتمالك نفسه فأرسل ضحكة عالية وكانت صدمة عنيفة لها إذ تخيلت أنه يستهزئ بها فأغمي عليها ...» .



قصيدة جديدة من فن السلسلة

بقلم: د. كامل مصطفى الشيبي

أثار كتابنا «الفُلْك المحملة بأصداف بحر السلسلة» [بغداد ١٩٧٧م]، الذي ضمّناه دراسة لفن السلسلة، المجهول، وستة وعشرين نصاً منه، اهتمام النقاد، فأسال أقلامهم بملاحظات ومتابعات وتوجيهات مفيدة جداً وإن لم يثمر هذا الجهد إضافة إلى نصوصه القليلة نسبياً. ومن هؤلاء النقاد، الذين صدروا عن الحب والنبل صديقنا القلمي الودود الأستاذ عبد العزيز العندليب، فقد أبى عليه حبه ونبله إلا أن يحبس آراءه في ظرف أرسله إلى شخصي الضعيف للتصرف فيه، فرأيت أن تعم فائدته، فحملته بنفسي إلى مجلتنا الغراء «الفيصل» لنشره على ملأ القراء والباحثين، حفظ الله العندليب ولا حرمنا من تغريده!.

وإذ اقتصر نقد النقاد على الملاحظات الداخلية ضمن حجم الديوان ونصوصه، وجدت نفسي أتحول ناقداً على سبيل الزيادة والإضافة فكان أن وفّقت إلى جمع ستة نصوص من هذا الفن أودعتها أحد أعداد مجلة البلاغ لسنة ١٩٨١م، فارتفع رصيدنا منه إلى ثلاثين مقطعة عدة أبياتها أربعمائة وثمانون وبيتان، وهي ثروة ثرّة إذا وضعنا بإزاء هذا العدد قول أحد كبار العروضيين: «لست أدري لم سمّي هذا النظم بالسلسلة، ثم إني لست أدري كيف نشأ هذا اللفظ ولا بدأ الناس ينظمون فيه؛ فلا يحدثنا عنه الرواة حديثاً طويلاً بل يمرون به مروراً مكتفين بذكر اسمه ووزنه وأمثلة قليلة جداً منه» [الكتاب المذكور، ص ١٤]، وقول آخر: «ولم نعثر على أمثلة من كتب الأدب والعروض غير البيتين اللذين أوردناهما والشطر الذي أورده **الدمنهوري** في «**الحاشية الكبرى**»، وأكبر الظن أنه فن من الشعر لم يستهو الشعراء كثيراً، لذلك انطوى وانغمر مع الأوزان المهملة» [أيضاً، ص ١٥].

ماهية فن السلسلة

ويبدو أن بحث الإنسان عن ضالة يؤدي في النهاية إلى بحث تلك الضالة عنه، ومن هنا وجدت النصوص تتراءى لي من بين الصفحات والسطور كما يتراءى الكوكب للساري في الصحراء بخفقانه ولمعانه. وكانت حصيلة هذا التجاذب، فوق ما نشرناه من زيادة، هذا الحاصل الجديد الذي يسرني أن يطلع عليه الباحثون والقراء المتتبعون جمعاً لشمله مع إخوانه وأخواته وتحريكاً للعزائم إلى طلب المزيد.

ولئلا يقلق القارئ، الخالي الذهن من هذا الفن، ويحار في هذا الجو المشحون بالألغاز نسوق سطوراً في التعريف بفن السلسلة تمكن المتابعة ويزيد القراء اطلاعاً.

فن السلسلة، فصيلة من الشعر العربي الفصيح ظهر في أواسط القرن السادس الهجري، وأول من نظم فيه - فيما نعلم - ابن العين زربي (أبو يعلى حمزة بن علي) ت ٥٥٦هـ/١١٦١م)، ونموذجه قوله في مطلع قصيدته:

هل تأمنُ يُبْقي الخليطُ إذا بانْ
للهمّ فؤاداً وللمدامع أجفانْ؟

وقد سمي بالسلسلة لعروضه الطويل الذي لم يألفه الشعراء من قبل وقد وصفه صفي الدين الحلي، أحد

الناظمين فيه ، بالوزن الطويل لهذا السبب .

أما عروضه فيوزن هكذا :

فعْلن فَعلاتن مُتَفْعِلُنْ فَعلاتانْ (مرتين)

أو

مفعولُ فعولُنْ مفاعلن فَعلاتان (مرتين)

وهو مستمد من بحري المتدارك ، الذي تبرز فيه (فَعْلن) **والمتقارب** الذي يتحكم فيه إيقاع (فعول) إذا أعدنا تحليله العروضي على الوجه الذي اقترحه صديقنا العروضي الكبير **الدكتور جمال الدين** الذي هو :

فَعْلن فَعلن فاعلن فعولُ فعولان

كما في كتابنا المذكور (ص ٢٦) .

وتميّز فن السلسلة بالنزوع إلى تقسيم بيته الطويل إلى أربعة نصوص تشكل له تقسيماً داخلياً يقلل من الشعور بطوله ، ومن ذلك قول أحد شعراء السلسلة :

قلبي بك لاوٍ وعَقْدُ صبريَ واوٍ
إذ وجهُك زاوٍ وطرف لحظك غمّاز

وقول آخر :

سقياً لليالٍ مضتْ كطيف خيالٍ
مع بدرٍ كمالٍ وما تُشانُ بنقصانْ

[ص ٣٤] ، وهو تقسيم يذكّر بفن الكان وكان الشعبي القديم ذي النصوص المرسلة الذي نموذجه قول **ابن الجوزي** :

لما تزايد وجدي فيكم وقلّ تصبُّري
وعرفتكم عداتي وقلّت الحركات

أو مسموع ابن سعيد المغربي من بائعي الجميز المصريين :

السود مِسْكٌ وعنبر ، والسُّمر قضبان الذهب ، والبيض ثوباً دبيقي ، ما يحتمل تمعيك [ص ٢٣] .

وللسلسلة حدّ لا يتجاوزه في قوافيه فهي دائماً من النوع المردوف الذي يتمثل في حرف ساكن بعد حرف مدّ من ألف وواو وياء ، لكنها تقتصر في فن السلسلة على الألف فقط ، ومن نماذج قوافيه ، ما يجده القارئ في الشاهدين السابقين ، وكذا قول صفي الدين الحلي :

إن قصّرَ لفظي فإن طولك قد طال
«ما من فَعلَ البر والجميل كمن قال»

لقد طرق فن السلسلة موضوعات محدودة بدأت بالغزل وانتهت بالمدح بعد مقدمات غزلية ، فمن **نماذج الغزل** قول ابن العيني زربي الماضي :

يا ساكنة في الحشا ، ملكتِ فؤاداً
أضحت طرق الوجه فيه تضرم نيران

حتّام تمنين الفؤاد منك بوعد
هل ينقع لمع السراب غلة عطشان
حتّام أرى راجياً وصال حبيب
قد أسرف في هجره وأصبح خوّان

[ص ٤٣]

ومن نماذجه ، في المذكر ، قول زين العابدين البكري (ت ١٠١٣هـ / ١٦٠٤م؟) :

يا بدرُ — ولولاه ما استتار هلال —
يا غصن — ولولا القوام — لم يك ميّاس
السيف من اللحظ ، والمثقف قدٌّ
والنبل جفون وفي الحواجب أقواس
قد ساد جميع الملاح حين تبدى
لكن على القلب والأضالع قد داس

[ص ٣١ — ٣٣] .

ومن **نماذج المديح** قول **الدنوشري** (ت بعد ١٠٥٠م/١٦٤٠م) :

يا سيد هذا الزمان ، أنت كريم
إذ كل فقير له الغناء بجدواك
حققت علوماً وكم أزلت عموماً
للناس عموماً فالله يشكر مسعاك
إن أنظمْ فيك القريض فهو هباء
إذ أنت عن المادحين ربّي أغناك

ومن الملاحظ أن مدائح فن السلسلة في غالبها تتوجه إلى فقهاء من كبار رجال عصرهم في النماذج التي وقعنا عليها .

إن القول ذو سعة في فن السلسلة ونختم القول عليه إنه اختفى من الدواوين والكتب منذ أواسط القرن الثالث عشر الهجري فقد كان آخر من جرى على لسانه من الشعراء **شهاب الدين المصري** (محمد بن إسماعيل بن عمر الحجازي ، ١٢١٠ — ١٢٧٤هـ/ ١٧٩٥ — ١٨٥٧م) خبير الموسيقى والغناء الكبير وصاحب **كتاب «سفينة الملك ونفيسة الفلك»** الذي جمع نصوص الغناء العربي لعصره ، وكان حال السلسلة في الاختفاء كحال كثير من الفنون الأدبية ، وخصوصاً الشعبية منها ، كالكان وكان والقوما والحماق والبلّين وما إلى ذلك .

أما الكلام على النص الجديد فيرد في طياته ، وقد سجلناه على غرار الترتيب الذي اتبعناه في كتابنا «الفلك المحملة بأصداف بحر السلسلة» .

النص الجديد

(أ) الناظم : ناظم هذه القصيدة هو **الشيخ عبد الفتاح بن مصطفى بن عبد الباقي الشافعي الدمشقي المعروف بابن مغيزل** (١١٢٢ — ١١٩٥هـ/ ١٧١٠ — ١٧٨١م) شاعر فيلسوف صوفي طبيب

من مواليد دمشق. بدأ حياته العلمية بالأخذ عن جده وغيره وأخذ التصوّف عن **الشيخ عبد الغني النابلسي** (١٠٥٠ ـ ١١٤٣ هـ/ ١٦٤١ ـ ١٧٣١ م) وآخرين من مشاهير عصره وكان مرجعاً في الطب يتردد عليه المرضى ويستشيره الأطباء.

كان لابن مغيزل في الأدب وفنونه الاطلاع التام، دمث الأخلاق حسن العشرة طيب المذاكرة محباً للناس نافعاً لهم، وكان يصطحب زمرة من الأفاضل والأدباء والسادة كثير التردد على بني حمزة نقباء العلويين في دمشق لأيامه.

وفي آخر أمره أصابه داء المفاصل حتى أقعده وتوفي منه. كان ابن مغيزل صديقاً **للمرادي (محمد خليل بن علي النجاري**، ت ١٢٠٦ هـ/ ١٧٩١ م) مؤلف سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر.

للشاعر أشعار تقليدية أكثرها إخواني، وقد ألمّ بفنون الشعر لأيامه، كالمعمر والتدبيج والتضمين وما إلى ذلك.

(انظر سلك الدرر، المذكور، ط. بولاق بمصر ١٣٠١ هـ/ ١٨٨٣ ـ ٤ م، ٣/ ٤٢ ـ ٤٦).

(ب) النص: نحا ابن مغيزل في هذه السلسلة نحو السابق الدمشقي (أحمد بن محمد بن علي العراقي الحدادي الشافعي، ت ١١٦١هـ/١٧٤٨ م)، وكان شاعراً صوفياً مشهوراً في دمشق، في سلسلته التي أولها:

من غرك بالصد للمحب وأغراك
ترمي بسهام عن اللواحظ فتّاك

كما رواها له المرادي، المذكور، في كتابه سلك الدرر أيضاً (١/ ١٨١ ـ ١٨٢).

قال ابن مغيزل، في فن السلسلة[1]:

١ ـ من علمك الصد للمحب وأفتاك
ترمي بنبال من اللواحظ فتّاك
٢ ـ يا نعم أنيس، ويا أعز جليس
لا عاش عذول على تلافي أغراك
٣ ـ أجريت دموعي، وفيك زاد شجوني
حركت سكوني، ولست أعرف أسلاك
٤ ـ قد زدت بنجي وقد جفاني، صحبي
لا تحرق قلبي؛ فإن قلبي مأواك
٥ ـ أشمت حسودي وقد نكثت عهودي
راعيت صدودي وبات طرفي يرعاك
٦ ـ من دائي أجرني، ومن بعادك ذرني
صبري بك مضن، أعز يومي ألقاك

التعليق

(١) تلاحظ المطابقة النسبية بين هذا المطلع والبيت الماضي من مطلع سلسلة السابق الدمشقي وكأن ابن مغيزل يعيد صياغة مطلع الشاعر السابق ويجمّله. وفي القصيدة مطابقات أخر تشير إليها في مواضعها. والملاحظ أن كلا الشاعرين صوفي من مشاهير دمشق لعصرهما. وسيلاحظ القارئ المتصفح أن هذا النص لا يهز المشاعر ولا يثير لذة فنية كالشعر القريض التقليدي، والحق أن هذا هو الطابع الغالب على فن السلسلة وهو السبب في إعراض الشعراء عن النظم فيه منذ قرن ونصف كما فعلوا مع فنون أخرى اختفت من ميدان النظم.

(٢) هذا البيت يرد ثالثاً في سلسلة السابق الدمشقي إلا في القافية التي تنتهي بكلمة «ولاك» بدل «أغراك» التي اختارها شاعرنا، وهي أليق بالموضع.

(٣) صحة «أسلاك» أن ترد على «أسلوك»، وفن السلسلة ـ مثل فن الدوبيت ـ يحتمل هذا التساهل العامي.

(٤) هذا البيت يتكرر أيضاً في قصيدة السابق الدمشقي المسلسلة، ويرد فيها سابعاً. والفرق بينهما أن ابن مغيزل قال: «وقد جفاني صحبي» بدل قول السابق الدمشقي: «وما درى صحبي» وكأنه يصقل التعبير ويضفي عليه دقة وجمالا. وجاءت «جفاني» (في الأصل) على «جفانيا» وهو من وهم النساخ.

(٥) هذا البيت يرد ثانياً في سلسلة السابق الدمشقي هكذا:

أشمت حسودي وقد نقضت عهودي
قد زدت صدودي وبات طرفي يرعاك

وواضح أن ابن مغيزل يحاول التجويد. وقد جاءت عبارة «نكثت عهودي»، في الأصل، على «وأنكرت عهودي» وبها يختل الوزن وبجملتنا يتوازن ويصاب المعنى أيضاً.

(٦) جاءت «من بعادك»، في النص على «من بعدك» وبها يختل الوزن وبما أثبتنا يستقر. وجاءت «صبري لي مفن» على «صبري بك مضن» وليست بشيء، ولعلها من خطأ الناسخ. و«أعز يومي ألقاك» جملة ركيكة التعبير وصحتها «أعز أيامي يوم ألقاك» وهذا نموذج للإحراج الذي يوقعه وزن السلسلة الطويل بالشعراء.

النص

٧ ـ لقياك مرامي، وفيك زاد هيامي
فانظر لسقامي ودع العاذل ينهاك
٨ ـ حاشاك من العذل، حبيبي، ولا من
يصغي لعذول من البرية حاشاك
٩ ـ يرضيك بأني أموت فيك غراماً
يا سالب عرب ويا مهتّك أتراك!
١٠ ـ كم حزت كمالا وكم حويت دلالا
أهديت جمالا، أظن يوسف أهداك

١١ ـ علمت هاروت من لحاظك سحراً
والظبي ، مع الأسد ، في البرية تخشاك

١٢ ـ لحظاك مدامي ووجنتاك مرامي
والخال على الخد بالمحاسن ولاك

١٣ ـ والشعر لقد جر فوق خدك ذيلاً
والعزق هلال ، وراء ذلك أفلاك

١٤ ـ يا غصن من البان في كثيب لجين
يا ظبي رقاد في أحشائي مرعاك

١٥ ـ تالله وبالله ! يا بديع جمال ،
إن زرت وإن جرت لست أعرف أسلاك

١٦ ـ ولله ، لئن زرت بعد بعدك حبي
في ليلة أنس جعلت خدي مسراك

التعليق

(٧) بيت يرد خامساً في سلسلة السابق الدمشقي وهو مضمن في هذه السلسلة ، على أهون الفروض ، وترد عبارة « فانظر لسقامي » عند السابق الدمشقي على « ارحم لسقامي » . ولعل صحة « ودع العاذل ينهاك » في النصين أن تكون « لا تدع العاذل ينهاك » مع ما تقتضيه هذه العبارة من تغيير .

(٨) بيت ضعيف السبك ، والقصد من قوله : « لا من يصغي . . . » « لا مصغي » والعيب في، طول بيت السلسلة .

(٩) المقصود روعة جمال المحبوب وقوته بحيث سلب (ألباب) العرب و(هتك) أسرار الترك وشوه سمعتهم ، وكان الأصل : « يا مسلب عرب » . وقد أبقينا « يا مهتك أتراك » كما جاءت في الأصل رعاية للوزن .

(١٠) في البيت مقارنة بين المحبوب وبين يوسف نبي الحسن (عليه السلام) ، والتعبير مهلهل كما لا يخفى .

(١٣) جاء « الشعر » ، في الأصل ، على « الخال » وهو تصحيف واضح صحته ما أثبتنا والإشارة إلى العذار الأسود المنسدل على صفحة الخد الأبيض . وجاءت « أفلاك » على « أحلاك » وبما أثبتنا يستقيم المعنى ، إذ يصبح الفرق ، في بياضه ، كالهلال المنير في السماء المظلمة ، التي هي الشعر الفاحم . وأما الأفلاك فالمقصود بها الذوائب التي تدور حول القمر هنا كما تفعل الأفلاك في السماء .

(١٤) كثيب اللجين يقصد به الردف الثقيل الذي يشبه تلاً من الرمل في نعومته وغضاضته وقد جعله الشاعر هنا من الذهب إشارة إلى اللون والقيمة . والشطر الثاني مختل الوزن ضعيف التعبير .

النص

١٧ ـ يا ويح فؤادي ، لقد أطاعت بعادي
فامنن بمرادي ودع العاذلي يشناك

١٨ ـ إن طاب ثماري خلعت فيك عذاري
اخترت إزاري ، وليس حالي يخفاك

١٩ ـ كم حزت فخاراً ، وكم حويت وقاراً
والحق من البر حياك وأعطاك

٢٠ ـ يا أكرم خلق نجا بأعظم رسل
خاطبت وخوطبت عند ليلة إسراك

٢١ ـ ها عبد لفتاح يرتجيك شفيعاً
من نار أعدت لكل جاحد أفاك

٢٢ ـ يا خير نبي وهاشمي قرشي
صلى وسلم عليك ربي مولاك

٢٣ ـ والآل مع الصحب في كل وقيت
ما غرد طيراً وما تداور أفلاك

التعليق

(١٨) جاءت « طاب » في الأصل على « طال » ، والتصحيح منا . و« خلعت عذاري » بمعنى : أطلقت العنان لعواطفي دون رعاية للناس وعذلهم . والشطر الثاني ، المليء بالتصحيف ، جاء في الأصل على « اخترت إزاري وليس خافي يخفاك » وقد صححناه بقدر ما استطعنا . والمقصود بعبارة « اخترت إزاري » استعددت للخروج إليك لأنه من لوازم الزي عند القدماء . ولعل صحة عبارة « حالي يخفاك » أن يقال فيها : « وليس جاهي يخفاك » وإن كان في « يخفاك » إشكال ، إذ الواجب أن يقال « تخفى عليك » .

(١٩) جاءت « البر » في الأصل على « البركت » وبها يتزن البيت وإن كان المعنى يبقى غير مستوفى . ولعل صحة « حياك » أن تكون « حباك » لكن بإثباتها يختل الوزن أيضاً وإن كان الزحاف والمط يحقق الغاية .

(٢٠) النجاة هنا للمسلمين بإيمانهم بدعوة رسول الله ﷺ ، والمديح ، بعد ، له إشارة إلى قوله تعالى **﴿ ثم دنا فتدلى ، فكان قاب قوسين أو أدنى . فأوحى إلى عبده ما أوحى ﴾** (سورة النجم ، الآيات ٨ ـ ١٠) .

(٢١) هذا البيت يسمى بيت الاستشهاد إذ يرد فيه اسم الناظم وها هو ذا يقول : « ها عبد لفتاح يرتجيك شفيعاً » ، وينبغي أن تضبط حاء « فتاح » بالسكون ليتزن الشطر . والمقصود ، طبعاً ، عبد الفتاح وهو الناظم ابن مغيزل كما لا يخفى . وأحسن من هذا كله أن يقال : « ها عبد فتاح ارتضاك شفيعاً » ولعله الأصل .

(٢٢) جاء الشطر الثاني في الأصل على « صلى سلام على ربي مولاك » ، وإذا صح ما أثبتنا فإن ميم « سلم » ينبغي أن تسكّن ليتوازن الشطر .

(٢٣) « وقيت » ، تصغير وقت ، ساذجة هنا وطفولية من الواضح أن إيرادها يراد به ضبط الوزن فقط كما لا يخفى على القارئ .





● لكلّ أمّة من الأمم أسلوبها في تخليد مآثرها، وتحصين سماتها التي تميزها عن سائر الأمم، وإذا كان العجم قد حاولوا تخليد مآثرهم بالحصون العظيمة، والفراعنة بالأهرامات، واليونان بالفلسفات العديدة، فإن العرب قد خلّدوا آثارهم بالكلمة الشاعرة التي تراقصت برشاقة فريدة متنقلة من جيل إلى جيل، ذلك «لأن تخليد الأثر عند كلّ أمّة غاية فطرية من غاياتها الأولى تكاد تلازمها من باكورة تنبّهها ومستهلّ تاريخها».

وفي هذه الوقفة أمام الكلمة العربية لا أجد حرجاً إذا اعترفت بأن الفكر يقف حائراً أمام أمواج الأفكار التي تجتاح البصيرة من زخم التراث العربي، واكتظاظ عطائه، فأجد نفسي طفرة فوق القمّة مع كلّ شذرة فريدة من أدبنا العربي الرّفيع والإنسان بقدرته العادية ووسائله المحدودة أمام الكثرة كما هو أمام القلّة. وهذا ما دفعني إلى الرضى في هذا العرض من فنون الأدب بهذه المواقف النقدية التي تعبّر عن حركة ديناميكية فكرية لازمت الأدب قديماً وحديثاً.. وفحصته قطعة قطعة، ومع ذلك فقد وقف لأشدها ضراوة وثبت أمام حروف الأقلام «فلقد عمد نقّاد قساة غلاظ مسرفون في العنف إلى بعض الشّعراء والكتّاب فألحوا عليهم في النّقد، وأشبعوهم تجريحاً وطعناً، ولكن الأدباء مع ذلك ظفروا بالبقاء وذهب نقد النّقّاد هباء».

أرسطو.. والبداية

والنّقد الأدبي في أدق معانيه «هو دراسة الأساليب وتميزها **ويعتبر «أرسطو» أوّل من كتب في النقد الأدبي ووضع في كتابه «فن الشعر» قواعد للبلاغة بنى عليها** طريقته في النّقد التي ضمّنها في كتابه الشهير «**الخطابة والشّعر» الذي يعد من أقدم المراجع لدراسات النّقد والبلاغة**. وانطلاقاً من نظريات أرسطو في النقد، قامت مدارس النّقد في أوروبا».

وكان من أوائل النقاد الأوروبيين «**سانت بوف**» الذي أعلن آراءه بدءً بقوله: «**ليس هناك قواعد تخلق الكاتب الكلاسيكي**»، وقوله: «**النقد لا يمكن أن يصبح علماً موضوعياً، وسيبقى فنّاً دقيقاً في يد مَن يحاولون استخدامه**».

ولقد كان لآراء أرسطو في نقد الشّعر ضجة كبرى ظلّ أثرها واضحاً قويّاً في الشّعر اليوناني القديم، وفي الشّعر العربي الحديث حتى اليوم.

النقد عند العرب

ومن هنا استعمل العرب النّقد بمعنى التحليل والشّرح والتّمييز والحكم، واستعملوه كذلك بمعنى العَيب والمؤاخذة والتّخطيء، ولعلّ كتاب **المزرباني** «الموشّح في مآخذ العلماء على

الشّعراء » أقرب دليل على هذا الاتّجاه النّقدي .

ويعتبر (الباقلاني) أوّل ناقد في اللغة العربية نقد قصيدةً كاملة نقداً مفصلاً بنقده لمعلّقة امرئ القيس .. وهناك آراء تشير إلى أن **صحيفة بشر بن المعتمر لها شرف السّبق في البلاغة والنّقد .**

وعلى أيّة حال فقد اتخذ العربُ النّقد أسلوباً مناسباً لتقويم نتاج الشّعراء والكتّاب ، وكان يعتبر العمل الذي لا يحظى بالنّقد عملاً مهزوزاً لا قيمة له ، واتُّبع ذلك كما هو معروف منذ الجاهلية ، مروراً بصدر الإسلام ، إلى عصرنا الحديث .

وقبّة **النّابغة** كانت محكمةً للشّعر يفد إليها كلّ خصوم الكلمة الذين يتعلقونها اعتقالا ويطوّعونها لخدمة قضاياهم .

وفد (الأعشى) فأنشد النّابغة قصيدته الرّائعة :

ما بكاء الكبير بالأطلال . . . . .

فحكم له ، ثم وفدَت عليه (الخنساء) فأنشدته رثائيتها في **صخر** التي قالت عنه فيها :

وإن صخراً لمولانا وسيّدنا
وإن صخراً إذا نشتو لنحّار
وإن صخراً لتأتّم الهداة به
كأنّه علم في رأسه نار

فقال النّابغة : لولا أن أبا بصير سبقكِ لحكمت لكِ ، وكان **حسّان بن ثابت** حاضراً . . فتنبّه من غفلة ، وصرّخ في وجه النابغة قائلاً : أنا أشعر منك ومنها ومن أبيك . . فتمهّل النّابغة في ردّه ، شأن النقّاد المتمكنين الذين يجعلون من أنفسهم قدوة لسواهم فيقع نقدهم من النفوس موقعاً لا يَبْرحه . ثم قال : حيث تقول . . . ؟

فأنشده حسّان :

لنا الجفنات الغرّ يلمعن في الضّحى
وأسيافنا يقطرن من نجدة دما
ولدنا بني العنقاء وابني محرّق
فأكرم بنا خالا وأكرم بنا ابنما

فقال النّابغة : أنت شاعر لولا أنّك قلّلت عدد جفانك وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك . . وقلت يلمعن في الضّحى ولو قلت يبرقن في الدّجى لكان أبلغ . . وقلت يقطرن من نجدة دما ـ فدللت على قلة القتل ـ ولو قلت يجرين لكان أكثر ، هيهات يا بن أخي أنت لن تأتي بمثل قولي :

فإنك كالليل الذي هو مدركي
وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

. وهكذا نفذ حكم المحكمة وخرج كلٌّ راضياً . . وللصّحابة رضوان الله عليهم نظرة فاحصة للشّعر ، وكان لهم دور كبير في التّأثير النّقدي مما جعل الكثير من شعراء صدر الدولة الإسلامية يلتزم بما يحسّ أنّه موافق ومنسجم مع نظرة الصّحابة رضي الله عنهم فكان **عمر** يُعجَب بشعر زهير ، ويصفه بأنه لا يعاضل في الكلام ولا يمدح الرّجل إلا بما فيه . . وكان **أبو بكر** يُعجَب بشعر النّابغة الذبياني ، وكانوا يتمثلون بأبيات خالدات من الشعر ، ومما يدعو إلى التأمل أن أمراء الدّولة الإسلامية كانوا قادةً في العلم والأدب . ومن أبرزهم **سيف الدّولة الحمداني** هذا الفارس الأديب الذي يقترن ذكره بالشّاعر العظيم **أبي الطيب المتنبي ،** يروي **الثّعالبي** في « يتيمة الدهر » أن المتنبي حينما أنشد سيف الدّولة قصيدته الميمية :

★ ارسطو ★



على قدر أهل العزم تأتي العزائم
وتأتي على قدر الكرام المكارم

إلى أن بلغ قوله . . .

وقفت وما في الموت شكّ لواقف
كأنك في جفن الرّدى وهو نائم
تمر بك الأبطال كلمى هزيمة
ووجهك وضّاح وثغرك باسم

قال سيف الدولة : قد انتقدنا عليك هذين البيتين كما انتُقد على امرئ القيس بيتاه :

كأني لم أركب جواداً للذة
ولم أتبطن كاعباً ذات خلخال
ولم أسبأ الزق الروي ولم أقل
لخيلي كري كرة بعد إجفال

فبيتاك لا يلتئم شطراهما . . كما لم يلتئم شطرا بيتي امرئ القيس إذ كان الأصح أن يقول :

كأني لم أركب جواداً ولم أقل
لخيلي كري كرة بعد إجفال
ولم أسبأ الزق الروي للذة
ولم أتبطّن كاعباً ذات خلخال

ولك أن تقول :

وقفت وما في الموت شكّ لواقف
ووجهك وضّاح وثغرك باسم
تمرّ بك الأبطال كلمى هزيمة
كأنك في جفن الرّدى وهو نائم

فقال المتنبي : « إني لـمّا دكرت الموت في أول البيت أتبعته بذكر الرّدى ليجانسه ولما كان وجه الجريح لا يخلو من العبوس وعينه من البكاء . قلت : ووجهك وضّاح ، وثغرك باسم لأجمع بين الأضداد في المعنى » وقد وافق النقاد المتنبي واعتبروا رأيه مقبولا ـ لأن ـ امرأ القيس قرن لذة النّساء بلذة الرّكوب للصّيد ، وقرن السماحة في شراء الخمر للأضياف بالشّجاعة في منازلة الأعداء . . والتناقض واضح .

وينقد **ابن أبي عتيق** شعر **عمر بن أبي ربيعة** فيقول : « لشعر ابن أبي ربيعة لوطة في

القلب ، وعلوق بالنّفس ، ودرك للحاجة ليست للشّعر ، وما عُصي الله عز وجل بشعر أكثر مما عُصي بشعر ابن أبي ربيعة . . . »[1]

ويلتقي معه **هشام بن عروة** إذ يقول : « لا تروّوا فتياتكم شعر عمر بن أبي ربيعة فيتورّطن في الزنا تورّطاً » . ومما يؤخذ على **بشار بن برد** نزوله بالشّعر الرّفيع إلى كلّ غرض مهما كان تافهاً ليرضي به طائفة من النّاس ، إذ يقول عنه **أحمد بن عمّار** وكان ناقداً : « إنّه ينظم الشّذرة ثم يجعل إلى جانبها البَعرَة . . . » ومن ذلك قوله :

إذا ما غضبنا غضبةً مضريّة
هتكنا حجاب الشّمس أو قطرت دما
إذا ما أعرنا سيداً من قبيلة
ذرى منبر صلّى علينا وسلّما

ثم يقول في موضع آخر :

ربابة ربّة البيت
تصبّ الخلّ في الزيت
لها عشر دجاجات
وديك حسن الصوت

عيب عليه ذلك فقال :

إنّما أخاطب كلاً بما يفهم . . ولربّة البيت هذه قصة طريفة .

ويفرض **ابن سلام** « في طبقاته » أموراً على النّاقد في قوله : « للشّعر صناعة ، وثقافة يعرفُها أهلُ العلم به كسائر أصناف العلوم والصناعات منها ما تثقفه العين ، وما تثقفه الأذن ، ومنها ما تثقفه اليد ، ومنها ما يثقفه اللسان » . . فقد فرض الخبرة الفنيّة والتخصّص ، والثّقافة الأدبيّة والبصر بفنون الشّعر على كلّ ناقد . . **ولابن طباطبا** في « عيار الشّعر » . . نظرة نقديّة تخالف آراء كثير من النّقاد . . **كالأصمعي** مثلاً . أو **خلف الأحمر** يقول : « إذا تناول الشّاعر المعاني التي سُبق إليها فأبرزها في أحسن من الكسوة الّتي عليها لم يعب ، بل وجب له فضل لطفِه وإحسانه فيه كقول « **دعبل** » :

أحب الشّيب لما قيل ضيف
كحبي للضّيوف النّازلينا

أخذه من قول **الأحوص** :

فبان منّي شبابي بعد لذته
كأنما كان ضيفاً نازلاً رحلا

ويضيف ابن طباطبا قائلاً : « ويحتاج من سلك هذا السّبيل إلى إلطاف الحيلة ، وتدقيق النّظر في تناول المعاني واستعاراتها وتلبيسها « هذا هو رأي ابن طباطبا مع أن هذا داخل في باب السرقات الأدبية » .

ومن طريف النّقد ما ورد في « ثقافة النّاقد الأدبي » للأستاذ **محمد النّويهي** . . قوله : « ما أظن أن في الشّرق العربي كله من غير المتخصّصين في علم الفلك عشرة يفهمون هذا البيت المشهور لامرئ القيس :

إذا مالثّريا في السّماء تعرّضت
تعرّض أثناء الوشاح المفصّل

وكيف يفهمونها وهم وإن عرفوا هيئة الوشاح وكيف كانت تلبسه المرأة العربيّة فهم لا يعرفون من الثريّا إلا اسمها وشكلها » .

ويعلق النّويهي على شرح البيتين التاليين الذين وردا في الأغاني :

أيّها المنكح الثريّا سهيلاً
عمرك الله كيف يلتقيان
هي شاميّة إذا ما استهلّت
وسهيل إذا استهلّ يماني

قائلا : « **أستطيع أن أراهن أنه « أي**



★ سيّد قطب ★

الشّارح » نقله عن البغدادي دون أن يُحاول أن يرى بعينيه شيئاً من هذا كأن مجرّد النّقل عن البغدادي يكفي قراءنا في القرن الهجري الرابع عشر » .

ومن اختلاف وجهات النّظر النقديّة ما حدث بين « **تين** » و« **كارليل** » ، إذ يتحدث عنهما « **أوسكار وايلد** » فيقول : « لقد كان « تين » النّاقد الفرنسيّ يرى أن شاعريّة **شكسبير** إنّما أتت من أنّه كان أبعد النّاس عن المنطق العادي ، وتفكير القدماء المتّزن وكان « كارليل » يرى أن ميزة الشّاعر الأولى في أن عقليته خصبة ناضجة وعميقة » في الوقت الذي انبرى ناقد آخر هو « **رولي** » فنقد شكسبير نقداً علميًّا .

النقد في العصر الحديث

وامتداداً لعصور النّقد الزاهية فقد استمر النقد بل تطور ودخل مرحلة التخصص في العصر الحديث ، ومن المواقف النّقدية البارزة في هذا العصر موقف المرحوم **سيد قطب** في عام ١٩٣٢ م ، وهو في ريعان شبابه حين نقد الشعراء الشباب في مصر وأعلن آراء كانت مبادىء لمن بعده في النّقد والتّجربة الشّعرية .

يقول في معرض نقده لقصيدة « الليل » للشّاعر **علي عبد العظيم** : تجد بعض من يدعون أنفسهم أو تدعوهم الجماهير شعراء تجده يصف لك الليل فلا يعدو أن يقول « إن الجوّ ظلام والحركة هادئة ، والأحياء كلّهم ساكنون » .

لا نريد أن نقبل منه هذا الإحساس السّطحي الزهيد الذي لا يبعد كل إنسان أن يدركه ، لأنه يتعلّق بالعين والأذن ولكل فرد من النّاس عين وأذن . . إنما نريد أن يحدثنا الشّاعر عن أثر ذلك الهدوء في نفسه وروعة هذا الظلّام في خاطره ورهبة ذلك الخشوع الشّامل الأطراف ، وذلك يتجلّى في مثل قول علي عبد العظيم ــ مخاطباً الليل :

طويت أسرار هذا الكون في سُدف
لا نستطيع لها كشفاً وتبيانا

يا ليل بخ لي بها إن كنت تعلمها
يا ليل حسبك إخفاء وكتمانا
أكان صمتك عن عيٍّ وعن حصر
أم كان صمتك إغفاء وإهوانا
أم أنت تجهلها مثلي فتنكرها
أم أنت تبعث فيها الفكر إدمانا
مشاكل تترك الألباب حائرة
تثير أبحاثها شكاً وإيمانا

ويستغرب سيد قطب رحمه الله، اتجاهات بعض شعراء الغزل فيقول في كتابه «**مهمّة الشاعر في الحياة**»: «ولقد تجد الشّاعر المحسوب على الشّاعرية ظلماً وبهتاناً يحدّثك عن حبيبته فإذا هو موظف في قلم تحقيق الشّخصية، أو سلك الشّرطة السري، يشبّه أحد المجرمين «اللون قمحي، والعيون عسليّة، والعنق كذا، والرّجل والخصر، والذراع والجيد... إلخ».

فهذه الحبيبة في نظره عبارة عن هذه الأشلاء الممزقة والعيون والخدود والنّحور والأرداف والخصور وهي ليست إنسانة حيّة... ولن نقبل من شاعر مثل هذا الوصف الممزق وإنّما نريد منه أن يحدّثنا عنها كيف يراها، كيف تتمثّل في خاطره، كيف شعوره بها... إلخ، ثمّ يستشهد على ذلك بقصيدة يعدها رائعة في موضوعها **للعقّاد** بعد أن أشار إلى عدم رضاه لذلك الاستشهاد وكأنّه غير مقتنع **بالعقّاد** كشاعر إذ يقول: «وقد اخترت للأستاذ العقّاد قطعة واحدة لم أكن مختاراً في اختيارها بل مضطراً لذلك اضطراراً[٢]»، والقصيدة:

يا رجائي وسلوتي وعزائي
وأليفي إذا اجتواني الأليفُ
نبئني فلست أعلم ماذا
منك قلبي بحسنه مشغوف
كلّ حسن أراك أكبر منه
إن معناك تالدٌ وطريف
لست أهواك للجمال وإن كا
ن جميلاً ذاك المحيا العفيف

★ إبراهيم عبد القادر المازني ★

لست أهواك للذكاء وإن كا
ن ذكاء يُذكي النّهى ويشوف
لست أهواك للدلال وإن كا
ن ظريفاً يصبو إليه الظريف
لست أهواك للخصال وإن رف
علينا منهن ظلّ وريف
أنا أهواك «أنت» فلا شيء
سوى أنت بالفؤاد يطيف
إن حباً يا قلب ليس بمنسيك
جمالَ الجميل حبٌّ ضعيف

ولإبراهيم المازني أيضاً عدّة مواقف نقديّة مع أنّه قد عُرف عنه بعده عن هذا الاتّجاه إلا أنّه بعد أن شارك العقّاد، **وشكري** في مدرسة الدّيوان لم يتردّد في إصدار أحكامه على نتاج عصره، ولعل شكري هو صاحب الشأن في نقد المازني وأكثر ما وجه المازني لومه بادئ ذي بدء إلى شعراء البعث والبيان إذ يقول: «إن النّاظر في شعر هذا العصر يجد كلاماً منسجماً وسبكاً رائعاً، ولفظاً شائقاً... وهذا كلّه شيء حسن جميل ليس لحسنه نهاية فإذا أراد شخصية الشّاعر أخطأها ولم يجدها أو روح العصر لم يكد يحسّها، وذلك لأن شعراءنا، وإن كانوا لا يزالون يأتون في شعرهم بالبيت النّادر، والمثل السّائر، والقلادة المرويّة، والفريدة العبقريّة، غير أنّهم لا يجلون المعاني الحديثة في كلامهم، ولا يزفّون أبكار الأغراض فيما يحيكون من الأشعار بل لا تزال لهم التفاتة إلى الشّعر القديم يسرقون منه ويغيّرون عليه، أو ينحون نحوه ويقتاسون عليه».

ثمّ لم يكتفِ المازني بهذا بل صب جام غضبه النّقدي على الشّاعر **حافظ إبراهيم** وتابع نقده له في مقالاتٍ نشرها في مجلة «عكاظ» من عام ١٩١٢م ـ ١٩١٤م، انتقده فيها نقداً مراً، وقارن بينه وبين شكري «ساعة صفائها» فقال: «ويعد حافظ إذا قيس بشكري كالبركة الآجنة إلى جانب البحر العميق الزاخر، ومع هذا الولاء المطلق لشعر «شكري» فقد قُلبت الأمور ليصبح النّقد موجّهاً من شكري للمازني في مقدّمة ديوانه الخامس» موضّحا أن المازني قد سرق بعض الشّعر الإنجليزي وادعاه لنفسه محدّداً تلك القصائد، ومعيداً إيّاها لأصحابها، وكانت تلك هي القشة التي قصمت ظهر البعير، ودفعت المازني إلى الانصراف نهائيا عن الشعر بعد ديوانه الثاني عام ١٩١٧م، ولمّا ينته الأمر عند هذه الحال بل لقد ردّ المازني على شكري بأشد مما تلقّى منه فقد سمّاه «**صنم الألاعيب**» ووصفه بأنّه مجنون وشاذ ومجرّد من المواهب الفنيّة الشّعرية، ومع ضعف الحجّة في نقد المازني إلا أن ذلك النّقد أدّى بشكري إلى اعتزال الأدب بل الحياة الأدبيّة بأسرها.

وما دمنا نحوم حول **مدرسة الديوان** فإنني أجد طرافة في جر العقاد إلى جوار صاحبيه، فله كما هو معروف عدة مواقف نقدية ومن أطرف مواقفه أنه تناول بعض قصائد **شوقي** كقصيدته الرثائية **لمصطفى كامل**:

فجعل يقدم ويؤخر في أبياتها، وينقص منها دون أن يختل المعنى العام، ومعنى الأبيات مفردة، وخرج بنتيجة هي أن شعر شوقي يخلو من الوحدة العضوية.. وثأراً لشوقي قام **الدكتور محمد مندور** أثناء مناقشته لآراء العقاد في شوقي فتناول قصيدة من ديوانه «**هدية الكروان**» وهي رثائية أيضاً مطلعها:

رفيق الصّبا المعسول أبكيك في الصبا

فجعل مندور يقدم ويؤخر وينقص من

أبياتها لينتهي في النهاية إلى نتيجة في العقاد هي نفس نتيجة العقاد في شوقي . ولا يغيب عن الذاكرة . . عميد الأدب العربي **طه حسين** الذي رضي بهذا اللقب ونافح عنه بقية عمره ، فله صولات وجولات مع أنه كان رهين محبسه خاصة مع الأدباء الشباب . . ولعل كتابه « **الأدب الجاهلي** » كان نقطة تحول في حياة طه حسين النقدية والعقائدية ، ولنترك هذا الجانب مكتفين بموقفين أو ثلاثة من مواقفه النقدية وقبل أن نسمي أسماء نورد رأيه في شعراء عصره : « إنك لتبحث عن الشاعر الشاب الذي نشأ في هذه الأعوام فصرف جماعة من الشباب عن **شوقي وحافظ ومطران** فلا تجده . . وعن الكاتب الشاب الذي ظهر فاستحدث مذهباً في النثر صرف بعض الناس عن **هيكل** والمازني والعقاد فلا تظفر به . . . »[٢]

ومع إشادة طه حسين بشوقي وحافظ كشاعرين إلى هذا القدر إلا أنه عاد فتراجع عن رأيه في موقف آخر وقال عنهما : « إنهما لم يبلغا من التفوق ما كنت أحب لهما وأتمنى للشعر العربي الحديث ولكن ينبغي ألا نلومهما في ذلك فلم يكن هذان الشاعران إلا مرآتين صادقتين للعصر الذي عاشا فيه » . وقد يبدو حنان طه حسين على الشاعرين وبره بهما فيما قال ولكنه إثخان بلا دماء . . يدل على حساسية مفرطة لديه من كل قلم يبرز في بيئته وموقفه من **الدكتور إبراهيم ناجي** شاهد على ذلك ــ فلقد اعتبر أشعار ناجي ــ أشعار صالونات لا تحمل أن تخرج إلى الخلاء فيأخذها البرد من جو النهار[٤] . . أي تدن بمستوى شعر الرجل إلى هذا الحد . . ! يمكن أن يبرره مع أنه عاد فتاب واستغفر واعتذر كما سيتضح بعد رد (ناجي) إذ رد عليه رداً عنيفاً اطلع عليه طه حسين فتأثر به وأحس بالذنب تجاه الرجل . . فداعبه ومد له يد الأسيّة وقال في رده : « إني لم أحزن حين رأيت الدكتور ناجي يعلن زهده في الشعر ، لأني قدرت أن الدكتور ناجي إن كان شاعراً حقاً فسيعود إلى الشعر راضياً أو كارهاً سواء

★ د . محمد مندور ★

ألححت عليه في النقد أو رفقت به . . وإن لم يكن شاعراً فليس على الشعر بأس في أن ينصرف عنه ويزهد فيه ، وأنا منتظر أن يعود الدكتور ناجي إلى جنة الشعر . . . » .

لا تجزع يا سيدي من النقد ولا تظن أن عمل الناقد يكون البناء دائماً ، فقد يكون من الخير أن تهدم بعض الأبنية التي تحجب الضوء والهواء عن أبنية أخرى هي أحق بالبقاء . . والأدب الذي لا يقف للنقد العنيف لا يستحق أن يكون أدباً ولا يستحق أن يعنى به أحد . .

وانتقد طه حسين اسم ديوان ناجي « وراء الغمام » وقال ماذا يعني . . . ؟

وقد رد عليه ناجي بقوله : أما إذا قصدت معناها الحرفي . . فليس لدي إجابة على سؤالك وإذا قصدت معناها الرمزي فالإجابة لا تكلفني ولا تكلفك نصباً ، وبيدي كتاب لشاعر غربي هو « **بيتس** » اسمه « السّلّم الملتف » فهل تقول ما علاقة السّلّم الملتف بالشعر . . ؟

إنها لتسمية سخيفة فإذا حاسبته كما تحاسبني كنا عندك جميعاً من سقط المتاع . . . .

وقبل أن أختتم هذه المراجعات النقدية يجدر بي أن أنتخب موقفاً نقدياً واحداً منصفاً يشيد بإنتاج معيّن لسبب معيّن . . وقد وقعت عيني على قول للأستاذ « **عبد اللطيف شرارة** » في حق **الشاعر القروي « رشيد سليم الخوري »** جاء فيه :

« القروي ذو نزعة رومانطيقية واضحة ، تتمثل لديه في قربه من الطبيعة ، وإيثاره للبساطة ، وتعلقه بضرب من التسليم يشبه إلى حد بعيد إيمان **جان جاك روسو** وتعبّد **هوغو ولامرتين** ولكن على طراز شرقي خالص يقول[٥] :

أحببت فيك بساطة شرقية
فيها الجمال الأنثوي مجسم
ليس التمدن يا لمية غير ما
حكماء شعبك من قديم علموا
وحضارة الغربي برج حماقة
كف تعمره وكف تهدم

ويقول في قصيدة أخرى واصفاً عفاف امرأة :

ما دغدغت نهديك نافذة ولم
تترصدي الماشي ولم تتصيدي
لله سحر يديك بين طباخة
وخياطة ولطيف أشغال اليد
في حضن مثلك يا لمية مرفأ . .
للنفس من لجج الحياة المزبد

وللشعراء أقدم هذه الرؤية التي نسجتها تجربة شاعر صادق الشعر والشعور حيث يقول : « هناك شعراء دجالون ينظمون الآلاف من الأبيات الصحيحة ، الموزونة ، الملونة ، المليئة بالكلمات الجميلة حتى إذا حاول القلب قراءتها حزن أشد الحزن لأنه لم يقع في ناظمها على الشاعر الحقيقي ولماذا هذا . . . ؟ لأن الشاعر لم يذرف دمعة واحدة ، وهو يخط قصيدته لأنه لم يدع قلبه يملي عليه ما يشعر به . . . . » إلياس أبو شبكة[٦] .

الهوامش

(١) عمر بن أبي ربيعة . . حبه وشعره ، الجزء الثالث ، ص ٣٧٧ ، الدكتور جبرائيل جبور .
(٢) مهمة الشاعر في الحياة ، سيد قطب ، ص ٦ .
(٣) المصدر السابق ، ص ٧ .
(٤) ديوان إبراهيم ناجي ، ص ٨١٩ .
(٥) الشاعر القروي « شعراؤنا » عبد اللطيف شرارة ، ص ٤٥ .
(٦) الغربال الجديد « ميخائيل نعيمة » ، ص ٥٠ .



شنج هو رحالة مسلم من الصين

حين زار ابن بطوطة مرافئ الصين عام ١٣٤٥ م، وجد فيها أعداداً غفيرة من العرب والمسلمين فقال إن المسلمين كانوا مجتمعين في كانتون وزيتون (تسوان شو) وهانج شو (التي يسميها ابن بطوطة خنسا). وأشار إلى أن كانتون هي أعظم مرفأ وقعت عليه عيناه في العالم، وأن هانج شو هي المدخل إلى بكين، وهذا المرفأ فيه كثير من المسلمين يسكنون مدينة خاصة بهم من أصل المدن الست التي تشكل ذلك المرفأ. وأسواق مدينة المسلمين مبنية على هيئة الأسواق الشرقية ويعيش أهلها على طريقة المسلمين في الشرق.

بقلم: سمير عطا

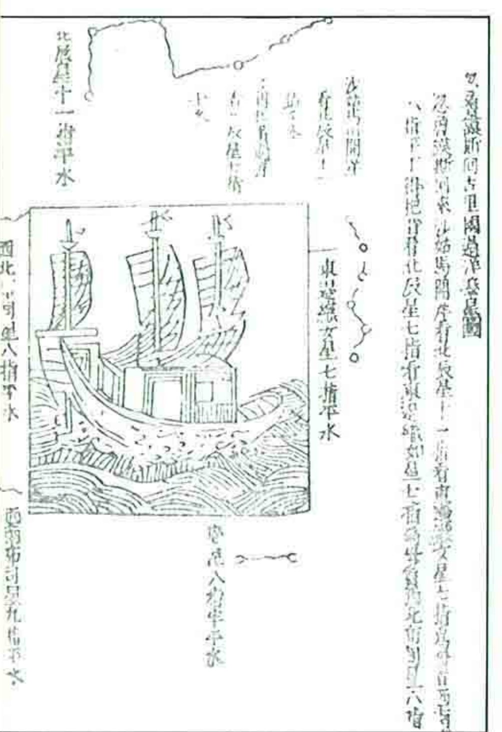
ومنذ القرن التاسع الميلادي كان المسلمون يعدون بعشرات الألوف في موانئ الصين.. دخلوها من مرفأ كانتون أو من خانفو.. ولم يأت القرن العاشر حتى وضع التجار العرب والمسلمون أيديهم على أغلب تجارة الصين حتى أصبحت السفن الصينية ذاتها يقودها ربابنة من العرب، وتركزت التجارة في أيدي عائلات كبيرة ألفت بيوتاً تجارية كان لها سطوة وهيبة. ويقول **ابن حوقل** الجغرافي العربي الذي عاش في القرن العاشر، إن تاجراً في البصرة هو **أبو بكر السيرافي** كان يملك كل السفن التي تنقل البضائع إلى الهند والصين وإفريقيا وتعج مخازنه بالأحجار الثمينة والعطور الغالية والحرير.

غير أن الصينيين ــ مع الزمن ــ أخذوا بدورهم يجوبون البحار ويصلون بسفنهم إلى بلاد العرب، إذ يذكر **المقريزي** رسو سفن صينية **في جدة**.. وجاء ذكر هذه الرحلات في كثير من المراجع الصينية التي تعود إلى هذه الفترة..

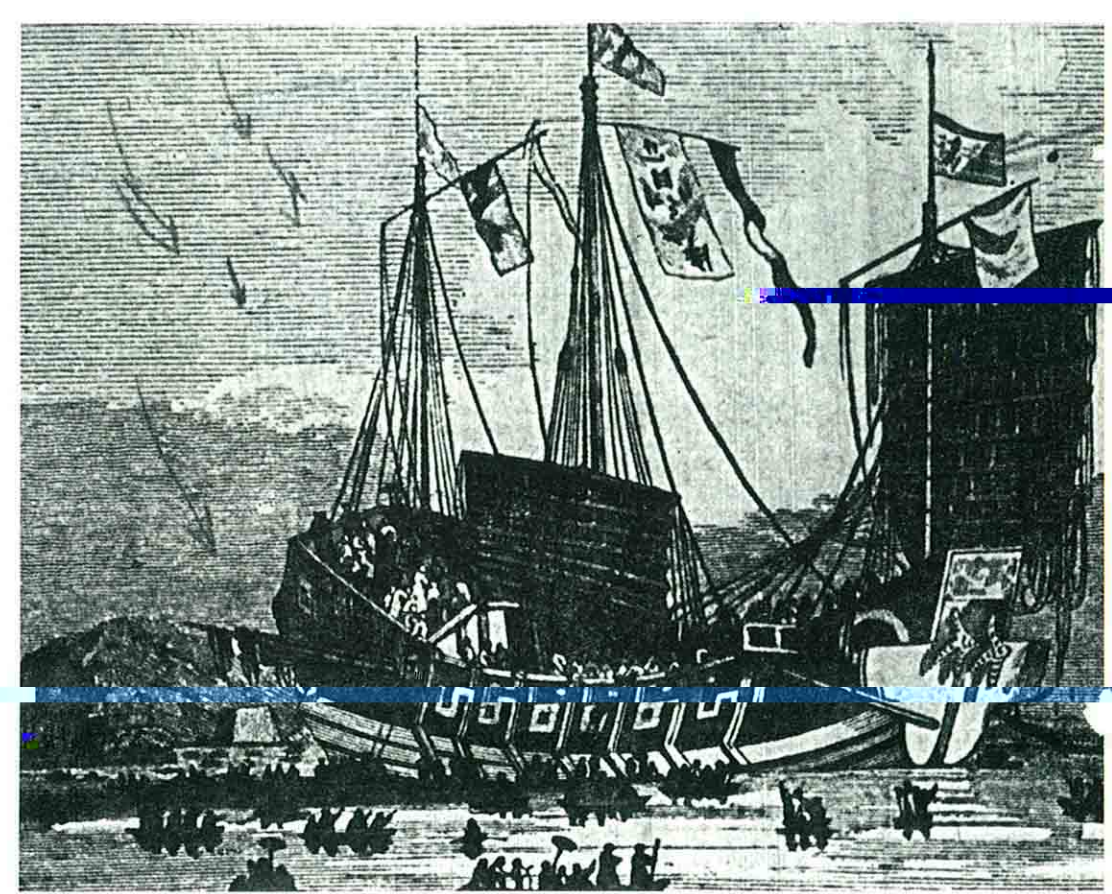
وأشهر رحلات الصينيين في هذا المجال تلك التي قام بها رحالة مسلم صيني يدعى «**شنج ــ هو**» قام بها فيما بين عامي ١٤٠٥ م، و ١٤٣٣ م، أي قبل رحلات **فاسكو دي جاما، وكولمبس، ودياز** أشهر مستكشفي الغرب بنصف قرن من الزمان.

شنج ــ هو

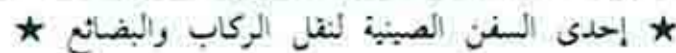
و «شنج ــ هو» سميوري.. والسميوريون أقلية صينية كانت تعيش في مقاطعة «يونان» ومعظمهم مسلمون. نشأ في مدينة «كنيانج» وعرف في صغره باسم «ما»، وهو اسم شائع بين مسلمي الصين. وقد حج جده «بايان» وأبوه «حاجي» إلى **مكة المكرمة**. وترجع الأسرة في أصلها إلى أواسط آسيا، جاءت إلى الصين مع **الفتح المغولي** لها. ومن شاهد قبر أبيه ــ الذي أقامه له «شنج ــ هو» عام ١٤٠٥ م، عند بوابة «كنيانج»، نعرف أن



★ صفحة من كتاب «وو ــ بي ــ شي» المجلد (١١١) وتشير الكتابة إلى أن السفينة تطلق أشرعتها من هرمز إلى كالكوتا في طريق العودة.. ★



★ إحدى السفن الصينية لنقل الركاب والبضائع ★





★ ابن بطوطة ★

«شنج ـ هو» كان أصغر ابنين لأبيه إلى جانب أربع أخوات .

وحدث أن أنزلت جيوش أسرة «منج» الهزيمة بالمغول في «يونان» عام ١٣٨٢ م ، فوقع «شنج ـ هو» أسيراً وهو ما زال طفلاً ، وسيق إلى «نانكنج» حيث ترعرع بها وأصبح «غلاماً» ـ أي خادماً في البلاط ـ وعيّن في خدمة أمير «ين» الذي اعتلى العرش فيما بعد تحت اسم «يونج ـ لو» . . وهو الذي أطلق على «ما» اسم «شنج ـ هو» . وقد حارب «شنج» مع أمير «ين» إبان سعيه لتولي العرش ولفت نظر الأمير بشجاعته وحسن خلقه فقربه الأمير إليه حتى أصبح موضع ثقته ، وجديراً بأن يكون مبعوثه إلى «البحار الغربية» وهو تعبير شائع كان يطلق آنذاك على ما وراء غرب «ملقا» .

هكذا بدأ «شنج» رحلاته عام ١٤٠٥م . . سبع رحلات شغلت من عمره ثلاثين عاماً قضاها وسط الأنواء في البحار باستثناء ست سنوات تولى فيها قيادة حامية «نانكنج» .

★ مركب عربي يخرج من ميناء «مسقط» في طريقه إلى الهند وإفريقيا في العصور الوسطى ★

والصين دولة بحرية قديمة ، فسواحلها تمتد ستة آلاف ميل ، بينما تكتظ مياهها بآلاف الجزر ، وكانت مراكز التجارة الخارجية الصينية

في **العصر الوسيط** تتمثل في مدن : كانتون وينانجشو وشوانشو ، في حين كانت **شنغهاي** وكابنو وهانجشو ونـنجبو ما تزال في المهد موانئ

بسيطة ناشئة . وتشير المراجع الصينية إلى بعثة بحرية أرسلها **الإمبراطور « فو ـ تي »** من أسرة « هان » في القرن الثاني عشر الميلادي إلى جنوب الهند . . ولا ينكر فضل **البوصلة** ـ وهو اختراع صيني ـ على تقدم الملاحة وتطور فن بناء السفن . ولقد كتب « شواشو ـ في » الجغرافي الصيني في القرن الثاني عشر الميلادي ، وصفاً شائقاً للسفن الصينية آنذاك فقال عنها إنها « بيوت ضخمة ذات أشرعة كالسحاب لكل منها دفة يبلغ طولها عدة شنجات (الشانج حوالي ١٣,٥ قدماً) وتستطيع الواحدة منها حمل مئات من الأفراد ومؤونة عام من الغلال » .

ونجد مثل ذلك في كتابات **ابن بطوطة** في القرن الرابع عشر حين يتحدث عن السفينة الصينية التي تحمل ألف مسافر والتي تفصل بين مقصوراتها حواجز سميكة تحول بينها وبين الغرق إذا ما اصطدمت بالصخر . ويقول كذلك : « كان الربان يحدد موقع سفينته عن طريق النجوم ليلاً وعن طريق الشمس نهاراً . أما في الأيام المغيمة الكثيرة السحب فكان يعتمد على

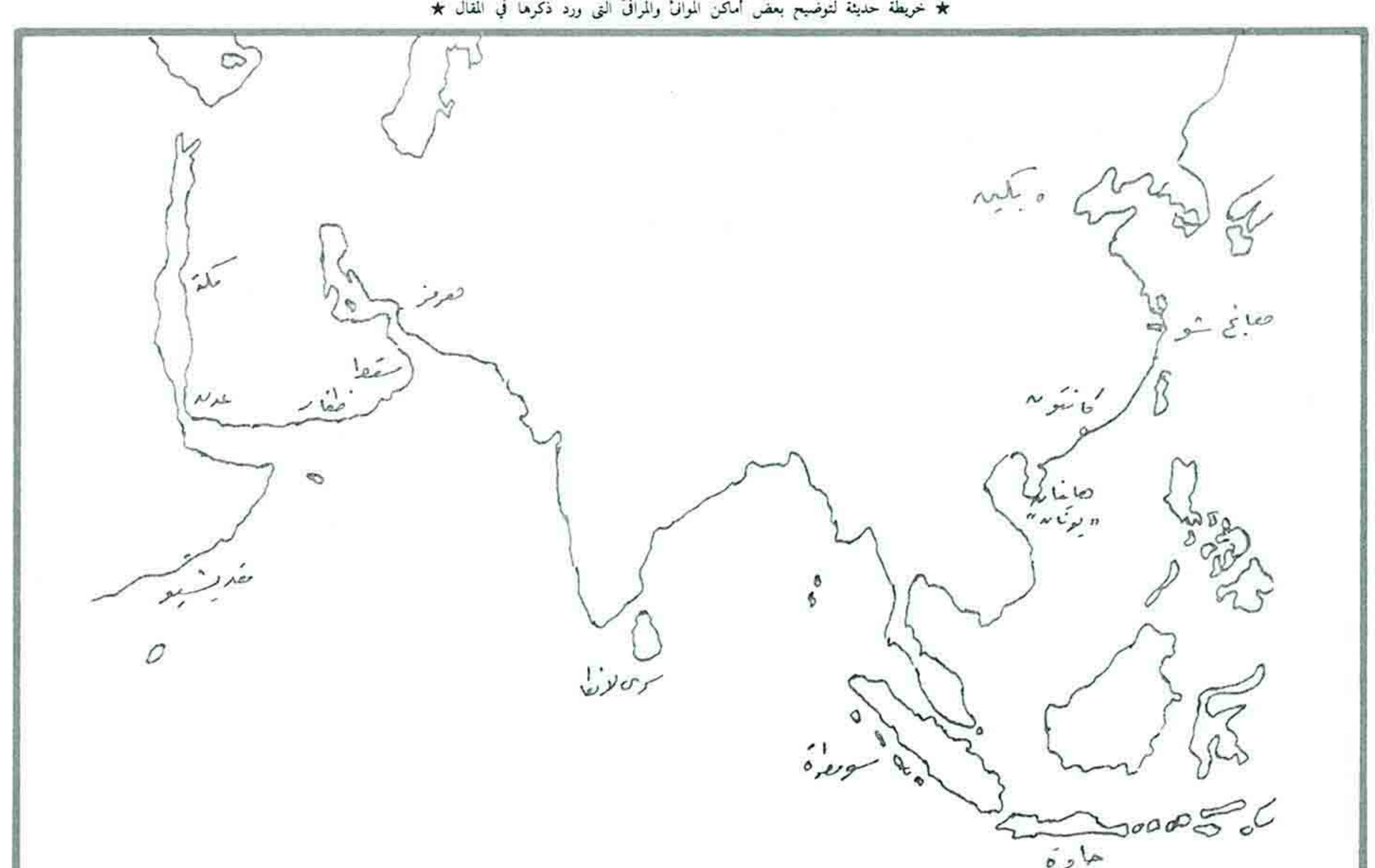
شنج هو
رحالة مسلم من الصين

البوصلة » . . ثم يصف لنا ابن بطوطة مقياس الأعماق وكيف كان الصينيون يستعملونه بمهارة .

ولعل رحلات « شنج » كانت نتيجة للظروف التاريخية التي صحبت الفترة الأولى من عهد أسرة « منج » فقد حدث عام ١٢٨١ م ، وأسرة « يوان » المغولية تتقدم إلى الصين ، أن أرسل **الإمبراطور « كوبلاي خان »** أسطولا كبيراً إلى اليابان بقصد غزوها ، غير أن الأسطول أصيب بكارثة كالتي أصيب بها بعد ذلك بثلاثمائة عام **أسطول « الأرمادا » الإسباني** الذي دمرته البحرية البريطانية . وكان نتيجة ذلك أن ضعفت البحرية الصينية في الوقت الذي كانت فيه بحرية اليابان تزداد قوة ، وبدأ غزاة اليابان يغيرون على شواطئ « شانتونج » وغيرها من المقاطعات وأخذت **إمبراطورية « تيمورلنك »** تهدد حدود الصين الغربية فوقفت التجارة بسبب ذلك مع غرب آسيا .

وما كاد أول إمبراطور من أسرة « منج » يعتلي عرش الصين وهو الإمبراطور « هانج ـ وو » ـ عام ١٣٦٨ م ، ـ ١٣٩٩ م ، حتى اعتزم بناء عمارة بحرية صينية قوية فأنشأ حوضاً للسفن ، وأمر بغرس الأشجار الصالحة لبناء السفن على سفوح الجبال الأرجوانية المحيطة بعاصمته « نانكنج » ، ثم افتتح معهداً للغات الأجنبية يدرس فيه الملاحون فن الترجمة . وأرسل البعثات الاستكشافية إلى أواسط آسيا لتجمع الأخبار عن إمبراطورية تيمورلنك ، كما أرسل بعثات غيرها إلى « سريجيفايا » ـ بالمبانج الآن ـ في « سومطرة » ، و « بورنيو » و « كولا » بجزائر الهند وذلك لإقامة علاقات تجارية

★ خريطة حديثة لتوضيح بعض أماكن الموانئ والمرافئ التي ورد ذكرها في المقال ★



ودبلوماسية مع هذه الجهات .

ثم أضاف الإمبراطور الثالث من أسرة « منج » وهو « يونج ــ لو » إضافات كبيرة إلى ذلك مما أدى إلى قيام « شنج ــ هو » برحلاته . . ومن استقراء تاريخ أسرة « منج » نجد عدداً من الاحتمالات وراء بعثات « شنج ــ هو » البحرية فمنها أن الإمبراطور شك في ولاء ابن أخيه الهارب « هو ــ تي » فكلّف « شنج » بالبحث عنه ومطاردته غير أنه يحول دون قبول هذا الاحتمال مدى ضخامة هذه البعثات . . ومنها أيضاً ــ وهو الأقرب إلى المنطق ــ الرغبة في استكشاف القوى البحرية للبلاد المجاورة والاحتكاك بها فضلاً عن محاولة إقامة قواعد بحرية للصين .

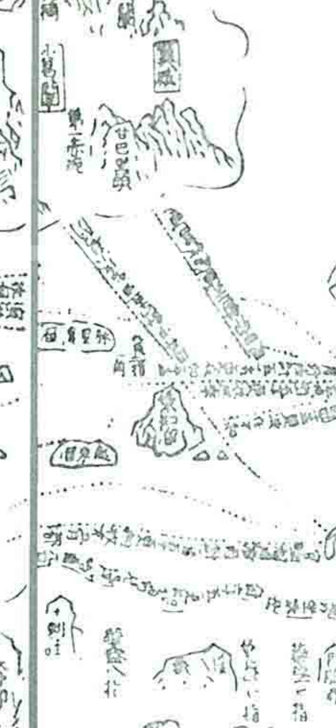
رحلات شنج

وعلى أية حال فقد قام « شنج » برحلاته عقب النهضة الاقتصادية والسياسية التي قامت على أكتاف « يونج ــ لو » فطاف بكثير من الأقطار . وترك لنا زملاء له رافقوه في تلك الرحلات بعض الكتابات والتعليقات كانت هي المصادر الأولى لتاريخ بعثاته البحرية . فقصة « **عجائب المحيط وقت الشفق** » التي كتبها « **ماهوان** » وطبعت عام ١٤١٦ م ، تحوي بعض التعليقات عن تسعة عشر قطراً مجاوراً ، وقصة « **عجائب النجم الساري** » التي كتبها « في ــ هوسين » وطبعت عام ١٤٣٦ م ، تشير إلى أربعين قطراً . وكتاب « **أمم أجنبية في البحار الغربية** » الذي كتبه « كونج ــ شنج » في نفس العام يصف عشرين قطراً . وتشمل هذه الكتابات وصفاً وتحديداً للزمن الذي استغرقته رحلات « شنج ــ هو » فضلاً عن وصف العادات والتقاليد والملامح التي اتصفت بها هذه الأقطار في تلك الفترة .

فقد قام « شنج ــ هو » **برحلته الأولى** عام ١٤٠٥ م ، على رأس أسطول يضم ١٧٨٠٠ رجل مبتدئاً رحلته من ميناء ليو ــ شيا بالقرب من نانكين عاصمته الصينية في ذلك الوقت . وفي مطلع السنة التالية كان الأسطول قد غادر المياه الصينية ووصل إلى شامبا على ساحل ڤيتنام الحالية ، ثم هبط إلى الجنوب حتى مشارف جاوه . وبعد ذلك اتجه الأسطول غرباً إلى بالمبانج على الساحل الشمالي لسومطرة ثم وصل إلى **سريلانكا (سيلان)** ثم إلى كوشان وقاليقوط . . ومن هناك اتخذ طريق العودة ماراً بمضيق ملقا . . حتى وصل إلى نانكين في أكتوبر (تشرين الأول) عام ١٤٠٧ م .

ومن عام ١٤٠٧ م ، إلى عام ١٤٠٩ م ، قام **برحلته الثانية** التي زار فيها جاوه وكوشان وكالكوتا وسيام . . وفي يناير (كانون الثاني) عام ١٤١٠ م ، ابتدأ **رحلته الثالثة** على رأس أسطول يتكون من ثمانية وأربعين مركباً . . وسار في نفس طريق الرحلة الأولى حتى قاليقوط . . حاملاً رسالة إلى ملك ملقا . . وفي العودة وقع صدام عسكري بينه وبين أهل سريلانكا حيث أخذ ملكها أسيراً وعاد به إلى **بكين** التي أصبحت منذ عام ١٤١١ م ، عاصمة للصين .

وفي العام التالي ١٤١٢ م ، قام **برحلته الرابعة** . . ويمكن القول إنه بعد ذلك التاريخ



★ جزء من خريطة بحرية وردت في كتاب « وو ــ بي ــ شي » المجلد (٢٤٠) تشير إلى الهند وأرخبيل جزر المالديف (ذيبة المهل كما يسميها ابن بطوطة) وسري لانكا (سيلان) والساحل الشرقي لإفريقيا ★

★ كولومبس ★



★ ماركوبولو ★





تكثفت الأنشطة البحرية الصينية في الجزء الغربي من المحيط الهندي . ومر أسطول « شنج ـ هو » بجاوه وسومطرة وملقا وسريلانكا وكوشان وقاليقوط . . ثم واصل إبحاره حتى هرمز في الخليج العربي . وفي العودة اشتبك مع بعض أهالي جزيرة **ساموردا (سومطرة)** لمؤازرة بعض السلطات الإسلامية المحلية ضد « سلطانها » وانتهت الرحلة عام ١٤١٦م .

وفي عام ١٤١٧م ، قام **برحلته الخامسة** على نفس طريق الرحلة الرابعة تقريباً . وعاد منها عام ١٤١٩م ، ومن المحتمل أن يكون قد وصل فيها إلى هرمز ايضا .

وقد انفصل جزء من أسطوله عنه ودار حول الساحل الشرقي لإفريقيا ، والشاطئ الساحلي الجنوبي للجزيرة العربية فمر بمقديشو وبراوا وعدن وظفار ولاسه . . وقد حمل « شنج ـ هو » من هذه البلاد أنواعاً معينة من الحيوانات عاد بها إلى الصين وصنفها في قائمة خاصة نحتها على حجر في ميناء ليو ـ شيا ، جاء فيها أنه عاد « من هرمز بالأسود والفهود ذات البقع الذهبية والخيول العربية ومن عدن بالزرافات « أوشي ـ لين » وهي حيوانات ذات رقاب طويلة . . وكذلك الظباء ذات القرون العالية التي تسمى « ما ـ لا » بلغة الأوريكس في شمال شرقي الهند ، ومن مقديشو الحمار الوحشي المخطط « هوا ـ فو ـ لو » وكذلك الأسود ، ومن براوا الجمال التي تجري مائة فرسخ دفعة واحدة ، وجمالا مجنحة تسمى « النعام » . . وفي بكين أثارت الزرافة انتباه الصينيين فقد رأوا فيها حيواناً أسطورياً كانوا يعتقدون فيه اسمه « شين ـ لين » ومن الغريب أن يتفق الاسم الصيني « شين ـ لين » أو يقترب من الاسم الإفريقي للزرافة وهو « جيري » . وتقول الأسطورة الصينية إن « شين ـ لين » حيوان أثير لأنه لا يظهر إلا في السنوات المليئة بالخير والتي تدل على فضائل الإمبراطور . لذلك كان وصول الزرافة إلى بكين حدثاً هاماً بالنسبة لهم . . . وسارع الشعراء يكيلون المديح للإمبراطور لظهور هذه العلامة الميمونة . . ولئن كان الإمبراطور لم يتحمس لهذا الحادث كثيراً ـ ربما لثقته بأن فضائله أو خيراته

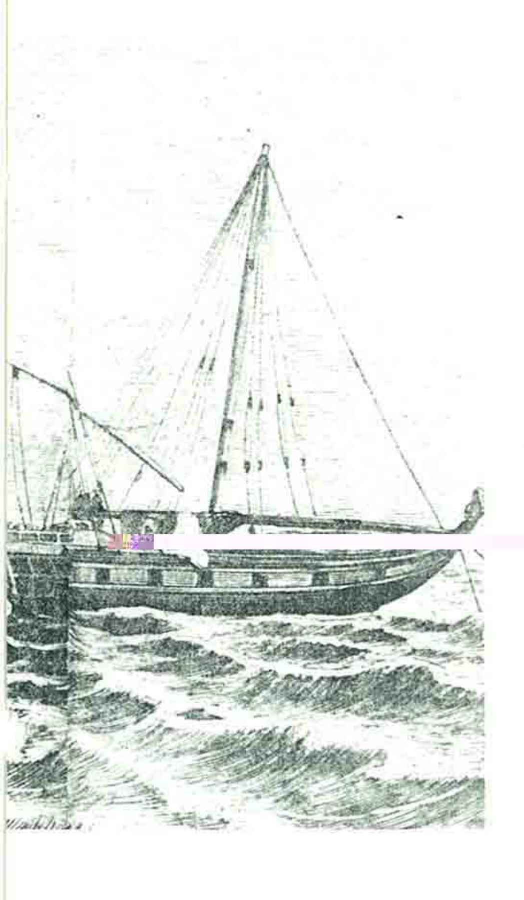


لا يجب أن ترتبط بظهور حيوان أو أي دليل آخر ـ إلا أنه رضخ لتيار الاعتقاد السائد بين الناس وخرج بنفسه إلى بوابة فينج ـ تيان لاستقبال هذا الضيف الكريم .

وفي **الرحلة السادسة** التي بدأت عام ١٤٢١م ، ضم الأسطول واحداً وأربعين مركباً من بينها عدد من المراكب ذات الحمولات الكبيرة وانقسمت الحملة عند سومطرة حيث أبحر جزء منها إلى الساحل الغربي للمحيط الهندي . . وعند عودة الأسطول عام ١٤٢٣م ، كان من بين رجاله « ١٢٠٠ مبعوث من خمسة وعشرين قطراً » من بينها براوا ومقديشيو وعدن وهرمز .

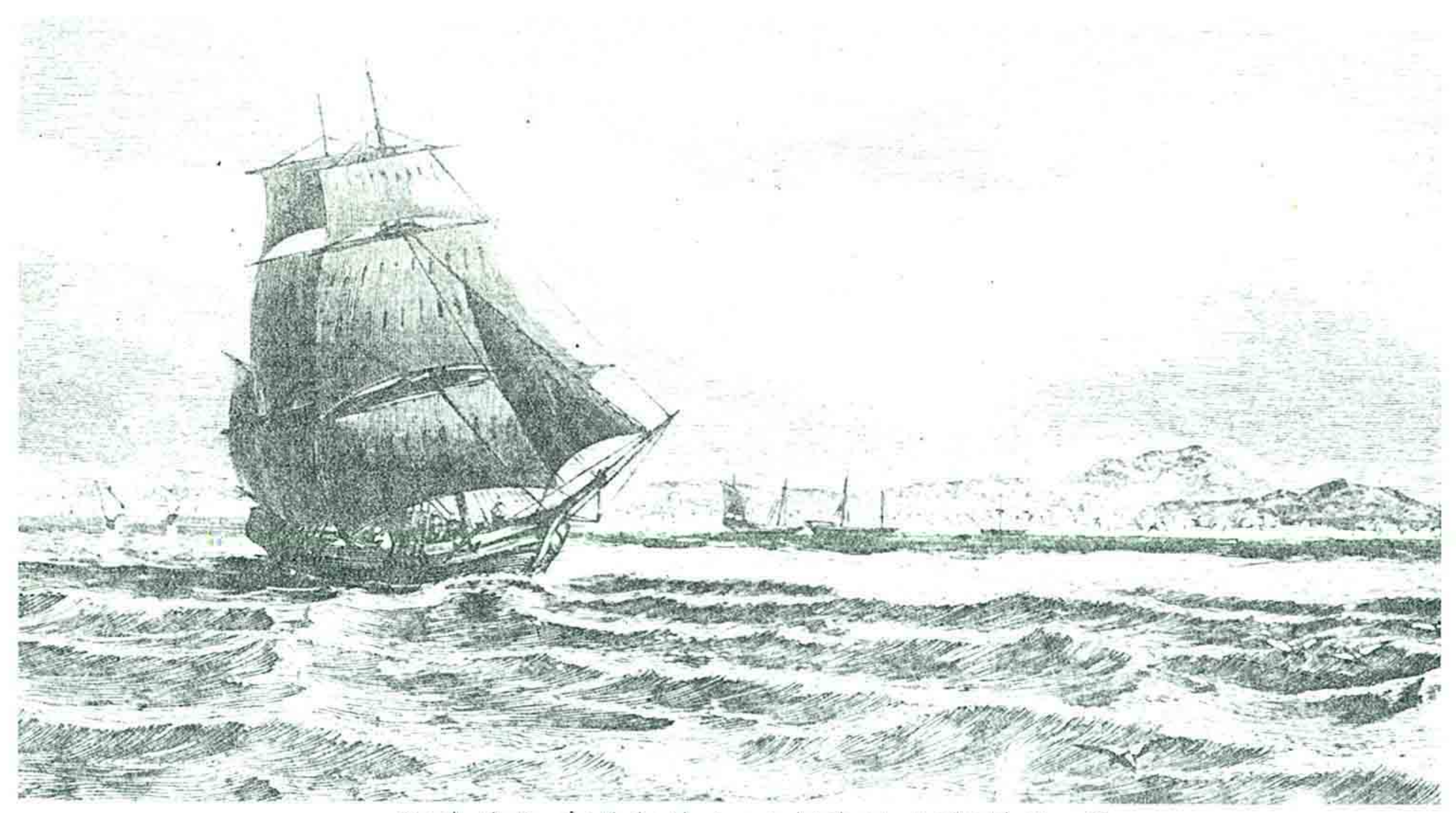
وبعد انتهاء الرحلة السادسة لم يستطع « شنج ـ هو » القيام **برحلته السابعة** إلا بعد ثمان سنوات ، إذ توفي الإمبراطور « يونج ـ لو » فانتهت بعهده فترة الرحلات الكبرى مؤقتاً . . . وإن كان قد استطاع مؤخراً إقناع الإمبراطور « هسوان ـ تي » بعمل **الرحلة السابعة** التي تألف الأسطول فيها من إحدى وستين سفينة عليها ٢٧٥٥٠ رجلاً . . وابتدأت الرحلة في يناير (كانون الثاني) عام ١٤٣٢م ، وطافت بسواحل جنوب آسيا حتى وصلت إلى هرمز ثم عادت إلى نانكين في يوليو (تموز) عام ١٤٣٣م ، وقد ضمت هذه الرحلة سبعة مترجمين وانفصل « شنج ـ هو » عن باقي السفن في كالكوتا وتوجه إلى مكة المكرمة التي عرفت في الآداب الصينية باسم « تينج ـ فانج » . . ثم عاد والتحق بباقي أسطوله .

هذه خلاصة لأخبار هذه الرحلات السبع التي قام بها الرحالة المسلم الصيني « شنج ـ هو » الذي يعتبره



الصينيون صنواً لماركوبولو الأوروبي ، أو ابن بطوطة العربي . وإن كان واضحاً أن الغرض من هذه الرحلات كان إقامة علاقات تجارية مع محاولة إظهار الهيمنة الإمبراطورية في ذلك الوقت . . . وبعد وفاة « شنج ـ هو » شاعت في الصين قصص رحلاته التي عرفت فيا بعد باسم « **قصص الغلام سان باو** » . . و « سان باو » اسم آخر لشنج ـ هو » وهو اسمه الرسمي في دواوين الحكومة . وقد جمع « لوموي ـ تنج » هذه القصص عام ١٥٩٧م ، في كتاب من مائة فصل عن « **رحلات الغلام سان باو في البحار الغربية** » . . كما أطلق اسمه على بعض المنشآت والمدن مثل مدينة سان باو في « ملقا » وتل سان باو في « جاوه » وكهف ومعبد سان باو في « سيمارنج » .

وتشير مصادر رحلات « شنج ـ هو » إلى أنه كان حريصاً على اصطحاب عدد من رجال الدين المسلمين معه في رحلاته ، وقد ذكر منهم **الإمام حسن إمام مسجد « شنج ـ شنج »** الذي دعاه إلى الإبحار معه في رحلته الرابعة . كما بلغت سفنه من الضخامة حداً مفرطاً



★ رسم قديم لميناء «المخا» على ساحل الجزيرة العربية وبه بعض السفن التي كانت تجوب بحار الهند والصين ★

بمقاييس ذلك العصر فكان طولها حوالي ٦٠٠ قدم أي ما يعادل ٤٤,٤ شانجاً صينياً مع عارضة وسطى يبلغ طولها ٢٥٠ قدماً، أما السفن ذات الحجم المتوسط فكانت تزيد عن الخمسمائة قدم طولا و ٢٠٠ قدم عرضاً.

وكانت الملاحة وقتذاك تعتمد على ملاحظة الأجرام السماوية والبوصلة، ويحسبون الوقت بالكنج وهي علامة تقدر بجزء من عشرة أجزاء من اليوم، أي أن اليوم كان عشر كنجات. ويترك لنا «في ـ هوسين» مؤلف «عجائب النجم الساري» وصفاً لسفينة صينية فيقول إنها رفعت اثني عشر شراعاً حينما نزلت إلى البحر. ويبدو أن الخرائط البحرية كانت تستعمل في ذلك الوقت فقد وجد في المجلد ٢٤٠ من «موجز وو ـ بي ـ شي» وهو كتاب عن التجهيزات العسكرية طبع عام ١٦٢١م، رسم أفقي طويل لخريطة (من حوض السفن الإمبراطوري على ممر نهر التنين في اليانجتسي إلى الأقطار الأجنبية في البحار الغربية).. وواضع الفهرس يخبرنا أن الرسم مؤرخ منذ عهد «شنج ـ هو».

وكانت التجارة الصينية قد ازدهرت في هذه الأيام بين الصين و «البحار الغربية» فكانت السفن تحمل من الصين (الخزف الأزرق والأبيض، والحرير، والستان، والديباج، والقطن الملون المزخرف، والثياب الصفراء المعروفة باسم نانكين نسبة إلى مدينة نانكينج، والذهب، والفضة، والحديد، والنحاس، والفلفل، والحبوب، والمسك).. ثم تعود إليها (بالتوابل والأصباغ والأعشاب الطبية والأحجار الكريمة واللآلئ، وقرن الخرتيت والعاج وريش الطاووس وحيوانات خط الاستواء).

كذلك نشطت العلاقات بين الصين وتلك البلاد التي زارها «شنج ـ هو» ويذكر «في ـ هوسين» و «ماهوان» الذي طبع كتاب «موجز وو ـ بي ـ شي» كيف خرج أمراء ظفار وساحل الجزيرة العربية الجنوبي يرحبون ببعثة «شنج» الصينية.. وكانت «**ملقا**» تعتبر مفترق الطرق البحرية لملاحي الصين فكانت فيها (المخازن لتخزين الوقود والمؤن والسفن المتجهة إلى الوطن).. وكانت هذه السفن تحتشد في «ملقا» حتى منتصف مارس (آذار) حيث تبدأ الرياح الجنوبية فتأخذ طريقها إلى الصين بعد رحلاتها الطويلة.

وقد ترك لنا الملاحون الصينيون أوصافاً شائقة لتلك البلاد التي زاروها حيث وجدوا هناك كثيراً من مواطنيهم من التجار والعمال الذين كانوا قد هاجروا إليها من المقاطعات الساحلية منذ عهد أسرة «تانج» (٦١٨م ـ ٩٠٧م)، ويعيش معهم بعض التجار والعمال الفرس والعرب. وحين زار «شنج ـ هو» وزملاؤه ديراً بوذياً في سيلان قدموا إلى رهبانه بعض الذهب والفضة والمزاهر ومحارق البخور والمصابيح والشموع كما أقاموا لوحاً تذكارياً هناك عثر عليه عام ١٩١١م. ويذكر «ماهوان» أن حاكم «قاليقوط» أهدى الرحالة الصيني المسلم زناراً يزن خمسين أوقية من الذهب وقد أثنى على الملاحين والأطباء والعمال الذين صاحبوا البعثة من البنغال وهرمز (وبهلونات فارس وصانعي الجواهر من عدن). كما وصف «ماهوان» الكعبة الشريفة وامتدح كثيراً (بواباتها الجميلة وأعمدتها الفخمة) كما وصف قبر النبي عليه الصلاة والسلام بالمدينة المنورة.



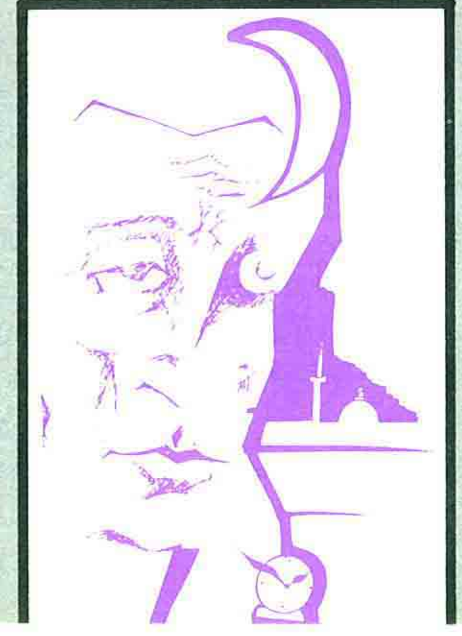



شعر: علي الحاج بكري

قلقٌ وأثقلني كاهلي الأرق
وكأنني أكوى وأحترق
الليل طال فكيف أقطعه
كالبيد ضلّت عبرها الطرُق
أهوى الرُقاد وكيف أدركه
والفكر تيّاه الرؤى نزق
وأعارك الساعات أدفعها
وكأنني من ثقلها حنق
لي مُقلة يقظى وإن عثرت
فيها الأشعة أو خبا الألق
ترنو ولا تهفو وقد شردت
لا الحسْن يجذبها ولا الأفق
من ذا أنادم؟ خافقي قلق
ماذا أؤمّل والمنى مزق

* * *

وخرجت أغشى الليل منسرباً
في كل درب أزرع المللا
دقات أقدامي تواكبُها
دقات قلب ينشد الأملا



هل من سبيل والرؤى ظلَمٌ
والهمّ أغلق دونه السُبُلا
وإذا همست يضجّ في خلدي
دعرٌ كأني أخمد الوجلا
وإذا التفت فمن يسامرني؟!
ظلّي تكاثف يحجب المُقلا
أتخيّل الجدران شاخصة
نحوي تُراقب عاثراً خجلا
وكأنما صمت الدجى شبح
مثلي يجوبُ الدرْب مُرتحِلا

* * *

ومضيت في دربي أصارعه
لكنه في غفلة عنّي
خبرُ الأنام وليس يزعجُه
وقْعُ الخُطا تَنساب في وهْن
ورجعت ما أضنى الرجوع إلى
مثوى يضيق ويشتكي منّي
لا الوعي يسعفني بطلعته
أجتاز من ظنّ إلى ظنّ
وذكرت أياما مضت وبها
ما كنت أطلبه من الأمْن
برقت سرابا كيف أدركه
وكأنما يغتالني حزْني
وارتاع قلبي، اشتد بي قلقي
وهتفت دعني حالما دعْني

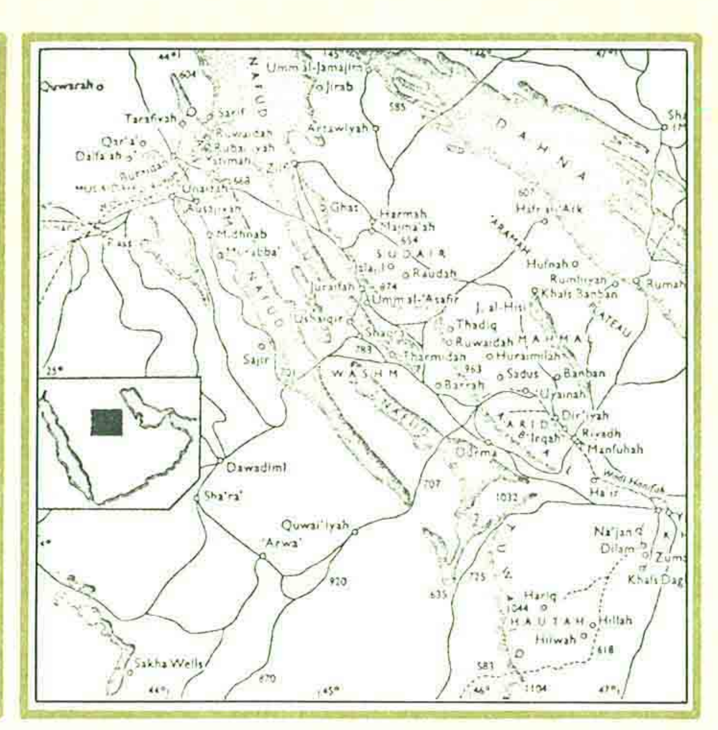
* * *

ورجعت ما هذا الذي سمعت
أذني وراح يثير لي حدسي
وانساب في الآفاق منطلقا
عذبا ندي الوقْع والجرْس
وتلفتت عيني وطالعني
نور تألّق في دجى حسْي
الله أكبر راح يُطلقها
صوت الأذان كنفحة القدس
ما للنداء يدبُّ في خلدي
يُمنا ويمسح ظلمة النفْس
وشعرت بالإيمان يُخرجني
من وهدتي ويشدُ من بأسي
وسلكت درب الله منتصراً
ولّى الظلام وأشرقت شمسي

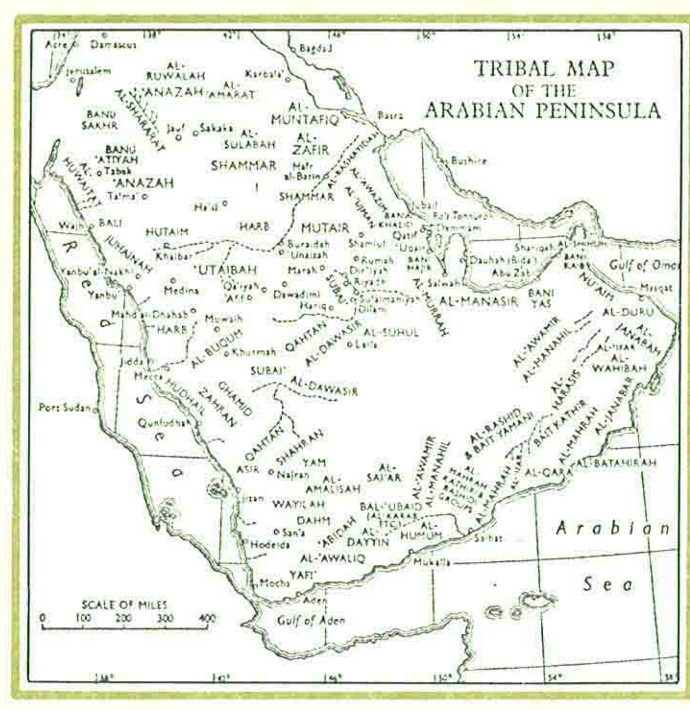


رحلة في كتاب العربية السعودية في القرن التاسع عشر

تأليف :
د. بيلي ويندر
عرض :
د. أحمد فؤاد متولي



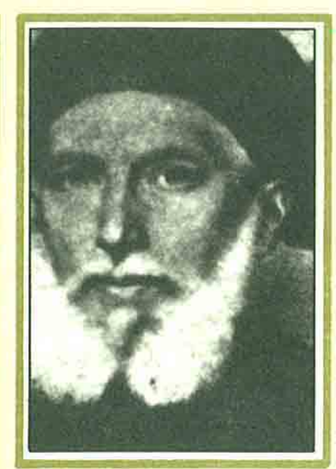
★ منطقة نجد ★

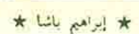


★ خريطة القبائل في شبه جزيرة العرب ★

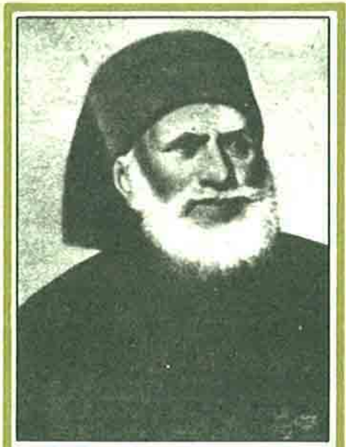
لقد زاد الاهتمام مؤخراً بهذه المنطقة ، فأصبح العالم ينظر إليها بإعجاب . وازدادت تبعاً لذلك كتابات الكتّاب والمؤرخين ، وأبحاث العلماء حول هذه المنطقة التي استرعت انتباههم ، واستحوذت على اهتماماتهم . وقام فريق من الأوروبيين بعمل رحلات عديدة إلى هذه المنطقة ، جابوا فيها الصحارى المترامية ، واجتازوا الجبال والوديان ، والتقوا بشعوبها . . ووضعوا ما رأوا في كتاباتهم وتقاريرهم . وقد لعب



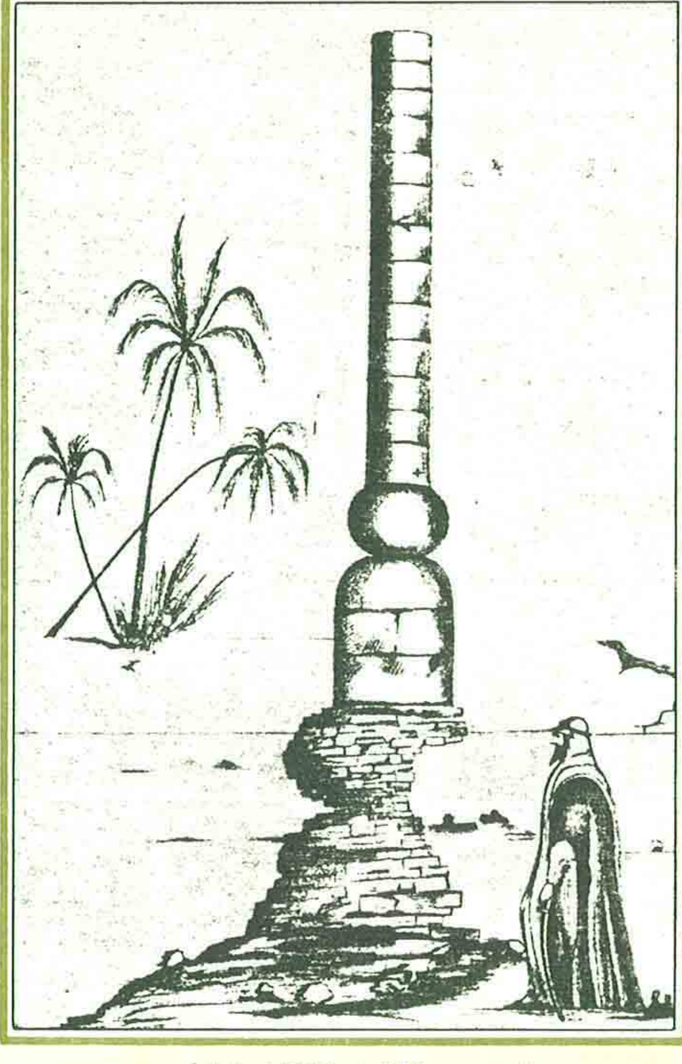




★ إبراهيم باشا ★



★ محمد علي باشا ★



★ عمود سدوس كما كان يبدو عام ١٨٦٥ م، عندما دمّر..
نقلاً عن تقرير (بيلي) الذي كتبه عن رحلته إلى الرياض ★

الرحالة الأوروبيون دوراً كبيراً في اطلاع الأوروبيين على أخبار هذه المنطقة، وعلى عادات شعوبها وتقاليدها، وأنساب قبائلها وفروعها ومواطنها القديمة، وعلاقاتها مع بعضها، وتاريخها القديم والحديث، وجغرافيتها الطبيعية والبشرية. وقد أفاض بعضهم في وصف كل هذا وتوضيح معالمه. وقد اتسمت معظم كتاباتهم بالواقعية والصراحة، ونحا بعضها الآخر نحو المبالغة والتهويل، واتجه بعضها نحو الكذب والافتراء. ومن الملاحظ على كتابات بعضهم أنها كانت تخلو من الاعتماد على المصادر المحلية التي رصدت أحوال الجزيرة على مر التاريخ. كما اتجه البعض الآخر منهم إلى الاعتماد على الكتابات الأوروبية السابقة عليه.

هذا الكتاب ومؤلفه

والكتاب الذي نتعرض له بالبحث والدراسة يسمى «**العربية السعودية في القرن التاسع عشر**» **للدكتور بيلي ويندر**. وهو كتاب محايد لمؤلف يهوى الكتابة عن الجزيرة، وله فيها أبحاث عديدة. وقد بدأ اهتمامه هذا منذ أن أعد رسالة للدكتوراه، شملت معلومات كثيرة عن الجزيرة بين ثناياها. **ويمتاز هذا المؤلف عن غيره من الأوروبيين والأميريكيين في أنه اعتمد في بعض معلوماته على المؤرخين النجديين كابن بشر، وابن غنام، وغيرهما، فضلاً عن اعتماده على المراجع الأوروبية**، مما جعل كتابته صادقة، تبتعد عن الميل والهوى، كما تبتعد عن التأويل الخاطئ، أو التهويل الهادف. لكنه كان صادقاً في كلامه، عميقاً في كتابته لاعتماده على هذين المصدرين الأساسيين في كتابة بعض من تاريخ هذه المنطقة.

الفصل الأول

يتحدث المؤلف في **الفصل الأول** الذي خصصه للتمهيد عن السبب الذي أدى إلى قلة المعلومات التي يمكن الاعتماد عليها رغم **اتساع مساحة الجزيرة العربية التي تبلغ قدر مساحة الولايات المتحدة شرقي المسيسبي تقريباً**. ويشيد بدور العرب الأوائل، وإعجاب العالم بهم، لأنهم أول من أحدثوا أعظم ثقافتين وهما: **الوحدانية، وحروف الكتابة**. ويشير إلى أن الجزيرة هي موطن العرب الأوائل، ومهبط الوحي الإلهي. ثم ينتقل بعد هذه المقدمة



★ الملك عبد العزيز ★

السريعة إلى القول إن صحوة عربية أخرى ظهرت مع مولد الدعوة السلفية الإصلاحية في العصر الحديث في منتصف القرن الثامن عشر الميلادي . هذه الدعوة التي نادت بتدعيم مبادئ الإسلام الجوهرية في صفائها الأول زمن النبي **محمد صلى الله عليه وسلم** . ولأهمية هذه الدعوة ينظر إليها البعض على أنها بداية لتاريخ العالم العربي الحديث . وقد مكن **آل سعود** هذه الدعوة من أن تربط شمال الجزيرة بجنوبها ، وشرقها بغربها ، فتوحدت الصفوف ، وازداد النفوذ والصمود أمام الضربات القاسية التي كالها لها الأعداء في الداخل والخارج . ثم يحدد المؤلف بعد ذلك **منطقة نجد جغرافياً** ، أو قلب الجزيرة كما يسميه . . ويذكر الظواهر الطبيعية والجغرافية والبشرية ، وينتقل بعد ذلك إلى تقسيم التاريخ السعودي إلى الثلاث مراحل المعروفة ، مشيراً إلى أن المرحلة الأولى ، وهي **الدولة السعودية الأولى** انتشرت فيها الدعوة بسرعة نتيجة للقوة العسكرية ، وإيمان الناس بها . ويذكر أن العالم لم يعرف عن الدعوة إلا القليل منذ أن قامت سنة ١٧٤٤م ، أو سنة ١٧٤٥م ، إلى أن دخلت **كربلاء** سنة ١٨٠١م ، ثم فوجئوا بها تطرد الأتراك من **مكة المكرمة والمدينة المنورة** سنة ١٨٠٦م . وبعدها بدأت تنتشر من **دمشق وبغداد** إلى **اليمن** ، **وحضرموت** ، ومن **الخليج العربي** إلى **البحر الأحمر** . أما عهد **الدولة السعودية الثانية** الذي يبدأ في سنة ١٨١٨م ، فهو موضع هذا البحث ومجال دراسة المؤلف . وينتقل المؤلف بعد ذلك إلى إلقاء نظرة سريعة وعميقة على نشأة الدعوة السلفية ومبادئها ، متحاشياً الدخول في التفاصيل ، بحجة أن كتابه لا يتناول الدعوة منذ نشأتها ، لكنه **يركز على المرحلة الثانية من الدولة السعودية** . ثم إنه يذكر المعلومات المتواترة في كتب التاريخ السعودية التي عاصرت الفترة ، ويحللها تحليلاً منطقياً مفيداً ، مستخلصاً النتيجة التي استخلصها قبله **المؤرخ الكَنَدي « ولفرد كانتول سميث »** وهي « أن الإيمان اعتقاد وقول وعمل عند السلفيين » ، ومشيراً إلى رأي « جب » الذي يقول فيه : « **إن أثر الدعوة التجديدي الإصلاحي أخذ ينتشر رويداً رويداً في جميع أنحاء العالم الإسلامي لأنها تحدث النظريات الفلسفية والأفكار الوجودية التي تسللت إلى التوحيد الإسلامي الخالص** » .

الفصل الثاني

ويخصص المؤلف **الفصل الثاني** عن **غزو محمد علي** للجزيرة عام ١٨١٨ ـ ١٨٢٢م ، وموقف **إبراهيم باشا** الحرج « إذ كان على بعد ألف ميل من **القاهرة** ، وعلى بعد مئات الأميال عن قاعدة عملياته الرئيسية في الحجاز ، حيث تفصل بينه وبين قاعدته صحراء واسعة ، محفوفة بالمخاطر لانتشار الأهالي غير المناصرين له فيها » .

ثم جلت قوات محمد علي عن نجد في مايو (أيار) ١٨١٨م ، وأبقت يدها على الحجاز . انسحبت القوات في ظروف صعبة جداً ، نظراً لمرورها في مناطق شاسعة لم يكن فيها نصير . ويستعرض المؤلف الدمار والخراب الذي حدث لنجد والحجاز وعسير من جراء هذه الحملة ، ويذكر المقاومة العنيفة التي لاقاها إبراهيم باشا في غزوه لمناطق الجزيرة المختلفة التي تعرض لها ، ويؤكد على حرج موقفه في عدة معارك كادت تودي به وبجيشه . ويتحدث المؤلف بعد ذلك عن **المنطقة الشرقية** ، ثم ينتقل إلى وصف **قطر** وموقعها ، ويذكر بعضاً من تاريخها ، ويركز على أخوة الخليج ، وقرابة حكامه بعضهم لبعض .

وتحت عنوان « **عُمان والساحل المتصالح** » يتحدث عن الموقع الجغرافي وأقسام المنطقة ، مركزاً على القرصنة في الخليج ، ودور **القواسم في رأس الخيمة** في التصدي للقرصنة ، **ودولة البوسعيد في عُمان** . ويذكر تحت عنوان « المصالح البريطانية وخططها » أن المصالح البريطانية



في الخليج العربي وخاصة في عُمان والساحل المتصالح تنبع من وجود البريطانيين في الهند . ويرون أن الخليج ينبغي أن يكون منطقة مفتوحة لتجارتهم ، ويعملون على منع أي قوة من التواجد في الخليج تهدد مصالحهم في الهند . وكانوا يتوجسون خيفة من وجود **الفرنسيين** بقيادة **نابليون** في مصر ، ويعتبرون ذلك مقدمة لخطر التنافس . وهذا ما دفعهم إلى ضرورة القيام بدور أكثر نشاطاً في الخليج وفي الشؤون العربية . ويتطرق في الحديث عن **رحمة بن جابر** إلى الدخول في أعمال القرصنة ونشاط رحمة فيها .

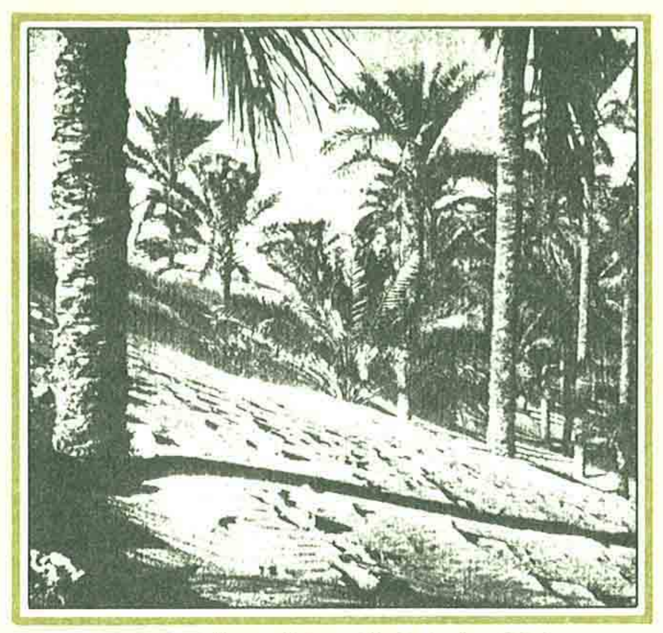
وينتقل الدكتور (**بيلي ويندر**) مؤلف الكتاب بعد ذلك للتركيز على خطة **البريطانيين** لحماية مصالحهم ، فيتحدث عن مهمة **الكابتن سادلير ١٨١٩** م ، الذي أرسلته حكومة الهند ليغري إبراهيم باشا بدخول مناطق الخليج للقضاء على مقاومة الخليجيين للقرصنة البريطانية ، ومواجهة السعوديين في هذه المناطق لزعزعة موقفهم فيها ، لكن هذه المهمة فشلت فشلاً ذريعاً ، وعاد سادلير صفر اليدين بعد أن عانى من اجتياز الصحراء المترامية الأطراف ، وسلبية إبراهيم باشا ، وفتوره معه ، وعدم تمكينه من غرضه ، بعد أن قضى في هذه الرحلة الشاقة ثلاثة عشر شهراً . ولم تنتظر بريطانيا مهمة سادلير ، فقد كان لديها انطباع يدل على عدم احتمال مساعدة إبراهيم باشا ، وأرسلت « **وليم جرانت كير** » على رأس حملة كبيرة إلى الخليج ، للاستيلاء على **رأس الخيمة** بالذات . وقد أحرزت الحملة بعض النجاح ، لكنها ووجهت بمقاومة لم تعمل حسابها ، خاصة عندما قاد **طومسون** القوات البريطانية المهاجمة لقبيلة « **بني بو علي** » سنة ١٨٢١ م .

الفصل الثالث

وفي **الفصل الثالث** يتحدث المؤلف عن الاضطراب الذي ساد الجزيرة بعد الخراب الذي أحدثته حملة إبراهيم باشا ، ويصف هذه الفترة ومحاولات لم الشمل ، واستجماع القوة ، لكي تنطلق الدعوة السلفية في طريقها مرة أخرى ، فيذكر حكم **ابن معمر** ، ثم تولي **مشاري بن سعود الكبير** ، وعودة الحكم إلى السعوديين مرة أخرى .

الفصل الرابع

وفي **الفصل الرابع** تجدد النزاع بين ابن معمر **وتركي بن عبد الله آل سعود** ، وتفكير محمد علي في السيطرة على الجزيرة مرة أخرى ، وإرساله بعض القوات للسيطرة ، وعودة الحكم التركي مرة أخرى ، إلا أن تركي تمكن بعد محاولات عديدة من التغلب على ابن



★ القطيف : الصراع الذي لاينتهي بين الصحراء والأرض المزروعة ★

معمر وعلى الحاكم التركي ، ثم تولى حكم الدولة السعودية الثانية التي أسسها سنة ١٨٢٣ م ، ونقل عاصمته من **الدرعية** إلى مدينة **الرياض** . وبدأ الإمام تركي يخضع بعض المناطق التي لم تدخل في طاعته بعد ، فدخلت **الخرج ، والحوطة ، والمحمل ، وسدير ، والأفلاج ، والوشم** ، وعاد إلى الوطن من شردتهم حملات الترك المتعددة . وخضعت بعد ذلك **القصيم وجبل شمر** . ثم أرسل رجاله إلى المنطقة الشرقية لمنازلة بني خالد ، فأحرزوا انتصارات كبيرة عليهم ، مكنتهم فيما بعد من إحكام السيطرة وإرجاع النفوذ إلى منطقة **الأحساء** ، ثم **القطيف** ، ودخلت **البحرين** في طاعة الإمام تركي ، واعترفت بالسيادة السعودية ، وتم توقيع اتفاق تعاون بين الفريقين ، ثم ينتقل المؤلف إلى الحديث عن العلاقة بين تركي وعُمان والساحل المتصالح . وقد حقق تركي هدفين هامين في المنطقة الشرقية : أخضع ساحل الخليج كله لسلطانه سواء عن طريق الحكم المباشر من الرياض ، أو عن طريق تبعيتها له ، ثم إنه حقق الوئام والسكينة بينه وبين البريطانيين في الخليج .

وبعد أن سرد المؤلف مراحل كفاح الأمير تركي ، ومحاولاته الدائمة لم الشمل ، ورأب الصدع الذي أحدثه الاعتداء الخارجي من قبل محمد علي ومن الترك ، يتوقف عند هذه النقطة ليتناول بعض نواحي الحياة المختلفة في الدولة السعودية الثانية التي أرسى أسسها الأمير تركي . فيتحدث عن فكرة الأمير تركي عن الحكومة التي يرى أن يكون العدل فيها أساس الحكم . ثم يتطرق إلى تعاليم الدعوة السلفية ، ومدى تقيد الأمير بها والتزامه بتعاليمها ، ويتناول بعض المواقف الدينية التي تدل على

التمسك بالإسلام تحت عنوان «**إسلاميات**»، ولم يفت المؤلف أيضاً أن يتحدث عن **الأدب شعره ونثره**. وتناول **الحياة الاقتصادية** أيضاً، فقال: «**كانت الحياة الاقتصادية في عهد الأمير تركي أكثر ثباتاً وازدهاراً عما كانت عليه في السنوات التي سبقت تلك الفترة مباشرة**» ويتحدث عن **الحياة الصحية**، فيذكر ما حدث من **الكوليرا** التي هاجمت الجزيرة مرتين، مرة في عصر الدولة السعودية الأولى، ومرة في عهد الدولة السعودية الثانية على عهد الأمير تركي. وبعدها يذكر **اغتيال الأمير تركي**، وما حققه من إنجازات يفخر بها التاريخ.

الفصل الخامس

وفي **الفصل الخامس** يتناول مدة حكم **الأمير فيصل** الأولى، ومحاولاته المستمرة لتثبيت قواعد الحكم، والقضاء على الاضطرابات، لكن الأمور لم تكن لتسير سهلة ميسورة، إذ سرعان ما اضطر الإمام إلى إرسال قوة حربية لاستعادة النظام في وادي الدواسر، حيث كانت المنازعات المحلية تتخذ طريق العنف، وكان من بينها المنازعات التي قامت بين آل الرشيد والسعوديين. وفي عهد **الأمير فيصل** يتجدد الزحف على الجزيرة العربية من قبل محمد علي من ناحية، ومن جانب الترك من ناحية أخرى، وتتعرض البلاد للخطر الذي يصوره المؤلف أعظم تصوير ويحلل جوانبه ودوافعه.

الفصل السادس

وفي **الفصل السادس** يتناول المؤلف مراحل غزو محمد علي للجزيرة وانسحابه منها، لقيام الدول الأوروبية بإرغامه على التخلي عن أفكاره الخاصة بإنشاء إمبراطورية واسعة، والدور الكبير الذي لعبه **خورشيد باشا** في الجزيرة شرقها وغربها، شمالها وجنوبها. وبعد انسحاب محمد علي ساد الاضطراب أجزاء كثيرة من الجزيرة، نظراً لما خلفه حكمه في هذه الديار من فوضى وقلاقل، ومنازعات شملت القصيم وشمر والمنطقة الشرقية.

الفصل السابع

وفي **الفصل السابع** تحت عنوان «**فيصل بن تركي** في الفترة الثانية من حكمه»، وقد «**تميزت عودة الإمام فيصل إلى زعامة الجزيرة العربية في سنة ١٨٤٥م، بفترة من الاستقرار والازدهار، بعيداً عن التهديد بالغزو**» باستثناء بعض القلاقل والاضطرابات التي حدثت في منطقة القصيم والحجاز. ثم ينتقل المؤلف إلى الحديث عن علاقة نجد بالدولة العثمانية في هذه الفترة، ويركز بعدها على مجالات الحكومة المختلفة، كالقضاء والنظام الحربي، والدخل وتعدد السكان، والمصروفات والتجارة، والشؤون الداخلية والعملة. ثم ينتقل إلى الحديث عن الأدب والتاريخ، والدعوة السلفية، ويقومها تقويماً موضوعياً مستشهداً برأي **الدكتور طه حسين** في الأدب. ويختم الفصل بالحديث عن فيصل الإنسان ثم يذكر وفاته.

الفصل الثامن

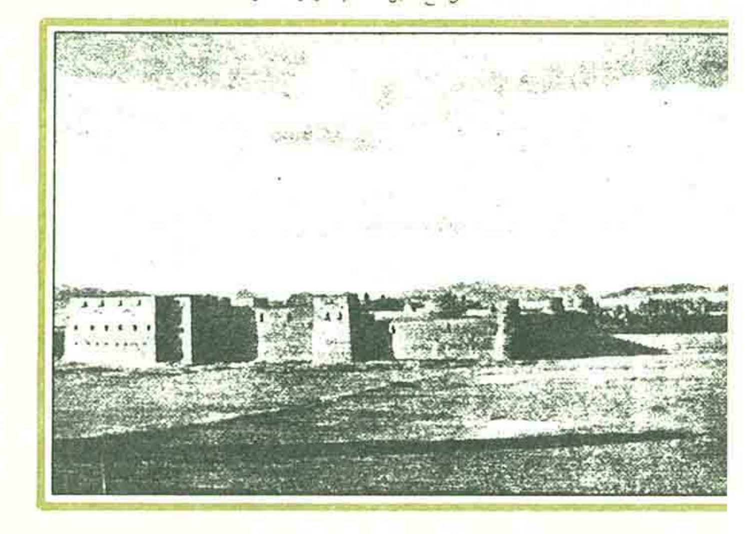
وفي **الفصل الثامن** يتناول المؤلف الفترة التالية على الإمام فيصل، وهي فترة القلاقل والاضطرابات التي انتابت الحكم عندما اختلف أبناء الإمام فيصل على الحكم وهم: **عبد الله**، **وسعود**، **ومحمد**، وانتهى الخلاف بتولي الإمام عبد الله الحكم. ثم تجدد مرة أخرى وتمكن الإمام سعود من تولي الحكم. وبعدها غزا العثمانيون منطقة الأحساء سنة ١٨٧١م.

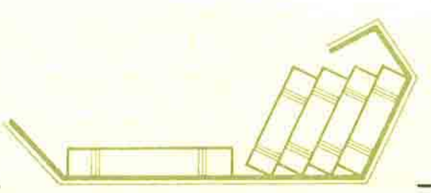
الفصل التاسع

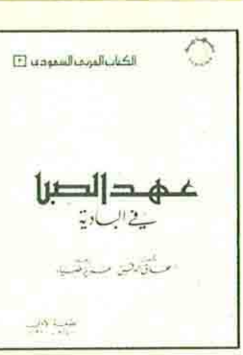
وفي **الفصل التاسع** والأخير يتناول المؤلف تولية الإمام عبد الرحمن للحكم، ومولد موحد الجزيرة المغفور له **الملك عبد العزيز**.

والكتاب بعد هذا العرض المفصل هو كتاب علمي يعتمد على مصادر كثيرة بلغت ٣٢٨ مصدراً من العربية والإنجليزية والفرنسية. ومؤلفه محقق ناجح استطاع أن يستوعب هذه الفترة التاريخية الحساسة، ويكتب عنها بموضوعية.

★ حائل مع جبل أجا في مؤخرة الصورة ★







عهد الصبا في البادية

المؤلف : إسحاق الدقس
المترجم : عزيز ضياء
عرض : عاصم الأدفوى

الكتاب الذي أعرض له من ثمار المطابع ، التي ظهرت حديثاً ، عن **مؤسسة تهامة للطباعة والنشر** ؛ ومن بين ما أصدرته في هذا العام (١٩٨٠ م) ؛ سلسلة عنوانها **(الكتاب العربي السعودي)** ، ظهر منها **« من ذكريات مسافر »** للأستاذ **محمد عمر توفيق** ، و **« قراءة جديدة لسياسة محمد علي باشا التوسعية (١٨١١ ـ ١٨٤٠ م) في الجزيرة العربية والسودان واليونان وغيرها »** للدكتور **سليمان بن محمد الغنام** ، والديوان الشعري **« عبير الذكريات »** للشاعر **طاهر زمخشري** ، والرواية الأدبية **« غداً أنسى »** للدكتورة **أمل شطا** .

ومنها الكتاب الذي بين أيدينا **« عهد الصبا في البادية »** وهو ترجمة عربية لكتاب « A Bedouin Bayhood » للأستاذ **إسحق الدقس** ، وهو فلسطيني ومن مواطني الأردن حالياً ، وترجمه إلى اللغة العربية **الأستاذ عزيز ضياء** .

* * *

وللبادية في الميراث التاريخي العربي والإسلامي مكانة سامية ، فهي المدرسة الأولى التي حرص العرب أن ينشئوا أبناءهم في رحابها الواسعة ، فكما تروي السيرة النبوية الزكية ، أن **عبد المطلب جد رسول الله صلى الله عليه وسلم** التمس له المراضع ، فاسترضع له ـ عليه الصلاة والسلام ـ **حليمة بنت ذؤيب من بادية بني سعد بن بكر** .

وبعد الفتح العربي الإسلامي للشام والعراق ومصر ، صارت بوادي شبه الجزيرة العربية ، ملتمساً لشعراء العربية وعلماء اللغة ، وكان **البصريون** يفتخرون على **الكوفيين** فيقولون : **(نحن نأخذ اللغة عن حرشة الضباب وأكلة اليرابيع وأنتم تأخذونها من أكلة الشواريز وباعة الكواميخ)** .

وعندما نما الفكر الثقافي العربي احتلت دراسة البيئة البدوية مكانها ، فهاهو **عبد الرحمن بن خلدون** في مقدمته الشهيرة ، يخصص الفصل الثاني منها للحديث عن (العمران البدوي والأمم الوحشية والقبائل) ، فيقدم فصولا عن أن (أهل البدو أقرب إلى الخير من أهل الحضر) ، و (إن أهل البدو أقرب إلى الشجاعة من أهل الحضارة) ، كما تناولت مقدمة ابن خلدون في الفصل الثالث ، موضوع (انتقال الدولة من البداوة إلى الحضارة) ، ومن المعروف أن عبد الرحمن بن خلدون يستخدم لفظ « العربي » عند الحديث عن البدو .

أما أحدث دراسة تناولت البيئة البدوية والإنسان البدوي ، فقد جاءت في كتاب **(العرب في المرآة)** للناقد الأدبي ، المؤلف المسرحي ، وكاتب الرحلات ، **البريطاني : « جوناثان ريان »** يقرر[1] (إن قوة التأقلم لدى البدو شيء لم يفهمه الكثيرون بعد ، والذين فهموه سيصابون بالفزع) .

والبادية لا تزال تحيا وتتنفس في المجتمعات

العربية حتى الحضرية منها ، فلا يزال المرء يسمع اليوم في **صعيد مصر الأقصى (محافظات سوهاج وقنا وأسوان)** ، كلمة « الخيمة » دلالة على القاعة الكبيرة المبنية بالطوب اللبن ، أو الحجر ، والتي يتجمع فيها رجال القرية وشبابها في المناسبات الاجتماعية كأفراح الزواج والمآتم ، أو في المناسبات الدينية كالاحتفال بالأعياد ؛ وأيضاً يجتمعون فيها للفصل في المنازعات التي تنشأ بين أبنائها ، بل إنهم يطلقون على مجلس القضاء هذا ، تعبير **« مجلس عرب »** .

وقد كانت البادية متغزل الشعر العربي ، وللأمير المجاهد البطل **عبد القادر الجزائري**[١] قصيدة شعرية تدور كلها حول محاسن البداوة ، وحياة الخيام ، والصحراء ، يقول فيها[٢] :

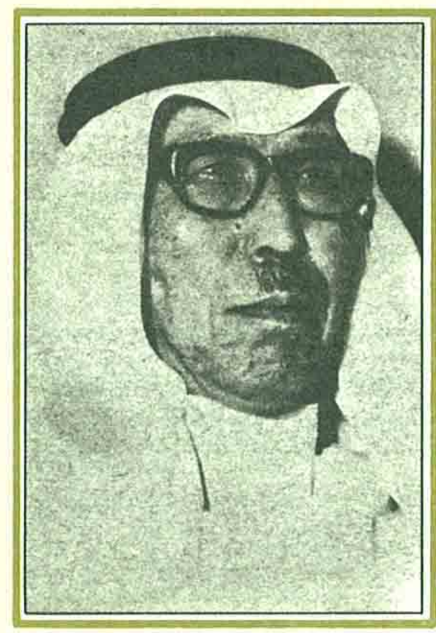
يا عاذراً لامرئ ، قد هام في الحضر
وعاذلا لمحب البدو والقفر
لا تذممنَّ بيوتاً خفَّ محملها
وتمدح حس بيوت الطين والحجر
لو كنت تعلم ما في البدو تعذرني
لكن جهلت ، وكم في الجهل من ضرر

إلى أن يقول :

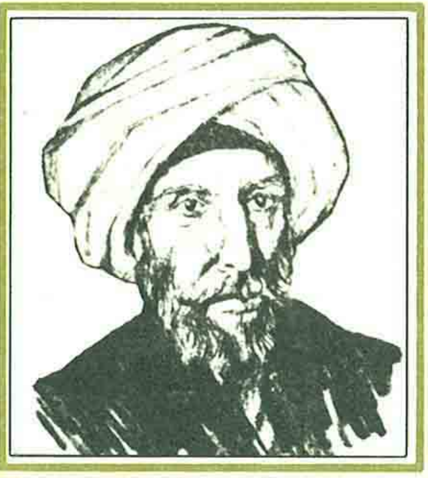
قال الألى قد مضوا قولا يصدقه
نقل وعقل ، وما للحق من غير :
الحُسْنُ يظهر في بيتين رونقه
بيت من الشَّعْر أو بيت من الشعَر

★ ★ ★

يدعو مترجم الكتاب **الأستاذ عزيز ضياء بن زاهد** في المقدمة ، إلى اهتمام شباب الحواضر والمدن بحياة البادية ، بيئة وسكاناً ، وينادي جهات الاختصاص إلى أن تولي عناية أكبر لاستنباط علاقة حميمة بين أبناء المدن وأبناء البوادي ، يقول[٣] (لأن مفهوم الوطن كأرض سيكون أكثر تكاملاً بهذه العلاقة التي لا بد أن تثمر تأصيلاً للانتماء وترسيخاً للتعلق بالأرض وإحساساً بحنان أمومتها ودفء حضنها وعطر ترابها) .



★ عزيز ضياء ★



★ ابن خلدون ★

ثم يستدرك المترجم ، إلى أن الإعجاب بحياة البادية ليس معناه الرضا عن حالة التخلف والجهل والشظف ، داعياً إلى تطوير حياة أهل البادية بما يقربها من حياة أهل الحواضر والمدن .

★ ★ ★

وكتاب (**عهد الصبا في البادية**) من كتب **المذكرات أو الذكريات** ، عرضها المؤلف في لوحات وصورها كما عاشها ، طفلاً وصبياً وشاباً في مقتبل العمر ، وهذه الذكريات لا يمكن أن تعتبر « سيرة حياة » أو « ترجمة ذاتية » ، كما تعرف في الآداب الغربية « Auto-Biographie » ذلك أن راوي الذكريات ، لا يقدم لنا سوى لوحات منفصلة ، مجتزأة من مراحل شتى في سنوات عمره ، لا يجمعها إلا أنها دارت في البادية .

ينقلنا راوي الذكريات إلى **طفولته** عندما كان يرعى الغنم والأبقار ، يذهب إلى المدرسة مع رفاقه الأطفال ، ثم غربته عن عائلته مرتين ، أولاهما عندما أقام في مدرسة داخلية قريبة من **مدينة بير السبع** ، والثانية عندما **التحق بالمدرسة الزراعية القريبة من بلدة طولكرم** .

ومن بين لوحات الذكريات ، ما يرويه لما صادفه ولقيه ، كمرشد زراعي يعمل على توعية المزارعين ، واطلاعهم على أفضل الوسائل في الزراعة ، ومقاومة الآفات الزراعية ، عندما عمل في **المملكة العربية السعودية** ، في **قريتي مزاحمة ، وغطنطة غرب الرياض** .

ويبدع راوي الذكريات ، في وصف الحياة اليومية لقبيلته ، التي تعتبر واحدة من أربع عشرة قبيلة تعرف **بقبائل الجبارات** ، وجميعها

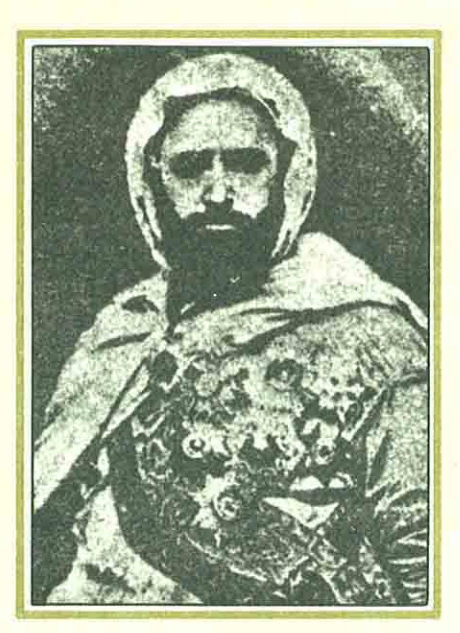


تعيش على جانبي **وادي الحيسي** ، وهـذه الحياة تقوم على رعي الأبقار والأغنام ، وعلى زراعة الفواكه والحبوب ، وبعض الخضر ، ويقيم الجميع في مضارب الخيام .

وعلى امتداد فصول الذكريات تنبث حقيقة ناصعة ، تحكم حياة الإنسان البدوي عامة ؛ ألا وهي إن هذا الإنسان وثيق الصلة ، ملتحم التحاماً كبيراً ، بـالطبيعة ، والحيـوان ، والإنسان ، فهذا الإنسان البـدوي (يقـرأ) الطبيعة ويستوعب لغتها ويفهمها ، فإذا رأى الرعاة المزارعون **زهـرة (الهيتـان)** ، وهي إحدى زهور الخريف ، تنمو في مجاميع ، وفي وقت مبكر ، فإن هذا معناه : أن الأمطار سوف تسقط هذا العام مبكراً وبغزارة ، وعلى الجميع أن يسرعوا بحراثة الأرض وبذر البذور .

وطابع **الحياة الاجتماعية البدوية** يقوم على التمام أبناء القبيلة ، بعضهم ببعض ، فهم يتعاونون في فلاحة الأرض ، فالعمل جماعي سواء في حراثة الأرض أو في حصاد الحبوب عند تمام نضجها ، وهم يساعدون بعضهم بعضاً في زراعة **بساتين الـكروم والتـين والزيتون** ، كذلك يتشاركون في أفراح الزواج وفي المآتم ، وفي المنـاسبات الـدينية ، ففي **عيدي الفطر والأضحى** ، يجتمع لا شباب قبيلة واحدة ، وإنما شباب قبائل الجرارات الأربع عشرة ، لإحياء الأعياد بالغناء والرقص والسباق على ظهور الخيل في **منطقة جرارة** .

ويجيش صدر كاتب الذكريات بالتعاطف الكبير الذي يبديه نحـو الإنسـان البـدوي ، حياته ، بيئتـه ، تقـاليده وعـاداته وأعـرافه الاجتماعية ، إنه يتغنى بأصوات **(المهـابش)** أداة طحن البـن ، وهـو يتصـاعد في الصـباح الباكر من كل الخيام .


★ عبد القادر الجزائري ★

يصور المؤلف ببراعة ملامح العديد من النماذج البشرية ، وأجاد رسم ملامحها الخارجية والنفسية ، وهي نماذج بشرية عـاشرها في قبيلته ، أو صادفها لدى القبائل المجاورة ، وهو في كل الأحوال ، يبدي تعاطفه الشديد نحوها ، حتى ولو كان عجوزاً طاعناً في السن ، كليل البصر ، لكنه يهوى مغازلة صغار القرويات اللائي يملئن جرارهن من النبع ، أو لـو كان متفرداً في البرية يحيا منعزلا هو وأسرته الصغيرة **كأبي زيد** ، أو لـو تحدث عن لص **كابن رزق** قبض عليه واحد من أبناء قبيلته ذات ليلة في خيمته .

كما يروي كاتب الـذكريات كثيراً من القصص الممتعة ، وهي قصص يمكن أن تعتبر من القصص القصيرة الجيدة ، كمأساة **الحبيبين نـايفة وعلي** راعيا البقر ، مـأساة الأب العجوز « **أبو صباح** » الـذي فقد ابنه الشاب صبيحة ليلة زفافه عندما سقط من على جواده ، أو مأساة « **أبو صالح** » البدوي الشهم الذي أنقذ عشرات المرات من الغرق وطوته المياه عندما وهنت قواه .

★ ★ ★

وهذه الذكريات التي يضمها (عهد الصبا في البادية) ، تشكل في مجملها ، أغنية بكائية طويلة كانت حبيسة صدره ، وهي أغنية يتردد في مقاطعها ، أمل بالعودة إلى حقول القمح ، وبساتين الكروم ، ومضارب الخيام . وكأن هذه الأغنية البكائية تعيد إلينا ؛ صورة ذلك الجد العربي الأندلسي ، عندما توقف بجواده لحظة ، ليلقى بتلك النظرة الأخيرة ؛ التي صاحبتها « زفرة » حارة ، على ربوع وبساتين وقصور ومآذن الأندلس في **طليطلة ، وغرناطة ، وأشبيلية** .

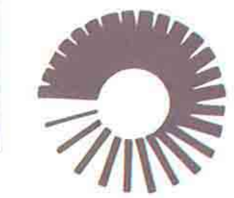
والملاحظة الهامة على هـذه الذكريات ، أنها لم تنزلق إلى الخطابية المباشرة ، عندما روت تاريخ وحياة قطعة من أرض فلسطين ، كما أن للكتاب قيمة إعلامية هامة ، برسمه وتصويره لحياة هذا الشعب العربي الفلسطيني ، وتقديمها للقارئ الأوروبي ، عندما نشر لأول مرة باللغة الإنجليزية .

الهوامش

١ ـ مجلة العربي ، عدد رمضان ١٤٠٠هـ ، أغسطس (آب) ١٩٨٠م ، صفحة ١٥٥ .

٢ ـ المجلة العربية (السعودية) ، العدد الافتتاحي ، الطبعة الثانية ، شعبان ١٣٩٥هـ ، آب (أغسطس) ١٩٧٥م) ، صفحة ١٢٢ .

٣ ـ كتاب : عهد الصبا في البادية ، صفحة ١٣ .





موضوع خاص

الاسكيمو

شعب العالم الثلجي

بقلم: عبد الرحمن حريتاني

★ الأبجلو (البيت الثلجي) والأسكيمو يبنيه من الداخل برصف الألواح الثلجية ★

في عام (١٨٥١ م) وبعد بحث غير مثمر عن مفقودين من حملة (فرانكلين Franklin) الاستكشافية، عاد المستكشف الإنجليزي الكابتن (إزاسمس أوماني Erasmus Ommanney) إلى إنجلترا مصطحباً معه عدداً من شباب الأسكيمو القطبيين Kallihiruas الذين يعيشون في شمال غربي جزيرة جرينلاند Greenland .. وعاش هؤلاء الأسكيمو مدة أربع سنوات في إنجلترا بعد أن كُيّفوا مع الحياة الأوروبية في اللباس والعادات والتقاليد .. وفي يوم من عام (١٨٥٥ م) كتب أحد هؤلاء الشباب رسالة كئيبة حزينة لصديق إنجليزي يقول له فيها: « ... طوال فترة إقامتي هنا في إنجلترا لم أكن مسروراً .. الطقس هنا سيء جداً .. أقول هذا وأنا آسف جداً .. الطقس مفزع وكريه .. وبلادي الحبيبة تختلف كليّة عن هذا .. يوم بارد .. ثم يوم آخر مطير مبلل .. ثم يوم ضباب .. ثم يوم آخر رطب .. أنا بائس وشقيّ وتعيس ... ». انتهت الرسالة.

القارة القطبية الجنوبية Antarctica والشمالية Arctic

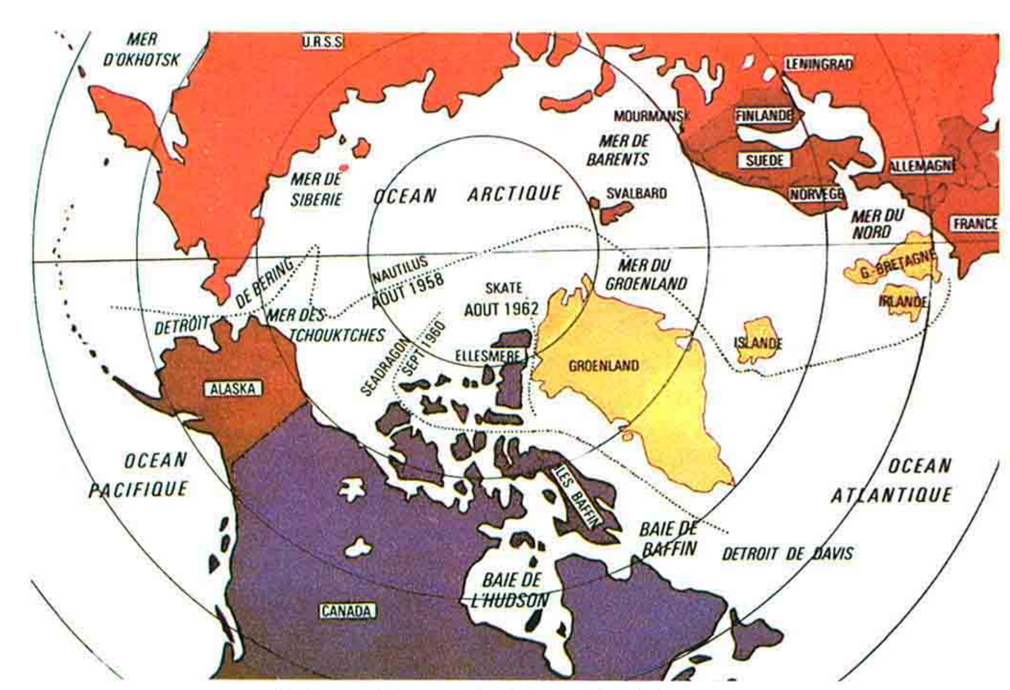
القارة القطبية الجنوبية Antarctica قبة هائلة من الجليد والثلوج ، وأقصى قارة بيضاء غير مأهولة على سطح الأرض ، والثلج يغطي مساحات شاسعة تبلغ حوالي (١٤) مليون كيلومتر مربع ، وهي رئة الكرة الأرضية لأنها تكيف جوها ، إضافة إلى أنها المكان المفضل للأبحاث العلمية لدراسة التاريخ الجيولوجي للأرض ، ودراسة الفجر القطبي والأشعة الكونية والمناخ والجو .. وفي هذه القارة ينبت القليل من أنواع النبات ويعيش القليل من أنواع الحيوانات (كالرخويات والإسفنج والديدان والحشرات والأسماك والطيور) والثدييات البحرية (كالحيتان) .. وفي المنطقة القطبية الشمالية توجد ثعالب ودببة قطبية ، بينما لا توجد في المنطقة القطبية الجنوبية حيوانات كبيرة الحجم إطلاقاً عدا طيور (البطريق) .. وقد سجلت في هذه القارة أدنى درجات الحرارة على سطح الكرة الأرضية ، كما أنها تحتوي على (٩٠٪) من مجموع المياه العذبة على الأرض ، **ويصل سمك الثلوج في بعض مناطقها (كأرض ماري بيرد) إلى ارتفاع حوالي (٤٣٣٥) متراً ..** والمنطقة القطبية الشمالية من أبرد مناطق الأرض ، وتقع شمالي خط عرض (٦٦,٥) في القطب الآخر للأرض .. وفي فصل الصيف تشع الشمس بصورة مستمرة فوق هذه المنطقة ، ويظل النهار مدة (٢٤) ساعة كاملة ، بينما يقابل ذلك في المنطقة الجنوبية ليل كامل لمدة (٢٤) ساعة كاملة ، وفي فصل الشتاء يحدث العكس حيث يخيم الظلام الدائم على القارة القطبية الشمالية ، بينما تكون القارة القطبية الجنوبية في نور دائم .. والسبب في حدوث هذا الاختلاف هو ميل **محور الأرض** Thearth's azis .

مناطق مميتة

حسب أبحاث العالم **(دافيد أ. باس David A. Pass من معهد أبحاث الجيش الأميركي** فإن الإنسان يصبح غير قادر على الإحساس ، ويفقد الوعي ، وقد يفقد الحياة عندما تنخفض درجة حرارة جسمه الداخلية (٧) درجات فقط عن معدلها الاعتيادي والفترة التي تنخفض فيها درجة حرارة الجسم حتى تصل إلى هذا التدني المميت هي فترة غير مريحة للإنسان ، ولكي يبقى حياً عليه أن يبذل طاقة عمل وجهد كبيرين تقدر بـ(١٠٠٪) ليعوض هذا الفاقد من الحرارة .. والإنسان العاري المعرض للطقس البارد في درجة حرارة (-٤٠°) ـ فهرنهايتية (ف) ـ مع رياح بقوة (٣٠) ميلاً في الساعة (وهذه ظروف عادية في المنطقة القطبية الشمالية) يفقد حياته بعد (١٥) دقيقة فقط .. ومع هذا فهناك شعوب تسكن وتحيا حياة عادية ، وتبني حضارات في وسط ظروف وأجواء شديدة البرودة مهلكة مميتة .. وشعوب الأسكيمو Eskimos القديمة والأسكيمو الأحفاد استوطنوا مناطق القطب الشمالي البعيد من **الاسكا** Alaska حتى شرق **جزيرة جرينلاند** وشمالها **وجزيرة إلّيسمر** Ellesmre **وبيري لاند** ، التي تكون درجة الحرارة العادية فيها في شهر يناير (كانون الثاني) حوالي (-٣٠°) تحت الصفر على أقل تقدير ، ويمكن أن تنخفض حتى (-٧٠°) تحت الصفر ، مع عواصف ثلجية دائمة ومستمرة ، والشمس تغيب عن هذه المناطق في (٢٠ أكتوبر) ـ تشرين الأول ـ ولا تعود تشرق ثانية

★ عملية كشط جلد الكاريبو داخل خيمة ربعية للأسكيمو ★





★ مناطق الأسكيمو في المنطقة القطبية الشمالية وخريطة للرحلات الاستكشافية ★

حتى أوائل شهر مارس (آذار) .. وفي **منطقة ثيبل** Thule القطبية شمال غربي جرينلاند التي يسكنها الأسكيمو القطبيين يرتفع معدل درجات الحرارة إلى ما فوق درجة التجمد بقليل لمدة شهر واحد هو شهر يوليو (تموز) .. ولهذا فالأسكيمو يسمون هذه المنطقة (بالبلاد الجميلة The beautiful land) .

شعب الأسكيمو

من هم الأسكيمو؟ ومن أين أتوا؟ وما هو منشأهم؟ ولماذا اختاروا المناطق القطبية الشمالية الشديدة البرودة القاحلة مكاناً لتوطّنهم؟.. كل هذه أمور لم يُبت فيها .. والنظريات العرقية حولها تعتمد على التخمين والاحتمال .

ويحتمل أن شعب الأسكيمو أصله (منغولياً Mongoloid) ذلك أنه يوجد شبه قوي بينهم وبين الشعوب المنغولية ، ثم إنهم طردوا من موطنهم شمالي الصين تحت ضغط التزايد السكاني ، وأتوا من **سيبيريا** عبر **مضيق بيرنج** Bering strait إلى **الاسكا** Alaska من حوالي (١٠٠٠٠) عام ، في نفس الوقت الذي استوطن فيه أجداد **الهنود الحمر** معظم شمال أمريكا عدا المناطق القطبية التي تركوها للأسكيمو الذين يكرهونهم .. **وبعض الأبحاث تُرجع أصل الأسكيمو إلى شعوب تسمى (الاسكاليوتس Eskaleuts)** التي هي مزيج من شعبي الأسكيمو والأليوتس Eleuts الذي كانت له حضارة بسيطة ، وانحدرت من أصوله جميع شعوب المناطق القطبية التي انتشرت شرقاً من الاسكا منذ حوالي (٥٠٠٠) عام ، ثم وبمرور آلاف الأعوام توجهت فروع من هذه الشعوب عبر جميع الطرق شمالا إلى جزيرة إليسمر ، وشرقاً إلى شرق جزيرة جرينلاند ، وعاشوا طوال هذه السنين في ظروف معيشية قاسية جداً في خيم صغيرة يبدو أنها كانت غير دافئة لافتقادهم الحطب وزيت القناديل ، بل وحتى النار لم يكونوا يعرفونها ، ومحتمل أيضاً أنهم لم يكونوا يملكون قوارب الصيد ، ولا مجموعات كلاب الزحافات ، ولا معدات الصيد .. وعلى هذا فإن حياتهم كانت أقسى بكثير من حياة الأسكيمو المعاصرين ، ويصعب معرفة كيف استمروا في الحياة في مثل هذه الظروف المهلكة ، وإن أظهرت الحضارات المتأخرة للأسكيمو بعض الترف الإيجابي في حياة الأسكيمو المعاصرين بالمقارنة مع حياة الأسكيمو الأوائل .

وتظهر **حضارة (الدورست** Dorset) التي هي حضارة أسكيموية واضحة أنهم حوالي (٨٠٠) قبل الميلاد انتشروا من قلب المنطقة شمال **خليج هدسن** إلى شمال جزيرة إليسمر .

★ امرأة من الأسكيمو تنشر جلود الكاريبو على الأرض ★



وغرباً حتى **جزيرة فكتوريا**، وجنوباً إلى نيوفاوندلاند، وأنهم تملكوا أدوات ووسائل للصيد متطورة، وأنهم عاشوا حياة أكثر ملاءمة بكثير من أسلافهم، وأنهم قد استعملوا النار للدفء والطبخ، والزيت للإضاءة، والرماح والكلاب للصيد.. وبظهور حضارة **شعب (الثيول** Thule) التي ينتسب شعب الأسكيمو الحالي إليها مباشرة نستطيع أن نقول إن حضارة الأسكيمو قد بدأت تكتمل أصولها الحديثة.. وكان ذلك عام (٨٠٠) حيث إنه خلال (٢٠٠) عام فقط انتشروا في معظم الشمال الأميركي القطبي، وأخذوا اسم الأسكيمو الحاليين. وكانت شعوب الثيول والأسكيمو أكثر حضارة ورقياً، وكانوا صيادين مهرة شجعان، حيث طاردوا وقتلوا جميع الحيوانات القطبية، من صغار الفقمة (عجول البحر Seal) إلى حيتان البحار الشمالية الكبيرة، وارتكزت أسس حضارتهم البسيطة على عمليات الصيد هذه.

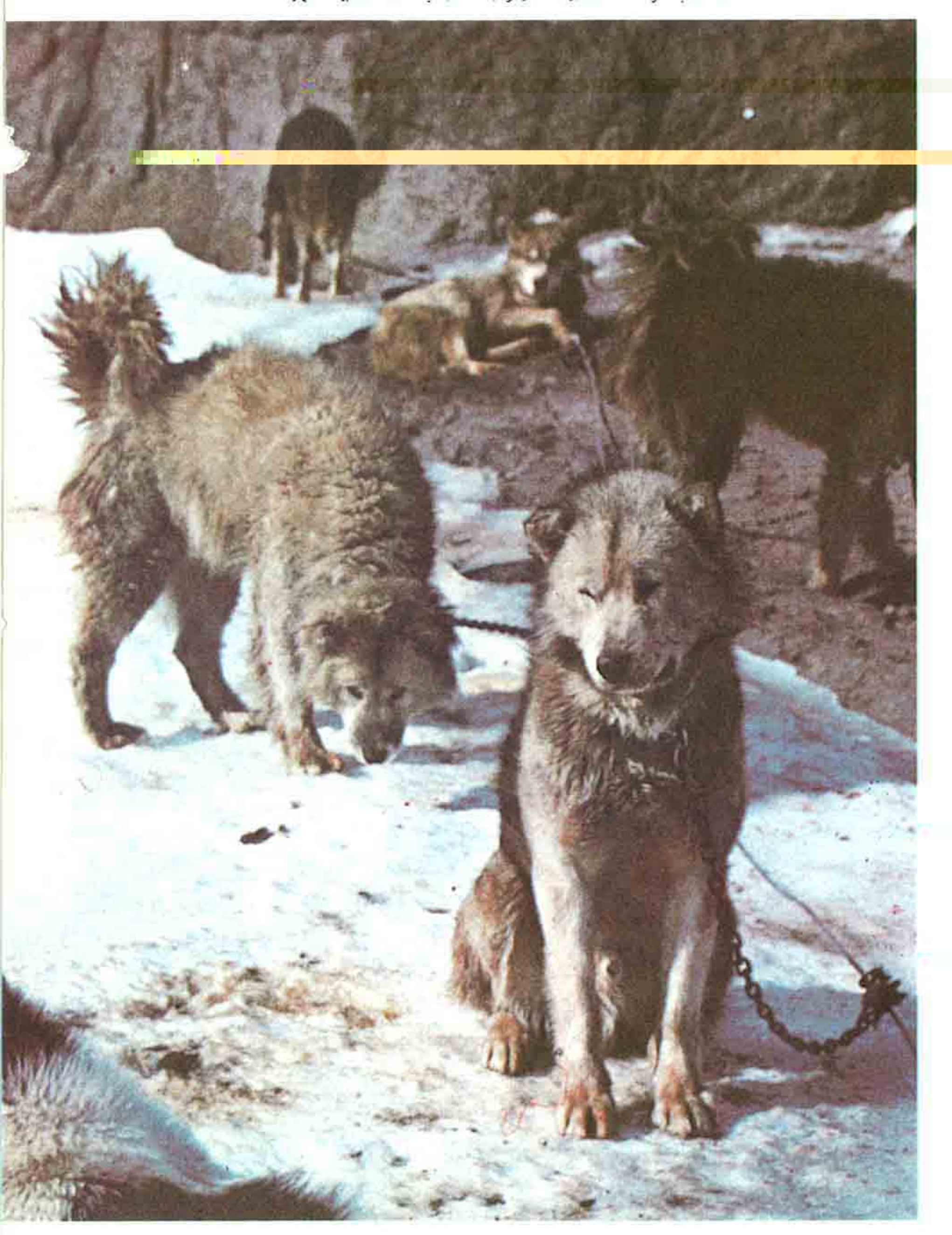
وحسب رأي **عالم الآثار** Archiolojist **(روبرت مك جي** Robert Mc Ghee**) من المتحف القومي الكندي لعلوم الإنسان** فإن شعب الثيول الذي نشأ منه الأسكيمو الحاليين قد طور تقنية أكثر تعقيداً من أي من مجتمعات ما قبل الصناعة، وأسسوا حياة اقتصادية فعالة مكنتهم من نهج أسلوب مريح للحياة في كل مكان من القطب الشمالي، وقد ابتكروا أدوات خاصة كثيرة، وتجهيزات صيد معقدة، حتى إن **العالم (جيمس أ. فورد** James A. Ford**)** وصفهم بأنهم (حملة أثقال)، واعتبر هذا إنجازاً طيباً، وشيئاً بارعاً من الأسكيمو الذين يعيشون في موطن فقير بالمواد الأولية الضرورية لاستمرارية حياة أي مجتمع، فالمعادن عندهم نادرة ولا يوجد إلا قليل من النحاس الطبيعي الخام والحديد النيزكي الهش، ولذلك كان من الضروري للأسكيمو الحصول على المواد الأولية من الحيوانات التي يصطادونها، كعظام الحوت، وقرون الوعول، والعاج والأسنان والجلود والأعصاب والنسج المعوية والفرو، إضافة إلى أن طقسهم الشديد البرودة لا يعطي الفرصة لابتكار الأشياء.. وفي بعض المناطق الأخرى يتوفر الخشب الطافي على الأنهار فيستعمل في صنع الأدوات على نطاق واسع، إضافة إلى توفر المرج والجليد والثلج في كل مكان.

وحسب ما يقوله **(ديونيس سيتل** Dionyse Settle**) المؤرخ الإخباري للحملة الاستكشافية الثانية** لجزيرة بافين Baffin عام (١٥٧٧ م)، فإنه قد وجدت آثار بقايا أسماك وطيور وحيوانات قتلت للحصول على لحمها، كما وجدت آثاراً لبيوت وملابس وأحذية وجوارب وأسرّة وقوارب.. وبوفرة.

التكيّف الفيزيولوجي عند الأسكيمو

شعوب الأسكيمو التي هي أسلاف Ancestors الشعوب التي عاشت في الشمال البعيد منذ (١٠,٠٠٠) عام على الأقل ملكت من الخالق (سبحانه) عدة تكيفات فيزيولوجية Physiolojical adaptations لتلائم الطقس البارد المهلك للحياة، فالأسكيمو لهم جلود قاسية، وتهضم dijest أجسامهم الطعام (وخاصة الدهون fat) بنسبة تمثيل غذائية أعلى

★ كلاب الزحّافات الثلجية لأسكيمو (ألاسكا) في المنطقة القطبية الشمالية ★



من بقية شعوب الأرض ، ونسبة التمثيل الغذائي الأساسية (الأيض Metabolic) التي يؤمّن بها الجسم الطاقة الضرورية للعمليات والنشاطات الحيوية هي أعلى بنسبة (٢٠ - ٤٠ ٪) من بقية الشعوب .. وانظروا معي إلى هذا التقدير الإلهي المعجز .. وحدهم الأسكيمو من بين شعوب الأرض الذين يحتاجون لطاقات إضافية تؤمّن سير العمليات الحيوية للجسم والحرارة الزائدة في هذا الجو الشديد البرودة .. فكأن الله مكنهم الله بخاصية سببية وتمكينية لم تكن لغيرهم .. أما كيف ؟ ولم ؟ . فذلك لا يزال مجهولا .. وعلمه عند من أوجده (جل جلاله) فهو (سبحانه) الذي أعطى كل شيء خَلقه ثم هدى .. وإضافة إلى ذلك فإن الأسكيمو يمتلكون أطرافاً (أيدي وأقدام) صغيرة نسبياً ، ذلك أننا كما نعلم فإن أكثر حرارة جسم الإنسان تفقد عن طريق أطرافه .. وأيضاً فإنه في حالات البرد الشديد يجري الدم إلى أطراف الأسكيمو بغزارة ووفرة (أكثر من أي مجموعة إنسانية أخرى) في الأرض ، وذلك نتيجة لميِّزة وهبها الله لهم ولم تكن لغيرهم من الشعوب



★ ... الأسكيمو ... كاريبو ... القطبي ★

وهي أن **أوعيتهم الدموية** Blood vessel متوسعة Vasodilation مما يسمح بجريان Flow كميات وافرة من الدم إلى الأطراف extremities .. ولذلك لا تستغرب قارئي العزيز إذا ما ابتسم لك الحظ يوماً ما وصافحت أحد أفراد الأسكيمو فوجدت الدفء غير العادي ليديه حتى في أشد حالات الطقس برودة .. وهذه التكيفات الفيزيولوجية التي أوجدها الله (جل جلاله) فيهم تساعدهم على حماية أيديهم وأقدامهم من التجمد من شدة البرد .. وهذا له أهمية حيوية عظمى بالنسبة لشعب تتوقف كل مصادر حياته على عمله بأيديه (الصيد) وسيره برجليه فوق جليد متجمّد دائم .. ويقول **المستكشف (فيلهالمر ستيفانسون Vilhjalmur Stefansson) :« إن نظام الحياة بالكامل عند الأسكيمو يعتمد على هذه التكيفات الفيزيولوجية التي تُلغي آثار الطقس البارد » .**

حياتهم الاجتماعية

يسمي الأسكيمو أنفسهم بـ (**إينوي Inui**) أي (**الناس الممتازون**) وهم يعتقدون أن المجتمعات الأخرى ليست كذلك .. ولعل مواجهتهم الفذة لهذه الصعاب هي التي أعطتهم الثقة بأنفسهم .. والأسكيمو أقوام قصار القامة بدينون نوعاً ما ، لهم بنية قوية ووجوه باسمة على الدوام ، وعيون سوداء مائلة غائرة في وجوه مسطحة سمراء ، وشعر مستقيم أسود ، والرجال ذوو شعر قصير مجزوز بعرض الجبهة ، أما النساء فيجعلن شعورهن على شكل ضفيرة خلف الرأس .. وأفراد الأسكيمو صيادون مهرة وشجعان ذوي بأس ،

★ أم من الأسكيمو وابنها في خيمة ربيعية ★

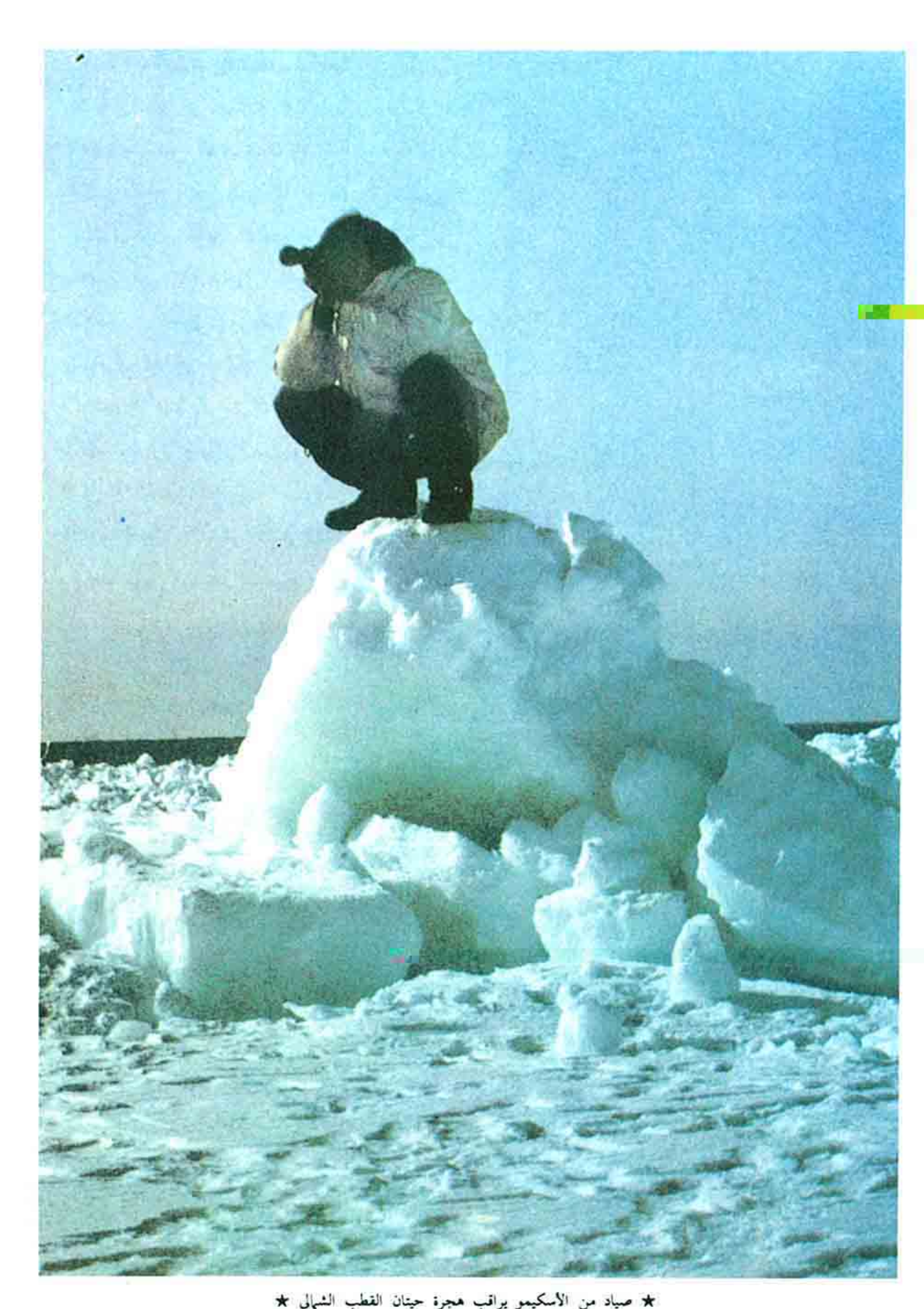


★ خيمة من جلد الكاريبو يسكنها الأسكيمو في الصيف .. وبجانبها القارب (الكاياك) الفردي ★

والواحد منهم يواجه بشجاعة لا مثيل لها أقوى وأكبر الحيوانات القطبية (كالدببة والحيتان) بأدوات بدائية بسيطة (كالرماح والخناجر) .. ولعل ما لا يُنسى عن شجاعتهم تصديهم للغزاة **النورمانديين (الفايكنج)** الذين استقروا على الساحل الغربي لجزيرة جرينلاند ، فكان أن قضوا على كل مستعمراتهم ، واستعادوا وطنهم الذي ظلوا فيه مجهولين معزولين عن بقية العالم أكثر من أربعة قرون .. وكان هذا في منتصف القرن الثاني عشر الميلادي .

والأسكيمو يعيشون في مجموعات بين طيّات كتل شاسعة من الجليد على طول مسافات قد تصل إلى حوالي (١٥٠٠٠) كم ، وتمتد من الطرف الجنوبي لجزيرة جرينلاند ، ومن الحافة الشمالية للأبرادور إلى أقصى الطرف الشمالي الغربي من ألاسكا ، كما يوجد بعض منهم في قارة آسيا على شاطئ سيبيريا المطل على مضيق بيرنج .

وتجمعات الأسكيمو ليست بمجتمعات طبقية ، بل إنها مجموعات أسر تتكلم نفس اللهجة ، ولها ذات التقاليد والأعراف والعادات المتماثلة ، وليست عندهم قوانين وأنظمة دستورية مكتوبة تسيِّر العلاقات بينهم ، وإنما يسودهم العرف الذي توارثوه عن الأجداد وصار بمثابة القانون الذي يحكم بينهم ، ويقبلون بأحكامه بكل رضا وإخلاص ، وحرية الفرد الخاصة تخضع للمتطلبات التي يقتضيها صالح المجموع ، وهناك بعض الإلزام والقواعد التي يحترمون ما توجبه ، وهي فقط التي تتحكم بميول الفرد الخاصة ، وخاصة فيما يتصل بمسائل صون المجموع من آفات الجوع والبرد .. ومبدأ (المشاركة) هو المبدأ الأساسي الذي تخضع له الحياة اليومية للأسكيمو ، وليس لأي فرد أو مجموعة منهم ملكية خاصة بمنطقة ما حتى ولو كانت منطقة صيد ، فكل جماعة تستقر في منطقة ما ، حتى ولو كان استقرارها هذا دائماً ، تعلم وتقر أنها لا تملك أي حق في استملاك تلك المنطقة أو جزءٍ منها ، ولذلك فإن أي وافد جديد لهذه المنطقة لو شاء استملك منها ما يريد ، وصاد منها ما يشاء دون أي معارضة من أحد أو كراهية ، إضافة إلى ذلك فإن محصول صيد الأسماك أو صيد الثدييات البحرية (الفقمة والحيتان) ليس ملكاً لمن يصطاده ، بل ملكاً للمجموع ، ولكل جماعة من الأسكيمو عاداتها الخاصة في توزيع هذا المحصول على الجميع كل بحسب حاجته .. ولأن الملكية للجميع فقد انتفت النزعات الفردية وصفة التملك الفردي في مجتمعات الأسكيمو ، ولذلك **لا توجد سرقات عندهم بتاتاً ، فلا حاجة للسرقة ما دام كل شيء مُباح أخذه للجميع** .. ولعل هذا التجرد المطلق من الإحساس بالتملك هو الذي جعل الفرد الأسكيمو لا يعرف معنًى للغيرة أو الحقد أو الانتقام .. **والزواج بين الأسكيمو يتم بما يشبه الاختطاف (كعادة) ويتلقى أهل الزوجة هدية من العريس تعويضاً لهم عن خدمات الابنة التي حرموها ، والحمل عندهم يستقبل ببهجة وفرح ، والأطفال يلقون تدليلاً بالغاً ، والزوجان العاقران يتبنيان ما يشاءان من الأطفال** ، والأطفال لا يجهلون شيئاً عن العلاقات الزوجية بين والديهم ، ويشارك الطفل



★ صياد من الأسكيمو يراقب هجرة حيتان القطب الشمالي ★

مبكراً في الأعمال البسيطة لمجتمع الأسكيمو، ويتعلم منذ صغره أن يعيش في جو من الحب والتسامح مع الآخرين.. **وأخيراً فإن الأسكيمو أكرم شعوب الأرض**، وكرمهم يحكى عنه كأسطورة، فهم يستقبلون ضيوفهم بحفاوة لا توصف، ويقدمون للغرباء العابرين خير ما يملكون، حتى أن هناك حكايات تروى عن أن بعض الأسكيمو يقدم زوجته للضيف كرماً.. وإلى عهد قريب كان العجائز عندما يشعرون بأنهم أصبحوا عالة على ذويهم، يخرجون وحدهم إلى المجاهل الثلجية، ليموتوا بعيداً عن الأعين، كأنهم بعملهم هذا قد أدوا واجبهم نحو المجموع.

بيوت الأسكيمو

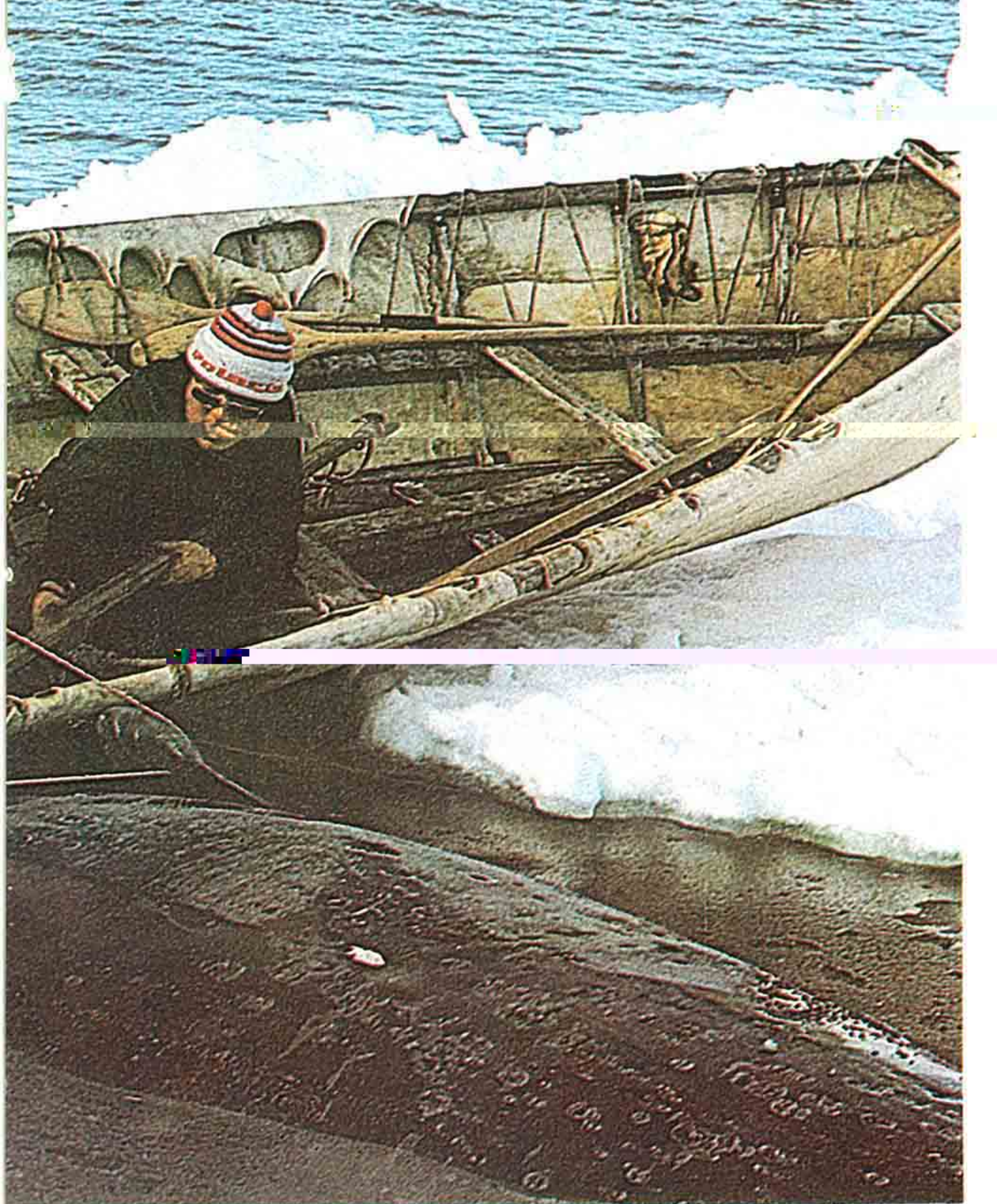
الوصف المبكر لبيوت الأسكيمو الشتوية جاء على لسان **المستكشف (جورج بست George Best)** الذي كان في ثالث رحلة استكشافية إلى جزيرة بافن عام (١٥٧٨ م) والذي كتب: «إن الأسكيمو، بسبب النقص في الأشجار، يبنون بيوتهم من عظام الحيتان، فهم يحنون العظم تلو الآخر، ثم يضمونها مع بعض ويشكلون منها الطبقة العلوية للبيت، ثم يغطونها بجلود الفقمة». وعندما زار **عالم الإنسانيات Anthropologist (فرانز بوس Franz Boas)** مناطق الأسكيمو عام ١٨٨٣ ــ ١٨٨٤ م، وجد أن الأسكيمو يبنون بيوتهم بشكل مشابه لما جاء في وصف **جورج بست**، إلا أنهم يبنون قاعدة للبيت من الأحجار وعظام الحيتان، وأحياناً تدمج معها جماجم الحيتان بالكامل، وهيكل البيت يصنع من أضلاع الحيتان وعظام الفكوك، ويغطى بجلود الفقمة أو الفظّ Walrus (حيوان ثديي شبيه بالفقمة)، ثم تغطى هذه بطبقة سميكة من المزح الجاف، ثم تغطى بإحكام بطبقة أخيرة من جلود الحيوانات.. وفي الشتاء يغطى التركيب الكلي للبيت بطبقة سميكة من الثلج، ويصنع للبيت نافذة نصف شفافة من حسك الفقمة، ويرصف المدخل بألواح حجرية، ويصنع للبيت ممر طويل منخفض يتدرج علواً إلى الكوخ يدل على براعة تصميم وتنفيذ، فالهواء الساخن الخفيف يصعد إلى الأعلى، ويخرج من فتحة في أعلى البيت، ولا ينزل إلى الممر المنخفض، بينما الهواء البارد الثقيل يدخل من الممر بتدرج بسيط ليحل محل الفاقد من الهواء، وهكذا تتم تهوية البيت بدون إزعاجات التيارات الهوائية الباردة.. وفي غرب المنطقة القطبية الشمالية حيث تتوفر الأخشاب الطافية على المياه تبنى بيوت الأسكيمو من الخشب وتغطى بكثافة بالمزح والثلوج، والبيوت عموماً مكونة من غرفة واحدة معزولة تماماً ودافئة جداً حتى في أشد حالات الطقس برودة.. ويقول **(إستيفانسون Stefansson)**: «إن الأسكيمو بعد العصر وفي المساء يشعلون القناديل لطبخ العشاء، ويصبح البيت أشبه بحمام عرق، ويجلس أهل البيت بداخله عراة حتى خصورهم وكأنهم في يوم قائظ شديد الحرارة، وفي آخر الليل تطفأ المصابيح عدا واحداً ليُبقي حرارة البيت بين (٥٠ ــ ٦٠°) ف، وينام الجميع عراة تماماً تحت الأغطية الخفيفة على منصة البيت التي تشغل نصف البيت تقريباً ومبنية من الأحجار ومغطاة بالمزح أو الطحالب التي يعلوها طبقتان من فرو

الكاريبو ذو الشعر الطويل ، ويكوّن هذا فراشاً وثيراً ناعماً يجلب الدفء والراحة » . والقناديل بشكل هلالي ومنحوتة من الحجر الصابوني وفيها فتيلة مغموسة بزيت الفقمة أو زيت الحوت ، ويرتفع لهبها لعلو إنشين ، ويطبخ الأسكيمو طعامهم عليها في قدور من الحجر الصابوني ، وطعامهم عادة من اللحم والدهون وأحياناً السمك ، ويحصل الأسكيمو على اللحم والدهون وزيت الطبخ والقناديل ممّا يصطادونه من الفقمة والحيتان . . وإشعال النار ليست مشكلة للأسكيمو ، فباحتكاك حجر النار وكبريتور الحديد Pyrites تنشأ شرارة تُشعل مادة سريعة الالتهاب (الصوفان) تشعل فيها فتيلة القناديل ، وعادة يأخذ إشعال القناديل وتجهيزها من (٣ ـ ٥) دقائق .

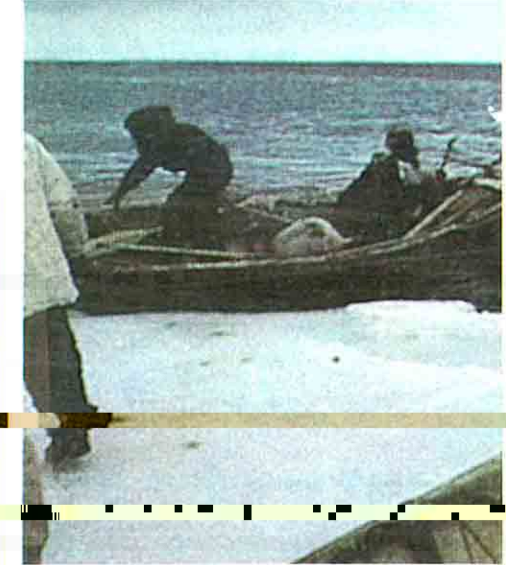
البيت الثلجي Igloo

الثلج شكل من الأشكال الصلبة للماء ، وهو مركب بلُّوري متعدد الأشكال ، والغريب أن الأسكيمو يميزون (١٠٠) نوع من الثلج ولكل منها اسم مختلف ، ويستعملونه في كل شيء ، يغسلون به ، ويصنعون من ألواحه حاجزاً للرياح والعواصف الثلجية ، وأيضاً [illegible] للإمساك بالكاريبو . . وحتى أنهم يستعملون الثلج عوضاً عن ورق التواليت . . ولكن أهم استعمال للثلج عند الأسكيمو هو **(الأيجلوIgloo) البيت الثلجي** الذي ببنائه الرائع الجميل يعتبر رمز حضارة الأسكيمو البسيطة . ويقول **العالم (ريتشارد ل . هاندي Richard L. Handy) من المعهد الهندسي في جامعة إيوا** : « إن تركيب وبنية الأيجلو (البيت الثلجي) تبلغ حد الكمال الفني ، فبنيانه قوي ومتماسك ومنسجم وله قدرة كبيرة على الاحتمال ، وصد أقوى العواصف الثلجية ، وإنه يتفوق ببنيانه على أصول الهندسة الحديثة » . وبمسبار (مجس) رقيق مصنوع من قرون الكاريبو Cariboo (آيل شمال أمريكا) يُنتقى الثلج المناسب لبناء الأيجلو ، وسكين صنعت من العظام أو العاج أو النحاس الطبيعي تقطع ألواح الثلج التي يكون طولها من (٣ ـ ٤) أقدام وارتفاعها قدمين وسماكتها (٦) إنشات (القدم = ٣٥ سم ، والإنش = ٢,٥٤ سم) ، ويجري بنيان الأيجلو من الداخل بتركيب ألواح الثلج المتماسكة على شكل دائري حيث تُرصف بهدوء بشكل حلزوني ، وتضيق صفوفها مع ارتفاعها إلى الأعلى حتى تنجز القبة الكاملة في الأعلى ، ويظل الشخص القائم بالبناء في الداخل طيلة عملية البناء ، والمدخل لا يفتح إلا بعد أن يتم التحام كتل الثلج جيداً بالتجمد ، ولا يستغرق بناء الأيجلو الصغير الذي يستعمل كحماية مؤقتة بينما يجري الاستعداد لبناء الأيجلو الكبير أكثر من ساعة ، وعندما تنتهي مهمته يصبح مأوى لكلاب









★ عملية مشاركة جماعية
لصيد حوت القطب الشمالي ★

الزحافات ، والأيجلو الكبير يستغرق بناءه من (٢ ـ ٣) ساعات ، وهو بيت شتوي واسع يتسع لعائلة كاملة ، قطره (٥) أمتار ، وارتفاعه يزيد على (٤) أمتار وفي داخله مصطبة بعلو (١,٢٠ م) للجلوس عليها ، ومصطبة أخرى للنوم ، وفي الجدار الجنوبي أو الشرقي للأيجلو يوضع جليد الماء العذب الذي يستخدم كنافذة ، كما أن المدخل المائل المتدرج للأعلى والمبني من ألواح الثلج يمنع تسرب الهواء الدافئ من البيت . . والأيجلو بيت دافئ ومريح جداً ، ويصمد في وجه أعتى العواصف الثلجية ، وتكون درجة الحرارة بداخله أعلى بـ(٤٠°) درجة (ف) من درجة حرارة الخارج ، وتصل درجة الحرارة داخله إلى ما بين (٦٠ ـ ٧٠°) (ف) ، وبعض الأسكيمو يغطي الأيجلو بجلود الفقمة . . وعندما يهل الربيع وترتفع درجات الحرارة يبدأ الأيجلو بالذوبان ، فيهجره أهله إلى خيم مصنوعة من جلود الفقمة أو الكاريبو .

ثياب الأسكيمو

الأسكيمو يتغلب على الطقس الشديد البرودة الكثير العواصف الثلجية بثياب ملائمة في تصميمها النموذجي ونوع مادتها التي يحصلون عليها من الحيوانات القطبية الشمالية المتكيفة مع

البرد ، **فالعباءة الفضفاضة** الطويلة من الفرو الكثيف التي تتدلّى تقريباً إلى الأرض مادتها من ثور المسك ، **والفروات المقلنسة** مادتها من شعر الكاريبو ذو الفرو الطويل الكثيف عند الرأس والقصير عند القاعدة والخفيف الوزن والقوي والمتماسك ، والفرو الكثيف مادته من الثعالب القطبية والدببة القطبية .. وجميع هذه الألبسة تحميهم غوائل البرد الشديد الذي تتدنى درجة الحرارة فيه حتى (- ٧٠°) (ف) وعواصف ثلجية تزيد سرعة رياحها عن (٧٠) ميلاً في الساعة ، وبذلك لا يضطرون لزيادة التمثيل الغذائي في أجسامهم عندما تتدنى درجات الحرارة حتى (- ٤٠°) .. والأسكيمو يبذلون جهوداً مضنية لاصطياد الكاريبو الذي يأكلون لحمه ويلبسون جلده ، ويلزم لثياب **الرجل** الكاملة (٧) جلود من الكاريبو ، ولثياب **المرأة** (٦) جلود ، وللباس **الطفل** (٤) جلود .. والجلود تنظف بعناية من آثار اللحم والدهن العالق بها ، ثم تعالج لتصبح متبلّدة السطح ، ثم تمتد على الأرض والشعر للأسفل حتى تجف بسرعة ، وبعد أن تجف تكشط بكاشط مختلفة مصنوعة من العظام أو الأحجار حتى تصبح ناعمة كجلد الشامواه ، وعملية كشط الجلود عملية شاقة ومضجرة مملّة ولذا يشارك فيها الرجال النساء ، ونساء الأسكيمو خياطات ماهرات ، فمن نظرة واحدة يستطعن تفصيل النموذج المطلوب للباس وقص القطع ثم خياطتها بأوتار مصنوعة من أعصاب الكاريبو الجافة ، أو من أعصاب كركدن البحر ، أو حوت الدلفين الأبيض ، وهذه الخيطان قوية جداً ومرنة ولا تمزق الجلود ، وأما **(الكشتبان)** فيصنع من قرن الثور ، أو من الشوك المنزوع الشعر من جلد الفقمة ، وتصنع الإبرة من عظم الجناح القاسي لطير النورس أو الإوز .. **ومعدات الشتاء عموماً عند الأسكيمو تتكوّن من سترة مع قلنسوة فرو داخلية وبرها لخارج الجسم ، وبنطلون فروه للخارج ، وبنطلون داخلي من نفس النوع ، وجوارب تصنع من فرو الكاريبو ، أو من الفرو الناعم السفلي للأرنب الوحشي القطبي ،** والجزء العلوي من الجزمة منّ جلد الفقمة المتين ، وطبقة من العشب الجاف توضع داخل الجزمة لتشكل ضبان (نعل باطن) يكون أفضل عازل للبرد ويمتص الرطوبة ، ويتبدل كل يوم .. وجميع هذه التجهيزات تزن حوالي (٥) كيلوغرامات لا تربط على الجسم بإحكام بل تكون مخلخلة ليستطيع الأسكيمو الصياد التحرك بخفة ورشاقة ولتجلب الدفء دون التعرق . ويقول **عالم الأجناس البشرية الدانماركي ethmologist (كندراسماسن Knudras-mussen)** : « إن ثياب الفرو التي يلبسها الأسكيمو تحجز حرارة الجسم وتُشعر مرتديها كأنه في الصيف الاستوائي ، وأنه شاهد أحد الأسكيمو يرتدي تلك الثياب ويقف ساكناً دون حركة فوق ثقب التنفس للفقمة بين الجليد المتكسر في جو بلغت درجة الحرارة فيه حوالي (- ٥٠°) درجة مصحوباً بعاصفة ثلجية عنيفة لمدة يومين وليلتين متواليتين » . ويقول العالم : « رغم أن الأسكيمو تعب ولكنه أبداً لم يبرد » .

وفي بعض الأماكن القطبية لا يتوفر الكاريبو ، والأسكيمو هناك يصنعون ثيابهم من غير مواد ، **ففي جزيرة بلشر Belcher في خليج هدسن** قضى الطقس على كل الكاريبو عام (١٨٨٠ م) فاضطر الأسكيمو لصنع ثيابهم وستر الفرو المقلنسة من جلود العيْدر (بط ناعم الزغب) ، وهو خفيف ويمنح الدفء ولكنه هش رقيق نوعاً ما ، أما الأسكيمو القطبيين في الشمال الغربي لجزيرة جرينلاند فيصنعون ثيابهم من فرو الدب القطبي وهو قوي ومتين ويمنح الدفء ، ولكنه قاسي وثقيل ، ويصنعون البستهم الداخلية من جلود الطيور (طير المور) والقلنسوة الخارجية من جلود الثعالب القطبية .. وأكثر ما يهم الأسكيمو في الثياب أن تكون جافة وعازلة تماماً ، وهو قبل دخوله البيت ينفض الثلج عن ثيابه ، والطبقات الخارجية منها يتركها في البرد في حجرة الانتظار الجافة للأيجلو ، والجزمة والجوارب والقفازات يجففها كل ليلة بعناية فوق مصباح زيت الفقمة .. والأسكيمو لا يستمتعون بالبرد فقد أخبروا **(المستشكف تشارلز فرانسيس CHarles Francis)** في جزيرة بافن أنهم في قشعريرة البرد دائماً يحيون ، وأن القحط والجدب والظلام الدائم والثلج المتطاير بلا هوادة وبلا توقف والعواصف الثلجية المفزعة التي لا تهدأ .. والبرد .. البرد الشديد المهلك .. والكميات الهائلة من الجليد هنا وهناك .. كلها أشياء تلازمهم لحين الموت .. ولكن رغم ذلك فهم لا يخافون البرد ولا العواصف الثلجية .. فهي أشياء مزعجة ولكنها ليست مخيفة .

ديانات الأسكيمو

يعتنق الآن الكثيرون من الأسكيمو **الديانة المسيحية** ، ومنهم ما زال على ديانته القديمة التي تؤمن بسيطرة الأرواح على كل شيء ، والتي يمكن للكاهن فقط السيطرة عليها ، **والكاهن هو الطبيب للأسكيمو** .. ويلف الموتى بجلود الفقمة ، ويدفنون تحت كوم خفيف من الأحجار ، أو يتركون على الثلوج ، وتوضع أدوات الميت وأسلحته بجواره حين الدفن ، ذلك أنهم يؤمنون بحياة أخروية أبدية .

الأسكيمو .. وعددهم وقواربهم

كلمة أسكيمو Eskimo معناها **(الذين يأكلون اللحم نيئاً)** .. وعددهم حوالي (٢٠٠) ألف نسمة يتمتعون بجنسيات مختلفة ، فأسكيمو آلاسكا **مواطنون أميريكيون** ، وأسكيمو لابرادور **مواطنون دانماركيون** ، وأسكيمو جرينلاند **مواطنون دانماركيون** .. **(والكاياك)** هو القارب النموذجي للأسكيمو ، طوله حوالي (٣) أمتار ولا يتجاوز عرضه (٦٠) سم ، ويتسع لشخص واحد فقط ، ويستعمل لصيد الفقمة وبط العيْدر والحيتان والفظ ، وعندهم قوارب أكبر تسمى **(أومياك Omiak)** تستعمل لنقل السلع والأشخاص ، ويبلغ طول هذه القوارب حوالي (١١) متراً وبعرض يزيد قليلاً على المتر .. ولا يفوتنا أن ننوه بأن الحضارة الحديثة بكل أدواتها قد دخلت بعض مناطق الأسكيمو .





★ حشرة مغامرة فوق إحدى أوراق فينوس صائد الذباب ★

نباتات .. تأكل لحوم الحشرات!

بقلم: محمد أدهم السيد

تقول بعض القصص والأساطير: إن في بلاد المناطق الحارة نوعاً من النبات يقبع ساكناً في الجبال والصحارى والوديان .. وبالقرب من الجداول والواحات والأنهار .. ينتظر طوال النهار أي كائن يمر بقربه ليفرز دخاناً أبيضاً شفافاً يسيطر على هذا الكائن ويخدره.

وتقول بعض هذه القصص: إن هذا النبات العملاق الشرس قد يلتهم الإنسان أو الحيوان، حتى لو كان بحجم الفيل، دون أن تصيبه التخمة .. أو يتعرض إلى انتفاخ من شأنه أن ينتهي بانفجار مروع.

وتقول إحدى هذه الروايات الخيالية، إن بعضاً من الناس ـ المصابين بمرض الشهرة ـ قد ذكروا لأحد المؤلفين قصصاً كثيرة تتكلم بشكل أو بآخر عن هذا النبات السفاح آكل لحوم البشر.

والحقيقة أن كل ما قيل أو يقال في هذا الأمر إنما هو شيء تافه خيالي، لا يستحق أن يدرس أو يبحث .. لأنه لم يثبت أحد من العلماء أو الناس حتى الآن وجود نبات يأكل لحم الإنسان أو الحيوان الكبير.

هذا عن عالمنا نحن .. معشر الإنسان .. أما في العوالم الأخرى ـ عوالم الحشرات والبحار

والنباتات والأسماك والأنهار والمستنقعات والجبال، والمياه.. إلخ - فإن وجود هذا النبات الغريب قد أضحى حقيقة واضحة لا يمكن إنكارها.

النباتات آكلة الحشرات

والنباتات الصغيرة آكلة لحوم الحشرات قليلة.. وأنواعها بسيطة.. إلا أنها تتواجد في أماكن متفرقة من سطح الكرة الأرضية حيث **يوجد أكثر من خمسمائة نوع من النباتات آكلة الحيوانات**.. بعضها يعيش في الماء.. وبعضها الآخر على اليابسة.

والمعروف أن النباتات آكلة الحشرات - التي تعيش على اليابسة - تعتمد في طعامها على الحشرات ولحوم الحيوانات الأخرى الصغيرة، لا لمذاقها اللذيذ، أو لطعمها الطيب، أو لأن طبيعتها الخلقية تفرض عليها أكل الحشرات.. بل لأن طبيعة الحياة التي تعيش فيها هذه النباتات الصغيرة تفرض عليها اقتناص الحشرات وأكلها.. ذلك **أن معظم النباتات التي تعيش على أكل اللحوم تنمو في تربة فقيرة قلما يوجد فيها غذاء، أو طعام، أو شراب.**

والجدير بالذكر أنه **باستطاعة بعض هذه النباتات الحياة دون اقتناص الحشرات وأكلها. إلا أنها تتعرض دائماً إلى نقصان في ذخيرتها النتروجينية، حيث إن النباتات المفترسة تستمد النتروجين - الذي يعد عنصراً هاماً في حياتها - من الحشرات والحيوانات الصغيرة الأخرى، كما تستمده من التربة، إلا أن التربة التي تعيش فيها هذه النباتات تكون عادة أقل عطاءً للنتروجين إذا ما قورنت بعطاء الحشرات.**

ومع هذا كله فهي تستطيع النمو والعيش دون أكل الحشرات.. ولا سيما النباتات التي تعيش وتنمو في تربة جيدة صالحة. ولكن.. تظل الحشرات في حياتها كالفيتامينات بالنسبة لنا نحن معشر الإنسان.



★ نباتات النيبنش، نباتات تحورت أوراقها على شكل قدور ولها غطاء معلق ★

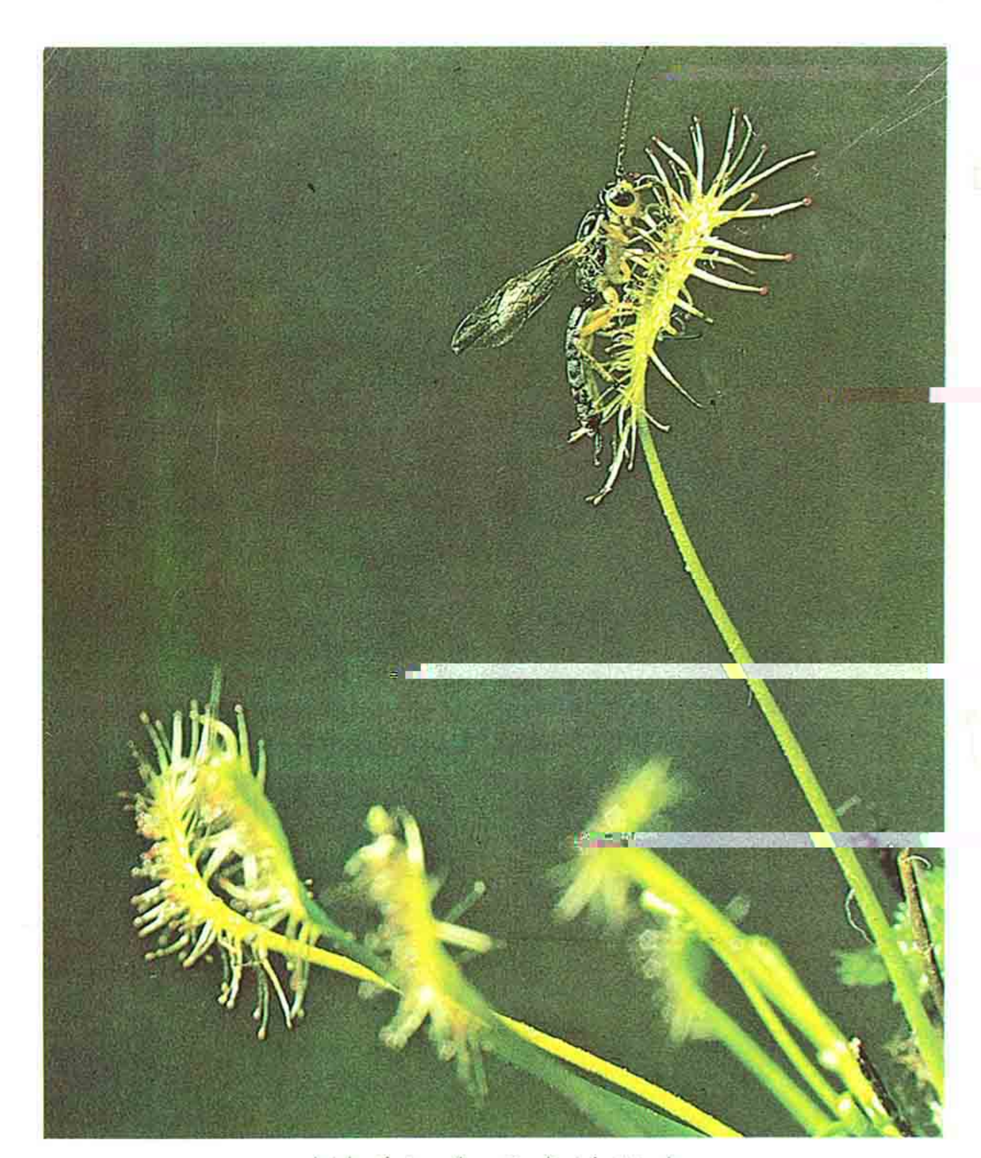
وطريقة نمو هذه النباتات وتكاثرها لا تختلف كثيراً عن النباتات الخضراء الأخرى.. وعلى الرغم من أن النباتات آكلة الحيوانات قليلة، وأقسامها الرئيسية تكاد تعد على الأصابع، فهي محط دراسة مركزة وقوية من العلماء، دراسة صفاتها وتصرفاتها، وتسجيل الملاحظات، وإجراء التجارب عليها.

وتصنف النباتات آكلة الحشرات إلى عدة رتب.. على أن معظمها يتبع رتبة النباتات الزهرية، أو مغطاة البذور.. ويقسم العلماء مثل هذا النوع من النبات إلى ثلاثة أقسام هي:

القسم الأول

ويضم هذا القسم تلك النباتات التي تصطاد فريستها بسائل لزج تفرزه غدد كثيرة تتوضع على سطح الورقة يحول بين الحشرة والطيران أو الهرب، ويفقدها قوتها.. ويطلق العامة في بعض البلدان على النباتات التي تنتمي إلى هذا القسم اسم «**النباتات الدهنية**»، وذلك يعود إلى السائل الذي يشبه الدهان، والذي يشكل العنصر الرئيسي في اصطياد الحشرة لمثل هذه النباتات.. ومن أهم نباتات هذا القسم **حشيشة الدهن** - بنجكيولا - **ونبات الندية**، أو ندى الشمس.

حشيشة الدهن: واسمه العلمي **بنجكيولا** (PINGUICULA).. وينمو مثل هذا النوع من النبات في المناطق المعتدلة والباردة، وفي المستنقعات والمياه الضحلة والرطبة.. وهو نبات صغير نوعاً ما أطلق



★ حشرة جذبها منظر ورقة ورد الشمس فحطت عليها ★

عليه الناس اسم «**حشيشة الدهن**» نسبة إلى السائل الأصفر اللزج الذي يشبه الدهان، والذي ينتشر على سطح الورقة، يساعد النبات على اقتناص الفريسة.

ولحشيشة الدهن أوراق متوسطة الحجم.. طولها يتراوح بين ٢ و ٥ و ٧ بوصات، ولها حافة يتراوح عرضها ما بين ١ و ٢,٥ سم، مقوسة إلى داخل الورقة. وعملية اقتناص الفريسة في هذا النبات لا تختلف كثيراً عن عمليات النباتات الأخرى ـ آكلة لحوم الحشرات ـ في اقتناص فرائسها التي تنضم إلى هذا القسم. فحين تحط الحشرة على سطح الورقة ـ أو إحدى وريقات النبتة ـ يجذب السائل المنتشر على سطح الورقة هذه الحشرة إليها، ثم تزيد حافة الورقة من تقوسها نحو الداخل حتى تنطبق على الحشرة. وهنا تطلق الغدد الكثيرة ـ المنتشرة على سطح الورقة ـ سائلاً كيماوياً يذيب الأجزاء الصالحة للأكل في جسم الحشرة لتبتلعها بعد ذلك وترمي بقاياها على الأرض.

الندية: (SUNDEW) ينتشر النبات المعروف باسم الندية، أو ندى الشمس أكثر ما ينتشر في المستنقعات الموحلة، والأنهار الصغيرة المهجورة، والمياه الضحلة.

والندية نبات صغير يبلغ قطره حوالي ٧ سم، وأحياناً ٨ سم، ويعيش على أكل الحشرات، إضافة إلى امتصاص الماء والأملاح المعدنية من التربة.. وهو يعد من أكثر النباتات ـ الآكلة للحوم الحيوانات ـ أهمية وفائدة عند علماء النبات.

ويتألف هذا النبات الصغير من عدد من الأوراق، مرتبة على شكل وردة، تحتوي كل ورقة على شعيرات كثيرة تزيد على العشرين في كثير من الأحيان، وتنتهي كل شعيرة من هذه الشعيرات بانتفاخ صغير أحمر اللون، جميل الهيئة، يثير لعاب الحشرات فتظنه طعاماً شهياً أو غذاءً لذيذاً.

والواقع أن الندية بهذه العملية المغرية تبدأ في اقتناص فريستها. **فما إن تحط الحشرة على سطح الورقة حتى تمسك بها الشعيرات الكثيرة ـ التي سبق ذكرها ـ وتشدها إلى الداخل بقوة وعمق.. وتفرز الانتفاخات الحمر سائلاً يجذب الحشرة إلى الورقة. ثم تنطبق الشعيرات بكاملها على الحشرة على شكل قبضة يد الإنسان.. لتغلف الحشرة وتخنقها. وبعد لحظات قليلة لا تكاد تذكر تنفتح مرة أخرى ليُطَيِّر الهواء بقايا الحشرة التي كانت قبل لحظات على قيد الحياة.**

والجدير بالذكر أن لتلك الانتفاخات الحمر الجميلة دورين رئيسيين تقوم بهما في وقت واحد:

● **الأول**: تفرز به السائل الأحمر اللزج الذي يلصق الحشرة بالورقة فيمنعها بهذا من الطيران، أو الهرب بعيداً.

● **الثاني**: تفرز به العصارة الهاضمة التي تساعد الورقة كثيراً على هضم الفريسة.

وتعد نباتات القسم الأول عامة، والندية خاصة، من النباتات الحساسة جداً، ذلك لأن عملية الإمساك بالحشرة ليست سهلة كما يتصور البعض، فتحتاج هذه إلى مزيد من الحساسية والسرعة والدقة والمهارة.

القسم الثاني

وتكون المفاجأة عنصراً هاماً في اقتناص الفريسة، إضافة إلى السرعة.. والحساسية.. وعملية الاقتناص ـ في هذا القسم ـ سهلة بعض الشيء.. **فعندما تحط الحشرة على سطح الورقة، تطبق هذه الأخيرة على الحشرة وتلتهمها.**

ونباتات هذا القسم تتصف لا بالحساسية، وسرعة الحركة فحسب، بل **بالذكاء** أيضاً. فهي لا تلتهم هكذا أي شيء يقع في قبضتها.. فلهذه النباتات قسم خاص يفرز سائلاً خاصاً يحلل الجسم الغريب قبل التهامه، وهو يعرف الحشرة من الحصوة، أو الورقة، أو الزهرة، أو الثمرة.. وسواها.. المهم **أنها تستطيع أن تميز بين الجسم الذي يصلح للأكل، والجسم الذي لا يمكن التهامه، والأهم من هذا كله أن هذه النباتات تستطيع أن تميز بين الجيفة، والحشرة الحية!** .. فعندما تشعر بوجود الجسم الغريب تحس بسرعة هل هذا الجسم حي أم ميت، وذلك بفعل الحركة.. فالجسم الحي يتحرك بشكل عشوائي محاولا الخروج من هذه المصيدة.. بينما الجسم الميت لا يبدي أية مقاومة.. **ومن أهم نباتات هذا القسم نبات ديونيا** (DIONAEA).

الديونيا : (DIONAEA) أعجوبة فعلاً ذلك النبات الصغير المسمى ديونيا.. أو كما يطلق عليه العامة والناس في الولايات المتحدة الأمريكية «**خناق الذباب**».. وهو نبات جميل الهيئة، حسن المنظر، شكله بطبيعة الحال يموه مضمونه، فمن ينظر إليه أول مرة يحسبه نوعاً من أنواع نباتات الزينة، وليس نباتاً يعيش على أكل الحشرات الصغيرة، وطوله لا يتجاوز الـ (٥) سم، وعرضه بقسميه لا يتجاوز الـ (٤) سم. وهو **لا يوجد إلا في ولاية كارولينا الأمريكية**.

وأوراق هذا النبات مقسومة إلى قسمين متساويين، وهي مفلطحة عند أطرافها. ويحتوي كل طرف أيضاً على مجموعة من الشعيرات والأشواك الحادة، التي تمنع الفريسة من الخروج من سجن الورقة.

وسطح الورقة في نبات الديونيا أحمر اللون من الداخل، أخضر أو أبيض داكن من الخارج.. ويضم سطح الورقة الداخلي غدداً كثيرة لونها أحمر برّاق، تساعد الورقة على اقتناص الفريسة وهضمها.

وتوجد في بطن كل ورقة ست شعيرات دقيقة وصغيرة وحساسة، لا تكاد ترى بالعين المجردة، ثلاث منها تتوضع على طرف الورقة الأيمن، وثلاث تتوضع على طرفها الأيسر. ومهمة هذه الشعيرات إعلام الورقة بوجود الفريسة. فإذا ما حطت الحشرة مثلاً على أحد طرفي الورقة، تحركت الشعيرات الثلاث ــ الموجودة في الطرف الذي حطت عليه الحشرة ــ وهنا تعرف الورقة أن ثمة فريسة وقعت في المصيدة.. وبعد ذلك تبدأ عملية اصطياد الفريسة، حيث يطبق قسما الورقة على بعضهما، وتصبح الحشرة محصورة بينهما، ثم تأتي الشعيرات المصفوفة على حافتي الورقة لتتعانق، وتمنع الحشرة من الخروج.. وبعد أن تتعب الحشرة، وتكون قد فقدت جلّ قواها، تفترسها الورقة وتصبح في خبر كان.

تلك هي الطريقة التي يتبعها نبات الديونيا في اقتناص فريسته، وهي في جوهرها لا تختلف كثيراً عن طرق النباتات الأخرى.

القسم الثالث

وأوراق نباتات هذا القسم ليست أوراقاً بالمعنى الصحيح.. فهي عبارة عن أوعية طويلة تنتهي عادة بانتفاخ صغير يحتوي في داخله على سائل مائي لزج، مهمته القبض على الفريسة أولا، وتسهيل عملية هضمها ثانياً.. ويطلق عادة على هذه الأوعية اسم الزق.



★ من أنواع الفطر آكلات الحشرات (الفطر الأحمر المنقط) ★

ونباتات هذا القسم عديدة.. لكننا في هذا البحث سنقتصر على ذكر بعضها.. وهي: **زق الدارلنجتونيا** (DARLING-TONIA)، **وزق السيراسينا** (SAR-RACENIA)، **وزق النيبنش** (NEPENTHES).

زق الدارلنجتونيا : (نبات الكوبرا العملاق) من أضخم النباتات آكلة الحشرات على الإطلاق.. **ويطلق عليه العامة في كاليفورنيا ــ حيث يوجد هنالك بأعداد هائلة ــ اسم «نبات الكوبرا العملاق» بسبب الشبه الكبير بين هذا النبات وثعبان الكوبرا السام.**

ويبلغ طول هذا النبات زهاء المتر.. وفي بعض الأحيان يتجاوز المتر.. **ويكثر في غابات كاليفورنيا الأمريكية الخضراء، ومستنقعاتها الرطبة**. وأوراقه تمتد على شكل رأس ثعبان نحو الأعلى، وفي نهاية كل ورقة من الأعلى انتفاخ متوسط الحجم ينحني دائماً نحو الأسفل، وله فتحة دائرية الشكل، ذات قطعة ورقية حمراء، تغري الحشرة بالدخول عبر الدائرة الصغيرة إلى الداخل.

وهناك تجري عملية الاقتناص والأكل، حيث تتيه الحشرة بين جدران الورقة الطويلة، وتتعرض أكثر من مرة إلى السقوط في السائل المائي اللزج، فتقاوم وتخرج، وهكذا يستمر الأمر حتى يسيطر عليها اليأس، ويتغلب عليها التعب، فتسقط في السائل آخر الأمر دون رجعة.

وأوراق هذا النبات حمراء أو خضراء من الخارج، بيضاء داكنة أو خضراء فاتحة جداً من الداخل.

بقي أن نقول إن الدارلنجتونيا ينتشر أكثر ما ينتشر في الولايات المتحدة الأمريكية، وبريطانيا، وكندا.

زق السيراسينا : (مغرق الحشرات الحلو) وهو من أجمل النباتات الضخمة آكلة



★ الندية : تبدو الصورة إلى أعلى وقد حطت الحشرة على ورقة هذا النبات ، وفي الصورة اليسرى العليا الندية وقد التهم الحشرة ★

الحشرات .. وينمو عادة في المستنقعات والمياه الضحلة التي تكثر في شرقي أمريكا الشمالية .. طوله يتجاوز الـ (٥٠) سم ، وشكله أسطواني .. وطريقة اقتناصه للفريسة لا تختلف كثيراً عن الدارلنجتونيا .. حيث إن منظر الزق من الخارج ، والحافة المطلية بالرحيق الأحمر الحلو المذاق ، يجذبان الحشرة إلى الوقوف على هذه الحافة ، وامتصاص الرحيق الأحمر الجميل الشكل والطعم .

وهنا يبدأ السيراسينا عملية اقتناص الحشرة — أو بالأحرى الفريسة — ومن ثم هضمها ، حيث يجذبها الرحيق إلى الأسفل ، فالأسفل ، دون أن تدري الحشرة ، أو تدرك هذا .. لأن طعم الرحيق الحلو يغري الحشرة بالدخول إلى داخل الزق الأسطواني ، طمعاً بمزيد من الرحيق .. لكنها في النهاية تستيقظ من غفلتها هذه لتجد نفسها وقد علقت بالسائل النباتي الأحمر الداخلي — الذي يشبه في عمله الرمال المتحركة التي تكثر عادة في الصحارى القاحلة ، والمستنقعات الموحلة — .. حيث يجذبها هذا إلى الأسفل ، فالأسفل ، فالأسفل ، حتى تنتهي وتصبح طعاماً لهذا النبات السفاح .. وقلما تستطيع الفريسة الفرار من هذه المصيدة الخبيثة .

زق النيبنش : وينتشر مثل هذا النوع من النبات أكثر ما ينتشر في البلاد التي تقع في المناطق الحارة ، خاصة في **مدغشقر والشرق الأقصى** .. وهو على أنواع عديدة ، غير أن معظم أنواعه تتصف بما يلي :

(١) طولها يبلغ أحياناً زهاء **٢٥** سم ، وشكلها بيضوي ، ولونها أخضر .

(٢) أوراقها مستطيلة الشكل ، تشبه

الساق ، وهي خضراء اللون ، طويلة ، تحمل في نهايتها الزق .

(٣) هناك ورقة ضخمة خضراء اللون تقع فوق الزق تشبه الغطاء ، أو المظلة ، مزينة بعدة نقاط برتقالية اللون ، وأحياناً حمراء .

(٤) يحتوي الزق على سائل أبيض أو أزرق اللون .. مهمته جذب الفريسة إلى أسفل الزق وهضمها ـ إذ يحتوي على عصارات هاضمة ـ .

(٥) هناك شعيرات حمراء ملس تشبه الأضلاع ، تتوضع على حافة الزق ، مهمتها الحفاظ على الفريسة ، ومنعها من الهرب .

(٦) تشبه هذه النباتات ـ إلى حد قريب ـ النباتات المتسلقة التي تكثر عادة على جدران المنازل القديمة وفي الحدائق .

(٧) باستطاعة أكبر أنواعها استيعاب حوالي ربع برميل ـ متوسط الحجم ـ من السائل الذي سبق ذكره .

(٨) باستطاعتها أن تميز بين الجيفة ، والفريسة الحية .

هذه أهم صفات أنواع نبات النيبنش ، وطريقة اقتناصها للحشرة ، وقد أصبحت معروفة من خلال هذا الوصف .

بقي أن نقول **إن النيبنش يحظى حالياً باهتمام كبير ومتزايد من العلماء بسبب أهميته علمياً بوجه عام ، ونباتياً بوجه خاص .**

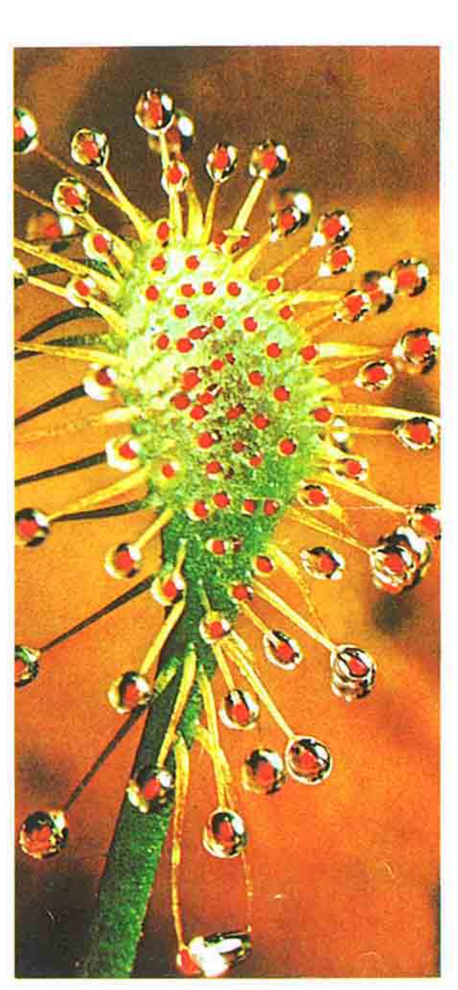
النباتات المائية .. آكلة الحيوانات

لا تختلف النباتات المائية آكلة الحيوانات كثيراً عن النباتات ـ آكلة الحشرات ـ التي تنمو عادة على اليابسة سوى أنها لا تحتوي على ذلك السائل الأحمر ، أو الأزرق الذي يلصق الفريسة الحية بالنبات الآكل .. وتختلف طرق اقتناص الفريسة عند هذه النباتات المائية باختلاف أنواعها . وتعيش جل أنواعها في مياه المستنقعات الرطبة ، والأنهار الصغيرة الباردة ، وتتغذى عادة على الحشرات المائية ، والأسماك الصغيرة ، والكائنات البحرية الأخرى الصغيرة .

أما طريقة هضم الفريسة عند هذه النباتات المائية فهي مشابهة تماماً لطريقة هضم الفريسة عند النباتات الأرضية العادية لوجود حجرة صغيرة داخل النبات المائي تحتوي على سائل تدخل في تكوينه خمائر هاضمة ، مهمتها تحليل جسم الفريسة وهضمها .

ومن أهم أنواع هذه النباتات الأتريكولاريا ، والنبات آكل السمك ، وخناق الأسماك .

الأتريكولاريا : (عشب المثانة) وهو نبات مائي يعيش على أكل الحشرات المائية ، والأسماك الصغيرة ، وينمو عادة في مياه الأنهار والمستنقعات .. **وينتشر أكثر ما ينتشر في الولايات المتحدة الأمريكية ، وفي أمريكا الجنوبية ، خاصة الأمازون ..**



★ الندية أو ندى الشمس ★

ويقتنص الأتريكولاريا فريسته بطريقة طريفة جداً .. فهو عندما يشعر بها ـ بواسطة شعيرات تتوضع دائماً حول فتحة صغيرة دائرية الشكل تقوم بعمل الباب ـ يمدد جسمه حتى يصبح كأنه كرة رياضية ـ مثل الكرة التي يلعب بها لاعبو كرة القدم عادة ـ ومن ثم يفتح الباب الذي سبق ذكره ، ويمتص كل ما حوله من ماء وكائنات .. وبعد ذلك يقوم الأتريكولاريا بفرز الفريسة عن الأشياء الأخرى ، ثم يأكلها . والجدير بالذكر أن معظم النباتات المائية ـ آكلة الحيوانات ـ تقتنص فريستها بهذه الوسيلة . وهي تنجح على الدوام ، وقلما تفلح الفريسة في الهرب من براثن النبات .

خاتمة

وبعد .. فإن عجائب خلق الله كثيرة .. بل وكثيرة جداً .. والنباتات آكلة الحيوانات هي إحدى هذه العجائب الكثيرة .. ولكن .. على الرغم من أن هذه النباتات عجيبة فهناك في هذا العالم الكبير الكثير والكثير من الأشياء التي تفوق هذه النباتات غرابة وعجباً .. فقبل كل شيء ـ وقبل أن نتداول غرائب الحيوان والطبيعة والكون .. وما إلى ذلك ـ نجد أن جسمنا .. نحن معشر الإنسان بآلاته الكثيرة التي يعجز الإنسان الحديث عن صنع مثلها ، أو حتى تقليدها ، هو من أكثر الأشياء والموجودات غرابة وعجباً .. فتلك الأعضاء والآلات الغريبة التي تثير الدهشة لدقة عملها ، وجودة فعلها ، إنما هي معجزة إلهية في عالمنا ، حيث لا يمكن أن نبتكر شيئاً مثلها ، أو حتى مشابهاً لها .. فخلق الله ليس كصنع الإنسان الذي هو من خلق الله .. **﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ﴾** . صدق الله العظيم .

مراجع البحث

(١) النباتات آكلة الحشرات .
(٢) موسوعة المعرفة .
(٣) موسوعة الهدف ٢٠٠٠ .
(٤) فطر عيش الغراب .
(٥) في مغامرة الحياة .
(٦) National Geographec Magazine

بيكون

.. فنان العذاب والألم والاغتراب !!

بقلم : سمير ظريف

★ ثلاث دراسات لأشخاص عام ١٩٤٤م ـ ألوان زيتية على خشب ـ ٧٣،٧ × ٩٤سم ★







يرتبط الفنان المعاصر ارتباطاً وثيقاً بالتاريخ .. وقد حقق الترابط بين أطراف العالم نوعاً من وحدة الفكر والثقافة لم تكن متاحة للفنان القديم . وصارت كل قضية إنسانية يحياها الإنسان ويعايشها في أي مكان على وجه الأرض ، هي قضية الإنسان ، كل إنسان حيثما كان .. والفنان المعاصر هو الذي تترابط في نفسه أحداث عصره ، سواء في بيئته المحلية المحدودة ، أو في البيئة العالمية ، فتنعكس الأحداث بعضها على بعض مُشكّلة في نفسه دراما الإنسان المعاصر .

ولما كان العصر الذي نعيش فيه يتميز بالسرعة والتنويع والتغيير المفاجئ ، واكتشافات العلم المذهلة وانتشارها بسرعة .. فقد أصبح أهم ما يميز الإنسان هو حالة عدم الرضا عن نفسه وعن العالم الذي يعيش فيه .. وقد أدى نمو الحضارة نحو التقدم في اختراع

أدوات الإنتاج وتنويعها ، وزيادة سلطة الإنسان على الطبيعة إلى قلة فرص سعادة الإنسان بدلا من زيادتها وإغراقه في الملذات الاستهلاكية ، وانتزاع الإيمان في إمكانية تحقيق سعادة فردية حرة .. فنحن نحيا في عصر غريب لم يتسع للإنسان فيه أن يثبت أقدامه فوق سطح الأرض ، وأن يحل مشاكله الاقتصادية والحياتية ، إلى جانب مشكلات الأمن والسلام والتفرقة العنصرية .. ومع ذلك فقد استطاع اختراق الفضاء .. إضافة إلى ما يتسم به هذا العصر من ذبذبة بين الاتجاهات والأيديولوجيات والتوتر المستمر .. من هنا تتضح الصورة المركبة لهذا العصر والتناقض الجذري الذي يحياه الإنسان في القرن العشرين .

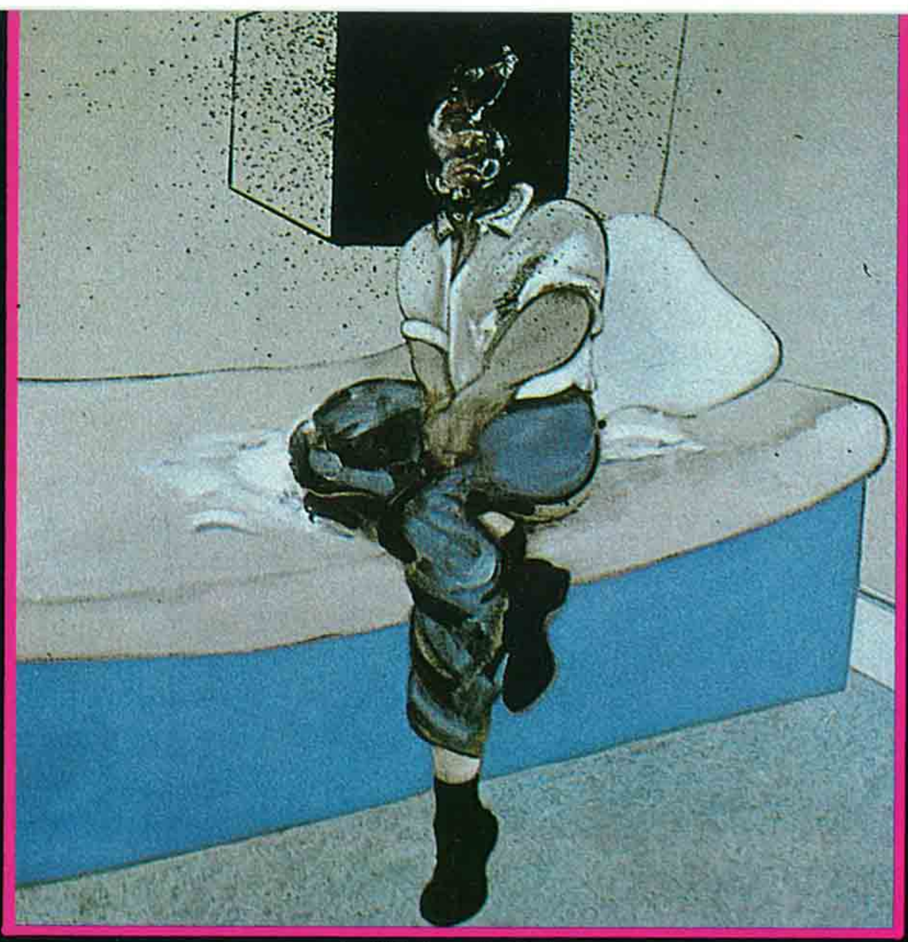
ولما كان الفنان بصفة عامة والتشكيلي بصفة خاصة ، هو المؤشر الحقيقي والمرآة العاكسة للعصر ، فقد انعكس كل ذلك على ما أبدعه ويبدعه من فنون . ومن أبرز الفنانين المعاصرين الذين عبروا بجرأة وإيجابية وصدق عن طبيعة هذا العصر ، وما يحياه إنسانه من غربة وقلق وتوتر ، وما يشعر به من آلام .. **الفنان الإنجليزي « فرانسيس بيكون » !** .

بيكون .. حياته الشخصية والفنية

ولد فرانسيس بيكون عام ١٩١٠ م ، وكان ابناً لمدرب خيول بريطاني في **دبلن** ، وفي سن السادسة عشرة أصبح سائحاً يتجول بين البلاد ، فأمضى معظم فترة شبابه في **باريس وبرلين** ، حيث خاض وتأمل في الجانب المأساوي من الحياة .

وقد عمل بيكون لفترات متقطعة في **الديكور** وتصميم الأزياء .. ولم يهتم بالاتجاهات الفنية السائدة في هذه الفترة ، ولم يبال بأن يكون فناناً ، كما أنه لم يبدأ الرسم بجدية إلا بعد الحرب العالمية الثانية .

وكان بيكون يعرض أعماله الفنية في معارض مشتركة ، غير أن أعماله لم تجتذب الأنظار في حينها .. وفي عام ١٩٤٩ م ، أقام معرضاً منفرداً لأعماله الفنية ، وكان حينئذ يبلغ [illegible]



★ رجل جالس ، عام ١٩٦٤م ★

تدريجي في الدوائر والأوساط الفنية .. **ومن أهم المعارض الفردية التي أقامها بيكون معرضه الأخير الذي أقيم في يناير (كانون الثاني) عام ١٩٧٧ م ، بباريس ، الذي حقق من خلاله نجاحاً كبيراً** ، لكن هذا النجاح لم يغير في حياته شيئاً .. إذ أصبح يمضي معظم وقته في مرسمه الفوضوي في لندن ، وقد فسر تلك الفوضوية بقوله : « **إن الأماكن التي أعيش فيها هي ترجمة ذاتية لحياتي ، فأنا أترك العلاقات التي صنعتها بنفسي أو صنعها الآخرون لأنها بمثابة الذاكرة الحية لي** » .

ورغم الموضوعات الكئيبة التي يصورها بيكون إلا أنه شخص ذكي ومرح مع الآخرين ، ونادراً ما يخرج ، وهو يفضل البقاء في مرسمه .

آخر معرض

أقام بيكون آخر معرض لأعماله الفنية في [illegible]

ثلاثة أسابيع ، وكان عالم الفن في باريس يتهيأ لذلك اليوم الكبير الذي ستحضره « **فرانسواز جيرو** » **وزيرة الثقافة الفرنسية** ، مع العديد من الشخصيات الرسمية في فرنسا ، ونخبة من كبار النقّاد الفنيين في أوروبا ، بالإضافة إلى مجموعة نقّاد إيطاليين حضروا خصيصاً للمعرض ، **وشارك في الافتتاح أكثر من خمسة آلاف شخص** ، وليس من المألوف أن يعاصر أي فنان كل هذه الضجة الجماهيرية والإعلامية ، وتلك الاستعدادات الكبيرة من أجل معرض يقيمه ، باستثناء كل من الفنانين الكبيرين **بيكاسو ، وسلفادور دالي** .. وخصوصاً أن ذلك الفنان طالما وصفه النقّاد بأنه سادي النزعة ، وأن أعماله تثير الذعر في النفوس وتتسم بالغرابة .

وقد ضم هذا المعرض ٣٧ لوحة من أكبر وأعظم لوحات الفنان ، وكان معظمها لم يعرض من قبل في معارض سابقة ، وكان ضمن أعماله المعروضة لوحته الثلاثية الشهيرة « **ثلاث [illegible] أشخاص** » ، التي تقدر قيمتها

بنصف مليون دولار ، وهي من أعظم أعماله التي أتمها عام ١٩٤٤م ، كما ضم المعرض العديد من الصور الشخصية سواء لصديقه العزيز « **داير** » أو للفنان نفسه ، وتعتبر الصور الشخصية « **البورتريه** » من الموضوعات المحببة لدى الفنان .

وقد تميزت اللوحات المعروضة بالمعرض بالجرأة والثقة في استخدام الألوان ، والروعة والرقة في التكنيك الفني رغم أن موضوعاته ليست رقيقة على الإطلاق .

رؤية الفنان وموضوعاته

الإنسان هو الموضوع الأساسي للفنان . . إنسان العصر وما يشعر به من غربة واغتراب مع نفسه ومجتمعه وعالمه . . وكذلك ما يشعر به من آلام . . فالألم هو التعبير المفضل لدى الفنان ، ونجد أنه نجح في إبراز ذلك التعبير إلى درجة تجعل المتلقي يتألم لمشخصات الفنان ، ويتألم للفنان نفسه ، ونحو ما يشعر به من ذلك الألم .

لوحات الفنان هي بمثابة صرخة احتجاج على هذا العصر ، وتعبر مشخصاته بوضوح عن تلك الصرخة .

فالوجوه في لوحاته مصقولة ومدمرة ، والتعبيرات المرسومة عليها تنم عن ألم جم ، والأشكال أكثر رقة لكنها أكثر عذاباً ، وليس ثمة دليل على ذلك أفضل من لوحته التي تحمل عنوان « **وجه وثلاثة أشخاص** » التي رسمها عام ١٩٧٥م . . حيث نجد أن مشخصاته تتلوى من الألم ، **وجمع الفنان بين الأستاتيكية والديناميكية باستخدامه للخطوط المنحنية والدوائر ، وأيضاً المستطيل المرسوم خلف البورتريه ، أما الوجه المرسوم فهو لشخص مشوه .**

ويسجل بيكون لحظة زمنية معينة في لوحاته ، فوجوه مشخصاته تبدو كأنها في لحظة انفجار نووي . . فتنطلق صرخة ألم من تلك الوجوه ، أحياناً مكبوتة صامتة وأحياناً أخرى مدوية مثل لوحته « ثلاث دراسات لأشخاص » التي رسمها عام **١٩٤٤م** ، ويصور فيها ثلاثة أشخاص يجلسون في حالة ألم وعجز عن فعل أي شيء ، وقد وفق بيكون في لوحته الثلاثية من ناحية القيم الفنية « من بناء وتشكيل وعناصر . . إلخ » .

وفي لوحة « **رجل يقف في الحمام** » التي رسمها عام ١٩٧٦م ، يصور جسداً عارياً لإنسان يتلوى من الألم ويتقيأ في حوض ، وفي لوحة أخرى يصور رأس لجسد عار يتلوى من الألم أيضاً . . أما في لوحة « شخص جالس » التي رسمها عام ١٩٦٤م ، فإن بيكون يصور شخصاً يجلس على أريكة في حالة من الثبات والراحة ، لكنه مشوّه الوجه ومُدمَّر ، كأنما أصابته شظية أو لغم ، وخلف الوجه يظهر مكعب ذو سطح أسود ، ورغم هدوء ألوان اللوحة إلا أن الموضوع يحمل قدراً كبيراً من الألم . . أي أن **الإنسان عند بيكون عبارة عن صرخة ألم شديدة ، والألم هو العامل المشترك في لوحات بيكون ، حتى صورته الشخصية** ، لذا نجده أيضاً قد صور ثلاث دراسات تحت عنوان العذاب والألم .

أسلوب بيكون

أما أسلوب بيكون فقد لفت الأنظار إلى استخدامه بشكل ظاهر وبارز ، العديد من المعاني والرؤى المفعمة بالحيوية ، ليخلق بذلك أسلوباً متفرداً خاصاً به لا يشاركه فيه فنان آخر . . ففي الوقت الذي كان الاتجاه السائد في المدارس الفنية في أوروبا وأمريكا هو التجريدية ثم الفنون الشعبية ، جاء بيكون ليخلق أسلوبه الخاص به في « **الواقعية الضمنية** » . . وأحد الموضوعات التي عالجها بتكرار في أعماله التي ظهرت في الخمسينات هو إعادة تصوير « بورتريه » كان قد رسمه **الفنان الإسباني** « **فلاسكوير** » . وتحول ذلك « البورتريه » على يد بيكون إلى شيطان يصرخ وقد قيد إلى مكانه . . ، وأحد موضوعات بيكون الأخرى المفضلة في تلك الفترة ، هو الوجه الدامي لمربية الأطفال الجريحة ، الذي ظهر في الفيلم الملحمي « لسيرمي ايزنشتين » (**معركة بوتمكين**) . . وقد استقى بيكون موضوعاته أيضاً من سلسلة الدراسات الحركية للمصور الإنجليزي المولّد « **ايرورد مايبردج** » ، التي تحولت صوره العارية على يد بيكون في مرحلته الأولى ، إلى

★ وجه « بورتريه » عام ١٩٦٦م ـ ألوان زيتية على قماش ـ ٦٨،٦×٨١،٣ سم ★



الخاص لأنه تحقق في مكان يزخر بالمشاعر المعادية لبيكون .

وقد أدان « **البروفسور ريزكرون** » بقسم تاريخ الفن بإحدى الجامعات الأمريكية بيكون لعدم اشتراكه في التطورات التكنيكية الجديدة للفن المعاصر وقال إن بيكون لا يزال يعالج الموضوعات التي كانت موجودة قبل وبعد التكعيبية . . ولقي بيكون نقداً أشد مرارة من « **أندريه فيرميچيه** » **الناقد الفني لصحيفة (لوموند) الفرنسية** الذي قال عن موضوعاته وأسلوبه « إن هواجس بيكون رتيبة ومملة » غير أن بيكون لم يهتم بآراء الناس أو النقّاد في أعماله ، وقال في رده على هذه الآراء : « لقد كان أملي دائماً أن أعبِّر عن الأشياء بصورة مباشرة ، كما أراها في الواقع ، والناس يشعرون بالرعب لأن الواقع أو ما يسمى بالحقيقة يؤلمهم » .

وبالرغم من هجوم النقّاد والدارسين الأمريكيين على بيكون ، إلا أن الفنانين الأمريكيين قد أيدوه بشدة فقال **الفنان « لاري ريفرز »** رائد الفن الشعبي : « إنه بالرغم من غرابة أعمال بيكون إلا أنه أعظم الفنانين المعاصرين » . وقال **الفنان « جيم داين »** : « إن هناك قلة تعد على الأصابع من الفنانين الذين أحترمهم أحدهم بيكون الذي أعتبره رساماً عظيماً » ، ويذكر **الفنان « آندي دارهول »** أنه يقلد ألوان الفنان بيكون .

وكان لبيكون رأي خاص في رفض التخلي عن رؤاه الفنية والانضمام إلى المدارس الفنية الرئيسية في الفن المعاصر . . فكتب في عام **١٩٥٣** م ، تحية **للرسام البريطاني « ماتيو سميث »** قائلاً : « **إن الرسم يتجه لأن يكون تشابكاً كاملاً بين الرؤى والألوان ، بحيث تصبح الرؤية هي اللون ، واللون هو الرؤيا . . هنا تكون ضربة الفرشاة خلقاً للأسلوب ، وليس مجرد التعبير عنه في فراغ اللوحة ، بذلك تصبح كل حركة للفرشاة تغييراً في شكل الرؤيا ، وفي تأثيراتها . . هذا هو السبب الذي يجعل من الرسم صراعاً غامضاً ومستمراً** » .



★ دراسة بعد فلاسكويز عام ١٩٥٣ م ★

ضحايا لا وجه لها ، تتلوى من الألم من عذابات غير معروفة . . . ومن خلال لوحات بيكون يبدو للمتلقي أن المزاج العام الذي يتحكم في الصورة يتسم بالانعزالية الصارخة ، والتأثير الذي ينجم عن مشاهدة تلك اللوحات يتسم بالاضطراب .

آراء النقّاد الفنيين

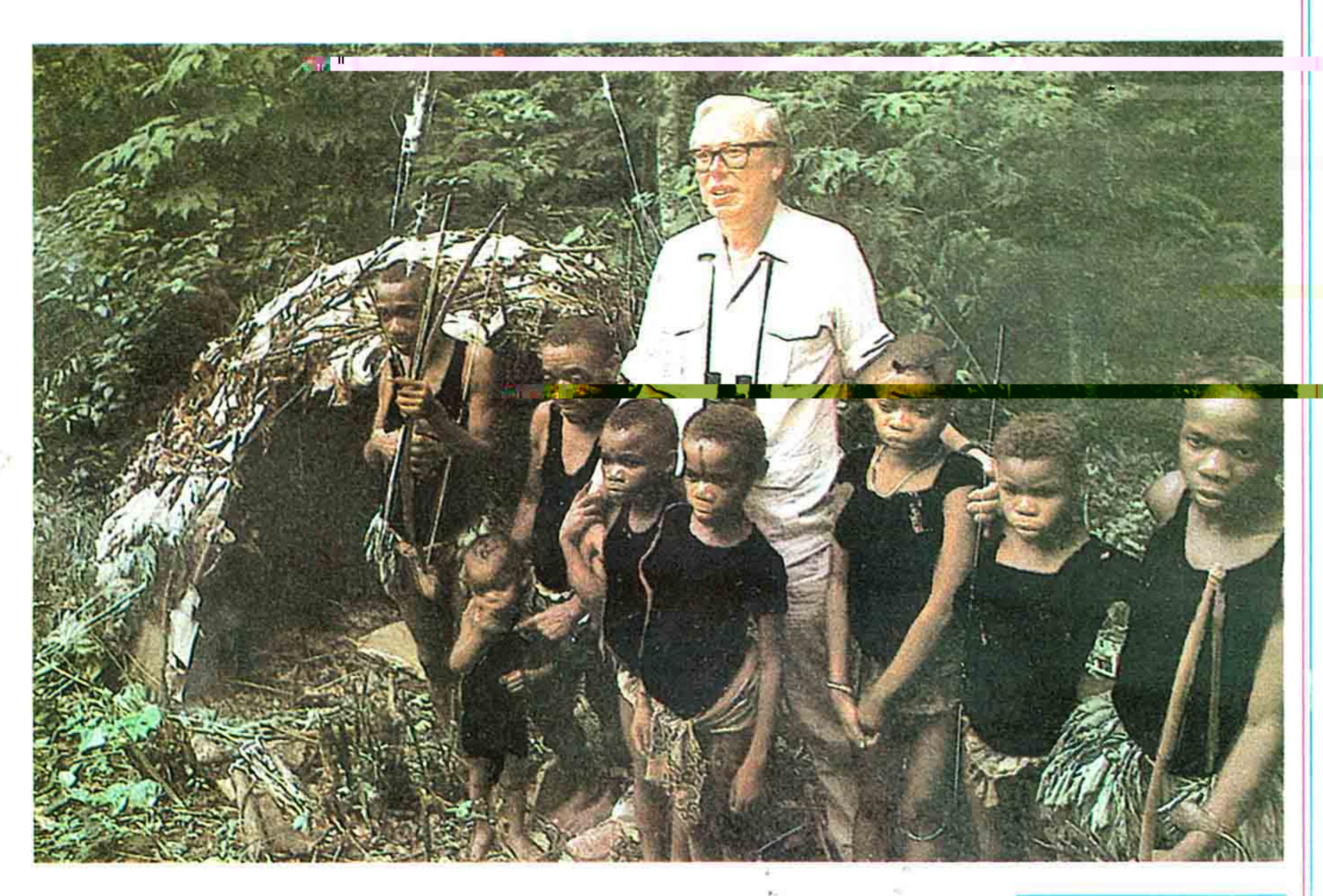
أثارت رؤيا بيكون المتجهمة للأشياء غضب النقّاد ، وساعد الجدل الذي أثير حوله وحول أعماله الفنية على جعل بيكون أكثر فناني العالم الذين يتملقهم الآخرون ، وجعل من ثمن أعماله الفنية أعلى أثمان للأعمال الفنية في العالم . . **فقد باع بيكون إحدى لوحاته في عام ١٩٥٣ م ، بما لا يزيد عن خمسة وثمانين دولاراً . ونفس هذه اللوحة تقدر الآن بمبلغ ١٧١,٠٠٠ دولار . وقدرت لوحته الثلاثية بمبلغ نصف مليون دولار . وكان هذا أعلى ثمن للوحة في حياة صانعها .**

وعندما أقام **متحف المتروبوليتان** في نيويورك معرضاً لأعمال فرانسيس بيكون ، زار المعرض أكثر من (٢٠٠,٠٠٠) شخص ، ولم يكن طريق بيكون لتحقيق هذه الشهرة والنجاح العريض بالسهل ، فقد أدان النقّاد بيكون لأسلوبه شبه الواقعي ولاختياره تلك الموضوعات المثيرة . . وبالرغم من هجوم النقّاد فإن شهرته كانت تتزايد يوماً بعد يوم ، فوصفه **الناقد الإنجليزي الشهير « جون ريتشاردسون »** في عام ١٩٦٥ م ، بأنه أول فنان معاصر يخرج من بريطانيا له وزنه الدولي . وفي عام ١٩٧١ م ، أقيم في « **الجراند باليه** » **بباريس** معرض يضم ١٠٨ لوحات لبيكون ، ولقي المعرض نجاحاً كبيراً ، كما أحرز نصراً باهراً بنجاح معرضه الذي أقيم في المتروبوليتان بنيويورك عام ١٩٧٥ م . وكان هذا النجاح معناه



شعر : رضوان الشيخ محمد

الشاطى المسحور خضبهُ
اب الجمالُ إليه مُفتتناً
فكأنه حُلُمُ الزمانِ ، على
يصبو ويُصبي كلُّ جارحةٍ
فتطلُّ رؤى الكونِ نادية
والنورُ صاغ الماءُ حِلْيَتَهُ
تترى عليه ملامحٌ أَفَلَتْ
الريحُ رغم الصمتِ تنشرها
كم من أصيلٍ ذابَ فانسكبتْ
فتبدَّدَتْ صُوَرٌ مؤرَّقةٌ
وتلاحقت في إثْرِها صُوَرٌ
ولرُبَّ ليلٍ زانَهُ قمرٌ
وأحال وجه العمر أغنيةً
عَذبُ الرؤى وتَدفُّقُ الشمس
يُضفي عليه مباهجَ الأنْس
أصدائهِ ذِكَرٌ مِنَ الأمس
حيرى ، ويوقظُ غابرَ الحِسِّ
مشفوفةٌ بالموج والهمس
من هائماتٍ رماله الخُرْس
وَمَضَتْ بعيداً في دجىً مُنْسي
ظِلاًّ خَفيًّا غامضَ الحَدْس
خَطَراتُهُ وطَغَتْ على النَّفس
كانت تسوق سَحائِبَ التُّعس
آفاقُها منغومةُ الجِرْس
ألوى بطيفِ الهمِّ واليأس
بكراً ، تزيلُ مخاوفَ البؤس



لماذا الأقزام قصار القامة ؟

بعد مساومات مضنية مع مجموعة من الأقزام الذين يعيشون في قرية نائية في **جمهورية إفريقيا الوسطى** استطاع **الدكتور توماس ميرمي** إقناعهم بتأخير تناول طعام إفطارهم ، وبالسماح له بأخذ عينات من دمائهم مقابل بعض الملابس وقطع من الصابون وبعض أعواد الثقاب .

وقام الدكتور ميرمي بتجميد عينات الدم ليتسنى له إرسالها إلى معمله **بجامعة فلوريدا الأمريكية** .. وبعد ذلك أعلن الدكتور ميرمي والفريق السويسري الذي اشترك معه أنهم وجدوا تفسيراً للأحجية القديمة وهي **لماذا الأقزام قصار القامة ؟** .. إذ إنهم نادراً ما يزيد طولهم عن أربع أقدام وثماني بوصات كحد أقصى للطويل جداً ، منهم (أي حوالي ١٤٠ سنتيمتراً) .

والإجابة على ذلك أن أجسامهم تنتج في العادة كميات ضئيلة من هرمون يشبه الإنسولين في تركيبه ، ويدعى Insulin-Like Growth Factor I ، وهو المادة الرئيسية المسؤولة عن الطول في الجسم البشري .. وقال الدكتور ميرمي إن هذه المادة لو تم حقنها في أطفال الأقزام منذ طفولتهم المبكرة لوصلوا إلى الطول الطبيعي للبشر .. وقد نشر الدكتور ميرمي بحثه هذا في **مجلة (نيو إنجلند الطبية)** وعلق قائلاً : « إن قصر القامة عند هؤلاء القوم ميزة حباهم الله بها ، إذ إنها تناسب حياة الغابة التي يعيشونها ، **فهي تجعل التنقل** والحياة بين الشجيرات أسهل .. كما أنهم لن يحتاجوا إلى أكواخ ضخمة » .

خوذة للكشف عن إصابات المخ

اخترعت **شركة هارشو الكيميائية بولاية أوهايو الأمريكية** جهازاً جديداً لتشخيص الإصابات والأمراض المختلفة التي تصيب المخ والرأس بوجه عام .. وهذا الجهاز الجديد الذي يشبه الخوذة يتميز على الأجهزة السابقة التي تستعمل

دواء لمنع الدوار والدوخة

قطعة صغيرة بحجم الهللة «أو المليم» تلتصق خلف الأذن بإمكانها أن تحمي الإنسان من الاصابة من دوار البحر أو دوخة السفر التي تصيب ركاب السفن والطائرات أو حتى المسافرين بالسيارات .. أو حتى المسافرين إلى الفضاء الخارجي .

ولكن كيف تعمل .. ؟ ..

إن بها دواء يكفي لمدة ثلاثة أيام متواصلة .. وهذا الدواء معروف منذ القدم واسمه SCOPOLAMINE ، وبإمكان الجلد أن يمتصه ..

لقد طور الباحثون هذه القطعة بحيث تسمح بالامتصاص المتواصل للدواء عن طريق الجلد بكميات محسوبة ومقدرة .. والغرض منها أن يمنعوا الآثار الجانبية التي تصيب الناس من جراء تناول جرعة كبيرة من الدواء عن طريق الفم .. وقد تمت تجربة الدواء بنجاح على ٧٥ مريضا ممن يصيبهم دوار السفر .. وينصح المختصون في الشركة المنتجة للدواء المرضى بأن يضعوا القرص خلف آذانهم قبل بداية الرحلة بمدة ١٢ ساعة .. وقد أطلقت عليه الشركة اسم Transderm-7 .. وقد أعلن مندوب **وكالة الفضاء الأميريكية** NASA أن أحد رواد مكوك الفضاء قد استخدم هذا القرص .. وتتم حالياً دراسة إمكانية عمل أقراص مشابهة لأمراض أخرى عديدة أهمها ارتفاع ضغط الدم .. والذبحة الصدرية .. أو حتى لمنع الحمل .



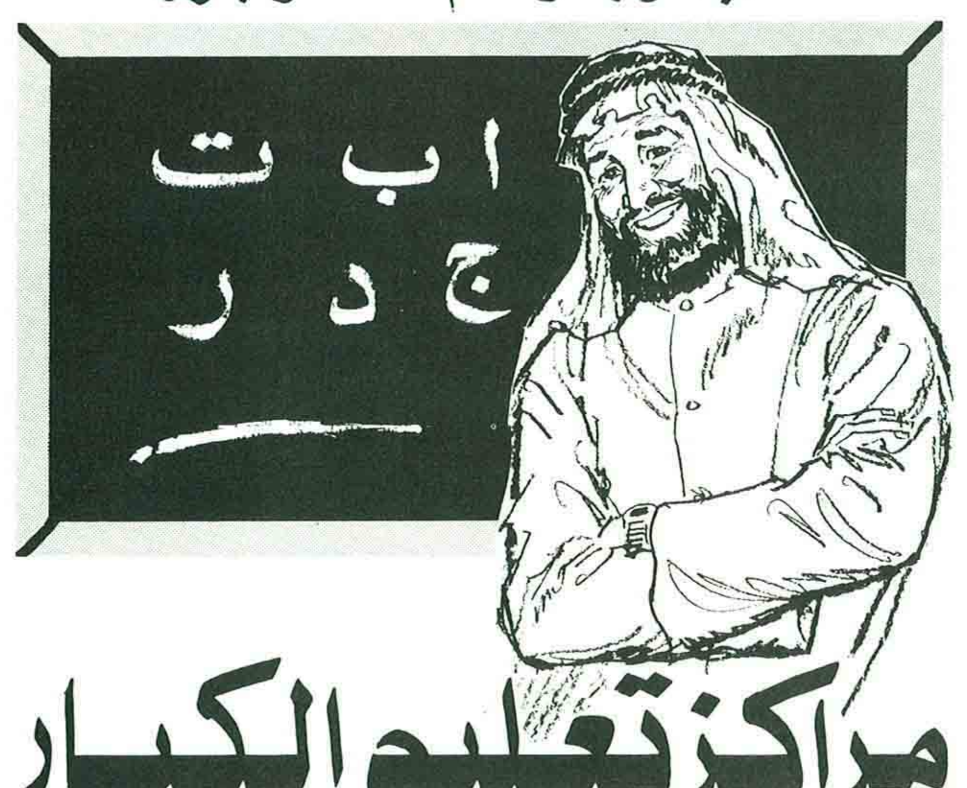
لنفس الغرض في أنه يستطيع معرفة ماي إذا كانت إمدادات الدم إلى المخ قد قلت أم لا . وهكذا يكون بالإمكان الكشف عن المنطقة المصابة وحجم الإصابة نفسها أو المتوقع حدوثها ومعالجتها قبل وقوعها .

ويسمى الجهاز الجديد باسم **«نظام تحليل سريان الدم الدماغي»** Cerebral Blood Flow Analysis System ، ويتكون من خوذة تشبه خوذة تصفيف الشعر للسيدات تتصل بها ١٦ أنبوبة معدنية .. وتوضع الخوذة على رأس المريض .. ويتنفس المريض خليطاً من الهواء **وغاز الزينون المشع** Radioactive Xenon Gas الذي يدخل الرئتين ومنها إلى مجرى الدم ثم الأوعية الدموية السليمة في المخ .. لكنه لا يصل إلى مناطق المخ التي بها انسداد في الأوعية الدموية الدقيقة وعندها لا تسجل المجسات الموضوعة على الرأس أي نشاط إشعاعي في هذه المناطق المصابة .. وهكذا يتم الكشف عنها بسهولة .

ويتميز الجهاز عن غيره من الأجهزة المماثلة أن استكمال فحص المريض لا يحتاج إلى إجراء جراحة استكشافية كما هو الحال في الأجهزة الأخرى .

يا .. كُلّ الكبار في بلدي ..

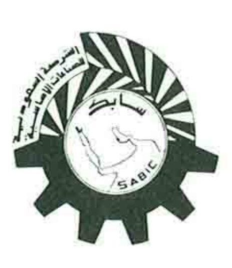
مازال الوقت معكم والفرصة أمامكم
اشربوا من بحر العلم .. تمتعوا بنوره ..



مراكز تعليم الكبار

ترحب بكم وتفتح لكم أبوابها
على مصراعيها في جميع أنحاء المملكة ..
لا تنتظروا غدا .. سجلوا أسماءكم اليوم

مع تحيات
سابك
الشركة السعودية
للصناعات الأساسيّة
والشركات التابعة لها


















١

الهاتف الجوّال .. والمستقبل

بقلم : د . سعد الحاج بكري

إذا كانت الصراعات والأطماع والمشاكل السياسية والاجتماعية قد ساهمت في تمزيق العالم إلى كيانات تختلف في الأحجام والقدرات والغايات ، فإن تكنولوجيا الاتصالات تسعى إلى ضم تلك الكيانات المختلفة ضمن عالم واحد . فوسائل النقل ومكاتب البريد توزع الرسائل والطرود بين مختلف أنحاء العالم في مدة لا تتجاوز مهما امتدت أياماً قليلة . وأجهزة الإذاعة والتليفزيون تنقل أحداث العالم إلى كل بيت بالصوت والصورة مباشرة خلال لحظات مهما تباعدت المسافات . وشبكات الهاتف تمكن كل فرد من الاتصال المباشر مع من يشاء في أي وقت ومن أي مكان إلى حيث يقطن الطرف الآخر ، سواء أكان قريباً أو يقع في دولة أو قارة أخرى . وقد تجاوز عدد أجهزة الهاتف اليوم الثلاثمائة مليون ، وتتصل جميعها إلى شبكة واحدة تشمل العالم بأسره .



وتركب أجهزة الهاتف الموجودة بين أيدينا اليوم في المنازل أو المكاتب أو في مركز ثابت على قارعة الطريق ، وقلّما نجد مثل هذه الأجهزة في السيارات أو بين يدي المشاة . وإذا كان هدف تكنولوجيا الاتصالات هو توفير الاتصال المباشر لكل الناس أينما كانوا ، في حلهم وترحالهم ، فإن هذا الهدف لم يتحقق بعد ، لأن الاتصالات من الحركة ما زالت مقيدة ومحدودة . ويعود ذلك إلى أسباب ومشاكل هي الآن في طريقها إلى الحل . وعلى ذلك سيصبح جهاز الهاتف الجديد رفيق إنسان المستقبل يلازمه أينما كان ويمكّنه من أن يكون مع العالم وجزءً منه في سكونه وفي تجواله .

وغاية هذا البحث هي استعراض تطور مسألة الاتصالات في حياة الإنسان ، ومناقشة أنظمة الاتصالات من الحركة ومشاكلها ، ثم تقديم صورة متكاملة عن أنظمة المستقبل .

بين الماضي والحاضر

ولعل **الرسائل المكتوبة** هي أولى وسائل الاتصالات عن بعد ، وكانت تحملها قوافل السفر في رحلاتها بين الأمصار ، وكذلك **السفن** في تجوالها عبر البحار . ولأن وسائل الاتصالات في الماضي كانت بطيئة ، فقد كان تبادل الرسائل يحتاج إلى أيام وأشهر طويلة .

★ جهاز إرسال إذاعي من شركة ماركوني تستخدمه الإذاعة البريطانية ★

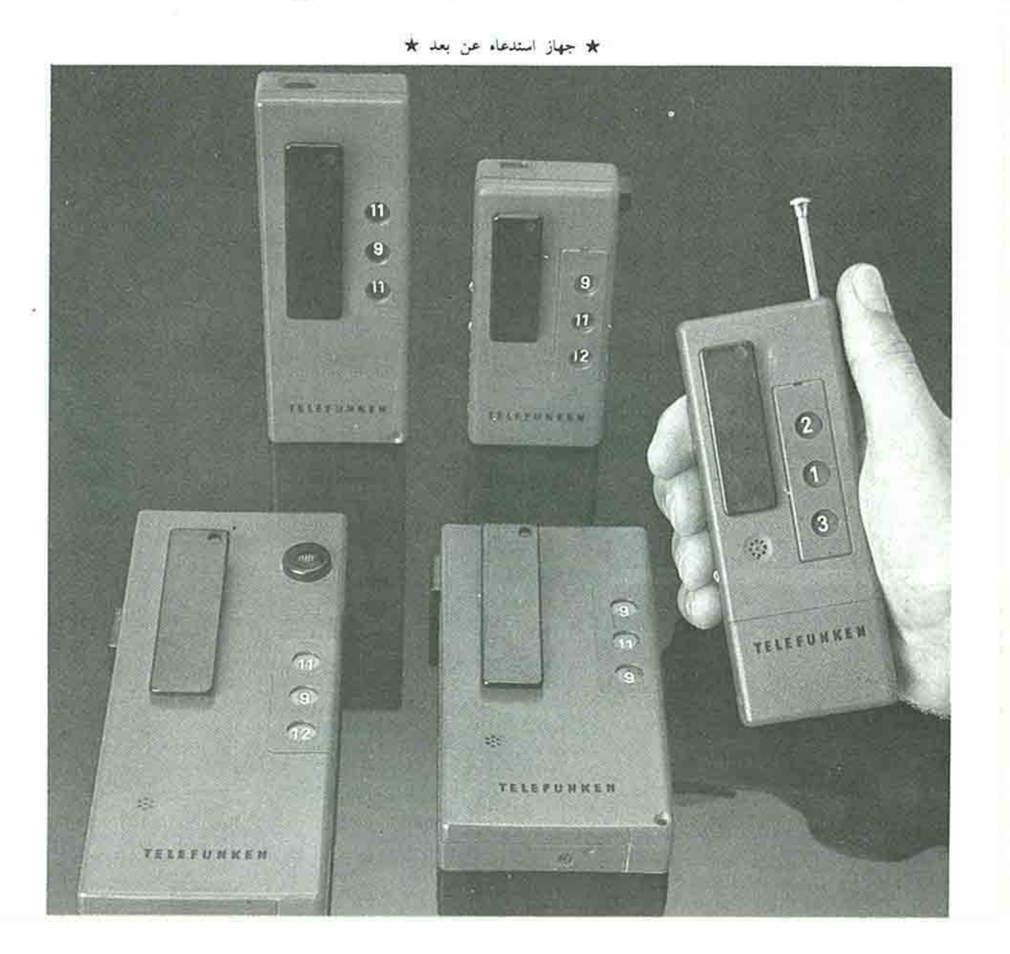
وقد استطاع الإنسان في بحثه عن وسائل تمكّنه من زيادة سرعة مراسلاته أن يكتشف مزايا **الحمام الزاجل** في هذا المجال . فهذا الطير الذكي الذي لا يزن أكثر من كيلوغراماً واحداً ، قابل للتدريب على سلوك طريق محددة في طيرانه وعلى تمييز أماكن معينة . كما أنه قادر على الطيران لمدة سبع عشرة ساعة دون توقف وبسرعة تصل إلى ستين كيلومتراً في الساعة . . وقد كان هذا الطائر في الماضي ولفترة طويلة من الزمن هو المرسال السريع المؤتمن على الاتصالات بين الناس عبر المسافات .

وفي القرن الثامن عشر الميلادي بدأ استخدام **نظام السيمافور** Semaphore ينتشر في بقاع كثيرة من العالم كوسيلة من وسائل الاتصال السريع . ويعتمد هذا النظام على تمثيل الكلمات بإشارات حركة أعلام أو إشارات ضوئية . وقد كان استخدامه في البداية مقصوراً على تبادل الرسائل بين السفن عند تقاربها إلى مدى الرؤية ، أو بين الموانئ والسفن خصوصاً أثناء الليل للمساعدة في توجيه حركتها . ثم امتد استخدامه ليشمل إقامة محطات سيمافور بين المدن .

وكانت هذه المحطات عبارة عن أبراج عالية لا تتجاوز المسافة بين كل محطتين متجاورتين الثلاثة كيلومترات . وكانت كل محطة تقوم بملاحظة الإشارات القادمة من محطة مرسلة ، لتقوم بعد ذلك بنقلها كما جاءت إلى محطة تالية ، ولتصل الإشارات المعبرة عن الكلمات المرسلة بعد عدة إجراءات من هذا النوع إلى المحطة الواقعة في المدينة المقصودة . وكان نقل رسالة صغيرة بهذه الطريقة بين مدينتين لا يتجاوز البعد بينهما مئة كيلومتر يستغرق عدة دقائق .

ومن أشهر أنظمة السيمافور ذات المحطات المتتالية ، النظام الذي بني في أمريكا الشمالية عام ١٨٠٠ م ، ما بين مدينة بوسطن Boston

★ جهاز استدعاء عن بعد ★







ومارثا ڤينيارد Martha's Vineyard . وبالرغم من الفائدة التي كانت تقدمها تلك الأنظمة ، إلا أنها كانت باهظة التكاليف وتعتمد أساساً على حالة الطقس .

وفي عام ١٨٣٥ م ، أوجد **العالم مورس** Morse نظام **التلغراف** Telegraph الذي يعتمد على أسس علم الكهرباء والمغنطيسية . فقد تمكن هذا العالم من إرسال واستقبال إشارات كهربائية عبر أسلاك ناقلة تمتد بين المرسل والمستقبل . وكما في السيمافور تستطيع هذه الإشارات أن تمثل كلمات يطلب نقلها ما بين نقطتين متباعدتين . وقد لاقت هذه الفكرة ترحيباً كبيراً في مجالات الاتصالات السريعة عن بعد ، خصوصاً وأنها أقل كلفة وأكثر فاعلية من نظام السيمافور المتعدد المراحل ، وأنها أيضاً لا تعتمد على حالة الطقس . وقد جرى بناء العديد من أنظمة التلغراف في مختلف أنحاء العالم بعد أقل من عشر سنوات من إعلان **مورس** عن نجاح تجاربه .

وبعد مورس خطا **العالم بل** Bell خطوة أخرى إلى الأمام في مجال الاتصالات عن بعد ، حيث نجح في بناء **أول جهاز هاتف عام ١٨٧٦ م** . فبدل نقل الإشارات الكهربائية عبر الأسلاك ، كما فعل مورس ، استطاع (بل) أن ينقل الأصوات نفسها ، وذلك عن طريق تحويلها إلى إشارات عند الإرسال ، ونقل تلك الإشارات عبر الأسلاك ، ثم إعادتها مرة أخرى إلى كلمات يسمعها المستقبل . وبالرغم من أن الكثيرين اعتبروا هذا الجهاز لعبة أطفال غير عملية في البداية ، إلا أن هذه اللعبة أثبتت أنها للكبار قبل الصغار ، حتى أصبح لها مكان في كل منزل .

وفي عام ١٨٩٥ م ، تمكن **العالم ماركوني** Marconi من إرسال واستقبال إشارات تلغرافية لاسلكياً . وقد جاء ذلك ليتناسب مع الحاجة التي كان يتطلع إليها الكثير من الناس . فبالرغم من نجاح الاتصالات السلكية ، إلا أنها لم تكن قادرة على تأمين الاتصال ما بين السفن والطائرات ، التي كانت قد بدأت تنتشر ، من جهة والموانئ والمحطات الأرضية من جهة ثانية . وقد اعتمدت طريقة الاتصال اللاسلكي على تحميل الإشارات المراد إرسالها على أمواج كهربائية مغناطيسية ذات **ترددات عالية** Modulation ، وإرسال تلك الأمواج بعد ذلك عبر الفضاء إلى جهاز استقبال يقوم باستخراج الإشارات المطلوبة من **الأمواج الحاملة** Demodulation لمعرفة محتوى الكلمات المرسلة .

ولم تقتصر الاتصالات اللاسلكية على الإشارات التلغرافية ، بل تطورت لتتمكن من نقل المكالمات الهاتفية أيضاً . وقد **تم عام ١٩٢٦ م ، نقل أول مكالمة هاتفية بين أوروبا وأميركا لاسلكياً** . وقد اتسع استخدام مبدأ اللاسلكي ليشمل الإرسال الإذاعي والبث التليفزيوني الذي يعمل على نقل الصوت والصورة عبر الفضاء . وقد استخدمت أيضاً **الأقمار الصناعية** Satellite كمحطات وسيطة للإرسال اللاسلكي من أجل تأمين الاتصال بين أقصى مشارق الأرض ومغاربها .

الاتصالات من الحركة

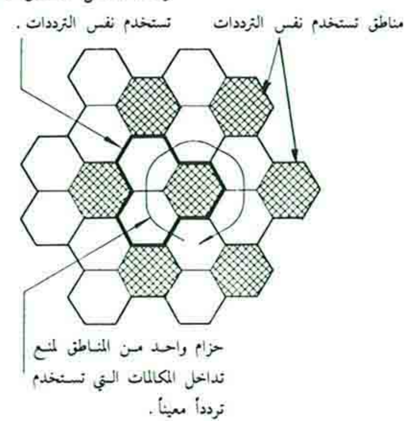
لا شك أن إمكانية الاتصالات من الحركة هي من أهم نتائج أنظمة الإرسال والاستقبال اللاسلكي ، فالطائرات في رحلاتها تبقى على اتصال بالمحطات الأرضية خلال طيرانها عبر الأجواء ، وهذا يؤمن لها التوجيه والإنذار وكل ما تحتاج إليه من معلومات مختلفة . وذلك أيضاً هو شأن السفن وهي تمخر عباب البحار .

وقد استخدمت أجهزة اللاسلكي بالإضافة إلى ما تقدم ، للاتصالات بين الوحدات المتحركة على الأرض كالسيارات أو العربات . **ومن أقدم أنظمة الاتصالات هذه ، النظام الذي بنته شرطة مدينة ديترويت** Detriot **في أميركا في العشرينات من هذا القرن للتحكم بحركة عرباتها وتوجيهها نحو أماكن الأحداث** . وتختلف أنظمة الاتصالات بين الوحدات المتحركة تبعاً لطبيعة المعلومات المرسلة والمستقبلة لاسلكياً ، ولها أنواع عدة من أهمها **نظام الاستدعاء** Paging **والنظام المعتاد** Conventinal **والنظام المتعدد الأقنية** Multichannel .

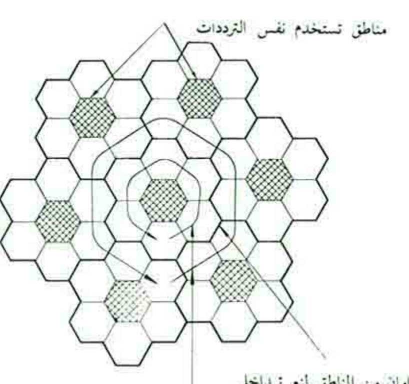
يستخدم نظام الاستدعاء عادة في مجالات محدودة وغالباً ما يكون ذلك في مؤسسات كبرى تتطلب تجول بعض عناصرها بين أرجائها المختلفة كالمستشفيات والمعسكرات والمصانع وغيرها . فالأطباء مثلاً هم العناصر الجوالة في

المستشفيات، يتنقلون بين أسرة المرضى وغرف العمليات وصالات الاستراحة. وغاية نظام الاستدعاء هي التمكّن من الاستجابة للحالات الطارئة وتنبيه العناصر المطلوبة وتوجيه تحركاتها. ويتم ذلك عادة عن طريق تزويد كل عنصر جوال بجهاز يستطيع استقبال الإشارات اللاسلكية الموجهة إليه؛ ويؤدي هذا الاستقبال إلى إعطاء تنبيه ضوئي أو صوتي. وترسل هذه الإشارات عادة من **محطة مركزية** Base Station، وعند ورودها يقوم صاحب الجهاز المستقبل بالاتجاه إلى أقرب جهاز هاتف داخلي إليه للاتصال بالمحطة المركزية وأخذ التعليمات اللازمة.

إذا كان مجال نظام الاستدعاء ينحصر ضمن مؤسسة واحدة، فإن مجال النظام المعتاد للاتصالات من الحركة يمتد ليشمل مدينة بأكملها. ولئن كانت إشارات الاتصالات في نظام الاستدعاء تعمل على التنبيه فقط، فإن اتصالات النظام المعتاد تسمح بتبادل الكلمات بين عناصر النظام الجوالة والمحطة المركزية. وغاية إقامة مثل هذا النظام عادة هي التحكم بأسطول من السيارات التي تتبع مؤسسة ما وتتحرك ضمن مدينة معينة. وقد تكون هذه المؤسسة مصلحة إطفاء الحريق أو شرطة النجدة أو سيارات أجرة أو ما يشابه ذلك. ولهذا النظام عادة محطة بث واستقبال إذاعي ثابتة، غالباً ما يطلق عليها اسم المحطة المركزية؛ وكذلك محطة بث واستقبال في كل سيارة من السيارات التابعة لأسطول النظام. وتعمل جميع هذه المحطات على تردد إذاعي واحد، ولا بد للمؤسسات التي تستخدم مثل هذا النظام من الحصول على ترخيص بالبث على تردد معين لأغراضها الخاصة من سلطات تنظيم الاتصالات في منطقة عمل هذه المؤسسات، وتستطيع عادة جميع السيارات في أسطول معين أن تسمع رسائل ونداءات المحطة المركزية بشأن التحرك مثلاً إلى مكان معين. فتجيبها في مثل هذه الحالة السيارات الأقرب إلى المكان المقصود. وتقوم المحطة المركزية بعد ذلك بإعطاء التعليمات الواجب تنفيذها للسيارة المناسبة للعمل المطلوب.



★ **النظام الخلوي للهاتف الجوال عند استخدام حزام واحد لفصل المناطق التي تستخدم نفس الترددات** ★



★ **النظام الخلوي للهاتف الجوال عند استخدام حزامين لفصل المناطق التي تستخدم نفس الترددات** ★

في النظام المعتاد السابق الذكر هناك قناة اتصال لاسلكية واحدة هي التردد العالي الوحيد المستخدم؛ وعلى جميع المحطات أن تسمع كل ما يقال بانتظار رسالة أو نداء يتناسب مع هذه المحطة المتنقلة أو تلك. ويختلف النظام المتعدد الأقنية عن ذلك بأن له عدداً من الترددات العالية أو الأقنية اللاسلكية للبث والاستقبال اللاسلكي، وأن المكالمات بين العناصر الجوالة المشتركة فيه تتم فقط بين طرفين كما هي الحال في المكالمات الهاتفية المألوفة. وتعمل مثل هذه الأنظمة كما في الأنظمة المعتادة ضمن مجال مدينة معينة. وتشمل إجراءات المكالمات فيها عدداً من المراحل. فإذا أراد أحد العناصر الجوالة مثلاً الاتصال بعنصر آخر فإنه يقوم في البداية بإرسال إشارات تنبيه، تشبه إشارات نظام الاستدعاء، إلى المحطة المركزية يحدد فيها العنصر الذي يرغب في الاتصال معه. عندئذ تبحث هذه المحطة عن قناة لاسلكية مزدوجة غير مشغولة بأية مكالمات أخرى وذلك بين الأقنية المتاحة للنظام. فإن وجدت أن لديها مثل هذه القناة، فإنها تقوم بإرسال إشارات تنبيه إلى العنصر المطلوب. وعند إجابة هذا العنصر تجري المكالمة بين الطالب والمطلوب عبر القناة اللاسلكية المزدوجة مروراً بالمحطة المركزية. وعند انتهاء المكالمة تأخذ المحطة المركزية علماً بذلك وتصبح تلك القناة حرة مرة أخرى بانتظار مكالمة جديدة. وتشبه هذه الإجراءات عمل محطات الهاتف المألوفة، والفرق الوحيد هو أن محطات الهاتف هذه غالباً ما تستخدم الأقنية السلكية بدلا اللاسلكية. وتتصل المحطات المركزية للأنظمة المتعددة الأقنية في كثير من الأحيان بشبكات الهاتف، وبهذا يصبح بإمكان عناصرها الجوالة الاتصال بجميع مشتركي تلك الشبكات.

أنظمة المستقبل

يدعى جهاز اتصال العنصر الجوال في الأنظمة المتعددة الأقنية المتصلة بشبكات الهاتف بجهاز **الهاتف الجوال** Mobile Telephone. ذلك أن مستخدم هذا الجهاز يتمتع في تجواله، من وجهة نظر الاتصالات أي إجراء المكالمات إلى مسافات متباعدة وتلقيها، بنفس ما يتمتع به عندما يكون إلى جانب جهاز هاتفه الثابت في منزله أو في مكتبه. ويستخدم الهاتف الجوال في مختلف أنحاء العالم، إلا أن استخدامه ما زال مقيداً ومحدوداً خصوصاً بالمقارنة مع الهاتف الثابت. ففي مدينة لندن التي يبلغ عدد سكانها العشرة ملايين نسمة هناك أكثر من ثلاثة ملايين جهاز هاتف ثابت، وهناك في نفس الوقت عدة مئات فقط من أجهزة الهاتف الجوال معطاة لأصحاب المزايا الخاصة. **فلماذا لا يصبح الهاتف الجوال كالهاتف الثابت ملك الجميع، وما المشكلة الأساسية التي تعترض سبيل ذلك، وكيف يمكن تجاوزها في أنظمة المستقبل؟**.

تكمن المشكلة الأساسية للهاتف الجوال في

الأقنية اللاسلكية أي في الأمواج الكهربائية والمغنطيسية ذات الترددات العالية التي تعمل على حمل المكالمات ونقلها بين المحطات المركزية والعناصر الجوالة . فالأمواج البث اللاسلكي مجال محدد يدعى عادة **طيف الترددات** Frequency Spectrum . ولهذا المجال استخدامات عديدة تشمل البث الإذاعي والتليفزيوني وكل أشكال الإرسال اللاسلكي بما فيها الهاتف الجوال .

وعلى ذلك يقسم مجال طيف الترددات عادة إلى مجالات فرعية توزع تبعاً للأهمية على كافة أنواع الاتصالات اللاسلكية . ولا يمكن ضمن منطقة محددة استخدام تردد واحد لأكثر من غرض واحد . وسبب ذلك أن إرسال أكثر من مكالمة واحدة مثلاً على تردد معين وضمن منطقة واحدة يؤدي إلى تداخل هاتين المكالمتين عند الاستقبال على هذا التردد وبالتالي إلى فقدان كل من المكالمتين . ولأن المجال الفرعي من طيف الترددات المستخدم من أجل الهاتف الجوال يحتوي على عدد محدود من ترددات الإرسال ، فإن عدد المكالمات التي يمكن نقلها ضمن منطقة معينة في وقت واحد محدود أيضاً بهذا العدد .

★ وحدات المراقبة في الاتصالات ★



ويؤدي ذلك بطبيعة الحال إلى عدم قدرة أنظمة الهاتف الجوال في الوقت الحاضر على تقديم الخدمات للجميع خصوصاً في المدن الكبرى المزدحمة بالسكان .

لتجاوز مشكلة محدودية توسع أنظمة الهاتف الجوال ، هناك أسلوب جديد يعتمده مصممو أجهزة المستقبل ، ويدعى **الأسلوب الخَلَوي** Cellular Approach أو طريقة التقسيم إلى مناطق . وتتضمن هذه الطريقة إجراءات تنظيمية لاستخدام الترددات المتاحة للهاتف الجوال على أفضل وجه ممكن . والفكرة الأساسية لهذه الإجراءات هي تقسيم كل مدينة من المدن الكبرى التي يعمل فيها الهاتف الجوال إلى مناطق صغيرة أو خلايا Cells بحيث يكون لكل من هذه المناطق محطة مركزية خاصة بها . ولا تتجاوز أبعاد كل من هذه المناطق بضعة كيلومترات . ونظراً للصغر النسبي لهذه المناطق ، تكون استطاعة الإرسال اللاسلكي ضمن كل منها صغيرة أيضاً . ويمكن من خلال هذا التنظيم إعادة استخدام الترددات المستخدمة في إحدى المناطق في مناطق أخرى من المدينة وفي نفس الوقت ، على أن لا تكون تلك المناطق متجاورة منعاً لتداخل المكالمات .

وقد لوحظ أن المسافة المطلوبة بين المناطق التي تستخدم ذات الترددات في نفس الوقت تبلغ ما يعادل حزاماً أو حزامين من المناطق الصغيرة . فإذا كانت المسافة المطلوبة حزاماً واحداً فقط ، يكون متوسط عدد ترددات الإرسال المتاحة لكل منطقة صغيرة ثلث عدد الترددات الكلي لنظام الهاتف الجوال . أمّا إذا كانت المسافة المطلوبة حزامين فيكون متوسط عدد الترددات المتاحة لكل منطقة صغيرة سُبع العدد الكلي . وهذا موضح في الرسومات المرفقة . وعلى ذلك يصبح بإمكان أي من ترددات أنظمة الهاتف الجوال نقل عدد من المكالمات ضمن مدينة واحدة وفي نفس الوقت ودون حدوث أي تداخل فيا بينها .

لا يخلو النظام الخلوي بدوره من المشاكل ، وتتعلق المشكلة الرئيسية فيه بتعدد مناطقه وتعدد محطاته المركزية ضمن المدينة الواحدة . فحركة العناصر الجوالة في مدينة لا تقتصر عادة على منطقة واحدة بل تشمل أيضاً التحرك بين المناطق ، وعلى ذلك لا بد من متابعة حركة هذه العناصر والاستجابة لمتطلباتها . فعند ورود مكالمة إلى عنصر ما لا بد لمجموعة المحطات المركزية في المدينة من معرفة مكان العنصر وتوجيه المكالمة إليه عبر المحطة المركزية للمنطقة أو الخلية التي يمر بها العنصر . كذلك لا بد لأية محطة من الاستجابة لأية مكالمة ترد من أي من العناصر الموجودة ضمن منطقتها . وأكثر من ذلك يجب على المحطات المركزية تأمين المتابعة للمكالمات المستمرة أثناء عبور العناصر المشغولة بها من منطقة إلى منطقة مجاورة .

وقد تبدو مشاكل النظام الخلوي صعبة وشديدة التعقيد ، إلا أن تقدم علوم **شبكات الحاسبات الآلية** Computer Networks يجعلها قابلة للحل . وتستطيع هذه الشبكات تبادل المعلومات وتخزينها واستخدامها لأغراض متعددة تشمل **التحكم** Control بالأنظمة المختلفة . وعلى ذلك تستطيع هذه الشبكات المساهمة في حل أنظمة الهاتف الجوال ، وذلك عن طريق التحكم بإجراءات المحطات المركزية لهذه الأنظمة . إذ يمكن لهذه الشبكات أن تقوم بجمع المعلومات عن حالات المناطق المختلفة وتخزينها تبعاً للتغيرات الحادثة واستخدامها عند الحاجة لاتخاذ ما يلزم من إجراءات .

وتستمر اليوم الدراسات والاختبارات حول استخدام النظام الخلوي للهاتف الجوال ، حتى إن بعض المناطق قد بدأت في استخدامه كما حدث في فيلادلفيا Philadelphia في الولايات المتحدة . كما أنه من المتوقع تنفيذه في مدينة لندن قبل عام ١٩٨٥ م ، حيث سيتم تقسيمها إلى حوالي أربعين منطقة صغيرة . وهناك العديد من الدول الأخرى التي تسعى إلى استخدامه . وسوف يأتي يوم في المستقبل المنظور يضع فيه كل إنسان إلى جانبه في حله وفي ترحاله جهاز هاتف يمكنه من الاتصال مع أي مكان من العالم وفي أي وقت يشاء .





دور الترجمة في البحث العلمي

الأقطار العربية وحاجتها إلى مركز عربي للترجمات

من الظواهر الغريبة في حياتنا العامة اليوم أننا أصبحنا نتجادل كثيراً حول بديهيات سلمت بها دول العالم المتحضر، وأصبحت جزءً عضوياً من سلوكها وشخصيتها القومية، ولذلك فهي ليست الآن في حاجة إلى التحدث مدافعة عن ضرورتها، ولكننا للأسف ما زلنا في مرحلة المناقشات والمجادلات دون أن ينتقل هذا إلى مجال التنفيذ العلمي والعملي.

بقلم: أبو السعود إبراهيم

والدليل على ذلك أننا ما زلنا نتكلم ونؤكد على **ضرورة الترجمة** كخدمة من خدمات المعلومات والبحث العلمي كما لو كانت قضية محتاجة إلى برهان وتأييد، بينما تشتد حاجتنا الملحة إليها إذا كنا موقنين بأن الدول الكبرى تتقدم الآن بخطى سريعة نحو **العلم والتكنولوجيا**، وأن ما يؤلف في هذا العالم المتقدم ضرورة حضارية هامة ليس لها بديل، وأن المؤلفات العلمية هي العنصر الأساسي في إرساء دعائم هذه النهضة العلمية والحضارية.

والأمر الذي لا شك فيه أن الترجمة ممارسة يومية في حياة الأمم والمنظمات والمؤسسات على اختلاف أهدافها وإمكاناتها، إيماناً بأنها الوسيلة الوحيدة لإيصال رسالتها إلى الآخرين والتعرف على إنتاجهم من جانب، ودعم أواصر التفاهم والتعاون بما يحقق صالح الجميع من جانب آخر. فأي بلد أو هيئة مهما تعاظمت قدراته وتوافرت له مقومات الاستمرار والنماء لا بد أن يطلع غيره على إنجازاته ويبقى في الوقت نفسه مطلعاً على ما يحققه هذا الغير. **فالترجمة خطوة عملية وحاسمة للغاية في عملية التطور الحضاري**، ومن هنا فقد أدركت **اليابان** هذه الحقيقة وفي أعقابها **الاتحاد السوفييتي**، مما جعلهما يؤسسان إدارات خاصة بالترجمة من جميع لغات العالم الحية إلى **اللغة اليابانية** أو **اللغة الروسية** وبذلك تمكنتا من نقل فروع العلم والمعرفة إلى اللغة القومية التي قد لا يجيد المواطن غيرها... **أي إن الترجمة تحولت إلى نافذة يطل منها المواطن العادي على كل إنجازات العصر دون أن يجهد نفسه في تعلم لغات أجنبية قد لا يجد الوقت أو الإمكانات لتعلمها، ويكفي أن نعلم أن اليابان قامت بترجمة ١٧٠,٠٠٠ كتاب في عام ١٩٧٥م**، ولا شك أن هذا من أسباب النهضة الحضارية التي تزدهر الآن هناك، والتي لا يزيد عمرها على ربع قرن بعد انكسارها المأساوي في الحرب العالمية الثانية. وفي مقابل هذا نجد أن الكتب الأجنبية المترجمة إلى اللغة العربية في جميع مجالات المعرفة خلال عشرين عاماً من ١٩٤٨ ـ ١٩٦٨م، على مستوى الأقطار العربية كلها طبقاً لإحصاء منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم (**اليونسكو**) **بلغ ٤٠٢٨** كتاباً!

هذا في الوقت الذي نعرف فيه أن اللغة أصبحت تمثل عنصراً من أهم العناصر المكونة لمشكلة المعلومات التي تواجه الباحثين في العصر الحديث حيث بلغ مجموع اللغات التي ينشر بها الإنتاج الفكري في **العلوم والتكنولوجيا** وحدها حوالي أربعين لغة على الأقل، وربما كان هذا مما حدا **بالولايات المتحدة الأمريكية** التي يتوافر لها من أسباب الاكتفاء الذاتي في المجالات العلمية، أن تخصص ملايين الدولارات سنوياً لترجمة البحوث العلمية التي تصدر بلسان غيرها، وذلك بعد أن تبين لها أن ما يزيد عن نصف ما ينشر في العالم سنوياً يصدر بلغات غير الإنجليزية.

أهمية الترجمة وماهيتها

والترجمة ليست مجرد نقل كلمات وجمل لغة إلى كلمات وجمل لغة أخرى. إنها كما يقول **أبو الريحان البيروني «نقل العلوم والفنون من لسان إلى لسان على نحو يجعلها تزدان وتحلو وتسري محاسن اللغة منها في الشرايين والأفئدة».**

وإذا كانت الترجمة تستمد أهميتها في الدول المتقدمة من النظرة الاستراتيجية للبحث العلمي، فإنها تستمد أهميتها في الدول النامية من نظرتها الاقتصادية للبحث العلمي باعتباره السلاح الأساسي في صراعها مع الفقر والتخلف، وعلى ذلك فإن مسؤولية الدول النامية تعتمد أكثر من غيرها على الإنتاج الفكري المستورد، وأن عليها أن تستوعب هذا الإنتاج وأن تهيىء سبل الإفادة منه على جميع المستويات لكي تعوض سنوات التخلف التي عاشتها.

والترجمة ليست وليدة العصر الحديث وإنما تمتد جذورها إلى أقدم عصور تاريخ البشرية، ويذكرنا التاريخ أن

أول اهتمام بالترجمة على مستوى الأمم والشعوب كان على أيدي العرب والمسلمين الذين اهتموا بنقل التراث الفكري للأمم الأخرى وفي مقدمتهم **الإغريق والفرس والهنود** في أكبر حركة للترجمة شهدها التاريخ بلغت ذروتها في عهد **الدولة العباسية** ، وخاصة في عصري **الرشيد والمأمون** ، وشارك فيها كثير من المفكرين والفلاسفة والعلماء العرب وعلى رأسهم **الكندي والفارابي وابن سينا والحسن بن الهيثم ..** ، ولقد عرفت في هذا العصر عدة مراكز للترجمة ، ثم ما لبث أن شهد الوطن العربي حركة أخرى للترجمة بدأت في عصر **محمد علي** ، شارك فيها جماعة السوريين وكان أولهم الأب **أنطون روفائيل ويوحنا عنحوري وجورجي فيدال ويوسف فرعون وعثمان نور الدين ورفاعه رافع الطهطاوي ..** وغيرهم كثيرون . والأمر الذي لا يمكن إنكاره أن المترجمين في العهدين لقوا كثيراً من صعوبات الترجمة وخاصة عند نقل المصطلحات العلمية التي لا مرادف لها في اللغة العربية .

ولم يسبق حركة الترجمة العربية والإسلامية سوى تلك القيم التي اهتم بها **الإسكندر الأكبر** ، فتخبرنا كتب التاريخ أنه قد جمع كل ما وقع تحت يديه من معارف مدونة في جميع الأقاليم التي غزاها ، ثم أرسلها إلى أستاذه **أرسطو** في أثينا حتى أصبحت مكتبة **أرسطو** أضخم مكتبة في القرن الرابع قبل الميلاد .

والواقع إنه إذا كنا نعيش اليوم عصر ازدهار العلم والتكنولوجيا ، حيث الثورة المتنامية في وسائل الاتصال بين سكان العالم ، إن هذا التقدم العلمي بجوانبه المختلفة قد أتاح للمعرفة الإنسانية أن تتضاعف بسرعة مذهلة . **والوطن العربي لا يستطيع أن ينطوي على نفسه ويبق بمنأى عن عصر تواصل وتلاقح الأفكار ، ومن هنا كان دور الترجمة في خدمة البحث العلمي والباحثين والعلماء** ، فمجرد إحاطة الباحث علماً بوجود مقال أو بحث معين مكتوب بلغة لا يقرأها ، يصبح أمراً لا فائدة منه بالنسبة له . ومن هنا برزت الحاجة إلى أن تقدم مؤسسات البحث العلمي والجامعات ومراكز التوثيق والمعلومات والمكتبات المساعدة إلى الباحثين والمستفيدين من خدماتها للتغلب على الصعوبات اللغوية التي يصادفونها أثناء بحثهم واطلاعهم .

الباحث .. وحصوله على المترجمات

وهناك عدة طرق يمكن لأي باحث أن يحصل بواسطتها على الترجمات التي يحتاج إليها ومنها :

- **إعداد ترجمات خاصة حسب طلب الباحثين والمستفيدين .**
- **معرفة مكان ترجمات موجودة فعلاً للمقالات المطلوبة .**
- **إعداد ونشر ترجمات مختارة للبحوث التي تعتبر ذات أهمية خاصة في مجال موضوعي معين .**
- **نشر ترجمات كاملة لبعض الدوريات المتخصصة ذات الأهمية الخاصة وخصوصاً في مجال العلوم والتكنولوجيا .**

ونظراً لتكاليف عملية الترجمة على الرغم من الفائدة التي تؤديها ، فإنه يجب أن يكون في كل قطر عربي مركز يقوم بجمع بيانات كاملة عن الترجمات الجاهزة لبعض الكتب أو الدوريات أو البحوث العلمية والنشرات ، ويعمل لها كشاف بطاقي يشتمل على اسم مؤلف البحث أو المقال الأصلي ، والعنوان الأصلي والعنوان المترجم .. الخ من البيانات الببليوجرافية ، **وذلك حتى يمكن تجنب تكرار ترجمة بحث أو مقال سبق ترجمته ، بالاضافة إلى مساعدة الباحثين إلى معرفة أماكن الترجمات الجاهزة للرجوع إليها .**

على أن أهم الأسس العلمية للترجمة الجيدة هو ترجمة الأفكار لا الألفاظ حيث إن الألفاظ في المقالات العلمية ليست غاية في حد ذاتها كما هو الحال في الكتابة الأدبية ، وإنما هي وسيلة يستغلها الكاتب في توصيل أفكاره إلى الآخرين .

تقسيم عملية الترجمة

ويمكن تقسيم عملية الترجمة إلى عدة خطوات ، ذلك على الرغم من أن كل مترجم ينتهج طريقته الخاصة :

- **الخطوة الأولى :** قبل البدء في الترجمة لا بد من قراءة النص الأصلي ، وذلك لتكوين فكرة عن محتويات المقال أو البحث ، وفي نفس الوقت يتمكن المترجم من اكتشاف الكلمات والعبارات الصعبة التي لم يسبق أن مرت عليه من قبل .
- **الخطوة الثانية :** تتلخص في تفسير الصعوبات ، وليس من الضروري أن تتم منفصلة عن غيرها ، فقد يلجأ المترجم إلى

الترجمة ليست وليدة العصر الحديث ، وإنما تمتد جذورها إلى أقدم عصور تاريخ البشرية

الترجمة خطوة عملية وحاسمة للغاية في عملية التطور الحضاري

استخدام المراجع اللغوية للتغلب على مثل هذه الصعوبات .

● **الخطوة الثالثة :** إعداد مسودة الترجمة وتصحيح ما بها من أخطاء .

● **الخطوة الرابعة :** وهي المرحلة النهائية من الترجمة وتشتمل كتابة النص النهائي للترجمة والتأكد من خلوه من الأخطاء .

الدعوة إلى إنشاء مركز عربي للترجمات

وبعد ، إذا كنا أدركنا أهمية الترجمة وأثرها في البحث والتطور الفكري والاجتماعي ، وإذا كنا نعرف أن ازدهار أو ضعف اللغة العربية انعكاس لمدى انفتاح أو انغلاق الفكر العربي ولمدى مساهمته أو قصوره في عالم الكشوف العلمية والتحولات السريعة في العصر الحديث . . وإذا كان من واجبنا نحن العرب والمسلمين أن نصون لغة **القرآن الكريم** التي تحمل عنوان الثقافة خصوصاً وأننا في دور التكوين ودور التكوين يتميز بالاقتباس ، **ألسنا في حاجة إلى مركز عربي للترجمات العلمية والثقافية ؟ والذي سيكون بمثابة جسر المد الحضاري بيننا وبين العالم المتقدم** . ومما يؤكد ضرورة الاهتمام بإنشاء مركز عربي للترجمات أننا لو تأملنا واقعنا العربي نلمس في مجال الثقافة مثلاً عدة أمور لافتة :

★ **الأول :** أن الدراسات الإنسانية في مجال الثقافة قد وصلت في كثير من المجتمعات المتقدمة إلى درجة باهرة من التطور والرقي . . وإذا تأملنا ما يترجم من اللغات المختلفة إلى اللغة العربية اليوم ، لأدركنا بيسر أن ما يطرح في سوق الثقافة عن طريق الترجمة أقل كماً وكيفاً حتى مما كان يشرف على تقديمه مفكر واحد عظيم مثل **رفاعة رافع الطهطاوي** .

★ **الثاني :** أن ما يطرحه المجال الثقافي العربي لا سيما الفنون الأدبية في حاجة حقيقية إلى أن يترجم إلى لغات العالم المختلفة لوصل العالم بنا كما نطمح في الوصول إليه .

★ **الثالث :** أن نقل ثقافة العالم إلينا ونقل ثقافتنا له يحتاج إلى تخطيط علمي لتسويق الكتاب .

الخطوات المساعدة للمركز

ويسهم في حل هذه القضية **إنشاء مركز عربي للترجمات** ، ويجب أن تكون هناك عدة خطوات عملية عند إنشائه في أحضان العمل العربي المشترك وذلك بما يلي :

١ ــ توافي الأقطار العربية عن طريق جهاز أو لجنة أو هيئة فيها المركز العربي للترجمات **(المقترح)** بقوائم شاملة تحتوي على جميع الكتب والتقارير والبحوث التي ترجمت في كل قطر ولا سيما في فترة زمنية معينة ، ولتكن في الفترة من بداية الخمسينات لهذا القرن ، على أن تكون هذه القوائم مصنفة تصنيفاً موحداً يظهر فيه عنوان الكتاب والطبعة باللغة العربية واللغة الأصلية التي ترجم منها أو إليها واسم المؤلف الأصلي والمترجم والمقدم والمراجع وبيانات النشر والصفحات ، مع نبذة عن موضوع الكتاب .

٢ ــ يراعى إرسال قوائم بما يتم ترجمته سنوياً من الكتب وفقاً للتصنيف وقواعد الرصف الببليوجرافي المشار إليها ، كما يراعى إرسال مشروعات الترجمة في كل قطر عربي ، على أن ترد هذه القوائم تباعاً إلى المركز المقترح كل عام .

٣ ــ أن يقوم المركز المقترح بوضع خطة قومية للترجمة إلى اللغة العربية بالاتفاق مع الإدارات والأجهزة القطرية وتحديد ما يعهد بترجمته إلى كل بلد وما يسند إلى المركز القيام به ، وأن يعتني أولا بالمؤلفات التي أحدثت جديداً أو مدرسة جديدة في الثقافة الإنسانية من أدب وعلم وفن ، والعناية بنقل التراث العربي والإسلامي وكذلك الفكر العربي المعاصر إلى اللغات الأجنبية .

٤ ــ أن يقوم المركز بحصر لجميع المشتغلين بالترجمة وتصنيفهم وفقاً لتخصصاتهم وذلك من واقع ما تجمع لديه من بيانات من الأجهزة الوطنية وغيرها والاحتفاظ بأسمائهم في سجل خاص للمترجمين وأن يكون المترجمون القائمون عليه يجمع كل منهم بين ثلاث قدرات :

★ أن يكون متضلعاً في موضوع الترجمة ، قادراً على السيطرة عليها .

★ أن يكون قادراً على قراءة اللغة التي يترجم منها بحيث يتمكن من الالتقاء الفكري مع المؤلف وأن يدرك المعنى الذي يقصده وإن لم يحسن التعبير عنه .

★ أن يكون قادراً على التعبير عن ذلك المعنى بأسلوب واضح في اللغة المترجم إليها .

٥ ــ أن يقوم المركز بالتنسيق مع المنظمات الدولية والهيئات والمؤسسات العلمية الأجنبية المعنية بالشؤون العربية .

٦ ــ أن يقوم المركز المقترح بنشر ما يترجم في طبعات رخيصة ويعمل على التوسع في التوزيع ، كما يقوم بإصدار **ثبت ببليوجرافي** متكامل للأعمال المترجمة على مستوى العالم العربي مع إصدار كشافات له بالعنوان الأصلي للأعمال المترجمة وكشاف بالمؤلف ، وكشاف بالموضوعات ، وكشاف بالعنوان بالعربية ، وكشاف بأسماء المترجمين ، ولسنا بحاجة للتدليل على أهمية هذا الثبت بكشافاته ، حيث إنه سوف يثير في ذهن الباحث والمثقف أسئلة كثيرة . ولا بد له أن يتعرض لها إذا ما استخدم هذا العمل ، فأول هذه الأسئلة هو التساؤل عن المضمون الفكري والاجتماعي لما نترجم أو ما ترجمناه في خلال فترة ما ، وهذا يكشف بشكل مباشر عن اهتماماتنا العالمية وهمومنا الفكرية ومطامحنا العقلية والشعورية ، وما هو شكل هذه التيارات والاتجاهات في هذه الفترة الزمنية التي يغطيها الثبت ، كما يوضح ماذا ترجمنا في مجال ما ؟ وماذا ترجمنا لخدمة ما ينقصنا من معلومات في ميادين ما ؟ أين نحن مثلاً من معرفة ثقافة وآداب هذا العالم ؟ ماذا ترجمنا من أمهات المصادر في الفلسفة والدين والتاريخ والعلوم . . . ؟ ماذا ترجمنا ليصبح متاحاً لأجيالنا الناشئة من أعمال تعرفهم حقيقة الآداب العالمية حتى وإن كانت التي عشنا تحت تأثيرها أمداً طويلاً مثل الآداب **الإنجليزية والفرنسية والألمانية** أضف إلى هذا أنه يوضح لنا قيمة الترجمة ومدى صدقها أو صحتها ويوضح ما فيها من تكرار وجهد ضائع .

ميلاد جديد

شعر: د. عبد الحميد محمود

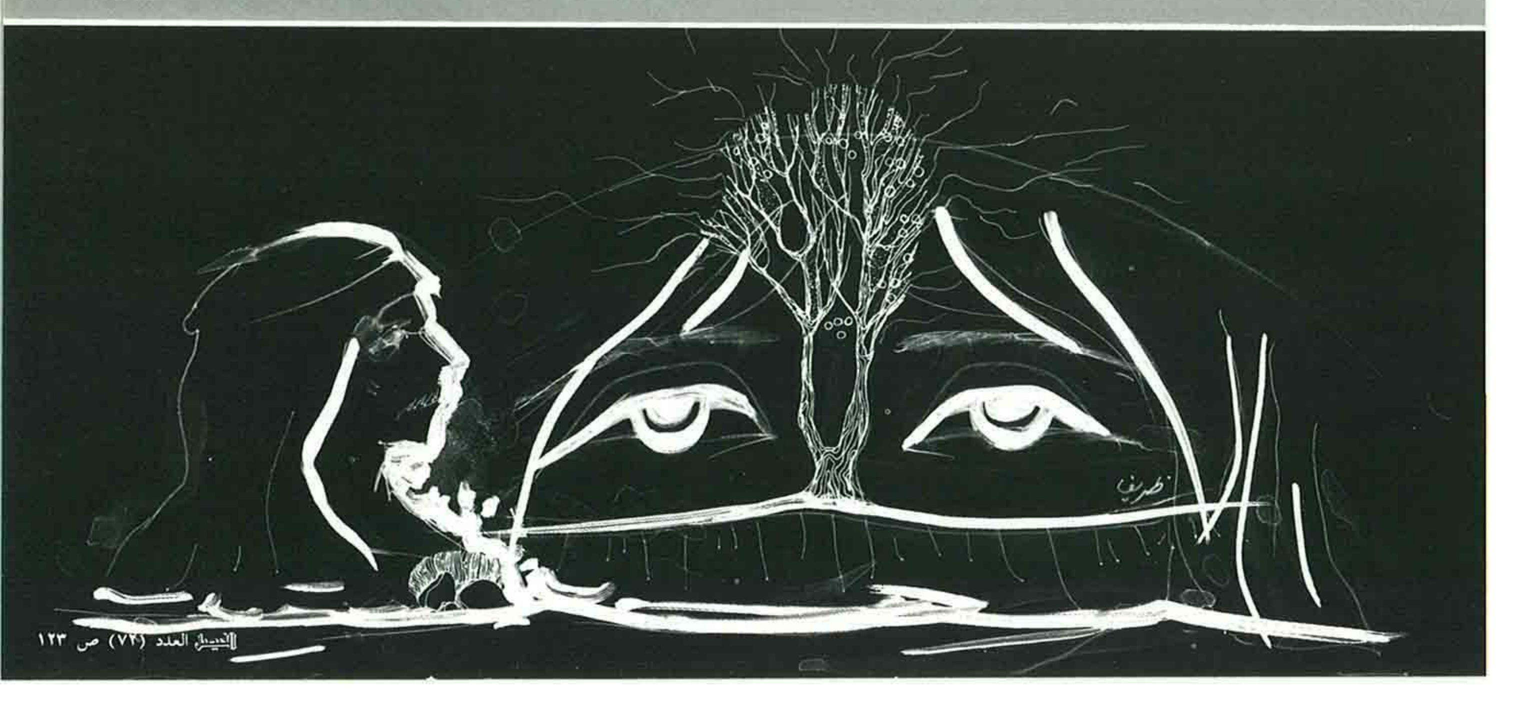
اليوم تورق في كفيك آمالي
وترتوي بالسنا من وجهك الغالي
يا من مشيت معي مشوار غربتنا
لم تضجري مرة من طول ترحالي
اليوم هلَّ صباح ساحر ألق
من بعد أن يئست في الليل آمالي
صدّقت كل الذي قالوه من زمن
ولم يزل سارياً في وقتنا الحالي
(دع المقادير تجري في أعنتها
ولا تبيتن إلا خالي البال)
(ما بين غمضة عين وانتباهتها
يبدل الله من حال إلى حال)

* * *

قد كنت لي واحة في بيد رحلتنا
تمد ظلاً على روحي وأوصالي
وكنت مرفأ قلب ثائر قلق
تربصت محن في دربه الخالي
وكان ضوؤك في أسداف غربتنا
شلال نور بهيٍّ فوق شلال
مازلت أذكر قولا منك أعشقه
لما نحاط بأشواك وأغلال
(دع المقادير تجري في أعنتها
ولا تبيتن إلا خالي البال)
(ما بين غمضة عين وانتباهتها
يبدل الله من حال إلى حال)

* * *

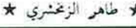
اليوم تهدأ يا سمراء أشرعتي
وتلمس الريح في فرح وإدلال
وتحتمي في ربوع الشط مركبنا
ترف من حولها أطيار آمالي
وتنطوي صفحة مرّت بما حملت
كأنها لحظة في عمر أجيال
صدّقت كل الذي قالوه من زمن
ولم يزل سارياً في وقتنا الحالي
(دع المقادير تجري في أعنتها
ولا تبيتن إلا خالي البال)
(ما بين غمضة عين وانتباهتها
يبدل الله من حال إلى حال)





★ علي محمود طه ★





★ طاهر الزمخشري ★

مراكب الغيد

بقلم: عبد الرحمن المعمر

أقرأ بين الحين والآخر، وأسمع من وقت لوقت، دعوات هنا وهناك وهنالك، حول السماح للنساء بقيادة السيارات، وتنطلق الدعوات بين مؤيد مفرط، ومثبط محبط، ويفترق الدعاة ويتفرق الأنصار كل حزب بما لديهم فرحون.. وقد رغّب إليَّ بعض الإخوان، وتمنى عليَّ نفر من الأحباب أن أقول رأيي، وأدلي بدلوي، وأضرب مع القوم بسهم، وأقول في القضية بقول، وقد تأملت الأمر، وقلبت النظر عن اليمين وعن الشمائل، وألقيت على نفسي أسئلة وأجبت عليها، ولكن ليس على طريقة معهم أو ضدهم أو بين بين، بل على طريقة الأدباء من ذوي المزاج.

والآن دعونا نتناول الأمر بالتفصيل، فنتحدث عن المرأة ماشية على الساقين، ثم ممتطية دراجة بعجلتين، ثم قائدة لسيارة ببابين (سبور).

مشية الحسناء

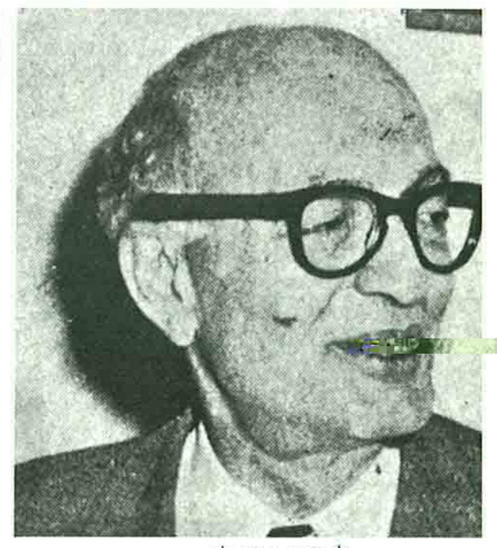
وصف كثير من الشعراء في القديم والحديث مشي الغيد الأماليد، وتغزلوا به وقرنوه بخطو اليمام وحجل الفرس، ووثب الغزال.. إلى غير ذلك من جميل الأوصاف، ورقيق التشابيه. وهذا **الشاعر السعودي: إبراهيم هاشم فلالي** رحمه الله وعفا عنه، إذا خطرت أمامه حسناء، صار كالفراشة تحوم وتضطرب قرب اللهب. اسمعوه في قصيدة بعنوان **(مشية الحسناء)**:

تمشي فأحسب قلبي عند مشيتها
يغادر الصدر مشياً نحوها خببا
فلست أعلم هل مس أصيب به
أم الهوى بشغاف القلب قد لعبا
لا تسألوني عن حالي إذا خطرت
ولا تلوموا إذا ما صرت مضطربا
فحلو مشيتها (يا صحب) يتركني
مثل الفراشة لما أن ترى لهبا

راكبة الدراجة

يحلو لبعض الغيد أن يركبن على دراجات تغدو بهن. وتروح جيئة وذهاباً، يتمايلن عليها مقهقهات عابثات بين الدور وفي الطرقات، يؤذين السابلة، ولكن برفق، ويمزحن مع الجمهور ولكن بلطف وخفّة، وهذا الشاعر المصري الكبير **الدكتور أحمد زكي أبو شادي** عليه رحمة الله، يصف غادة تركب دراجة، وتشق طريقها بين الجموع المزدحمة:

يا غادة تركب في خفّة
محسودة لولا رشيق القوام
من علم الحسن الدلال الذي
ينساب لا يرعى حقوق الأنام
يشق في جمع لهم خطه
لا يرهب الجمع وفرط الزحام



★ جورج صيدح ★



★ الصافي النجفي ★

في الشعر المعاصر

وبينهم من يشتهي ضره
من عثرة منك ويهوى الملام
أتعبت ساقيك بلا موجب
يا حسن ساقيك بوثب يرام

وراكبة دراجة أخرى

أما شاعر الجندول والملاح التائه ، **الشاعر المهندس علي محمود طه** ، فله قصيدة في راكبة دراجة حسناء .. اسمعوه يقول :

تمهلي فراشة الصباح
أسرفت في الغدو والرواح
ماذا ارتياد الطرق الفساح
والوثب فوق العشب والصفاح
بين الروابي الخضر والبطاح
بالشعر المهدل السبّاح
كالموج تحت العاصف المجتاح
والنهد وهو مطلق السراح
يخفق بين الصدر والوشاح
والساق خلف الساق في كفاح
في حلقة طاغية الجماح
تدور مثل البارق اللماح
تود لو طارت مع الرياح
وحلقت في كبد الصراح
بلطف هذا الجسد الممراح
وخفة في روحك الصداح

تكاد تغني للطير عن جناح
يا لهواء عابث مفراح
سكران لا من خمرة الأقداح
بل من صباك والصبا كالراح

وسائقة سيارة عابرة

المرأة كائن محبوب ، فكيف إذا جمعت بين الرقة والملاحة ، الوثوب إلى السيارة والجلوس خلف مقودها وإدارة محركها ، والسير بها بين الأنام ؟

وها هو الشاعر السعودي **إبراهيم علاف** يصف في **ديوانه (جلنار)** سائقة حلوة عابرة ، تقود سيارة وتتحصن فيها ، والعيون تحملق حولها :

أتسوقين حلوتي سيارة
وتبثين في المرور حراره
وتزيدين من مشاكل سير
وتقدين في الزحام حصاره
إن عينيك والتفاتك سحر
بلورته وأبدعت نظاره
أنا أخشى من المؤشر عمداً
في الملفات أن يطيل احمراره
وعلى ساعديك أخشى اضطراباً
خلفاً لطفل يستفيض مراره
إن سيارة تحصنت فيها
معرض دائر حسدنا احتكاره

أما الشاعر السعودي الجهير الذائع الصيت بين ذوات الحسن **طاهر زمخشري**، فيحدث عن سيارة ركبها بجوار حسناء طافت به بين المروج الخضر، وجازت به إلى شاطىء البحر، ثم وقفت هناك وهو في مثل ما يرى النائم من حلم رائع لذيذ:

قد أدارت محرك السياره
ثم راحت تقودها بمهاره
وتخطت بي المروج إلى أن
دانت البحر أوقفتها بجواره
وأنا ساكن أعب من الفتنة
قد ضاعفت رواها النضاره
لست أدري أفتنتني بسناها
أم شذاها أم سوقها السياره؟

سائقة السيارة

هذا عنوان قصيدة الشاعر المهجري الكبير **جورج صيدح** وهو يحدث عمّن ابتسمت له في الطريق، ثم ولت مسرعة بسيارتها وتركت الدخان يخرج من (**الشكمان**) ليدخل في خياشيم الشاعر ويسلمه إلى عطاس:

بسمت لي ثم حادت عن طريقي
ومضت كالسهم من سوق لسوق
نظرة طارت وفكر حط في
قفص التذكار من جو طليق
ودخان يتهادى خلفها
كستار لمعاصيها رقيق
أسلمتني للرؤى وانشغلت
بصديق اليوم عن كل صديق
مشهد سمّرني في موضعي
لست بالمغفي ولا بالمستفيق
جارت الذكرى فآلت أن أرى
في غروب العمر زلات الشروق
حضرتني النظرة الأولى التي
شرحت وجهي ولم تأبه لضيق
وتلتها غمزة مغناجة
شقت الباب وأغرت بالطروق
وسويعات التصابي لم تطل
طول ساعات التخلّي والمروق

حسناء تسوق سيارة

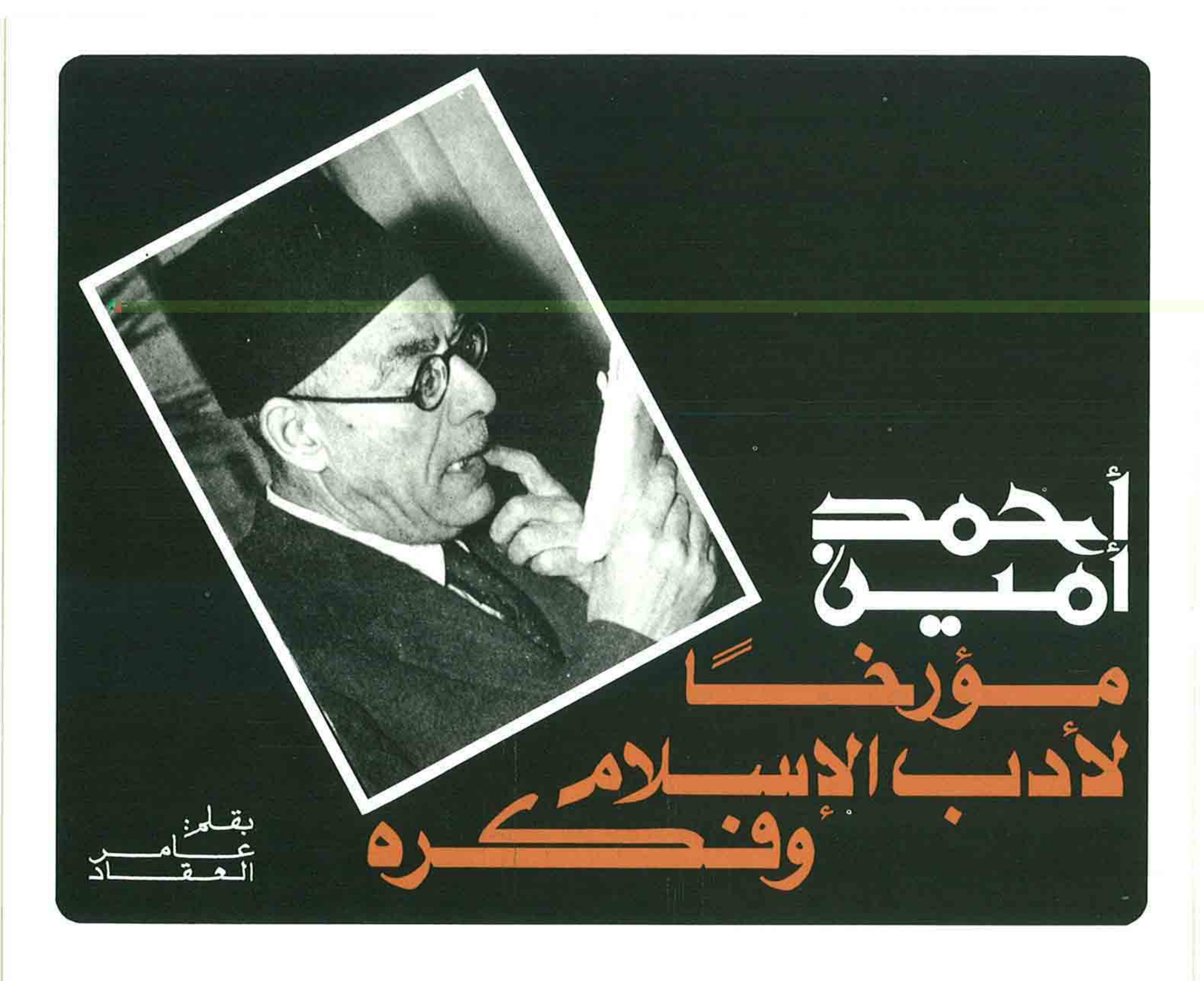
وفي هذا المقام، قصيدة الشاعر العراقي **أحمد الصافي النجفي** ـ تغمده الله برحمته ـ في غانية من أهل الكتاب تعلق قلبه بها، وقد تمنى أن يركب بجوارها ليلمس كفيها، فإن لم يستطع أن يصل إليها، فلا مانع أن يدهسه أتومبيلها (**هكذا**)، حتى الدهس يريده من ذات حسن وجمال، لا من ذوي الخشونة من الرجال:

ساقت أتومبيلاً رفيقاً لها
يجري رخاء وفق مأمولها
رفيق سير حوته كالغنا
يا عذب النغمة مقبولها
كأنه الطيف إذا ما سرى
في ساحة المقلة مكحولها
ألطف ما قد صيغ من جيله
فيه التي ألطف من جيلها
آخر موديل جمال كما
موديله حلو كموديلها
نشوان من نفحة أردانها
يختال إذ خص بتفضيلها
أضحى مليكاً بين أترابه
متوّجاً منها بإكليلها
أحيته فهي الروح حلّت به
وبلمس كفّيها ومنديلها
مرّت كما مرّت بنا نسمة
من عاطر الأزهار مطلولها
تعلّق القلب بها فاغتدى
يحوم كالطير لتقبيلها
أهوى ركوب لي في جنبها
أو لا فدهساً بأتومبيلها

وبعد فيا أيها القراء الأعزاء، هذا مقال كتبته، كما أسلفت، مشاركة واستجابة لطلب إخوان الصفاء، الذين رغبوا أن أشارك وأكتب وأقول وأدلي، وهئنذا قد فعلت، فهل تروني ملت لفريق دون آخر؟، إنني لم أؤيد، ولم أعارض هؤلاء، ولا أولئك، ولكن سقت طرائف من قصائد الشعراء وتركت أمر ذلك لذوق القراء.

مصادر البحث

- صدى الألحان: إبراهيم هاشم فلالي.
- الشفق الباكي: أحمد زكي أبوشادي.
- جلنار: إبراهيم علاف.
- ألحان مغترب: طاهر زمخشري.
- شرق وغرب: علي محمود طه.
- ألحان اللهيب: أحمد الصافي النجفي.
- مجموعة مجلة الأديب: شعر جورج صيدح.



أحمد أمين مؤرخًا لأدب الإسلام وفكره

بقلم: عامر العقاد

من النادر أن يستعرض المرء المفكرين العرب الذين أسهموا في عصرنا الحديث في مجالات الدراسات الإسلامية، ولا يذكر من بينهم ذلك الرجل الذي لقبته الصحافة العربية «بمالك الحزين». وربما كان سبب ذلك لدى كتاب الصحافة أنه ـ أي الدكتور أحمد أمين ـ كان حزيناً في مظهره، وفي حركاته، وفي أحاديثه.. فقد قال عن نفسه في معرض حديثه عن حياته إنه كان منذ الصبا لا يطرب إلا للحزين من الغناء والموسيقى.. ولما امتد به العمر كان من المؤمنين بفلسفة أرسطو التي ترى أن الحزين أنفع للناس وأكبر خيراً.

لقد خلف هذا المفكر الإسلامي الكبير للمكتبة العربية سلسلة ذهبية من المؤلفات القيمة عن الإسلام منها **فجر الإسلام وضحاه وظهره**. فإذا كانت إسهامات **العقاد** في هذا المجال الخصب عن طريق عبقرياته الإسلامية الخالدة، وكانت إسهامات **هيكل** عن طريق مؤلفاته الشهيرة والقيمة مثل «**حياة محمد**»، و«**في منزل الوحي**»، وكانت إسهامات **طه حسين** عن طريق كتاباته المتألقة مثل «**هامش السيرة**»، و«**مرآة الإسلام**»، و«**الفتنة الكبرى**» وغيرها، فإن الدكتور أحمد أمين كانت له إسهامات قيمة تمثلت في دراساته الإسلامية المتعددة لحالة العرب والمسلمين من الناحيتين العقلية والاجتماعية.

فقد رأى أحمد أمين أن من حق العالم العربي والإسلامي عليه كواحد من قادة الفكر فيه أن يبعث حضارته الفكرية وسيرة أمجاده وأقطابه في دراسات تتسم بالأصالة والمعاصرة. فإن ذلك الكفاح الذي آثره والتمس إليه تلك الوسيلة عن طريق روح الإصلاح الذي أراده، والتجديد الذي تمرس به، واتخذ له من حرية الفكر مبدأ ومناراً، فإنه كان لا يأبه إلا للحقيقة التي كان يبحث عنها ليوفيها حقها من العرض والدراسة والتمحيص.

فعلى الرغم من أن مفكرنا الإسلامي الكبير كان على رأس مدرسة المحافظين المجددين، أو على رأس «**المدرسة الوسطى**» بين القديم

والحديث ، أو بين الرجعية إلى الوراء والوثبة إلى الأمام ـ كما وصفه العقّاد في مقال له ـ . إلا أننا نرى فيه أنه زعيم مدرسة فكرية تمكنت من القديم واطلعت ـ في الوقت ذاته ـ على تراث السلف فعرفت فيه مواطن القوة والضعف معرفة خبرة وأناة فاستطاعت نتيجة لذلك كله أن تقوم بعملية المعالجة والمواءمة بين الاتجاهين . . . بمعالجات أساسها التقويم والتقوية مع نهج في الخطوات لا يحيد عن النهج المستقيم من بداية الطريق .

باختصار شديد يمكننا أن نصف مدرسة أحمد أمين الفكرية بأنها المدرسة الحريصة على الاعتدال بين الجمود والشطط وإن كانت ـ في الوقت نفسه ـ تنكر النكسة كما تنكر الجموح والتطرف وإن شابها الغلو في بعض الأحيان القليلة ، ولكنها مع ذلك مما يمكن أن تسلك في عداد المغالين مع الحرية الجديدة شأن جميع القائمين على المدارس الفكرية عندما يغالون مع كل جديد . وليس معنى ذلك أن هذه المدرسة الفكرية التي كان يتربع عليها مفكرنا الإسلامي أحمد أمين من المدارس ذات الشعور الجامد أو الراسخ فيما يتعلق بعزيمة القائمين عليها أو المنادين بمذهبها . بل كانت تجمع عزيمتها كلها للوثبة والإفلات . . فهي تؤمن إيماناً راسخاً بتلك الحكمة المأثورة التي تقول : « **على قدر شد الوتر يكون اندفاع السهم** » .

إن تراث أحمد أمين الإسلامي ونعني به فجر الإسلام وضحاه وظهره ويوم الإسلام لمما يعتبر من البحوث الأصيلة الجادة التي كانت رائدة في بحث الحركات العقلية في حياتنا الإسلامية منذ صدر الإسلام حتى نهاية القرن الرابع الهجري . . فهي إن دلت على شيء فإنما تدل على سعة اطلاع مؤلفها ، وعلى عمق تفكيره ، وعلى نظرته الشاملة لكل ما له اتصال بموضوع بحثه من مراجع وكتب عربية سواء أكانت تلك المراجع والكتب من المؤلفات العربية أو سطرتها يراعة المستشرقين . . وهي على جملتها تصطبغ بالمنهج العلمي القويم الذي عرف به أحمد أمين بين مفكري العصر .

لقد استطاع أحمد أمين أن يناقش تلك الظواهر العقلية من وجة نظره الخاصة بحرية فكرية وبسلامة منطق وبشمول النظرة التي يصاحبها استقصاء لعناصر موضوعاتها مع البراعة في التحليل والتعليق على كل شاردة وواردة .

كان لظهور تلك السلسلة الإسلامية التي دبجتها يراعة مفكرنا الإسلامي الراحل في أفق الفكر العربي المعاصر أثر كبير في توجيه الدراسات الإسلامية والعربية وتطويرها ذلك التطوير الذي نلاحظه في هذه الأيام . وحسبها وحسب كاتبها أنها قد نالت ، ولا تزال تنال ، اهتمام وتقدير الكثيرين من علماء الشرق والغرب فترجمت بعض أجزائها إلى بعض اللغات الأوروبية ـ وحسبها كذلك ـ من ناحية أصالتها ومعاصرتها أنها لا تزال من المراجع الهامة التي يرجع إليها الأساتذة والمختصون في مجال الدراسات الإسلامية والعربية على سواء حتى يوم الناس هذا .

فالمدقق في هذه السلسلة الإسلامية أو هذا العطاء الثر يستوقف نظره تلك السمتين البارزتين اللتين تفرد بهما مؤلفها الدكتور أحمد أمين .

ومن **أولى** تلك السمات أنها مما يقنع القارئ بأن كاتبها قد اضطلع بتأليفها ومن حوله مئات المراجع المتصلة بكل موضوع عالجه في أبحاثه .

وثانيها ذلك الشعور الذي يملأ القارئ لها بأن مؤلفها من ذلك الطراز الذي يروق له أن يصحب القارئ بين صفحاتها ، ثم يسلط الأضواء شيئاً فشيئاً على كل جوانب الموضوع وزواياه . ولا يتركه إلا بعد أن يشعر أنه قد استوعب موضوعها جملة وتفصيلاً .

وهناك سؤال يفرض نفسه في هذا المجال وهو : **ولماذا كانت تلك السمتين من البروز بمكان عند أحمد أمين بالذات ؟!** .

وجوابنا على ذلك السؤال أن مرجع ذلك ـ حسبما نعتقد ـ إلى تلك الأستاذية الجامعية التي يتصف بها العمل الجامعي في معظم الأحيان عند الكثيرين من الذين يزاولون الكتابة والتأليف خارج قاعات المحاضرات أو الدرس ، وخارج أسوار الجامعات . . ومن يتابع حياة مفكرنا الإسلامي الكبير يجد أنه ظل يذكر الجامعة وما استفاده من الوسط الجامعي الذي قدر له أن يعمل معه بين أروقته أستاذاً للأدب بكلية الآداب حتى أخريات أيامه .


★ عبد الحميد العبادي ★



يقول في بعض صفحات كتابه « **حياتي** » :

« إن الوسط الجامعي أفادني في البحث فبدأت أجرب حظي فيه . فاخترت درساً من الدروس يبحث فيه عن المعاجم اللغوية ، وكيف بدأت في اللغة العربية ، وكيف تكونت لأول مرة ، وطريقتها في جمع الكلمات وتطورها في العصور المختلفة ، وتغيير أساليبها على تعاقب العصور ، والأخطاء التي وقعت فيها وحاجتنا إلى معجم جديد ، وما ينبغي أن يكون عليه هذا المعجم . . وقد قضيت في ذلك كله سنة كاملة كانت بدء تجربتي في البحث » .

ولا يفوتنا في هذا المجال أن نذكر لمفكرنا الراحل أحمد أمين أنه كان يحتفي بتجويد معانيه أكثر من حفاوته بتجويد ألفاظه ، أو بمعنى آخر أنه كان مولعاً بتوليد المعاني أكثر من ولعه بتزويق الألفاظ وربما كان سبب ذلك هو الذي دفعه إلى تبسيط اللفظ لدرجة تصل إلى حد الإسراف في بعض الأحيان بغية في الإيضاح ، وربما كان ذلك سبباً في تفضيله بعض الألفاظ ولو كانت من « **العامية** » على غيرها ولو كانت من « **الفصحى** » . وكان يعمد إلى ذلك حينما يجد أن اللفظة العامية قد تكون واضحة في دلالتها ، وأدق في تعبيرها عن « الفصيحة » . وقد عاب عليه البعض ذلك الإسراف ، إلا أنه لم يأبه واستمر على تلك الطريقة في أسلوبه حتى ودع القلم في يوم من أيام مايو (أيار) من عام ١٩٥٤ م .

وهناك صفة قد اتصف بها أحمد أمين يجدر بالباحث في سيرته وتراثه ألا يغفل عنها وهي أن قراءات الرجل في **الأدب الإنجليزي** قد أثرت عليه لا شك . فهو من الكتّاب الذين يدخلون لموضوعاتهم التي يطرقونها بأقلامهم دون مقدمات حرصاً منهم على إيضاح المعنى دون تكلف ، ساعين للتقريب ما أمكنهم ذلك . وربما كان هذا سبباً من الأسباب الرئيسية التي جعلت الدكتور

أحمد أمين لا يحفل بما كان يكتبه البعض من مقالات ترن كالطبول الجوفاء ، وليس هناك شيء وراءها .

وقد كان من أثر ذلك **المنهج « الأميني »** على مفكرنا الراحل أن تشكك فيه بعض الأدباء : أيعدونه أديباً أو يلحقونه بزمرة العلماء ؟ .

وأضيف هنا معلومة كان أستاذنا العقاد ـ يرحمه الله ـ يحرص عليها كلما أهدى لصديقه الدكتور أحمد أمين واحداً من مؤلفاته ، فقد ظل العقاد يهديه مؤلفاته بعبارة واحدة لم يغيرها حتى انتقل صاحبه أحمد أمين لرحمة مولاه . وهي « إلى العالم المحقق أحمد أمين » .

ويبدو أن ذلك الرأي من العقاد قد ضايق صاحبه . لذلك نراه يرد على ذلك التشكك الذي كان يدفع بالآخرين إلى الحيرة بين إلحاقه بزمرة العلماء أو الأدباء ؟ . فكتب مرة فقال : « . . لم أقم لهذا الشك وزناً ، فخير لي أن أصدق مع نفسي ، ومع غرضي ، ومع ميلي من أن أزوق أسلوبي وأكذب على نفسي ليجمع الناس على أدبي » .

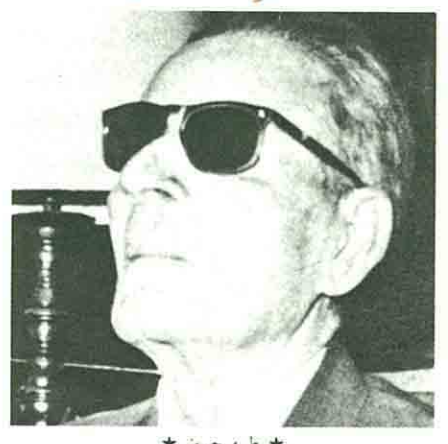
إن اتجاه الدكتور أحمد أمين للكتابة في الإسلام قد جاء على إثر اتفاق ثلاثي كان قد تم بينه وبين صديقيه **الدكتور طه حسين والأستاذ عبد الحميد العبادي** . وخلاصة ذلك الاتفاق كما يروى أنهم اتفقوا فيما بينهم على دراسة الحياة الإسلامية من نواحيها الثلاث في العصور المتعاقبة من أول ظهور الإسلام ، فيختص الدكتور طه حسين بالحياة الأدبية ، والأستاذ العبادي بالحياة التاريخية ، ويختص مفكرنا الراحل بالحياة العقلية .

وقد بر أحمد أمين بتنفيذ ما اتفق عليه . فقام بإعداد الجزء الأول من موسوعته الإسلامية وهو الذي أسماه **« فجر الإسلام »** وقد صرف في تحضيره وكتابته ما يقرب من السنتين كما ذكر في كتابه **« حياتي »** في أواخر عام ١٩٢٨ م ، وتلقاه العالم الفكري بالتقدير والاهتمام والتقريظ والنقد . وقد شجع ذلك مفكرنا الإسلامي للمضي في إتمام هذه السلسلة فأخرج للناس **« ضحى الإسلام »** في ثلاثة أجزاء وقد استغرق تأليفه منه نحو ست سنوات .

وقد قدم **« فجر الإسلام »** لقراء العربية زميله الدكتور طه حسين ، ومما قاله عميد الأدب

« إن أحمد أمين قد أهدى للعالم الحديث كنزاً من أقوم الكنوز وأعظمها حظاً من الغنى وأقدرها على البقاء ومطاولة الزمن . »

طه حسين
عميد الأدب العربي



★ طه حسين ★

العربي في تلك المقدمة : « . . أريد أن أتحلل من القيود فأشهد بأن زميلي « أحمد أمين » قد استطاع أن يكشف لنا ببحثه هذا عن رجل لم نكن نقدر أن نراه ، فقد كنا نعرف له كفايته ومقدرته كعالم أديب ، جد حتى تثقف بالثقافة الأجنبية الأوروبية ، ولكنا لم نكن نقدر أن يكون قد أخذ من هذه الثقافة بأدق خط وأقربه إلى الإتقان والكمال »[1] .

كذلك كتب عميد الأدب العربي مقدمة الجزء الأول من **« ضحى الإسلام »** أيضاً وهو الجزء الذي تناول فيه أحمد أمين الحياة الاجتماعية والثقافات المختلفة في **العصر العباسي الأول** ومما قاله الدكتور طه حسين في ختام تلك المقدمة : « أشهد لقد وُفق أحمد أمين في هذا الكتاب إلى الإجادة العلمية والفنية معاً ، استكشف الحياة العقلية الإسلامية استكشافاً لم يسبق إليه ، ثم عرضها عرضاً هو أبعد شيء عن جفاء العلم وجفوته ، وأدنى شيء إلى جمال الفن وعذوبته »[2] .

لقد استطاع أحمد أمين بكفاءة نادرة في ميدان التأليف أن يتحمل جهداً وعبئاً لا يستهان به عند تأليفه لفجر الإسلام وضحاه . فهو قد روى الأخبار والحوادث وجمع المصادر المتعددة حتى استخلص منها تلك الكتب التي تعد الآن من المصادر الأكاديمية الهامة أمام الباحثين والدارسين في أدب العرب وعقليتهم خلال أربعة قرون من حياتهم الأولى . فالرجل قد قدم للأمة العربية بذلك العمل القيم خدمة لا تنسى ، بل وأعطى المكتبة الإسلامية الحديثة مصادر وثيقة ومنتقاة ، فليس هناك بين صفحاتها قضية غامضة ؛ أو بحث غير واضح بل اكتنفها النور في كل سطر من سطورها ، وكل فكرة من أفكارها . باختصار شديد يمكننا أن نردد مع **الدكتور زكي المحاسني** ـ رحمه الله ـ أن أحمد أمين قد كتب هنا بعقله ولم يكتب بشعوره وتأثره . وهو كلام صحيح في الجملة أو التفصيل .

وحسب أحمد أمين في كتاباته الإسلامية أنه وقف عند كتابتها موقف القاضي العادل الذي يدقق النظر ويردد الفكر في أقوال مؤيدي الرأي ومهاجميه ، ويصغي لحجج الفريقين ، ويحاول ما استطاع أن يتجرد من عاداته ومألوفاته حتى إذا نضج الرأي وتبين الصواب لديه أصدر حكمه المؤيد بالأدلة دون حرج أو تسفيه . . ثقة منه بأن قوة الحجة في معانيها الماثلة وليس في أشكالها الظاهرة . . لقد كان أحمد أمين يؤمن بأن من يبغي الحق ويدعو إليه يجب ألا يفوته أن العنف يدعو إلى العنف ، وأن تسفيه الرأي بالسباب يدعو صاحبه إلى أن يصر عليه ، وأن خير طريق في الدعوة هو ما سنّه الخالق سبحانه وتعالى في كتابه الكريم حينما قال **﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾** (سورة النحل ، الآية ١٢٥) .

أما إذا رحنا نقلب صفحات « ظهر الإسلام » فإننا نجد أنفسنا أمام مهندس بناء ما يكاد يفرغ من بناء قصر حتى يسارع ليقيم إلى جانبه قصراً آخر شامخاً لا يقل عن سابقه في الجمال والرونق مع دقة الصنع .

وهكذا كان مفكرنا الراحل أحمد أمين فقد استطاع بسلسلته الذهبية الإسلامية الخالدة (فجر الإسلام وضحاه وظهره) أن يحصر في صفحات من الأوراق حضارة العقل الإسلامي ، وعبقرية العرب منذ كانا حتى يوم الناس هذا .

ولا يفوتنا أن نذكر أن حصافة هذا الباحث الإسلامي الراحل كانت ظاهرة وبادية عندما تعرض في مؤلفاته الإسلامية هذه، لكل ما يتعلق بالأفكار والمعتقدات. فقد كان أحمد أمين يتباعد وهو متعمد عن المواطن التي يخشى المرء أن يزج بنفسه فيها. فكان يعرض آراء غيره، وإذا عمد إلى مناقشتها يذكر المناقشة على ألسنة متكلميها والمدافعين عن نظراتها في ذكاء وحصافة لا يتنبه إليهما إلا الباحث المدقق أو الأديب الأريب.

فهو قد وطد نفسه على أن يلمس في مؤلفاته الآراء الخطيرة فيما يتعلق بالاعتقاد برفق لا سيما فيما يدور بين السنَّة والشيعة، أو ما هو عند المعتزلة والأشاعرة وغيرهم. وقد ظهرت تلك الحصافة وأبانت على أنه لم يكن متحيزاً بل كان متجرداً قد آتاه الله من ملكة التجرد قدراً كبيراً لا يستهان به.

وصف أحمد أمين تلك الحركات جميعها في ختام كتابه «**ظهر الإسلام**» بقوله: «لقد كانت هذه الحركات قوية عنيفة تتدافع ولا تتهادن، وتتقاتل ولا تتسالم، فمؤرخو الإسلام لا يقتصرون على تسجيل الوقائع الحربية، وإنما يضيفون إليها الوقائع الاعتقادية والطائفية، وإذا نحن صفينا الحساب كما يفعل التجّار عند انتهاء مرحلة كبيرة من مراحل تجاراتهم ليعرفوا ماذا كسبوا وماذا خسروا، رأينا أننا كسبنا حركة العقول، وتمرينها على البحث، وكسبنا المران على الجدل كما كسبنا من وراء هذا الجدل وضوح المسائل المتجادل فيها. بعد أن تناولها كل من جهته. ولكننا خسرنا الحب والألفة بما ذاع من الإحن والبغضاء بين الطوائف المختلفة.. وخسرنا قوى كانت تنفع لو تجمعت فلما [illegible]

ثم يستطرد مفكرنا الإسلامي في قوله فيقول: «وأظن أن ما خسرناه أكثر مما كسبناه. وليس أدل على ذلك من حال المسلمين اليوم».

وهكذا غدا أحمد أمين مع الأيام أشبه بالشمعة التي تتقد قبل زوالها في الاشتعال. فأخذت أجزاءه من «ظهر الإسلام» تترى واحداً وراء الآخر حتى بلغت أربعة أجزاء وإن حالت الظروف دون أن يتاح لعيني مفكرنا الراحل أن تشهد طبع ونشر الجزء الرابع منها، إذ قام على نشره وتقديمه **الدكتور أحمد فؤاد الأهواني** الذي ذكر في سطور مقدمته لكتاب أستاذه وصديقه أنه بذلك



★ د. زكي المحاسني ★

الجزء ـ أي الجزء الرابع من «ظهر الإسلام» ـ يسدل الستار على مأساة تاريخية عظيمة ارتفعت فيها الإنسانية وأشرقت حين أخذت بالمثل العليا الإسلامية، وتجرد المسلمون عن الحياة المادية الشخصية، وأقبلوا على العلوم والفنون والآداب.

خلاصة الخلاصات هي أن هذا التراث الإسلامي الخالد الذي خلفه المفكر الإسلامي الراحل أحمد أمين قد انتشر وذاع بصورة لم تظفر به سلسلة من الكتب الإسلامية في العصر الحديث. وحسبنا أن نذكر أن عجلات المطابع قد دارت على طبعاته المختلفة ولا تزال أكثر من ثلاثين مرة.

بقي أن نقول إن أحمد أمين قد أراد أن يختم حياته بكتاب إسلامي كذلك ونعني به كتابه القيم «**يوم الإسلام**» الذي ألفه في عام ١٩٥٢م، أي قبل رحيله لعالم الخلود بعامين على الرغم أنها الأعوام التي كان بصره فيها قد كلَّ فلم يعد في وسعه النظر والقراءة بنفسه.

والمتصفح لذلك الكتاب الإسلامي يجد أن [illegible] مثل ناحية التأليف والتنسيق.. فلم يقسمه إلى أبواب وفصول وحتى مراجعه لم يقم بإثباتها في الهوامش أو في آخره كما تعودنا منه في كتبه السابقة عن الإسلام وأدبه وفكره.

لقد أطلق أحمد أمين مادة كتابه هذا بلا قيد. لذلك رآه البعض خارجاً عن «المنهج» المألوف ذلك لأنه من صفحاته الأولى حتى الصفحة المئتين والثلاثين يسير في سرد واحد لا يقطعه عنوان أو باب أو فصل اللهم إلا نجوماً ثلاثة بين بعض كلامه تشعر القارئ بانتهاء ما قبلها وابتداء ما بعدها[3].

ويبدو لنا أن مؤلفنا الإسلامي الراحل قد أملى مادته كلها إملاء فكان بمثابة المرآة المطبوعة لما حوته حافظة مؤلفه من ثقافة وبحث عميق فجاء أشبه بالحديث الطويل المستطرد.

وعلى أية حال فإنه كتاب يمكننا أن نصفه بأنه قد اشتمل على الإسلام في أصوله وعوارضه وفي عصوره المختلفة حتى اليوم. وربما كان الهدف الرئيسي عند أحمد أمين من وراء تأليفه هو الإبانة لجوهر الإسلام وأصوله.. وكيف كان. هذا بالإضافة إلى تسليط الأضواء على الأسباب الحقيقية على ضعف المسلمين في بعض العصور بغية الإصلاح المنشود.

ولعل أبرز ما حواه هو كشف مؤلفه عن الإسلام وكيف كان يعامل غيره من أهل العقائد الأخرى أيام عزه وسطوته، وكيف كان يعامله غيره أيام ضعفه ومحنته؟!.

ومهما يكن من أمر فإن الخصائص والمزايا التي تجلت في شخصية مفكرنا الراحل وفي فكره قد أعدته لذلك العبء الثقيل الذي نهض به بمفرده في عزم وإيمان، فأدى بذلك للعالم العربي والإسلامي رسالة تعد في مقدمة رسالات الفكر الحديث التي ردت ذلك الفكر إلى مقومات حياته ودعائم نهضته.

وليس معنى ذلك أن مفكرنا الإسلامي هو السابق وحده إلى الكشف عما في تاريخ الإسلام وحضارته من مقومات الشعوب وأمجاد الفتوح والبطولات السابقة التي امتحنت بها تلك الشعوب في حقوقها المسلوبة، وإنما كان هناك إلى جانبه أتراب له وأنداد كافحوا الظلام وأضاءوا الطريق بالتحدي روحية كانت أم خلقية.*

رحم الله هذا المفكر الإسلامي العبقري، فقد كان طرازاً فريداً في البحث والإنتاج وفي تطور الفكر ونمو الموهبة ونفع الأمة الإسلامية قاطبة بما خلف لها من تراث إسلامي قيم وفكر عربي مستنير ضم ـ بلا شك ـ بين صفحاته خصباً ونماءً.

الهوامش

(١) فجر الإسلام، ط رابعة، عام ١٩٢٨م.

(٢) ضحى الإسلام، ج ١، طبعة ١٩٣٣م.

(٣) محاضرات عن أحمد أمين، الدكتور زكي المحاسني.

بقلم :
أحمد حامد

– ١ –

أصغر شباك رأيته في حياتي ، يقاس بالمسطرة طولا وعرضاً . صنعت أسياخ الحديد التي تسده ، حاجزاً قوياً بيني وبين الحياة خلف السور العالي الحزين . الشباك الصغير ، أعلى الجدار الذي يواجه الباب الحديدي المغلق بإحكام شديد . الجدران عالية . شاهقة . أعظم جبال العالم وأشهرها يتضاءل ارتفاعه بجوار جدران زنزانتي التي لا تزيد مساحتها عن متر مربع . الزنزانة في ركن قصي تقبع بعيداً عن العيون .

كثيراً ما وقفت بجوارها أتوارى مدخناً سيجارتي ، بعيداً عن عيون قادتي الأشاوس . تحدثت مع زملاء لي أواسيهم داخلها . **ما خطر ببالي أني سأكون نزيلها ذات يوم .**

قذفت بطانيتي الملفوفة على المخدة ، الجدار ، ارتدت في عنف القذفة . استقرت بجوار حذائي . الشباك البعيد الصغير ، يعطي ضوءً ، يضفي على المكان ، لسعات الموت القابع خلف الجدران المسمومة .

بحلقت في المكان بسرعة ، **دمعت عيناي ، تعودت على مسح الأماكن الفسيحة .**

جلست مكان حذائي بهدوء شديد . رفعت أنفي مركزاً على الحائط العالي ارتطم حذائي بالجدار الآخر . اشتقت تدخيني سيجارة . لامني أبي كثيراً على تدخيني وشراء السجاير بكل مصروفي . لم يمنعه عني . وعدته عدم التدخين . لم أف بوعدي حتى اليوم .

حاولت أمي منعي عن التدخين ، حفاظاً على صحتي .

صدري يعلو ويهبط . تمنيت لو فتح الحارس الباب الحديدي ، لم يعد بالعالم هواء أتنفسه . وقفت في سرعة . ضربت الباب بكلتا يدي بلكمات هادئة جداً رد الحارس . رحت أضرب الباب بعنف شديد . قال الحارس : **أتريد شيئاً ؟** . قلت : **أريد هواء . الهواء هنا نفد ، أريد هواء .**

قال والكلمات تتقصع على صوته : ليس عندنا أكثر من الهواء .

العالم بكل ما يحمل جاثم فوق صدري . راحت أنفاس تهدأ مضطربة داخله . جلست . رأسي بين كفي . لم يعد هناك ما يجعل الإنسان يعتقد بالحرية داخل الأسوار الذهبية .

– ٢ –

الاستعدادات الكثيرة لطوابير الاستعراض ، أكثر ألماً من الطابور نفسه . عليك التنفيذ . الطاعة ، طابور الاستعراض بخطواته تدق مع إيقاع الموسيقى ، لحناً للانتصار الوهمي . راح سرابه ينطق في قلوبنا . الطابور الطويل العريض المسلح ملابس مكوية منشاة ، أحذية المرآة بجوارها ليس لها بريق ، ذقون حليقة الناعمة . شوارب خفيفة مهذبة . بنادق لا تسمح مواسيرها لأي طلقة في العالم بالنفاذ . يسعد قائدنا الكبير ، هاوي الاستعراضات المحاربة . قائدنا يستمتع بمرور الطابور عليه يعلو المنصة في شموخ مهزوم .



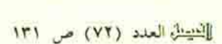
يرفع يده في حركة لا شعورية ، كلما مر عليه قائد ينظر إليه محيياً ، وقفته جادة مشمئزة . الوقوف حوله يرتعدون خوفاً . إذا ما مر الطابور وابتسم القائد الكبير ، انفرجت أساريرهم . إذا قطب حاجبيه ، ودقق النظر خلف بياض نظارته ، يمر يومهم أضعاف ساعاته . سرايا الاستعراض طويلة بالعمق عريضة متعددة . تبعد عن مكان وقفته الجادة أكثر من خمسين متراً . قائد الطابور وقف مكانه في مقدمة السرايا متسمراً . سلم الطابور للقائد الكبير . مرت لحظات صمت . علا بعدها صوت قائدنا الكبير . الطالب رقم ثمانية من شمال الصف السادس . السرية رقم ستة . لم يكرر قائدنا الكبير القصير نداءه . فجأة ارتفع صوت الطالب مع يده تتجه إلى السماء . [illegible] صوت قائدنا الخبيث ، نبرات واثقة : تحركت عينك اليسرى جهة اليمين . رد الطالب بصوت عال مذعور : أيوه يا أفندم . ارتفع صوت القائد حاقداً : ثلاثة أيام حجز بالمعسكر .

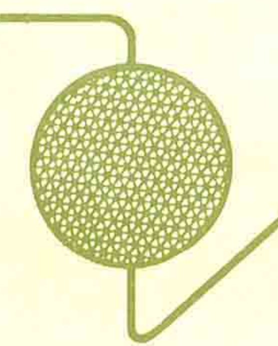
رد الطالب مسكيناً بصوت منهور عال جداً ، تجمعت فيه كل صرخات الألم في العالم : حاضر يا أفندم .

تململت في وقفتي . أقسمت ألا أقف بعد ذلك في أي طابور للاستعراض . قائدنا لا يمكن أن يكون إنسان عادي . كيف رأى عين زميلي اليسرى تتحرك ناحية اليمين . وهو يبتعد عنه أكثر من سبعين متراً . في عمق الطابور . فتح الحارس الباب . لفتحه صرير غير عادي . أهاج أعصابي . وارب الباب . مد يداً مترددة بطعامي . نظرت إليه بأمعائي الخاوية . قال هادئ الصوت جائعاً : **ألا تريد أن تأكل ؟** . لم أرد عليه . سحب يده . أغلق الباب في هدوء شديد .

– ٣ –

في صمت أبله ، تكورت في ركن الزنزانة . رحت أبحلق في لا شيء . التدريب على سلاح جديد يستوجب أن تكون يقظاً . شبعنا تدريبات على مختلف الأسلحة . قال معلمنا وهو يشرح الإضافة الجديدة لأحد الأسلحة : سنمضي خمسة وأربعين يوماً في التدريب على هذه الإضافة مع أننا نستطيع أن نعرفها في لحظات . بعدها لم نر معلمنا في ساحة التدريبات . لم يعترض أبي على نقله إلى أقاصي الصعيد ذات يوم . ذهب سعيداً . استقبلوه هناك بترحاب شديد ، وحذر شديد أيضاً . سكبت أمي دموعاً غزيرة غالية ، ليعتذر لرئيسه في العمل . لم يرحب أبي بدموع أمي الغالية . بحركة سريعة





جداً فتح الحارس باب الزنزانة الحديدي . وقفت ببطء شديد . القائد الكبير بلحمه وشحمه ودمه . ونظارته السميكة البيضاء ، وشاربه الأبيض أمامي . أديت له التحية في همهمة مذعورة . عيناه تجوبان عالمي الضيق بتفرس شديد . لم يرد تحيتي له . تركزت عيناه على الأرض لحظات . أيقنت أن حذائي ليس كالمرآة . لا يصبح جزءاً آخر داخل السجن . رفع عينيه من تحتي في بطء شديد ، وصل إلى عيني بعد مدة طويلة ، انحسر العالم كله في الشعيرات السوداء التي بقيت من شبابه ، قال وهو يعقد يديه خلف ظهره : كيف تؤدي التحية وغطاء رأسك على الأرض ، في لمح البصر كانت رأسي مغطاة . أديت التحية ثانية . لم يردها أيضاً . كدت أبصق في وجهه . لقنني درساً عن حياة السجون . جبار حتى في أمور السجن يا قائدنا الهمام . لم أستفد شيئاً من محاضرته التي أعطى لحنجرته فرصة التدريب عن الحديث عن السجن . لم أستمع إلا لصوته فقط . على القرب منه يقف مساعدوه ويدونون الدرر التي تخرج منه عفو الخاطر . ستكون فيما بعد دستوراً للمذنبين . أدار القائد ظهره وخطا بهدوء إلى الأمام . أغلق الحارس الباب في هدوء . خلعت البيريه . قذفت بها الأرض بعنف . بصقت على الباب بقوة . سالت البصقة على الباب في تشكيل جنائزي رائع . يوم أن سرت خلف نعش أخي أودعه إلى مثواه الأخير . لم أكن أصدق أنه مات . لكنه يرقد محمولا إلى الدار الآخرة . ضاعت بسمته الجميلة . راحت نكاته التي كان يتفنن في إضحاكنا بها . لم يكن يحمل للدنيا هماً . ها هو الآن ، يحملنا الهموم . الفراق صعب ظلت أمي جامدة الدمع منذ فارق الحياة . ألهت نفسها بالصلاة ليلاً نهاراً . فجأة انهارت جدر الدموع الصامدة ، ولم يجف لأمي دمع من لحظتها . انهارت جدر الصمت داخلنا . اقتربت منها في هدوء شديد . قرأت سطوراً كتبها صاحبها بخط دقيق منسق ماذا بقي من العمر يا فتاتي . **ماذا أقول لك ؟! نعيش هنا في انكسار . لن أراك في موعدنا . لا تقولي إني لا أحبك . لا تشغلي نفسك بشيء . اعرفي أني مسجون لا أقوى على أن أمد حتى ساقي هنا ، لا حيلة لي . لكني سألقاك .**

— ٤ —

وجدت سطرين الأول بعرض الباب ، الثاني بطول الباب يقتسم السطر الآخر .

السطر الأول يقول فيه صاحبه : تحليت كثيراً بالصمت . أعرفه من ذهب . أصلي بانتظام . صبرت على تجبرهم . هي الأوامر لا بد من تنفيذها . الهروب وسيلة الضعفاء . لن ينساني ربي . أعرف أنه . معي . ليست الحقيقة الوحيدة في هذا العالم ، هي الموت . **الله هو الحقيقة** . هو كل شيء .

السطر الثاني : ليت مائدة السماء تمطر على أمعائي طعاماً شهياً . للثعالب أوجرة ولطيور السماء أوكار ، أما ابن الإنسان ، فأين له أن يضع رأسه . لا أستطيع أن أتحرك إلا بمقدار ما أدير خدي الأيمن . الجزاء هنا رادع . لا مفر من الهروب .

ابتسمت في هدوء . الباب مليء بالكتابات . مفكرون . تافهون . الكل يكتب . من يدخل هنا لا بد أن يترك بصماته . استدرت ، أمام الجدار المواجه للباب ، وقفت أقرأ صمت الكلمات القاتل . امتدت الشمس من المربعات الحديدية الصغيرة للشباك القابع أعلى الجدار . خضبت أشعة الشمس لون الزنزانة . رسمت على الباب مربعات كبيرة . اتسعت لتغطي نصف الباب . صنعت الشمس شباكاً مغلقاً فوق الباب . تمتاز دارنا بكثرة الأبواب والشبابيك . الشمس بها منذ شروقها حتى إيوائها بعيداً في أحضان السماء . كثيراً ما تطلعت إلى السماء وهي تركن برأسها بعيداً ليصل الظلام فتتنفس قريتي بصعوبة . جلست أرقب الشباك المرسوم بدقة على الباب الذي يفصلني عن السجن الكبير . الشباك على الباب يتضاءل رويداً رويداً . ما عاد هناك سوى خط مستقيم كسرته إنحناءات الباب القاسية كراهية . ابتسمت . الخط راح .

جلست في هدوء . أطبق الليل قاسياً . استعذت بالله من الشيطان ، السجين معي . فتح الحارس الباب . كعادته أدخل رأسه على استحياء ، يده ممدودة باسترخاء تحمل طعام العشاء ابتسمت في هدوء . سحب يده ورأسه فرحاً سعيداً . أغلق الباب برفق . أعاد فتحه بعد لحظات . ناولني سيجارة بحب شديد . قال : **دخنها وسأرقب الطريق** . أضاء الحارس الهمام . لمبة خافتة الضوء خائفة ملتصقة في سقف الزنزانة . حلقات الدخان تتصاعد في هدوء لتخرج أكثر هدوءً من المربعات الصغيرة . تمنيت لو أصبحت دخاناً أهرب من فم سجين آخر . هربت ثلاثة أيام ، خوفاً من علقة ساخنة ، هددني بها أبي بعد محاولاته البائسة لمنعي عن التدخين . ما فكرت في العودة إلا لأرى أمي التي أعرف أنها ستبكي كثيراً غيابي . داخ أبي بحثاً عني في كل مكان . لعن العالم واليوم الذي أنجبني فيه . بكت أمي وأنا في أحضانها . استرخى أبي على كرسيه يدخن سيجارته بارتياح لعودتي . نادى الحارس بصوت ضاحك : **أمان يا أفندم أمان ، سأطفئ النور ، أوامر بق** .

ساد هدوء غير عادي . انعدمت الحركة حول الزنزانة يوم تأخرت ذات صباح عن موعد إغلاق بوابة المدرسة ، تقفزت سورها العالي ، وانتظمت في دراستي ، لو كان معي قرشاً لأعطيته للبواب ودخلت ، بدلا من المجازفة بقفز هذا السور العالي . حمدت الله لأني لم أقف هذا اليوم بطابور المدرسة . حياتي كلها طوابير . نادتني أمي ذات مرة كنت ألعب فيها نطة الإنجليز . تركت زملائي مسرعاً . أمسكتني من يدي . ذهبت بي إلى أبي الجالس يدخن باستمرار . تفحصني أبي من أعلى إلى أسفل . أشاح بوجهه عني . تركتني أمي ،

تردد بصوتها الحاني : **أنا في حياتي لم أر مثلك أبداً** . سمعت أبي يضحك بصوت عال . ذهبت إلى زملائي أستكمل معهم نطة الإنجليز . وقفت بالطابور أنتظر دوري . طابور قائدنا لا مثيل له . أخطاؤنا التافهة حقائق لا تقبل الشك عنده أبداً . وددت لو عرفت كيف يعيش قائدنا في بيته . لا بد أنه أب مثالي . يعرف كيف يداعب أولاه ، يجلس معهم براحته ، غير مقيد بالزي الأصفر المقصب ، أحمر أصفر أبيض . يعرف كيف يلاطف زوجته .

كثيراً ما سرت مع ابن عمي وجلست مع أصدقائه . سمعتهم ذات مرة يتحدثون عن شيء ما . حاول ابن عمي أن يدير دفة الحديث . حسبوني طفلاً . وكنت فعلاً ذلك الطفل . استمروا في حديثهم . آويت إلى فراشي مبكراً .

ـ ٥ ـ

حين ضبطني قائدي متخلفاً عن طابور الاستعراض ، عقد حاجبيه والدهشة تملأ جحوظ عينيه بروزاً . ابتسم في خيلاء المنتصر . وجد فريسة تثبت أنه لم يهرب من الوقفة تحت الشمس في طابور القائد الممل . تهلل وجهه فرحاً وهو يدس يده في جيبي . سيجارة وعود كبريت ومحك صغير . كاد أن يرقص . سرت بجوار قائدي المنتصر . فرح جداً وهو يهنئني بالسجن (٢٤) ساعة ، لأتعلم فيها العسكرية على أصولها . لعنته في سري . الساعات تمر بطيئة ، لا شيء يتعجلها . الليل والنهار في خصام عنيد . لسعات البرد الهادئة تمر على جسدي تدغدغه . لففت نفسي في البطانية . وضعت المخدة خلف ظهري . مددت ساقي على قدر المسافة ، وضعت البطانية على ركبتي هرماً أسود ، شاركني جلستي . لم أكن قد زرت الأهرامات الثلاثة ، وأبو الهول ، سمعت عنهم كثيراً . يوم زرتها ، ضاعت كل الكلمات وتضاءلت . ابتسمت وأنا أقف أمام « **أبو الهول** » أسفت وضحكت في سخرية لفشل **نابليون** في تحطيم أنفه ، لقائدنا أنف يشم بها رائحة الحركة وسط الطابور ، التقيت به يتقلد منصباً مدنياً . شامخاً بأنفه ماداً هامته القصيرة إلى السماء . لم يتذكر أنه أودعني السجن أربعاً وعشرين ساعة ، منذ عشر سنين ، فقط ابتسم في حياء . سعدت لابتسامته . ملأت وجهه بطفولة بريئة . تمنيت أن أراها ذات يوم . مسح وجهه الكالح . قال تتكسر الكلمات داخل فمه . كانت أوامر ينفذها . وضعت ساقاً فوق الأخرى وهو يحدثني . لم أستطع أن أمد ساقي على آخرهما . الزنزانة تضيق بي . النوم لا يريد أن يهمس لعيوني بلحظات أغيب فيها عن العالم . تسلل النهار خجولا . تمنيت أن أصلي الفجر . الليل خلف الجدران شيطان أعمى غفت عيني قليلاً ، أيقظني حارس بصوت قاسي . قال : **هل ينام أحد حتى الآن ؟** . لم أرد عليه .

قال هادئاً ، **خلاص ، أنت تخرج الآن** . لم أرد عليه . أخذت بطانيتي ومخدتي إلى صدري . اتسعت الزنزانة ، لتحتوي العالم كله . وضعت البيريه على رأسي بإحكام شديد . تنفست هواء السجن المفتوح . قال الحارس بظرف : **إياك والكتابة على الجدران ، نحن ننظفها كل أسبوع** . . حمدت الله أني لم أشرفها عقب بياضها .



تأليف : أندريه روسان
ترجمة : خديجة سليمان

ذات صيف ربيعي ، قررنا أن نحول مساحة مربعة من الحديقة الظليلة إلى « حلبة » ملاكمة ، **فميشيل** كان قد اشترى من باريس قفازين لا أذكر تماماً وزنهما ، ولكنهما قفازان حقيقيان . وكنا نملك جميعاً ملابس كرة القدم ، كان يكفي أن نلتفت إليها حتى نتحول إلى ملاكمين .

أحطنا أربع شجرات من جذوعها بحبل كبير ، ووضعنا مقعداً في الزاوية اليمنى ، ومقعداً آخر في الزاوية اليسرى ، ودلوين ممتلئين بالماء البارد ، وإسفنجتين ، وأعددنا المكان بعد الغداء مباشرة .

وجدنا تنكاً قديماً في الإسطبل استخدمناه كجونج ، ونصبنا **العم هنري** ، لساعته الرقمية ، حكماً ، فأخذ يذكرنا بجدية تامة بقواعد اللعبة : الجولة مدتها ثلاث دقائق ، لا ضرب تحت الوسط ولا خلف الرأس ، أما « **الكنوك أوت** » فجائز . . . وفيما عدا **ميشيل** الذي مارس رياضة الملاكمة بعض الوقت والذي جلب معه الحذاء الخاص بهذه اللعبة ، فإن أحداً منا ـ ولا داعي للتأكيد ـ لم يكن يدري شيئاً عن هذا الفن ، **فكاربونتييه** كان قد هزم ، وكان عليه أن يمحي هذه الإهانة ويعيد لفرنسا مكانتها التي تستحقها . كل هذا كان معداً بعيداً عن علم أمهاتنا ، بين **هنري** وبيننا . . في وقت الراحة حين استرخت السيدات على مقاعدهن الوثيرة ، اختفينا تماماً في ممرات الحديقة .

قالت **أوليمب** : « **هنري ، ألا تستريح قليلاً معنا ؟** » .

ـ **لا ، لا . أعد شيئاً مع الأولاد .**

أردفت **أوليمب** بغير عناية خاصة : « **يعلم الله ، وماذا أيضاً !** » .

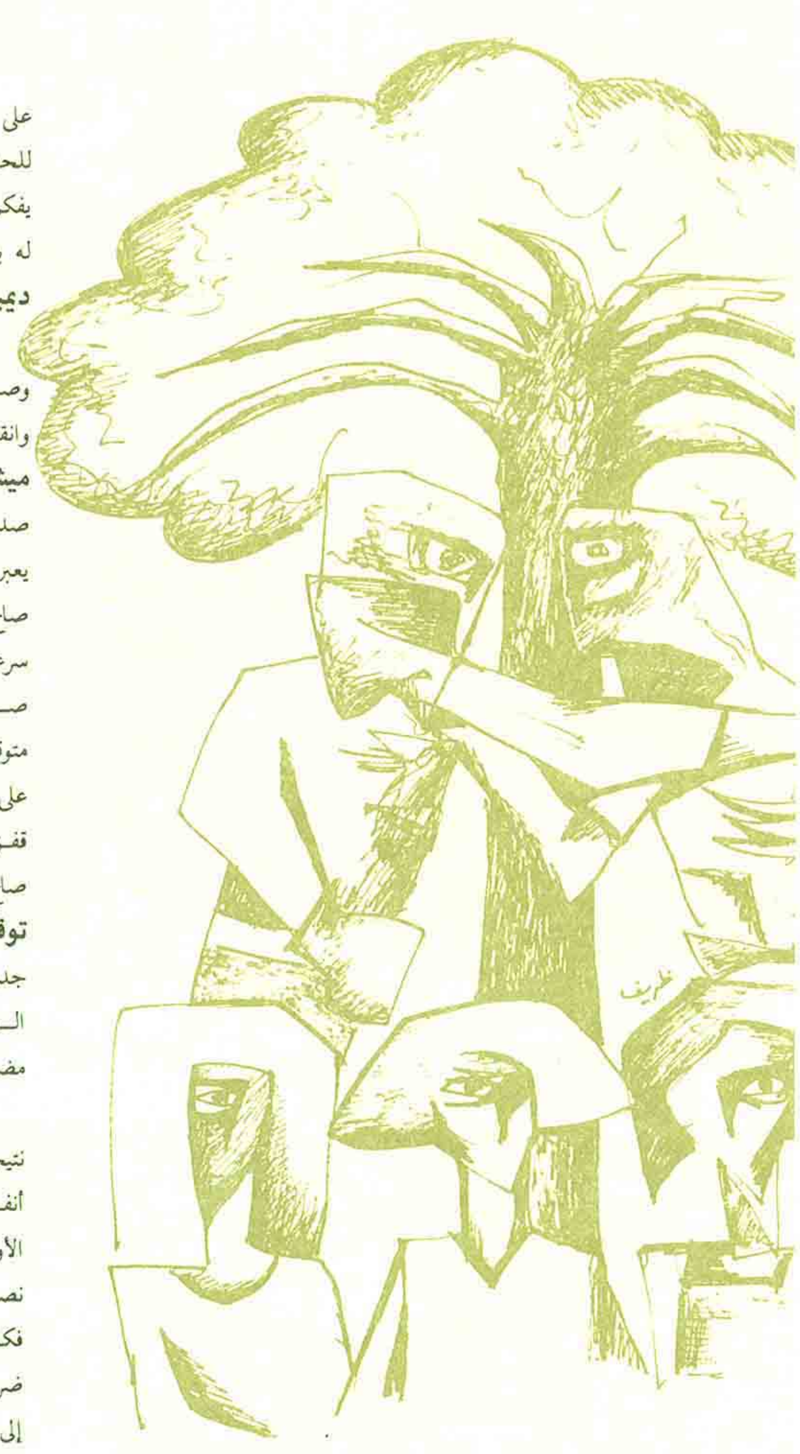
وكان معروفاً أن كلاً من المباراتين ستكون صورة من مباراة « **كاربونتييه ـ ديمبسي** » . **ميشيل** هو **ديمبسي** في المباراة الأولى في مواجهة **زوزو** أو **كاربونتييه** ، ثم يمثل أخي كوكو شخصية ديمبسي وألعب أنا أمامه شخصية **كاربونتييه** . **ميشيل** كان أكبر من **زوزو** ، وكان أخي أكبر مني ، وهكذا حفظت القوى . وكانت المباراتان ستمنحان لفرنسا فرصة مضاعفة لاستعادة هزيمة بطلنا القومي . **زوزو** وأنا كنا أصغر من منافسينا ، لكن أكثر عصبية وأكثر مقاومة . ولسوف نرى .

ضرب **هنري** « **الجونج** » . تقدم **ميشيل** بسنوات عمره الأربعة عشرة التي تتخذ مظهراً من الإقدام ، نحو **زوزو** ، وقد أحس بتفوقه لحصوله على بعض دروس الكشافة في « **الجمنزيوم** » . مد يديه الطويلتين كما يفعل **كاربونتييه** لإظهار مهارته الفنية أكثر من حرصه على تجنب ضربة طائشة من **زوزو** . أما **زوزو** فقد سحب يديه إلى ما خلف مرفقيه بينما قبضتيه داخل القفازين تكاد تلامسان أنفه ، وهو يحرك قدميه وفخذيه . وظلت يداه ساكنتين بلا حراك في الوقت الذي تتحرك فيه قدماه حركة راقصة مستمرة . لم يفقد البطلان شيئاً من المسافة التي تباعد بينهما ، وبدا أن كلاً منهما يرغب في الحفاظ عليها بصفة دائمة ، وأخذ كل منهما يختبر قوته على هذا النحو وقتاً طويلاً ، أحدهما وهو يمد قبضتيه أمامه في حركة محدودة وجامدة ، والآخر وهو يدق الأرض مراراً . ودارا ببطء كما لو كانا يدوران حول محور ، وعندما أتما دورة كاملة أعادتهما إلى مكانيهما الأساسيين ، بدا أن شيئاً ما سوف يقع ، ذلك أن كلاً منهما أخذ ينفخ من أنفه .

« **هيا ، أيها السيدان** » قالها **هنري** بوضوح تام ، كما لو كان يدعوهما إلى معركة هوجاء . قال ذلك كما لو كان يدير مبارزة سيوف بين اثنين من كبار أبطال هذا العالم . وكرر قوله : « **هيا أيها السيدان ، إلى المعركة !** » وكان يخترع مصطلحات تبدو له ملائمة للموقف .

لم يكن لهذا التحريض الجديد الأثر الذي كانا ينتظرانه ، فقد استمر المتنافسان في الحفاظ على المسافة المحدودة بينهما . وهنا خفف **هنري** من حدة بيانه ، وأعلن كما لو كان مديراً للعب : « **العبا لعبتكما !** » ثم أصدر أمراً قاطعاً : « **هيا ، أيها السيدان ، تعاركا إذا سمحتما !** » ، الأمر الذي لم يسمح به بالتأكيد في مباراة « **كاربونتييه ـ ديمبسي** » .

وفجأة تقدم **ميشيل** ومد يده اليمنى بسرعة فوقعت مسترخية على قبضة **زوزو** الذي ظل محتفظاً بها بالقرب من وجهه ، على العكس من « **كاربونتييه** » الذي كان في صدامه كمن سيضرب بطريقة ما ضربة مروعة



على أنف الخصم ، ويظل مأخوذاً للحظة ، حتى يمر الوقت الذي يفكر فيه فيما حدث بحيث يسمح له بتلقي ضربة قوية من يد **ديمبسي** اليسرى في عينه اليمنى .

هز **زوزو** رأسه غضباً وصاح : « **اللعنة إذن !** » وانقض بقبضتيه على بطن **ميشيل** الذي لم يفلت ، بل صدرت منه آهة وهو الذي لم يعبر بدقة عن إحساسه بها . ثم صاح بدوره « **آه كلا !** » . ولكن سرعان ما جاءته ضربة من أسفل صدمت فكه بطريقة غير متوقعة ، فوضع قبضتيه بسرعة على شفتيه المطبقتين وهو يقفز قفزات مرنة في مكانه . وهنا صاح الحكم مذعوراً : « **توقفا ! توقفا !** » بينما تباعد البطلان من جديد بعد هذه المبارزة السريعة التي أسفرت عن وجهين مضرجين بالدماء .

زوزو كان قد فصد ، نتيجة للضربة التي تلقاها على أنفه أثناء هجمة **ميشيل** الأولى ، كما بدت عينه اليمنى نصف مغلقة . أما **ميشيل** فكان قد عض لسانه وهو يتلقى ضربة **زوزو** العنيفة من أسفل إلى أعلى .

كانت صيحات البطلين ممزوجة بصيحات الحكم قد شدت انتباه الأمهات الناعسات . فأخذن يهرولن نحوهم . ولن أصف ما حدث : صرخات السيدات أمام رؤوس أطفالهن المساكين واللوم المؤجل بصفة خاصة **لهنري** من أوليمب المتميزة غضباً . أما أمي فكانت هي الوحيدة التي لم تهتم كثيراً بهذه الأمور ، بعد أن تأكدت من أن أخي وأنا قد نجونا من هذه المذبحة . واكتفى **هنري** بأن قال لزوجته : « **ماذا تريدين ! إنهما لا يعرفان حقاً كيف يتلاكمان !** » فردت عليه متهكمة : « **وقد كنت هنا لكي تسدي إليهما بالنصائح ، على ما أعتقد !** » نهز **هنري** كتفيه .

أما زوزو فقد سمحت له حالة وجهه ولأول مرة بألا يتلقى الصفعات المعتادة ، وأخذ يتلقى القبلات وحدها . وكانت هذه هي معركة الملاكمة الوحيدة التي وقعت في « **بابيول** » ولم تدم غير دقائق ثلاث .



بقلم: خليل السعد

كانت الساعة قد جاوزت التاسعة مساء حين ألقى **الدكتور (سعيد)** بجسمه فوق السرير، وتمدد عليه، دون أن يخلع سترته البيضاء الطويلة... لكأنه ينتظر شيئاً ما.. وكان **كانون الأول** (ديسمبر) يتضور في الخارج، ويعوي برياح باردة تتسلل برودتها إلى غرفته الدافئة.. وكان الرذاذ الخفيف ينقر على مصاريع النوافذ الخارجية، فيبعث صوتاً هو أشبه بأصوات حوافر خيل قادمة من بعيد، أما الغيوم فقد كانت سوداء تبعث حين اصطدامها ببعضها قرقعة تشبه قرقعة طبول الحرب عند القبائل البدائية.

وظهر الدكتور (سعيد) ساهياً لمدة وجيزة.. أطلق بعدها تنهيدة طويلة ثم تمتم «يا إلهي.. أما كان له من سبيل آخر..» وانساق يفكر في أمر والده الضابط السابق في جيش الانتداب وتساءل في نفسه فيما إذا كان والده قد اقترف خيانة في ذلك أو لا..؟ خصوصاً وأن الأمور كانت تختلط على سعيد.. حينما كان يفكر أن والده فعل ذلك من أجل مستقبل ابنه وأن موته، الذي حدث وسعيد ما زال طالباً.. كان غامضاً لم يكتشف سره بعد.. وهنا تساءل «من يدري لعله أراد التمرد فأضاعوه..؟» إلا أن الشك يعتوره، ولم تكف كل هذه المبررات لتقنعه بصواب الطريق التي سار عليها والده.. وصرخ في نفسه: «أجل، كان عليه أن يختار غير ذلك الطريق..».

وحدث نفسه وكأنه كان يريد التخلص من الحيرة التي وقع فيها «قد يكون الماضي مشرقاً.. ولكنه إذا كان مشيناً.. فهو لن يضر في المستقبل، أكثر مما أضر» والتفكير فيه انهيار تلقائي رخيص.

وكانت البلاد بعد **الخامس من حزيران** (يونيو) في حالة غليان وكان حنين الحرية لاعجاً في قلب كل عربي من سكان **الضفة الغربية**.. وجعل سعيد يستعيد شريط الحوادث التي جرت منذ نكبة عام ١٩٤٨م، حتى الاحتلال البغيض في الخامس من حزيران (يونيو).. ثم.. قطع رنين الباب سلسلة أفكاره.. فنهض من سريره واتجه نحوه بسرعة.. وفي أعماق قلبه يردد دعاء: «كن في عونهم يا إلهي.. ألما من ليلة دون جرحى..؟» ووضع إحدى عينيه على ثقب صغير في الباب ليتأكد من عدم وجود مكيدة في الأمر.. ووقع نظره على وجه سيدة مضطرب خلف الباب.. إنه وجه «**زينب**» صاحبة الدار التي يسكنها.

فتح لها سعيد بحركة خفيفة.. وما إن احتوتها الغرفة حتى أعاد الباب إلى وضعه الأول... وسألها مستفسراً:

– **ماذا..؟ هل هناك جريح جديد..؟**.

وأجابت:

– لا الحمد لله.. لقد جاء رسول وأخبرنا أن الجماعة بألف خير.

وحمد سعيد ربه.. ثم تابعت زينب كلامها.. وقالت وهي تتلعثم:

– ابنتي يا دكتور مريضة منذ الصباح.. لقد غابت عن الوعي منذ لحظة ولم تعد تتكلم.

فأجابها بثقة مطمئناً إياها:

– **لا تخافي سيكون الأمر بسيطاً بإذن الله.. ارجعي إليها وسأتبعك حالا.**

وتعثرت مراراً وهي تصعد السلم المؤدي إلى مسكنها.. وكانت في العقد الخامس من عمرها.. ترتدي دائماً ثوباً أسود حداداً على زوجها الذي استشهد في إحدى **معارك «جنين»** عام ١٩٤٨م... ولم يكن الزوجان قد رزقا من البنين سوى «**فاطمة**» وكانت قد أنجبتها بعد استشهاد زوجها بشهرين والتي بلغت الآن سن الشباب.. وكانت صلة سعيد بالسيدة صلة وطيدة جعلت هذه الأخيرة واسطة بينه وبين الفدائيين لمعالجة جرحاهم ومحو الإثم الذي لحق به لتعاون والده مع «الإنجليز».

وأعد سعيد حقيبته وخرج متجهاً إلى الطابق العلوي حيث تسكن «زينب» ودخلا غرفة «فاطمة» واقترب سعيد من سريرها.. وكانت صفراء الوجه إلا من حمرة وردية لا تزال تصبغ خديها.

وكانت عيناها مغمضتين، وأنفاسها تتصاعد ببطء شديد، وكانت تبدو جميلة جذابة رغم المرض.. جلس بقرب السرير، وبسط كفه على جبينها.. فبدا له وكأن رأسها أتون نار... وأحست الفتاة بلمسة يده، ففتحت عينيها وما إن وقع نظرها عليه حتى شعرت برعشة فرح تدغدغها.. وبضربات قلبها تزداد قوة.. وجمدت نظرات كل

منها في عيني الآخر .. وغمرها في تلك اللحظة شعور حبيب ، أنساها أنها مريضة .. مريضة إلى درجة أنها فقدت وعيها قبل مدة .

ولم يكن شعور سعيد بأقل من شعورها خصوصاً وأن حالة غير طبيعية كانت تداهمه كلما رآها وارتعشت شفتاه وهو يسألها :

ـ بم تحسين يا آنسة .. ؟ .

شرع يشخص مرضها واستمر في ذلك لمدة وجيزة ثم قال لوالدتها التي كانت جالسة على حافة السرير تارة تتأمل ابنتها وتارة تتأمل الطبيب :

ـ إن البرد شديد في هذه الأيام .. وأعتقد أنه أثّر عليها قليلاً .

وأخرج بعض الأدوية وصفها للمريضة .. ثم نهض ليعود إلى عيادته .. لكن السيدة منعته وأجلسته ثانية وهي تقول :

ـ لا يجوز أن تعود هكذا قبل أن أعد لك الشاي .

ـ شكراً يا سيدتي .. يجب أن أعود .. لربما .

لكنه أمام إلحاحها اضطر إلى الجلوس ، وخرجت متجهة إلى المطبخ بينما بقي هو وفاطمة



وحيدين في الغرفة .. كانت تفور في كيان كل منهما رغبة التحدث إلى الآخر .. ومع ذلك كان شيئاً ما يلجم لسانيهما .. وأخيراً فتحت الفتاة عينيها والتقت نظراتها للمرة الثانية .. وكان في قلب سعيد أشياء كثيرة يريد أن يحدثها بها ولكنه اكتفى بأن سألها :

ـ كيف أنت الآن .. ؟ .

ـ بخير .. أشعر بتحسن منذ مجيئك .

ـ هذا ما أتمناه .

وأشاحت بوجهها عنه في حركة بطيئة ثم غمغمت بيأس ...

ـ أما أنا فلا أريد ذلك .. أحس برغبة ملحة في الموت .

وسألها بعينين تلوح فيهما الدهشة :

ـ لا سمح الله ، ما الذي يدعوك لذلك .. ؟ لا زلت شابة في مقتبل العمر وعليك أن تنظري إلى الحياة بغير هذا المنظار .

وشهقت شهقة طويلة تبعتها زفرة .. نمتا عما كان يجيش في قلبها من يأس ثم قالت :

ـ أنا لا أدري هل أنت جاهل أم أنك تتعمد الجهل .. ؟ !! .

وتساءل كمن لا يعرف شيئاً :

ـ لم يا عزيزتي .. ؟ .

ـ أو لا تدري ؟ .. سأقول لك .. ولكن لا أريد منك جواباً .. لا أريدك أن تتكلم مطلقاً .. فإنني أخشى كلامك ، أخشى أن تصفعني بطريقة ما .

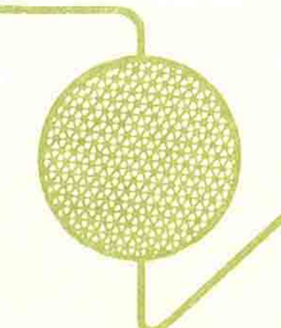
ونظر في عينيها بخبث وقال :

ـ قولي ولا تخشي شيئاً .

ـ أوه يا إلهي .. ما الذي سأقوله .. ؟ أحبك يا دكتور .

وشعر سعيد بموجة فرح تناغيه واحمر وجهه .. وحاول أن يقول شيئاً لكنه لم يستطع واكتفى بابتسامة تماوجت على شفتيه كانت شيئاً كبيراً بالنسبة لفاطمة جعلتها تتابع كلامها وفي قلبها تصطخب فرحة تصنع الكلمات :

ـ كنت أتمنى منذ مدة أن أفصح لك عما في قلبي .. ولكني كنت أخشى أن ألقى منك



الصد .. وفي هذا اليوم حين شعرت بالمرض ، حاولت والدتي استدعاءك فرفضت ومنعتها من ذلك ... لظني أنك تكرهني مع أني طالما اشتهيت أن أغرق نظراتي في وجهك .. وكان أن غبت عن وعيي فاستدعتك دون علمي .

وما كادت تتوقف قليلاً عن الكلام حتى تناهى إلى مسامعها وقع أقدام الأم .. وهي تحمل بيدها طبقاً عليه قدح من الشاي قدمته للطبيب .. فتناوله بيد تنساح فيها ذبذبات قلب يصطخب بشدة .. فأخذ يرشف من القدح رشفات صغيرة ويتحدث مع .. « زينب » .. عن آخر أخبار الفدائيين ..

وما إن انتهى حتى تناول حقيبته وعاد إلى عيادته .. وكانت الساعة قد جاوزت الحادية عشرة ليلاً .. وكان يشعر وهو في طريقه وكأنه يهيم في بحر من السعادة .

★ ★ ★

.. ولمعات الأحلام يؤلب مبلد يوم .. وغدت بذرة الخير حنيناً تقلب التراب فتخرج النبتة إلى النور .. تلك البذرة التي شربت من رحيق ثورة ٢٩ ، ٣٦ ، ٤٨ .. لقد كان الشعب يثور في **الخليل ورام الله والقدس ونابلس وجنين وطولكرم ..** وكل مدن وقرى الضفة الغربية .. وحدثت اصطدامات عديدة مع سلطات الاحتلال الصهيوني .

في تلك الأيام كانت خطبة سعيد وفاطمة .. وكانا لا يفترقان لحظة .. يترددان على الضواحي المجاورة لنابلس بقصد النزهة .. ولم يكن يعني أنهما كانا في حالة عدم اكتراث لما يجري في وطنهما .. فقد كانا فردين من شعب هائج يريد الحرية لبلاده بأي ثمن .

ومرة زارا المكان الذي استشهد فيه والد فاطمة ، ومرة أخرى صحبته إلى قبو بنايتهم حيث كان الثوار عام ١٩٤٨ م ، يعقدون اجتماعاتهم .. ووقعت عينا سعيد على بندقية معلقة بحاملها على أحد الجدران فسألها :

ـ وهذه ما السر في أنها باقية هنا .. ؟

فأجابته :

ـ إنها البندقية التي كان يحارب بها أبي .. كانت معه حين قتل .. حملها إلينا أحد المجاهدين ممن كانوا معه .. وكم أردت من والدتي أن تهبها لأحد الثوار .. لكنها ترفض وتبرر رفضها بقولها :

ـ هناك من يحملها ، ولكن الوقت لم يحن بعد .. ولقد أردت منها مراراً أن تفصح لي عن اسم ذلك الشخص لكنها تأبى وتكتفي بالقول : « ستعرفينه يوماً ما .. » .

وجعل سعيد يستعيد كلام فاطمة في مخيلته ويتساءل في نفسه : « من يدري لعله هو الشخص المعني .. زوج فاطمة المقبل .. ؟ » .

وبعد أيام تم زواجهما .. وثاني أيام زواجهما أفاقا على حادثة أدهشت سعيد .. لكنها لم تكن لتثير دهشة فاطمة .

كانت زينب قد اختفت ولم تترك وراءها سوى رسالة موجهة إلى سعيد تقول فيها :



« .. لا تبحث عني .. إن الوطن كما تعلم بحاجة إلى كل فرد منا .. فحياتي لن تكون أغلى من حياة وطني .. وأفراد شعبي الذين يقاتلون من أجل كرامة فلسطين .. بل إن حياتي ملك هذا الوطن الذي يعيش حبه في دمائنا .. كانت فكرة الالتحاق بالفدائيين تراودني منذ زمن طويل .. لكن فاطمة كانت عثرة في هذا الطريق ، إذ كنت أخشى عليها قسوة الدهر بعد موتي والآن وبعد أن أصبحت في كنفك ، فلا أشك أنها ستكون سعيدة معك . أوصيك خيراً بفاطمة وأرجو أن تعتذر لها نيابة عني .. زينب ... » .

وبعد أن أتم سعيد قراءتها قالت فاطمة بصوت بالغ التأثر :

ـ لقد توقعت ذلك هذا الصباح حين لم أجد لها ولبندقية والدي أي أثر .

وصمت الجميع .. وكان يجيش في صدر سعيد مزيج من شعور بالفخر وبالأسى وكانت ثمة دمعة تتدحرج فوق خده بتمرد .. ثم تمتم :

« من أجلك يا فلسطين هذا القليل .. ألا كم أنت غالية في قلوب أبنائك يا حبيبة ... » .

ابن سينا

رائد فن القصة الفلسفية

بقلم: إحسان جعفر



★ ابن سينا (٣٧٠ ـ ٤٢٨ هـ) ★



★ ابن سينا ومجموعة من طلابه ★

الفيلسوف الإسلامي الشيخ الرئيس الحسين، أبو علي، ابن سينا (٣٧٠ ـ ٤٢٨ هـ) متعدد جوانب المعرفة، كان نابغة في الفلسفة والطب والطبيعيات والفلك والرياضيات والموسيق، وهو بالإضافة إلى ذلك لغوي وشاعر.

وفي مقالتنا هذه سنحاول أن نلم بمنزلته كأديب رائد لفن **القصة الفلسفية**، فقد أثر عنه ثلاث قصص فلسفية، وهي: «**رسالة الطير**»، و«**حي بن يقظان**»، و«**سلامان وأبسال**»، وابن سينا عندما أرسى دعائم القصة الفلسفية يلوح سابقاً لزمنه بكثير، والذي يهم في قصصه هو تعويله على استخدام الفن القصصي لعرض وجهة نظر فلسفية، وقد كان لقصة «حي بن يقظان» التي استلهمها منه **ابن طفيل والسهروردي** قتيل حلب وغيرهما الأثر الكبير على التفكير الأوروبي حتى إن أحد العلماء الإسبان، وهو **منندث بيلايو** الذي درسها في كتابه (**أصول الرواية**)، يصفها بأنها أعظم آثار الأدب العربي أصالة وتفرداً، وقد كانت أول ترجمة إلى **اللاتينية** لهذه القصة في **اكسفورد** سنة ١٦٧١ م، **للعالم الإنكليزي إدوارد مدكوك**، أما أول طبعة لهذه القصة، فقد كانت في **ليدن** سنة ١٨٨٩ م، بعناية **الأستاذ ميكائيل بن يحيى المهرني**، ثم توالى طبعها في **القاهرة ودمشق** بعد ذلك.

ومقدرة ابن سينا على استخدام الأنماط الأدبية في شرح مقاصده الفلسفية مشهود له فيها بالكفاية ، فقصيدته العينية في النفس ، التي جمع فيها بين فلسفة **أرسطو وأفلاطون** ، والأفلاطونية المحدثة ، بالإضافة إلى عقيدته الإسلامية ، أشهر ما تناقله المفكرون والأدباء ، وأبياتها الأولى تجري على هذه الشاكلة :

هبطت إليك من المحل الأرفع
ورقاء ذات تعزز وتمنع
محجوبة عن كل مقلة عارف
وهي التي سفرت ولم تتبرقع
وصلت على كره إليك وربما
كرهت فراقك وهي ذات تفجع
أنفت وما أنست ، فلما واصلت
ألفت مجاورة الخراب البلقع

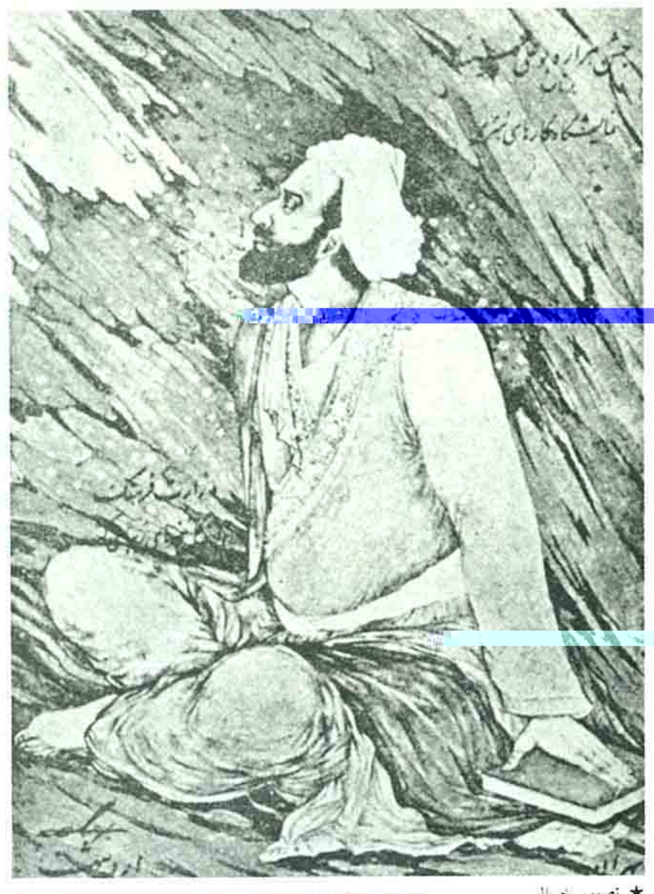
وشعره في هذه القصيدة من النوع الجيد الذي يغلب عليه الفكر والتأمل والتعبير الفلسفي والعلمي لذلك العهد ، وأهم ما فيها الأبيات السبعة الأخيرة التي يعرض فيها ابن سينا مشكلة النفس على شكل سؤال مفتوح يطلب الإجابة عنه ، ولا يزال هذا السؤال مفتوحاً منذ أكثر من تسعة قرون :

فلأي شيء أهبطت من شامخ
عال إلى قعر الحضيض الأوضع
إن كان أهبطها الإله لحكمة
طويت على الفذ اللبيب الأروع
فهبوطها إن كان ضربة لازب
لتكون سامعة لما لم تسمع
وتعود عالمة بكل خفية
في العالمين فخرقها لم يرقع
وهي التي قطع الزمان طريقها
حتى إذا غربت بغير المطلع
فكأنها برق تألق بالحمى
ثم انطوى فكأنه لم يلمع

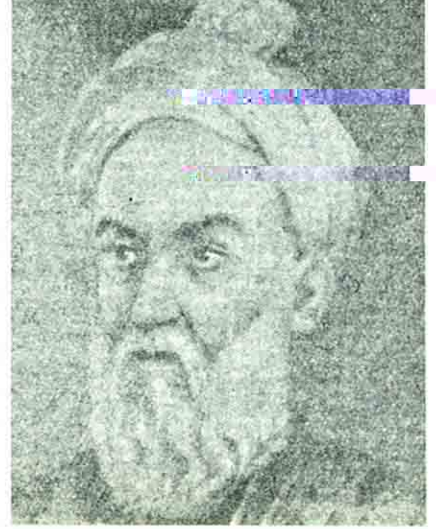
وقد عارض هذه القصيدة في العصر الحديث **أحمد شوقي ، وعادل الغضبان ، وعلي نصوح الطاهر** ، وبما أننا بصدد أدبه الفلسفي الذي تجلى في القصص التي اصطنعها ، فإننا لن نتعرض لشعره ، والمعروف عن ابن سينا أنه قد خلف مجموعة من القصائد تمازجها الحكمة ، وتتخلل [illegible] والحياة والحب والشكوى من الحساد والزمان ، وسنقصر الحديث على الجانب القصصي .

قصة حي بن يقظان

قصة « **حي بن يقظان** » التي أصبحت في التراث الفلسفي مثالا « للمتوحد » ، تصف أغراض النفس في ما وراء الحياة الدنيا ، بأسلوب مجازي رمزي ، فحي في هذه القصة جوّال يضرب في أقطار الأرض تحقيقاً لوصية تلقاها من والده ، خلاصتها دعوة إلى النفس المكبلة بقيود العالم ، لأن تتحول عن لذات الجسد البالية ، وتتجه بأنظارها نحو المصدر الأقصى للجمال والنور . وتبدأ القصة بقول ابن سينا : « إنه قد تيسرت لي حين مقامي ببلادي (**برزة**) ، برفقائي إلى بعض المتنزهات المكتنفة لتلك البقعة فبينا نحن نتطاوف إذ عنّ لنا شيخ بهي قد أوغل في السن وأخنت عليه السنون ، وهو في طراءة العز ، لم يهن منه عظم ولا تضعضع له ركن ، وما عليه من المشيب إلا رواء من يشيب ــ فنزعت إلى مخاطبته وانبعثت من ذات نفسي لمداخلته ومجاورته ، فلت برفقائي إليه فلما دنونا منه بدأنا هو بالتحية والسلام وافتر عن لهجة مقبولة وتنازعنا



★ تصوير خيالي لابن سينا من عمل الرسام الشهير بهزاد ★



★ ابن سينا كما تصوره المطبوعات السوفياتية ★



★ ابن سينا كما تصوره أهل أوروبا ★

الحديث حتى أفضى بنا إلى مساءلته عن كنه أحواله واستعلامه سنه وصناعته بل اسمه ونسبه وبلده، فقال: أما اسمي ونسبي فحي بن يقظان، وأما بلدي فمدينة بيت المقدس، وأما حرفتي فالسياحة في أقطار العالم .... ».

ومن ثم تحدث محاورات ومناقشات بين العقل والشهوات الحسية الإنسانية حيث يذهب إلى أن العقل ملتصق بالبدن ويجب أن يتحرر من الغضب والشهوة، ولكن مع هذا لا يستطيع التخلي عن البدن وحواسه، ولهذا يجب السيطرة عليه بالتأمل والاطلاع حتى يستطيع أن يدرك السعادة الكاملة بعد مفارقة البدن حيث يدرك العلة الأولى، لأن العقل الإنساني الذي يتحرر من الشهوات الحسية يستطيع أن يتصل بالعقل الفعال الذي يهدي النفوس إلى الله.

رسالة الطير

يرسم ابن سينا في (**رسالة الطير**) الرمزية صورة حية لمصير النفس الساعية وراء الحق، المتخبطة في شرك الرغبات الحسية، ورموز هذه الحكاية تذكرنا، من بعض الوجوه، بأفلاطون في **قصة الكهف**، وفي سلم الحب السباعي الدرجات، جاء في رسالة الطير: «برزت طائفة تقتنص فنصبوا الحبال ورتبوا الشرك وهيئوا الأطعمة وتواروا في الحشيش، وإنّا في سربة طير إذ لحظونا فصفروا مستدعين فأحسسنا بخصب وأصحاب. ما تخالج في صدورنا ريبة، ولا زعزعتنا عن قصدنا تهمة، فابتدرنا إليهم مقبلين، وسقطنا في خلالي الحبائل أجمعين، فإذا الحلق ينضم على أعناقنا، والشرك يتشبث بأجنحتنا، والحبائل تتعلق بأرجلنا، ففزعنا إلى الحركة فما زادتنا إلا تعسيراً، فاستسلمنا للهلاك، وشغل كل واحد منا ما خصه من الكرب عن الاهتمام لأخيه، وأقبلنا نتبيّن الحيل في سبيل التخلص زماناً، حتى أنسينا صورة أمرنا، واستأنسنا بالشرك واطمأننا إلى الأقفاص».

يشبّه ابن سينا في هذه القصة نفوس البشر بجماعة من الطير وقعت في شرك نصبه لها الصيادون، ثم وضعوها في قفص أحكموا إقفاله. لكن هذه الطيور تأبى الاستسلام لهذا المصير وتحاول الإفلات، فينجح عدد قليل منها بالإفلات، وفي أرجلها بقايا من الأصفاد التي قيدت بها، أما الطيور الباقية فتمكث زمناً في الأسر، لكنها تنجو آخر الأمر بمساعدة رفاق لها وتنشد جميعها الخلاص والأمن، وتطير من جبل إلى جبل، وتقصد من عالم إلى آخر.

سلامان وأبسال

و «**سلامان وأبسال**» قصة رمزية أخرى يبيّن فيها ابن سينا أن النفس تنال سعادتها بقدر محاربتها للشهوات الحسية، وهذه القصة تروى بطرق شتى غير أن ابن سينا يرويها بصورة توافق فلسفته، وقد ذكر هذه القصة **الخواجة نصير الدين الطوسي** في شرح إشارات ابن سينا وخلاصتها: أن سلامان وأبسال كانا أخوين شقيقين، وكان أبسال أصغرهما سناً، وقد تربى بين يدي أخيه، ونشأ صبيح الوجه عاقلاً متأدباً عفيفاً شجاعاً، وقد عشقته أمرأة أخيه فأعرض عنها، واحتالت في زواجه من أختها لتصل إليه عن طريقها، وفي ليلة عرسه أظلمت غرفته وباتت في فراشه بدل العروس، فشك في أمرها، ولاحت من الكوة ومضة برق أظهرت وجهها فأزعجها وعزم على مفارقتها، وعرض على أخيه أن يتولى الجيش ويفتح له البلاد براً وبحراً وشرقاً وغرباً من غير منة عليه، فكان أول **ذي قرنين** على وجه الأرض، وحسب أن زوجة أخيه قد نسيته، ولكنها عادت إلى غيها فزجرها وخرج إلى محاربة عدو ظهر لأخيه سلامان، فوزعت الأموال على رؤوساء الجيش، فخانوه وانتصر العدو ووقع أبسال في المعركة جريحاً، وظنوه ميتاً فتركوه، وأرضعته إحدى الوحوش إلى أن انتعش وعوفي ورجع إلى أخيه، وقد أحيط به فجمع شمل الجيش وكر على العدو، وبدد شمله وسوى المملكة لأخيه، ولكن المرأة واطأت الطابخ والطاعم فدسا له السم ومات. فاغتم أخوه واعتزل الملك وفوضه إلى بعض معاهديه، وناجى ربه فأوحى إليه جلية الأمر فسق المرأة والطابخ والطاعم ما سقوه أخاه فدرجوا.

أما تأويل ذلك فسلامان النفس الناطقة وأبسال العقل النظري وامرأة سلامان القوة البدنية الأمارة للشهوة والغضب وأختها القوة العملية والبرق اللامح الخطفة الإلهية التي تأتي مباغتة حيث كشفت الأمر لعين أبسال، وانتشلته من عالم الشهوات الحسية إلى عالم العقل، وإزعاجه للمرأة إعراض العقل عن الهوى. وفتح البلاد ترقي النفس إلى العالم الإلهي. وتغذيه بلبن الوحش إفاضة الكمال عليه، واختلال سلامان لفقده اضطراب النفس عند إهمال تدبيرها شغلاً بما فوقها. ورجوعه إلى أخيه التفات العقل إلى انتظام مصالحها في تدبيرها البدن. والطابخ القوة الغضبية، والطاعم القوة الشهوية.

أسلوب ابن سينا

وكما أن شاعرية ابن سينا كانت محط نزاع إذ إن بعض الدارسين ذكر أن «شعره لا يجعله في الرعيل الأول»، مما حدا **بعباس محمود العقّاد** إلى أن يدافع عن شاعريته الصادقة في الكتاب الذي ألّفه حوله حيث يقول: «فلو حسب الشعر وحده لابن سينا لحسب به بين أوساط



★ ابن سينا ، نبغ في الفلسفة والشعر والعلوم الطبيعية والطب والصيدلة . . . الصورة لابن سينا يكتب مقالاته الطبية عن الأدوية ★

الشعراء ، ولو تفرغ له لعله كان بالغاً منه فوق هذه المرتبة الوسطى أو معدوداً في الرعيل الأول بين أدباء المشرق من الأرومة الفارسية » ، كذلك كان أسلوبه مجال أقوال متضاربة ، فعلى حين نسبه **محب الدين الخطيب** إلى « متانة الإنشاء وسلاسة البيان وتخير اللفظة » ، يحمل **أحمد أمين** على أسلوبه في تضاعيف تحقيقه لقصة « حي بن يقظان » ويتهمه بسوء التعبير ويحكم على تعبيراته بأنها تعبيرات أعجمية غامضة ، ويقول متابعاً : « لو قارنا بين ابن سينا وابن الطفيل من الناحية الأدبية لوجدنا أن ابن طفيل أرق من ابن سينا بكثير من حيث اللغة والأدب ، فعبارة ابن طفيل أدبية مشرقة ، وعبارة ابن سينا مغلقة غامضة . ويظهر أن ابن طفيل كان مثقفاً ثقافة أدبية أرق من ثقافة ابن سينا ، ففي كثير من عبارات ابن سينا وألفاظه ما يدل على أنه يستقي معلوماته اللغوية من المعاجم ، لا من كتب الأدب ، فجاءت بعض الأحيان نابية . . . » .

ويلوح أن أحمد أمين عندما اتهم أسلوب ابن سينا بالاستغلاق ، قد تأثر بأمرين :

الأمر الأول : هو أن ابن سينا لم يكن من نسب عربي ؛ إذ هو ، كما يعرف عنه ، ذو نسب أعجمي . غير أن هذا لا يستقيم حتى نحكم على أسلوبه بالإغماض ، فكثير من الأعاجم كانوا جهابذة في اللغة والأدب والنحو والبلاغة ، وعلى رأسهم **سيبويه** مؤسس علم النحو العربي .

والأمر الثاني : هو أنه في بعض الكتب التي ترجمت لابن سينا ، وردت حادثة جاء فيها : « إنه بينما كان ابن سينا جالساً يوماً بين يدي **الأمير علاء الدولة ، وأبو منصور الجبائي اللغوي** حاضر جرى في اللغة مسألة ، تكلم ابن سينا فيها بما حضره ، فالتفت **أبو منصور** إلى ابن سينا قائلاً : « إنك فيلسوف وحكيم ، ولكن لم تقرأ من اللغة ما يرضي كلامك فيها » . فاستنكف ابن سينا من هذا الكلام ، وطلب **كتاب « تهذيب اللغة » للأزهري** من خراسان .

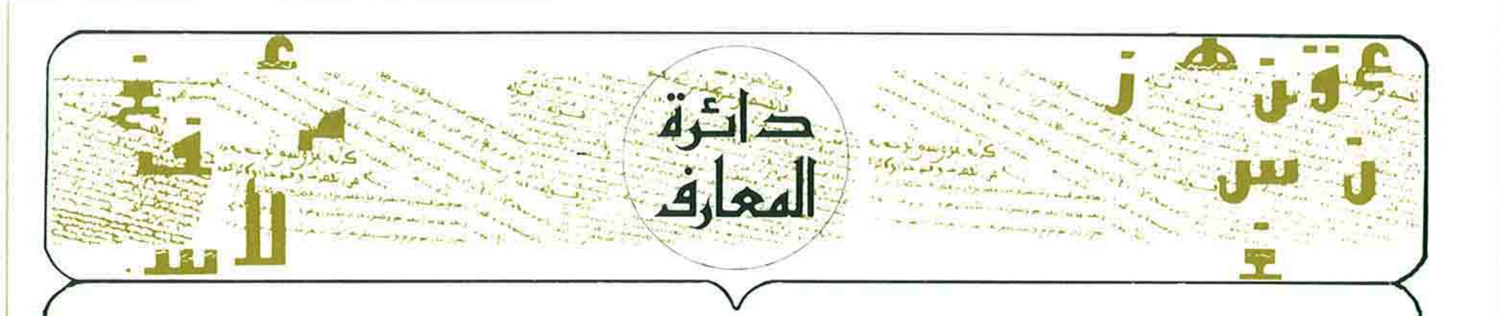
والذي يجعلنا نؤكد أن الأستاذ أحمد أمين قد تأثر في حكمه الذي أطلقه على أسلوب ابن سينا بهذه الحادثة التي قد تكون من وضع منتقدي ابن سينا ، هو ما يورده بعد كلامه الذي نقلناه إذ يقول : « ثم إن ابن سينا اعتاد التعبير الفلسفي أكثر ، واعتاد التعمق ، فجاءت عبارته عميقة كل العمق غامضة كل الغموض ، لم نستطع أن نفك رموزها إلا بعون من الله » .

ومع إقرارنا بأن أسلوب ابن طفيل رفيع المستوى إلا أننا لسنا مع أحمد أمين في المغالاة بتقبيح أسلوب ابن سينا ، فالرجل كان متمكناً من العربية ضليعاً بها ، وأسلوبه من الناحية الفنية كان متوسط الجودة ، وتتحدث الكتب التي ترجمت له : إنه بلغ في اللغة العربية طبقة قلما يتفق مثلها ، وإنه قد توفر على درس كتب اللغة ثلاث سنين ، وأنشأ عدة قصائد ضمنها ألفاظاً غريبة ، وكتب ثلاثة كتب : أحدها على طريقة (**ابن العميد**) والثاني على طريقة (**الصابي**) ، والثالث على طريقة (**الصاحب**) .

والحق أن عبارة ابن سينا في كتبه التي صنفها في أوائل حياته ليست في متانة عبارة كتبه الأخيرة ، ولا في وضوحها وقوة بيانها ، فكان كلما تقدمت به السن وازدادت خبرته العلمية ونضجه صقلت عبارته ، واتضحت ألفاظه ، وازدادت حسناً وصفاء ونصوعاً ، وبلغت من الإيقاع وقوة التعبير والدلالة ما لم يكن لها من قبل .

من مصادر البحث

(١) تاريخ الفكر العربي : عمر فروخ .
(٢) تاريخ الفلسفة الإسلامية : ماجد فخري .
(٣) حي بن يقظان : تحقيق أحمد أمين .
(٤) من أفلاطون إلى ابن سينا : جميل صليبا .
(٥) تسع رسائل لابن سينا .
(٦) الإشارات والتنبيهات لابن سينا .
(٧) من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية : محمد عبد الرحمن مرحبا .
(٨) ابن سينا : عباس محمود العقاد .
(٩) منطق المشرقيين لابن سينا : نشر محب الدين الخطيب .
(١٠) ابن سينا : أحمد فؤاد الأهواني .







الإسكوريال :

جمع نواتها **الملك فيليب الثاني** من بقايا **المكتبة الأندلسية الإسلامية بغرناطة**، وذلك في عام ١٥٥٧م، وبها ١٩٠٠ مخطوط عربي، ثم أضيفت إليها عام ١٦١٤م، **مكتبة مولاي زيدان** أحد سلاطين المغرب، وتحتوي على ثلاثة آلاف مخطوط عربي، وفي عام ١٦٧١م، شب حريق في الإسكوريال التهم جزءاً كبيراً منها، ولم ينج من العربية سوى ١٩٠٠ مخطوط. وقد عهد إلى **ميخائيل الماروني** بتصنيفها في عام ١٧٤٩م، وأضيف إليها خمسة آلاف مجلد عربي، وفي عام ١٨٨٠م، أكمل **هرتويج ديرنبورج** فهرسة مخطوطاتها، إلى أن اكتمل تماماً على يدي **ليفي بروفنسال** في عام ١٩٢٤م.



باريس الوطنية :

يرجع تاريخ إنشائها إلى عام ١٦٥٤م، وتحتوي على ستة ملايين من الكتب والمخطوطات، منها حوالي **سبعة آلاف مخطوط عربي**، بينها نفائس علمية وأدبية وتاريخية، خلا نوادر النقود والأوسمة والأختام والخرائط، وعدداً كبيراً من الكتب العربية، ولا سيما ما طبع منها في أوروبا في أوائل عهد الطباعة، فضلاً عن صحف من **القرآن الكريم** على الرق، من القرون الثاني والثالث والرابع للهجرة، وتاريخ **بني هود** على جلد الغزال المدبوغ، بعنوان: تاريخ العرب قبل الإسلام، والمدخل الكبير لأحكام النجوم **لأبي معشر البلخي**، والتمهيد في الرد على الملحدة **للباقلاني**، وكتاب ما للهند **للبيروني**، ومقامات **الحريري** وهي مزدانة بأروع الصور، ونسخة كاملة من نزهة المشتاق **للإدريسي**. وقد صنف **الأب إبانس** فهرساً عاماً للمخطوطات الشرقية عام ١٨٩٢م.



تشستربيتي :

هي مكتبة خاصة في **دبلن**، تفتح أبوابها للجمهور والعلماء في أوقات خاصة. وتحتوي على **مخطوطات شرقية نادرة**، ونماذج منمنمات ومؤلفات فنية اقتناها **السير تشستر بيتي**، وقد قام كل من **بلوشة، ومنيوني، وآربري، وويلكنسون وروبنسون** بوضع فهرس المخطوطات الفارسية ونماذج المنمنمات، وذلك في ثلاثة مجلدات لوصف ٢٨٩ مخطوطاً، كما قام **منيورسكي** بوضع فهرس المخطوطات والنماذج التركية، أما آربري فوضع بخط يده قائمة المخطوطات العربية وتشتمل على ١٥٠٠ مخطوط، كما وضع **السير ت. أرنولد** فهرس المنمنمات الهندية.



الثقافة :

نسبة إلى مجلة «الثقافة» الأسبوعية، التي أصدرتها لجنة التأليف والترجمة والنشر، بالقاهرة عام ١٩٣٩م، ورأس تحريرها **محمد عبد الواحد خلاف** وكان العلامة **أحمد أمين** هو صاحب امتيازها، كما كانت منبراً لكثير من أقلام أدباء ومفكري العصر، في مصر وفي الأقطار العربية، وقد احتجبت عام

١٩٥٣ م ، ولكن المكتبة التي حملت اسمها واحتوت على العديد من الكتب والمؤلفات ، المؤلفة والمترجمة والمحققة ، ظلت باقية يرتادها الباحثون والدارسون .



الجمعية الملكية الآسيوية :

تأسست عام ١٨٣٠م ، وقد وضع **مورلي** فهرس المخطوطات العربية والفارسية والتركية والهندوستانية لهذه المكتبة ، ثم خص المخطوطات العربية والفارسية بفهرس وصف فيه ١٦٣ مخطوطاً في ١٦٠ صفحة (لندن ١٨٥٤ م) ، ولما أودعت الجمعية ما لديها من المخطوطات العربية والفارسية والسنسكريتية **مكتبة ديوان الهند** ١٨٧٦م ، صنف **لي سترانج** ذيلاً لفهرس مورلي ، اشتمل على ما لم يسبق وصفه في تلك المخطوطات (لندن ١٨٨١م) . ثم أضاف **كودرنجتون** فهرساً اشتمل على ٤٨ مخطوطاً عربياً ، و ٣٥١ فارسياً ، و ١٣ هندوستانياً ، و ٤٣ تركياً ، وقد ذيله **ستوري** بفهارس مفصلة .



الحكمة :

أول مكتبة تأسست ببغداد على يدي **الخليفة المأمون** (٨١٣م ـ ٨٣٣م) كانت نواتها الكتب التي ترجمت في خلافة **أبي جعفر المنصور** (٧٥٢م ـ ٧٧٤م) **وهارون الرشيد** (٧٨٦م ـ ٨٠٨م) الذي كلف **يوحنا بن ماسويه** بتولي أمر الكتب التي أمر الرشيد بنقلها من عمورية وأنقرة ، ثم جعله أميناً على ترجمة الكتب ، وقد تولى شؤون المكتبة **سهل بن هارون** في خلافة المأمون ، وعاونه يوحنا بن البطريق المترجم . ثم **الفتح بن خاقان** .



خليفة ، حاجي :

من أشهر المكتبات الشرقية **بالآستانة** ومن أكثرها غنى وثراء ، تنسب إلى مؤسسها **حاجي خليفة** (١٦٤٤م ـ ١٦٦٥م) ، الذي جمع لها ما يربو على الألف مخطوط بين عربي وفارسي وتركي وعبري ، وقد اشتملت على كثير من العلوم ، امتاز بعضها بإتقانه وبعضها بقدمه ، وبعضها بندرته .



درسدن الوطنية :

في ألمانيا سبعة آلاف مكتبة ملحقة بالبلديات ، وتعد **مكتبة برلين** الوطنية ، **ومكتبة درسدن** الوطنية من أغنى المكتبات بالمخطوطات الشرقية ولا سيما العربية ، وقد وضع **العلامة فلايشر** فهرساً لمخطوطات مكتبة درسدن الوطنية ، فوصف **٤٥٤** مخطوطاً شرقياً في ١٠٥ صفحات ، وذيله بثبت يشتمل على عناوين المخطوطات وأسماء مؤلفيها والأعلام الجغرافية فيها ، وذلك في عام ١٨٣٩م .



ريلاندز ، جون :

في **مانشستر بإنجلترا** ، تحتوي على ثلاثة أقسام من **القرآن الكريم** ذات حروف ذهبية فاخرة ، أحدها مغربي (٤٠٠ هـ) ومصحف عليه خاتم **قانصوه الغوري** ، **وأوراق البردي** ، ومخطوطات عربية عديدة ، تضمنت القرآن الكريم وتفاسيره ، والعقائد والمذاهب والأحاديث ، والتاريخ والعلوم والفلسفة ، والأدب واللغة والفقه ، وفي المكتبة قائمة عن المخطوطات العربية والفارسية والتركية بخط **المستشرق م . كيري أبردين** ١٨٩٨م ، وللمكتبة نشرة باسمها تصدر منذ عام ١٩١٣م .



زيورخ :

من أشهر مكتبات الجامعات الأوروبية وأكثرها غنى وثراء ، تأسست عام ١٨٣٣م ، ونظراً لاحتواء الجامعة على كليتين للفلسفة وكلية للاهوت ، فقد حفلت المكتبة بكتب الفلسفة والمنطق والمذاهب والعقائد ، وتاريخ الأديان ، وتحتوي المكتبة على **مجموعة نادرة من المخطوطات الشرقية** ، باعتبارها مركزاً هاماً من مراكز الاستشراق ، وعلى عدد كبير من الكتب العربية والعبرية والفارسية والتركية .



سانت كاترين :

ملحقة بدير سانت كاترين بسيناء ، ويرجع تاريخ إنشائها إلى زمن تشييد الدير في القرن السادس الميلادي ، تحتوي على مجموعة كبيرة ونادرة من المخطوطات السوريانية والقبطية واليونانية والعربية ، يبلغ عدد **المخطوطات اليونانية** بها ٢٢٥٠ مخطوطاً ، وعدد **المخطوطات العربية** ٦٠٠ مخطوط ، بالإضافة إلى **المخطوطات السوريانية والأرمنية والقبطية والحبشية** وتقدر في مجموعها بأكثر من ٣٠٠٠ مخطوط ، وللمكتبة عدة فهارس ، أحدثها وضع عام ١٩٥٣م .



الشرقية الألمانية :

ملحقة بالجمعية الشرقية الألمانية ، التي أسسها **المستشرق الألماني فلايشر** في هالا عام ١٨٤٥م ، على غرار الجمعيتين الآسيوية الفرنسية ، والآسيوية البريطانية وتمتاز بثرائها بالمصنفات والمخطوطات الشرقية ، وخاصة ما يتعلق منها بتراث العرب وحضارة الإسلام وتاريخ الشرق الأوسط ، وقد

نشرت فهارس المطبوعات الشرقية بين ١٨٧٧م ـ ١٨٨٥م ، وقد صدرت عنها في عام ١٨٤٧م ، المجلة الشرقية الألمانية ، وجمعت مباحثها الشرقية بعنوان : في سبيل فهم الشرق ، في عدة مجلدات .



الصفوية :

أسست في **تبريز غربي إيران** ، ثم انتقلت إلى **أصفهان** ، وذلك في القرن السابع عشر الميلادي ، ويعتبر **بهزار** دعامة المدرسة الصفوية ، خصوصاً بعد أن عيّن مديراً للمكتبة الصفوية ، التي كانت تعد بمثابة مجمع للفنون الشرقية والجميلة ، وتحتوي مخطوطاتها على أبهى وأزهى الصور الصفوية ، حيث تتجلى أبهة العصر ، وفخامة البلاط ، وجمال الحدائق والقصور . وهي المخطوطات التي تعد من أندر المخطوطات المصورة في العالم .



الضاد :

مكتبة عربية قديمة وشهيرة ، **أسسها في حلب يوسف شكر الله** عام ١٩٣٠م ، وآلت ملكيتها بعد ذلك إلى **عبد الله يوركي** ، وتحتوي على العديد من نفائس الكتب العربية والمخطوطات النادرة ، وكانت تصدر عن هذه المكتبة مجلة أدبية شهرية تحمل اسمها ، مجلة « الضاد » ، تمتاز بأناقة الإخراج ودقة المادة ، وتحتفل بكتب التراث العربي الإسلامي وتاريخ الشرق بوجه عام .



طورسينا :

مكتبة شرقية قديمة ملحقة بالدير في طورسينا ، وقد قامت **المستشرقة دنلوب جيبسون** بوضع فهرس المخطوطات العربية فيها بالإنجليزية فوصفت ٦٢٨ مخطوطاً من أصل ٧٠٠ مخطوط . وقد نشر في لندن عام ١٨٩٤م ، وأتمه **الدكتور سميث** فوصف المخطوطات الشرقية بما فيها اليونانية والقبطية والعربية وطبع في برلين ١٩١٤م .



الظواهرية :

أسسها **الشيخ محمد الأحمدي الظواهري** ، ١٨٧٨م ـ ١٩٤٤م ، وألحقها بالجامع الأزهر ، وكان قد تعلم بالأزهر وتتلمذ على **الشيخ محمد عبده** ، ورأس أول وفد مصري في المؤتمر الإسلامي بمكة المكرمة عام ١٩٢٦م ، وعيّن شيخاً للأزهر عام ١٩٢٩م ، واستقال عام ١٩٣٥م ، ليتفرغ للمكتبة التي جمع لها العديد من نفائس التراث العربي الإسلامي ، ما بين مخطوط ومطبوع ، وكان قد أصدر **مجلة « نور الإسلام »** كثمرة من ثمار هذه المكتبة ، التي أسهمت في تحويل الأزهر إلى جامعة على نظام حديث .



العرب :

أسسها **المستشرق دي خويه في هولندا** ، بمعاونة بعض أعلام المستشرقين ، ووضع فهرسها في ثمانية مجلدات طبعت في ليدن ١٨٧٠م ـ ١٨٩٤م ، وتحتوي على مجموعة كبيرة ونادرة من المصنفات العربية التي حققها المستشرقون في الفلسفة والتاريخ والجغرافيا والدين والأدب ، وغيرها لأشهر الفلاسفة والعلماء والأدباء . وقد أسهمت في نشر **دائرة المعارف الإسلامية ، والمعجم المفهرس لألفاظ الحديث .**



غوطا :

وتعرف كذلك **بمكتبة جوتنجين** ، وهي من أشهر المكتبات الألمانية ، التي حفلت بالمخطوطات الشرقية وبخاصة العربية الإسلامية ، وقد وضع فهرس مخطوطاتها **المستشرق الألماني بيرتسن** ، فوصف ٢٨٩١ مخطوطاً في خمسة مجلدات ، ١٨٧٨م ـ ١٨٩٢م ، يحتوي المجلد الأول على الموسوعات والنحو والعروض ، والثاني يحتوي على التصوف والفقه والفلسفة والعلوم ، ويحتوي الثالث على علم الهيئة والرياضيات والجغرافيا ، كما يحتوي المجلد الرابع على العلوم الطبيعية والرحلات والمختارات الأدبية ، أما المجلد الخامس فيحتوي على كشاف عام بأسماء المخطوطات والمؤلفين والنساخ والخطاطين .



الفاتيكان :

نشأت في عهد أوائل البابوات ، وكانوا يحرصون عليها مع ثمين ذخائرهم حتى تبددت في مطلع القرن الثالث عشر ، فأعادها **الباب نيقولا الخامس** ١٤٤٧م ـ ١٤٥٥م ، وجعلها مقراً لتراث العبقرية اليونانية الرومانية ، ثم جلب لها من العثمانيين مخطوطات بيزنطية وافرة ، ثم ازدادت مقتنياتها بمخطوطات قبطية وعربية وسريانية ، وتضم المكتبة حالياً ٦٠ ألف مخطوط بين شرقي وغربي ، و ٧٠٠,٠٠٠ كتاب مطبوع و ١٠٠,٠٠٠ صورة وخارطة ، عدا آلاف الإضبارات والوثائق ، وتنشر سلسلة بعنوان الأبحاث والنصوص بلغت مطبوعاتها مئات الكتب .



قرطبة :

بمقاطعة قرطبة بجنوبي الأندلس الإسبانية ، على نهر الوادي الكبير ، أسست في **العهد الأموي** (٧٥٦م ـ ١٠٣١م) حيث كانت المدينة من أعظم وأغنى مدن أوروبا ، واشتهرت مركزاً للثقافتين .. الإسلامية واليهودية ،

وتحتوي المكتبة على العديد من المخطوطات الإسلامية والعبرية، ونسخ من مؤلفات **سنيكا، ولوكان، وابن رشد، وميمونيدس**، الذين ولدوا في المدينة. ويتجلى الفن الإسلامي خاصة في المسجد، حيث تقع المكتبة، والذي بدئ في بنائه في القرن الثامن الميلادي، ويعد من أروع الآثار الإسلامية على الإطلاق.



كيمبردج :

من أشهر المكتبات الجامعية في بريطانيا بخاصة وفي العالم الغربي بوجه عام، تمتاز بمخطوطاتها النادرة، الفارسية والإسلامية بخاصة، وقد وضع **إدوارد جرانفيل** فهرس المخطوطات الفارسية فيها، في ٣٧١ صفحة (كيمبردج ١٨٩٦م)، وفهرس المخطوطات الإسلامية في ٤٤٠ صفحة، (كيمبردج ١٩٠٠م)، وذيل المخطوطات الإسلامية (كيمبردج ١٩٢٢م)، كما قام **المستشرق نيكلسون** بوضع فهرس المخطوطات التي جمعها **براون** ووقفها على المكتبة (كيمبردج ١٩٣٦م)، وقام **المستشرق منغنا** بوضع فهرس المخطوطات النصرانية والعربية (كيمبردج ١٩٣٦م).



ليدن :

بجامعة ليدن بهولندا، وهي تضم مخطوطات نفيسة نادرة، قضى المستشرقون الهولنديون قروناً متواصلة في جمعها، وقد كانت نواتها ما خلفه لها **سكاليجر** من أولى المخطوطات العربية والعبرية، وهي معجم لاتيني عربي من القرن الثاني عشر الميلادي، ونسخة من **التلمود البابلي**، وتعليق **الرازي** على التوراة، وقد بلغت المخطوطات العربية والفارسية والتركية فيها اليوم ٢٦٠٠ مخطوط عدا ما في **خزانة الهند** في مكتبة الجامعة من آلاف المخطوطات لشدة صلة هولندا بالهند الشرقية، ثم أربت المخطوطات الشرقية على ٨ آلاف مخطوط في مختلف اللغات.



المتحف البريطاني :

تأسست في لندن عام ١٧٥٣م، وكانت نواتها الأولى كتب ومخطوطات وتحف **السير هانز سلون**، ثم أخذت تتسع بما أضيف إليها من مكتبات الأفراد أمثال **إيرل أكسفورد، والسير روبرت كورتون**، وحين كثرت الكتب والمخطوطات الشرقية في المتحف، أنشئ لها قسم خاص عام ١٨٩٢م، تمثلت فيه حروف اللغات الشرقية في الكتب المطبوعة من طنجة إلى طوكيو، والمخطوطات الشرقية بسبعين لغة بينها، المصاحف والمعاجم والتواريخ وأوراق البردي، هذا عدا خمسة وسبعين ألف وثيقة بين سجل وبراءة حكومية. ثم اقتنت المكتبة مخطوطات شرقية كثيرة من مختلف بلاد العالم، حتى **بلغ عدد الكتب فيها خمسة ملايين، والمخطوطات ٥٦ ألفاً** بمختلف اللغات.



نابولي :

من أشهر المكتبات الوطنية وأكثرها ثراء بالمخطوطات الشرقية، وخاصة العبرية والقبطية والعربية، فضلاً عن السوريانية، **وقد تأسست في مدينة نابولي بإيطاليا** في عهد **أسرة آل بورجيا**، ثم تولاها **المعهد الشرقي الإيطالي** الذي نشر فهارسها ضمن منشوراته.



الهند :

أنشأتها **شركة الهند الشرقية** عام ١٨٠١م، في لندن، ولما آلت اختصاصات الشركة إلى التاج البريطاني ١٨٥٨م، تولت إدارة المكتبة وزارة شؤون الهند، ومنذ عام ١٩٤٧م، أشرفت عليها وزارة العلاقات مع الكومنولث وقد صنف فهارسها **أوتو لوث**، حيث وصف فيها ١٠٤٩ مخطوطاً في ٣٢٤ صفحة (المجلد الأول لندن ١٨٧٧م)، والمجلد الثاني في أربعة أجزاء، الجزء الأول **أدب القرآن** لستوري (لندن ١٩٣٠م)، والجزء الثاني **التصوف والأخلاق** لآربري (لندن ١٩٣٧م)، والجزء الثالث **الفقه** لروبين ليفي (لندن ١٩٣٧م)، والجزء الرابع **علم الكلام** لنفس المستشرق السابق (لندن ١٩٤٠م). أما المجلد الثاني فيشتمل على مخطوطات الحديث والفلسفة والتنجيم والفلك والحساب والطب وفقه اللغة.



الوطنية :

تحتوي على آلاف من المخطوطات العربية النفيسة بينها، ٢٥٠ مخطوطاً من مؤلفات الزيديين **جمعها جلازر**، وقد وضع **آدم كولار** فهرسها الكبير (فيينا ١٧٤٩م)، وصنف **فلوجيل** فهرس مخطوطاتها العربية والفارسية والتركية في ثلاثة مجلدات (فيينا ١٨٦٥م ـ ١٨٦٧م)، ووضع **فريدمان** فهرس أوراق البردي اليونانية والقبطية والعربية فيها، وقد وصفها بأنها المجموعة الثانية في العالم كمية وقيمة أثرية، نقلت من مصر إلى النمسا في أواخر القرن التاسع عشر، وقد عثر عليها **الأرشيدوق راينر** في الفيوم، ووهبها للمكتبة.



ينيا :

بألمانيا الشرقية، وقد أطلق عليها بعد الحرب العالمية الثانية اسم **الشاعر الألماني الكبير فريدريخ شيلر**، الذي كان أستاذاً بها، تأسست الجامعة عام ١٥٨٨م، وأصبحت في القرن الثامن عشر الميلادي من الجامعات الراقية المشهورة، وقد اشتهرت بمكتبتها التي تشتمل على ١١١٥٠٠٠ مجلد، و ٤٣٩٠٠٠ نشرة، و ٤١٣٥ مخطوطاً، ويحتوي القسم الشرقي بالمكتبة على العديد من المخطوطات النادرة.

مناقشات و تعليقات

جمع باسل

لفت نظري في العدد (٥٩) جمادى الأولى ١٤٠٢ هـ، ما يحتاج إلى تصحيح فيما جاء في **دائرة المعارف «من أسماء الأسد»** حيث ورد كما يلي:

الباسل: ج بواسل. من البسالة والشجاعة.

وتصحيحاً لما ورد في جمع باسل أقول:

إن جمع باسل على بواسل هو من الأخطاء الشائعة على ألسنة الكثير من الكتّاب، وعامة الناس. فلا يوجد في اللغة العربية هذا الجمع لكلمة باسل، وإنما الصحيح أن جمعها يكون على (بُسلاء) و(بُسْل) وسمي الأسد بالباسل لكراهة منظره. والبسالة أيضاً الشجاعة. جاء في **لسان العرب** في مادة (بسل) ما نصه:

بَسَلَ الرجل يبسُل بُسولا، فهو باسل وبَسْل وبسيل، عبس من الغضب والشجاعة وتبسَّل لي فلان إذا رأيته كريه المنظر.. وتبسَّل وجهه: كرهت مرآته وفَظُعَت، قال: **أبو ذؤيب** يصف قبراً:

فكنت ذنوب البئر لما تبسَّلت
وسُربلت أكفاني ووسِّدت ساعدي

وقال **كعب بن زهير**:

إذا غلبته الكأس لا متعبِّس
حصور ولا من دونها يتبسَّل

والباسل: الأسد لكراهة منظره وقبحه. والبسالة: الشجاعة. والباسل الشديد. والباسل الشجاع، والجمع بُسلاء وبُسْل.

وليد محمد السراقبي
سورية ـ حمص ـ تلبيسة

ديستويفسكي .. والشيوعية

في العدد (٦٣) من **مجلة «الفيصل»** ـ رمضان ١٤٠٢ هـ. أعد **الدكتور عبد الحليم عويس**، ندوة، تناول فيها قضية [**الأدب الإسلامي**]، مع عدد من الأدباء والعلماء. ويهمنا رأي **الدكتور محمد مصطفى هدارة**؛ وبخاصة عند وقفته على فكرة الالتزام في الأدب الإسلامي.. ورأى أن الالتزام موجود كذلك بالنسبة للوجودية والشيوعية، ولكنه بمفهومه الضيق، إذ يستحيل الالتزام فيهما إلى إعلام، «**وديستويفسكي** مثلاً كان يقف مع الحكومة الشيوعية ضد مصالح الشعب، وكان يبرر كل مفاسد الحكومة الشيوعية.. وهذا منهج لا يرضاه الإسلام للأديب المسلم».

إن ديستويفسكي لم يعاصر الحكومة الشيوعية ولا ثورتها التي اندلعت عام ١٩١٧ م، فكيف يقف معها ضد مصالح الشعب، ويبرر كل مفاسدها، إذ كان قد توفي عام ١٨٨١ م.

ولا أعرف كيف غابت عن الدكتورين حقيقة كبرى مثل هذه. وأي قارئ حين يلمس خطأ لا يغتفر، فإنه سيتعامل مع صاحبه وآرائه وكتاباته بشيء من الشك والاحتياط.

ومع كل ذلك فقد حاولت أن ألتمس بعض الأعذار التي تنفي عنهما ذلك الخطأ. فربما كان هناك خطأ مطبعي في الاسم، وقد كان المراد **بتولوستوي**، ولكن هذا لم يعاصر الحكومة الشيوعية أيضاً لأنه توفي عام ١٩١٠ م. أو ربما كان المقصود من الكلام هو إبراز مواقف ديستويفسكي الملحدة والمضادة للدين. ولا يستقيم هذا الكلام أيضاً، لأنه في جُلِّ رواياته الكبرى وعلى الأخص، الجريمة والعقاب، والأبله، والممسوس، والأخوة كرامازوف.. تشع فيها الروح الدينية على نحو ما. لأنه فعلاً ظل مؤمناً بالدين والمسيحية في تلك الروايات، منذ كتب الأولى منها عام ١٨٦٥ م، وحتى وفاته. وقد وجد بعض نقاد الغرب الذين درسوا شخصيات تلك الروايات أن بعضها تتحلى بالكثير من فضائل المسيح.

لذلك لم يبق أمامي إلا تبرير واحد، لكنه يناقض رأي الدكتور هدارة، ربما كان فيه قصده. وهو أن ديستويفسكي وقف مع الحكومة القيصرية ـ لا الشيوعية ـ ضد الثورة.. لأن مواقفه العدائية من الثوريين كانت معروفة للجميع، ولا سيما بعد أن تخلى عن معظم معتقداته في سن الشباب من اشتراكية وإلحاد، حين تعرض بسببهما للنفي إلى سيبريا. لذلك لم يكن يبرر مفاسد الحكومة الشيوعية ضد مصالح الشعب، وإنما كان يبرر مفاسد السلطة ـ آنذاك ـ ضد الثوريين.

محمود رداوي

من أمجادنا البحرية

جاء في مقالة **الدكتور عز الدين فراج**: «من أمجادنا البحرية» العدد ٦٣، ص: ١٢٢. جاء في المقالة المذكورة حرفياً: «أما أخطر معركة بحرية خاضها الأسطول العربي ـ حينذاك ـ وسجل فيها انتصاراً حاسماً فهي المعركة المعروفة **بذات الصواري**، وقد وقعت هذه المعركة

مناقشات

وتعليقات

في خلافة عثمان أيضاً ، فقد خرج الروم في أسطول يتألف من ستمائة قطعة بحرية ، وهجموا على سواحل مصر ليعيدوها إلى قبضتهم بعد أن كانوا قد فقدوها . فهب لملاقاتهم **عبد الله بن أبي سرح** على رأس أسطوله ، كما خرج **معاوية** نفسه إلى الشام ـ وأظن الصواب هنا من الشام ليستقيم المعنى ـ بأسطول آخر ، وعندما التقت الأساطيل الثلاثة دارت رحى معركة بحرية رهيبة ، وأسفرت عن هزيمة أسطول الروم ،.واستولى العرب على كثير من قطع الأسطول الرومي ، وسبب تسمية هذه المعركة بذات الصواري كثرة استعمال السفن الحربية ذات الصواري فيها »[1] .

وجاء أيضاً : « ولكن لم يمض أربعة أعوام حتى عاود الروم إغارتهم على الشام ، فرأى معاوية أن يستولي على هذه الجزيرة التي ينقض منها الروم على الشواطئ العربية ، فجهز أسطولا عظيماً سار به إلى قبرص ، فحمل عليها حملة عنيفة انتهت بفتحها وتثبيت أقدام العرب فيها ، واتخاذها قاعدة للأسطول العربي » .

ثلاثة أخطاء تاريخية في مقالة مساحتها صفحة واحدة فقط ، لو حذفنا الصور والخطوط ، وبما أن القراء ليسوا جميعاً ذوي اختصاص ، فتقديم المعلومات المغلوطة أمر خطير ، فقد يحفظها إنسان يحتج بها يوماً ما ، وقد تعلق في ذهن فتى يعتمدها وكأنها حقيقة علمية ، وكيف لا ، ومن قدمها يحمل لقب دكتور !؟ .

(١) كرر الدكتور اسم عبد الله بن أبي سرح ، وجعل له هامشاً وحاشية فكتب تعريفاً جاء فيه : « عبد الله بن أبي السرح : من رجال الدولة الأموية المعدودين ، له فضل في إنشاء أول عمارة بحرية للدولة الإسلامية ، انتصر على الروم في معركة ذات الصواري عام ٣١ هـ ـ ٦٥١ م » .

إن اسم قائد ذات الصواري الصحيح : [عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح][2] ، ولم يكن في يوم من الأيام من رجال الدولة الأموية ، لا المعدودين ولا غير المعدودين ، لأنه توفي في بلدة الرَّملة ـ أو عسقلان ـ سنة ٣٦ هـ ، فارًا من الفتنة .

وذات الصواري كانت سنة ٣٤ هـ ، لأن هذا التاريخ يوافق ٢٩ آب (أغسطس) ٦٥٥ م ، وهو تاريخ معركة ذات الصواري .

(٢) وبعد الحديث عن ذات الصواري ، عاد الدكتور ليتحدث عن فتح قبرص ، وكأن فتح قبرص كان بعد انتصار المسلمين بذات الصواري ، ولا علاقة بين ذات الصواري التي كانت سنة ٣٤ هـ ، وبين فتح قبرص الذي كان على التوالي سنة ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ هجرية .

(٣) والخطأ الأفدح قول الدكتور : « كما خرج معاوية نفسه إلى الشام ـ وكما قلنا لعله أراد من الشام ليستقيم المعنى ـ بأسطول آخر » ، ثم قال : « فرأى معاوية أن يستولي على هذه الجزيرة ـ أي قبرص ـ التي ينقض منها الروم على الشواطئ العربية فجهز أسطولا عظيماً سار به إلى قبرص . . » .

وهنا نقول : ما سار معاوية مطلقاً ، ولم يبحر يقيناً إلى سواحل مصر ليشهد ذات الصواري ، ولم يبحر إلى قبرص أيضاً طيلة حياته .

فالأسطول الشامي أرسله معاوية بقيادة بُسْر بن أرطاة[3] ، فاجتمع بالأسطول المصري بقيادة عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، وكانت المراكب الإسلامية كلها تحت إمرة عبد الله بن سعد بن أبي سرح .

وفتح قبرص كان أيام عثمان بن عفان عندما سيَّر معاوية بن أبي سفيان والي الشام عبد الله بن قيس الفزاري على رأس أسطول بُنِيَ في سواحل بلاد الشام . وذلك قبل ذات الصواري حسب التسلسل الزمني .

فنأمل من السيد الدكتور صاحب المقالة ، أن يرشدنا ، ولو إلى مصدر واحد فقط ، فيه ما قاله .

وأختم ملاحظاتي هذه بما يلي :

ـ آمل أن يرجع الدكتور إلى مقالتنا : « ذات الصواري ، اليرموك البحرية » المنشورة في المجلة العربية ، العدد ٧ ، السنة ٥ ، ص : ٨٧ . أو إلى كتابنا : ذات الصواري بقيادة عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، الجزء الرابع من سلسلة « المعارك الكبرى في تاريخ الإسلام » ، طبعة دار الفكر بدمشق ، الطبعة الخامسة ، آملاً أن يجد بها تصويباً أوسع مما ذكرنا هنا .

ـ كما أرجو خدمة للعلم ، وحباً للحقيقة ، التثبت والتحقق مما يكتب مستقبلاً ـ ما دام يكتب في غير اختصاصه ـ خدمة لتاريخنا الماجد ، وحماية لعقول ومعلومات القراء . وشكراً .

شوقي أبو خليل
دمشق ـ سورية

الهوامش

(١) سُمِّيت المعركة بذات الصواري لكثرة صواري المراكب واجتماعها « النجوم الزاهرة : ١ / ٨٠ » ، وفي رأي آخر : سُمِّيت ذات الصواري لكثرة ساريات السفن التي التحمت في القتال في ذلك اليوم . والصواري : جمع صار ، وهي الخشبة المعترضة وسط السفينة .

(٢) أُسْدُ الغابة : ٣ / ٢٦٠ ، البداية والنهاية : ٧ / ١٥٧ ، ابن خلدون : ٢ / ١٣٠ ، الطبري : ٤ / ٢٩٠ ، الكامل في التاريخ : ٣ / ٥٨ .

(٣) بسر بن أرطاة ، أو ابن أبي أرطاة ، أو ابن ارطاة العامري القرشي ، الأعلام : ٢ / ٢٣ .

مناقشات وتعليقات

قارة أطلانطس

أحب أن أبدي ملاحظة على استطلاع (**المدينة .. التي وأدها البركان**) المنشور في العدد (٦٣) لشهر رمضان المبارك من مجلة «**الفيصل**».

لقد قرأت في هذا المقال وبالذات في زاوية منه معنونة باسم «**كوارث تاريخية**» أن القارة المفقودة **أطلانطس** التي كانت واقعة في **المحيط الأطلسي** قد هدمها زلزال وجرفها طوفان في عام ١٤٧٠ ق . م ، والمقال يؤكد أنها كانت تصل أميركا الجنوبية بإفريقيا ، ولكن لا يوجد أي دليل جيولوجي يؤكد ذلك . ولذا فإن هذه القارة تعتبر بحكم الأسطورة . وذلك على الرغم مما قاله **أفلاطون** إنها كانت موجودة وراء **أعمدة هرقل (مضيق جبل طارق)** .. وتصل ما بين أميركا الشمالية لا الجنوبية بأوروبا وليس بإفريقيا لذا يرجى التنويه .

أحمد سيمو
حلب ـ سورية

الجغميني .. لا الجغمي

قرأت في العدد (٦٨) من «**الفيصل**» الصادر في صفر ١٤٣٠ هـ (ديسمبر ١٩٨٢ م) مقالا قصيراً ترجمه عن اللغة الألمانية **سمير قند** بعنوان : «**ألماني يكتب عن عالم فلكي عربي**» (الصفحة ١١٤) ، وإني إذ أقدر المجهود الذي بذله المترجم أود أن أبدي الملاحظات التالية تتميماً للتعريف بأحد أقطاب علماء الفلك المسلمين :

● أولا : إن اسم العالم الفلكي الذي يتحدث عنه المقال هو **أبو علي شرف الدين محمود بن محمد بن عمر الجغميني (بكسر الجيم) الخوارزمي ، لا الجغمي** ـ كما تكرر ذكره في المقال المذكور ـ وهو من أكابر علماء الفلك ، أصله من جغمين بإقليم خوارزم ، توفي ـ على الأرجح ـ في حدود عام ٧٤٥ هـ/١٣٤٤ م ، كما ذكر H. Suter في **دائرة المعارف الإسلامية** ، ولو أن **بروكلمان** أشار في الأصل الألماني من كتابه «**تاريخ الأدب العربي**» إلى أن الجغميني توفي عام ٦١٨ هـ/١٢٢١ م .

● ثانياً : زعم كاتب المقال المترجَم أن المرء يبحث «عبثاً في الكتب العديدة . . . عن اسم العلاَّمة العربي محمود بن عمر الجغمي (كذا) Gagamini فلا يجده . . .» ؛ والواقع أن الكاتب لم يُجهد نفسه كثيراً لأن الكتاب الرئيسي الذي ألفه الجغميني ـ وهو «**الملخص في الهيئة**» ـ قد تُرجم إلى اللغة الألمانية بعناية Rodloff Hochheim ، وقد أشار بروكلمان إلى هذه الترجمة التي نشرت في **مجلة الدراسات المشرقية** ZDMG ؛ (انظر Brockelman Geschiste der Arabicher Litteratur ـ الجزء الأول ، الصفحة ٦٢٤ ، وفي ذيل هذا التاريخ ، ١ ص ٨٦٥) . كما ورد الكلام عن الجغميني في «**علم الفلك وتاريخه عند العرب**» لنالينو ، وفي «**العلم عند العرب**» **تأليف ألدو ميلي** .

● ثالثاً : ليس للجغميني كتاب باسم (معالجة علم الفلك) ، وتأليفه المشهور إنما هو (**الملخّص في الهيئة**) ذكره **حاجي خليفة** في «**كشف الظنون**» ، المجلد الثاني ، ص ١٨١٩ ـ ١٨٢١ ، وتُرجم إلى الألمانية بعنوان : Kompendium der Astronomie ، وهي ترجمة تطابق التسمية الأصلية بالعربية . وهذا الكتاب مشتمل على مقدمة ومقالتين : المقدمة في أقسام الأجسام ، والمقالة الأولى في الأجرام العلوية ، والثانية في البسائط السفلية ؛ **وفي الخزانة الحسنية بالرباط نسختان خطيتان من هذا الكتاب** الذي طبع في لكناو (الهند) عام ١٢٩٠ هـ ، مع شرح عليه **لقاضي زاده الرومي** ـ كما جاء في **معجم سركيس** ، ص ٧٠٢ ـ وقد تناول هذا الكتاب بالشرح جماعة من العلماء الرياضيين والفلكيين نذكر منهم ـ فضلاً عن موسى بن محمود قاضي زاده الرومي المتوفى عام ٨١٥ هـ/١٤١٢ م ـ أبا الحسن علي بن محمد الحسيني الشهير **بالسيد الشريف الجرجاني** المتوفى عام ٨١٦/١٤١٣ م ، **وكمال الدين محمد بن أحمد الحنفي** المتوفى عام ٧٥٠ هـ/١٣٤٩ م .

وللجغميني رسالة في الحساب ، وكتاب في قوة الكواكب وضعفها ، وكتاب سمّاه «شرح طرق الحساب في مسائل الوصايا» .

● رابعاً : ترك مترجم المقال عن الألمانية كلمة Astrolabiums على أصلها فكتبها بالحروف اللاتينية حينما تعرض لاستعمال الجغميني لهذه الآلة الرصدية التي عرَّبها العلماء العرب وطوَّروها وسمّوها «**الإسطرلاب**» ـ وهو اسم شائع جداً كأسماء الآلات الرصدية الأخرى التي اخترعها العرب ، ومنها : «بيت الإبرة ، والصفيحة الجامعة ، وذات الحلق ، والربع المجيب» .

وتفضلوا بقبول أزكى آيات التجلّة والاحترام .

محمد العربي الخطّابي
محافظ الخزانة الحسنية بالرباط ـ المغرب

مع الأصدقاء

رسالة من تونس

من ربوع تونس الخضراء أشكر جميع العاملين في مجلة «**الفيصل**» لمجهوداتهم، وأقدم إليكم بعض الاقتراحات راجياً أن تأخذوها بعين الاعتبار وبعض استفسارات أرجو أن تتكرموا بالرد عليها:

(١) أقترح عليكم تخصيص صفحة باللغة الإنجليزية وأخرى بالفرنسية لتعليم الأجانب المقيمين في بلادنا العربية المبادئ الأولية لديننا الحنيف. فمن كان منهم حديث عهد بالإسلام ازداد علمه به، ومن كان على غيره علم منه ما قد يجعله يدخل تحت رايته.

(٢) أن تبعثوا مسابقة ثانية ترتكز أسئلتها حول مسائل فقهية وتمتد المسابقة على امتداد السنة ويجب على المتسابق أن يحل جميع أسئلة السنة التي تكون موزعة بمعدل سؤالين في كل عدد، أي يجب حل **٢٤** سؤالا في السنة.

(٣) خاصمت امرأة زوجها وطلبت منه أن يقول: «كل جارية اشتريتها فهي حرة، وكل امرأة أتزوجها فهي طالق» فما حيلته حتى يلبي رغبتها دون أن يعتق جواريه وأن يطلق زوجته؟.

(٤) سرق لرجل مسلم متاع فقال لزوجته: إن لم تخبريني من أخذه فأنت طالق ثلاثاً والمرأة لا تعلم من أخذه، فما الحيلة المباحة للتخلص من هذا اليمين؟.

وشكراً لكم سلفاً

فهمي عيّاد ـ باردو
الجمهورية التونسية

● **المجلة**: اقتراحك الأول يصعب تحقيقه لأن المجلة بكاملها باللغة العربية.. وهذه الفكرة تصلح لمجلات تنشر بلغات غير عربية.. أما اقتراحك الثاني فإنه يضيق على القراء، ويحدد فعالية المسابقة.. وأسئلتك حولناها لأحد العلماء الأفاضل للرد عليها ونشرها في عدد قادم إن شاء الله.

تهنئة

تحية العروبة والإسلام وبعد.

إنه لمن دواعي الفرحة أن أكتب لكم مهنئاً إياكم بهذه التحفة الفنية مجلة «**الفيصل**» التي تشرفون عليها والتي لأول مرة أتصفحها فكأنني وجدت ضالتي التي كثيراً ما بحثت عنها خاصة أنها إحدى الدعائم التي ستساهم دون شك في إرساء ثقافة عربية إسلامية أساسها العلم وقوامها القيم الإسلامية الحنيفة. فإلى الأمام نحو غد مشرق خدمة للقارئ العربي المتعطش لنهر المعرفة والعلم.. وفقكم الله وأبقاكم لخدمة الثقافة والمثقفين العرب.

أخوكم العربي
من الجزائر
مولود بوكحيل

أسلحة الحيوانات

قرأت في العدد (٦٢) لمجلتكم الموقرة الصادر في شعبان ١٤٠٢هـ، تحت عنوان «**أسلحة الحيوانات الدفاعية والهجومية**» تناول فيه **الأستاذ عبد الرحمن حريتاني** القليل من الكثير عن المخلوقات ومنذ فجر التاريخ والإنسان في صراع دائم يبحث بفطرته وبطبيعة وجوده عن خالقه وموجده.. وعن الحقيقة وما وراءها.. والحياة وأسرارها.. وهكذا يخلو الإنسان إلى نفسه يسألها أسئلة حيرت البشرية، وجعلت الإنسان في دوامة، وساعتها يتطلع الإنسان من ثنايا ضعفه وعجزه إلى تلك القدرة المدبرة أين راح ملايين البشر الذين كانوا قبلنا؟ وأي جديد نراه إذا نظرنا إلى الماضي البعيد؟.

صديقة المجلة
عازة البدري عابدين
نور الدائم
السودان

قارئ يسأل

لحبي الشديد لمجلة «**الفيصل**» ولسياستها الرشيدة التي تنهجها في إتاحة الفرصة للقراء لإبداء آرائهم وأسئلتهم من أجل التطور دائماً والوصول إلى الأحسن.. أتمنى أن تكون أسئلتي موضع ترحيب بالإجابة منكم.. وهي على النحو التالي:

(١) أتمنى وأحب أن تقبلوني صديقاً لمجلتكم المكرمة مجلة «**الفيصل**».

(٢) أحب أن أعرف من الذي يمول المجلة.

(٣) أريد بعض عناوين النوادي الأدبية في المملكة العربية السعودية.

(٤) إذا كان من الممكن أن ترسلوا لي بعض الكتيبات عن المملكة العربية السعودية التي تعكس تقدمها الحضاري والفكري.

(٥) على أي أساس يتم تقدير سعر المجلة في البلدان العربية والأجنبية.

أسامة محمد السيد
طنطا ـ مصر

● **المجلة**: (١) مرحباً بك صديقاً للمجلة.

(٢) صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل بن عبد العزيز حفظه الله هو الذي يمول المجلة.

(٣) توجد في المملكة العربية السعودية سبعة نواد أدبية في كل من المدن التالية (الرياض ـ مكة المكرمة ـ جدة ـ الطائف ـ جيزان ـ بريدة ـ أبها) ويمكنك مراسلتها.. وهي معروفة.

(٤) تستطيع أن تطلب الكتب التي أشرت إليها من وزارة الإعلام ـ الرياض.

(٥) يتم تقدير سعر المجلة في البلدان استناداً إلى مجموعة من القواعد الموضوعية.. مع الأخذ في الاعتبار دخول الأفراد التي تختلف باختلاف حياة المعيشة.





● **الأخ عمر جهور ، الرمثا ـ الأردن**

نعتذر عن نشر موضوعك وللتنبيه يجب أن تكون الكتابة ـ للصحافة خاصة ـ على وجه واحد من الورق .

● **الأخ عبدالله سعد الدابل ، مرات ـ المملكة العربية السعودية**

المجلة حريصة على تغطية كافة مدن المملكة بإذن الله .

● **الأخ شاكر أحمد موسى ، ولاية أوهايو ـ الولايات المتحدة**

نتمنى لك توفيقاً فيما تصبو إليه ونعتذر عن نشر الموضوع .

● **الأخ عبد الفتاح قطان ، حلب ـ سورية**

نأسف لعدم نشر ما أرسلته ، ونحيطك بأن الكتابة للصحافة عادة ما تكون على وجه واحد من الورق .

● **الأخ باسل قس نصرالله ، حلب ـ سورية**

نسأل الله دائماً أن يوفقنا إلى الأفضل ، واقتراحك موضع اهتمامنا وشكراً .

● **الأخ عبد الرزاق محمود قدو ، حلب ـ سورية**

مع شكرنا لك على تعاونك نعتذر عن نشر موضوعك .

● **الأخ بلقاسم كتراري ، ولاية أم البواقي ـ الجزائر ، والأخت بثينة الصياح ، بوهجر ـ تونس**

المجلة ليس بها ركن للتعارف ، وباب للمراسلة ، ولا تميل إلى هذا النوع من الأبواب في الصحافة لأسباب نحن على قناعة كبيرة بوجاهتها .

● **الأخ عبد الله محمد سعد الحميدي ـ الطائف**

قصيدتك « سئمت ولا أريدك تسأم » محاولة تدل على موهبة تبشر بالخير إذا تعهدتها بالقراءة الدائبة للشعراء الكبار ، مع ضرورة الإلمام بموازين الشعر وبحوره ، وتكرار المحاولات مع عرضها على من تثق بهم وعدم التسرع في النشر حتى تنمو لديك خوافي الموهبة وقوادمها في ثبات ومتانة .

● **الأخ علي الطريفي يوسف ، قرية أبو سنينة الجزيرة ـ السودان**

لقد سررت لطلبكم آراء القراء في المجلة شكلاً ومضموناً .. لهذا أود أن الخص رأيي فيما يأتي :

(١) بالنسبة للموضوعات الطويلة أرى أن تكون على حلقات تتوزع في أعداد متتابعة دفعاً للملل .

(٢) أما عن الإخراج فلا بأس به ولكن يحتاج وبكل صراحة إلى فن أبسط مما هو عليه خاصة فن تشكيل العواميد .

(٣) أما الطباعة فهي جيدة .. ورجائي أن تستمر على هذا الفن الجميل في إظهار الحروف به .

(٤) أما عن الأخطاء المطبعية فإنني لم أجد أية أخطاء ، وهذا شيء جميل وعال .. أما عن الألوان فهي ممتازة جداً ، وأما عن الورق أحلى من ذلك كله وجميل جداً ، أما عن أهم شيء وهو الذي أردت أن أكتب فيه أكثر هو عملية الغراء أو الصمغ فهذا شيء أريد أن يتغير بتاتاً ويكون شيء جميل لو اعتمدتم طريقة التدبيس لأن الواحد فينا يرتب المجلة في اليوم عدة مرات حتى يتمكن من متابعة الموضوع وهذا يرجع أكيد لعدم جودة الغراء أو الصمغ .

وأخيراً لكم جزيل شكري وخالص تحياتي لو اهتميتم برسالتي هذه .

والسلام عليكم .

نشكر لك مشاعرك .. وملاحظاتك حول الطباعة والأوراق والغراء وغيرها سوف نسعى جادين للاهتمام بهذه الملاحظات .. ويسعدنا دائماً أن نتلقى آراء القراء في مجلتهم .. وكما تلاحظ فقد استعملنا التدبيس بدلاً عن الغراء أملاً في تحسين تماسك الورق وترابطه .

● **الأخ عساس يوسف ـ الجزائر**

نشكر لك مشاعرك نحو المملكة وأهلها ، والمجلة والعاملين فيها .. ومرحباً بك صديقاً للجميع .

● **الأخ أبو عبدو ـ حلب ـ سورية**

ما أشارت إليه رسالتك لم يعد خافياً على أحد .. وليس لنا أن نقول إلا ما يقوله المؤمنون الصابرون إنا لله وإنا إليه راجعون .. والله المستعان .

● **الأخ ادهان أحمر بن النوي ـ بسكرة ـ الجزائر**

نشكر لك مشاعرك نحو المجلة .. ما اقتراحك بإيجاد مسابقة للأطفال فإنه بودنا تلبيته إلا أن المجلة ليست مجلة أطفال .. وهناك عدد لا بأس به من المجلات الخاصة بالأطفال ربما وجدت فيها رغبتك .

● **الأخ محمد عبد الله فاعور ـ البقاع الغربي ـ لبنان**

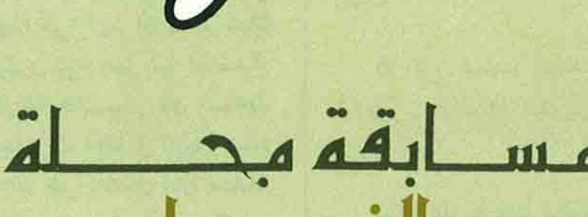
نشكر لك اهتمامك بالمجلة .. وملاحظتك حول ارتفاع سعرها مقارنة بغيرها من المجلات التي ذكرتها مقارنة غير عادلة ، لأن تلك المجلات تصدر بتمويل الحكومات ، أما مجلة « **الفيصل** » فهي مجلة أهلية يموِّلها فرد من المواطنين .. وسعرها الحالي قياساً إلى تكاليف طباعتها يعتبر سعراً عادياً .. فقد ارتفعت تكاليف الطباعة بارتفاع أسعار الورق عالمياً ، وارتفاع أجور اليد العاملة ، وأسعار المواد الخام .. ومع ذلك فإن المجلة بسعرها الحالي لا تستطيع أن تغطي مصاريفها .. وهي تخسر سنوياً مبالغ كبيرة .

● **الأخ غيابة أحمد بن أمليا ـ بسكرة ـ الجزائر**

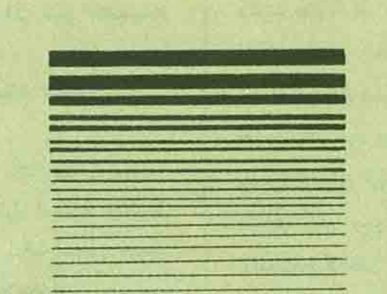
مشاعرك الكريمة محل تقديرنا سائلين الله أن يوفقنا لما فيه الخير .

● **الأخ محمد سعيد فارع ـ ذمار ـ اليمن**

جرت العادة بإرسال قيمة المسابقة للفائز شيكاً باسمه ويرسل على عنوانه .. وقد أحلنا رسالتك إلى الجهة المالية بالمجلة لمعرفة أسباب عدم إرسال قيمة الجائزة التي فزت بها .. وثق أنها ستصلك .. ولا نستبعد أن يكون البريد هو السبب في عدم وصول الشيك إليك .



مسابقة مجلة الفيصل



شروط المسابقة وإيضاحات أخرى

١ ـ قيمة المسابقة عشرة آلاف ريال سعودي.. موزعة على عشر جوائز على النحو التالي:

أ ـ الجائزة الأولى ٢٠٠٠ ريال

ب ـ الجائزة الثانية ١٥٠٠ ريال

جـ ـ الجائزة الثالثة ١٠٠٠ ريال

إلى جانب سبع جوائز مالية قيمة كل جائزة (٥٠٠ ريال سعودي)، وعشر جوائز أخرى قيمة كل جائزة (٢٠٠ ريال سعودي).

٢ ـ المطلوب الإجابة على جميع الأسئلة.. وارفاقها مع قسيمة العدد الخاصة بالمسابقة موضحاً عليها الاسم ثلاثياً أو رباعياً ـ إن أمكن ـ مع وضع العنوان بوضوح لضمان وصول قيمة الجائزة إلى المشترك في المسابقة حالة الفوز.

٣ ـ ترسل الإجابات على العنوان التالي:

(الرياض ـ المملكة العربية السعودية ـ مجلة الفيصل ـ ص.ب (٣) المسابقة).

مع ذكر رقم المسابقة على الغلاف من الخارج.

٤ ـ أية إجابة تصل بعد ٤٥ يوماً من صدور العدد لا يلتفت إليها.

٥ ـ من حق القارئ أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة على شرط ارفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة.

السؤال الأول:

فيلسوف، ومؤرخ عربي أندلسي، اشتغل حاجباً، ثم وزيراً، فطبيباً لأمير الموحدين في مراكش.. له قصة طويلة تروي حياة إنسان عاش منعزلا في جزيرة نائية.. وتعد من القصص العالمية.

ما اسم هذا الفيلسوف المؤرخ القاص العربي؟

وما اسم قصته؟

السؤال الثاني:

ما اسم أكبر دولة في العالم من حيث المساحة؟

السؤال الثالث:

مؤلف كتاب يعد من أهم مصادر التاريخ الأدبي العربي.. قسَّمَ كتابه إلى ٢٥ باباً أسماها «الجواهر».. أطلق على الباب الأوسط منها (وهو الباب الثالث عشر) «الواسطة».

ما اسم الكتاب.. وما اسم مؤلفه؟

السؤال الرابع:

طبيب يوناني فصل الطب عن الخرافات.. اشتهر عالمياً بالقسم الذي يؤديه الأطباء عند تخرجهم.. ويشتمل على آداب وأخلاقيات مهنة الطب.. ما اسم هذا الطبيب؟

السؤال الخامس:

«حمامة السلام» شعار سياسي معروف قام برسمه لمؤتمر السلام عام ١٩٤٩م، رسَّام إسباني معروف.. من أشهر أعماله تلك اللوحة التي صوَّر من خلالها إحدى الحروب الأهلية في قريته «جورنيكا».. ما اسم هذا الرسَّام؟

قسيمة مسابقة مجلة الفيصل

العدد (٧٢)

الاســم: --

المهنـة: --

العنـوان: --

أجوبة مسابقة العدد (٦٥)

ج ١ **الرميصاء** .. واسمها أم سليم الأنصارية تزوجت في الجاهلية من مالك بن النضر فأنجبت منه (أنس) .. وحين جاء الإسلام كانت من السابقين إليه .. لكن زوجها أخذته العزة بالإثم فلم يسلم ثم سافر إلى الشام فمات .. تقدم للزواج منها كثيرون فامتنعت لتربي ابنها .. وحين كبر تقدّم للزواج منها (أبو طلحة) قبل دخوله الإسلام .. فأغراها بالمال .. لكنها لم توافق ، وطلبت أن يكون مهرها إسلامه .. فذهب إلى الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام وأعلن إسلامه ثم تزوج بها .. شاركت في غزوات الرسول فكانت تسقي القوم ، وتسعف الجرحى ، وتنقل القتلى وتحرس الأمتعة .

ج ٢ **أسماء مؤلفي الكتب التالية هم** : أدب الكاتب لابن قتيبة ـ الخصائص لابن جني ـ العمدة لابن رشيق ـ المؤتلف والمختلف للآمدي .

ج ٣ **السنة الكبيسة** هي التي تقبل القسمة على أربعة دون وجود بقية ، وعكسها السنة البسيطة .

ج ٤ **البحرين** كانت تسمى (**دلمون**) ..ومعناها باللغة السومرية الجنة وذلك لاشتهارها بالخصوبة والخضرة .

ج ٥ **فيما يلي مطلع كل معلقة من معلقات الشعر العربي السبع المعروفة .. واسم الشاعر :**

١ ـ قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
بسقط اللوى بين الدخول فحومل
امرئ القيس

٢ ـ لخولة أطلال ببرقة شهمد
تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد
طرفة بن العبد

٣ ـ أمن أم أوفى دمنة لم تكلم
بحومانة الدراج فالمتثلم
زهير بن أبي سلمى

٤ ـ ودع هريرة إن الركب مرتحل
وهل تطيق وداعاً أيها الرجل
أعشى قيس

٥ ـ هل غادر الشعراء من متردم
أم هل عرفت الدار بعد توهم
عنترة بن شداد

٦ ـ ألا هبي بصحنك فأصبحينا
ولا تبقي خمور الأندرينا
عمرو بن كلثوم

٧ ـ يا دار مية بالعليا فالسند
أقوت وطال عليها سالف الأبد
النابغة الذبياني

نتائج مسابقة العدد (٦٥)

● فازت **بالجائزة الأولى** وقيمتها (٢٠٠٠) ألفا ريال سعودي الأخت **زكية بنت علي فرحات** صفاقس ـ تونس .

● وفاز **بالجائزة الثانية** وقيمتها (١٥٠٠) ألف وخمسمائة ريال سعودي الأخ **علي صالح حسين الغامدي** الرصيفة ، شارع الستين ، الثانوية التجارية ـ مكة المكرمة .

● وفاز **بالجائزة الثالثة** وقيمتها (١٠٠٠) ألف ريال سعودي الأخ **عبد النبي بن الجيلاني لمعيني** مراكش ، ضبشي ، درب الجامع رقم (70) مكرر ـ المغرب .

وهناك **سبع جوائز** قيمة كل جائزة (٥٠٠) خمسمائة ريال سعودي فاز بها الإخوة والأخوات الآتية أسماؤهم :

● من سورية ـ دمشق ، الأخت حنان عبد الكريم الأسدي .

● من العراق ـ بغداد ، الشركة العامة لمقاولات المشاريع الصناعية ، الأخ عبده شلبي عبده خشبة .

● من مصر ـ الزقازيق ، الأخت منال عزت عبد العزيز .

● من الجزائر ـ العاصمة (71) ، شارع حسيبة بن بوعلي ، الأخ بغاشي عبد الحكيم .

● من السودان ـ الخرطوم ، دار الصحافة للطباعة والنشر ، ص . ب (١٢٢٨) حسابات الرئاسة ، الأخ عماد الدين عبد القادر الشريف أحمد .

● من الأردن ـ عمّان ، الموقر ، النقيرة ، الأخ يوسف عواد عياف العقيل .

● من الرياض ، معهد الملز العلمي ، الأخ صالح عبد العزيز صالح سليمان التويجري .

بالإضافة إلى **عشر جوائز** قيمة كل جائزة (٢٠٠) مائتا ريال سعودي فاز بها الإخوة والأخوات الآتية أسماؤهم :

● من أندونيسيا ـ جاكرتا ، (٥٩) شارع تمرين ، Mr. GHUFRON HALIM THE BANK OF TOKYO, LTD (59), Jl. M.H. Thamrin-Jakarta ، الأخ غفران حليم .

● من اليمن ـ صنعاء ، مجلس الشعب ، ص . ب (٦٢٣) ، الأخ أحمد عبد الرحمن المتوكل .

● من الكويت ـ بريد الصفاة ، قسم الفرز ، الأخ نهاد كامل هنداوي .

● من قطر ـ الدوحة ، الأخت صفية صالح سليمان العريان .

● من البحرين ـ سترة ، واديان ، بواسطة مكتبة سترة العامة ، الأخ إبراهيم كاظم جمعة .

● من الإمارات العربية المتحدة ـ الشارقة ، الأخت سوزان غالب أبو عابد .

● من مصر ـ المنوفية ، الأخ محمد مصطفى المشايخ ، شبين الكوم ، ميت خاقان .

● من الجزائر ـ ولاية الجلفة ، متوسطة أحمد بن سعد البيرين ، الأخ مصطفى بخوش .

● من المغرب ـ الدار البيضاء ، (92) زنقة بيريني (القباضة البلدية) ، المعاريف ، الأخ قاسمي عباس .

● من سورية ـ دمشق ، كلية الهندسة بجامعة دمشق ، رابعة هندسة التصميم والإنتاج ، الأخ علي محمد محمد .

كتب وردت إلى المجلة

«وردت للمجلة هذه الطائفة من الكتب في مختلف مجالات المعرفة الانسانية والمجلة ترحب بكل عطاء ثقافي جديد من شأنه أن يفتح امام القارىء آفاقا أوسع وارحب وابعد مدى».

ديوان عبد الله بن رواحة ودراسة في سيرته وشعره

تأليف **الدكتور وليد قصّاب**، وهي دراسة عن سيرة عبد الله بن رواحة في الجاهلية والإسلام، تناولت جهاده بسيفه وشعره في سبيل نصرة الدعوة الإسلامية وأثر الإسلام في شعره. وقد تضمَّن الكتاب ديواناً لأشعار عبد الله بن رواحة جمعها المؤلف من مصادر مختلفة وهي تمثل شعره في الجاهلية وبعد إسلامه. يقع الكتاب في (٢١٦) صفحة من القطع المتوسط. صدر عن دار العلوم للطباعة والنشر بالرياض.

القصة في أدب الجاحظ

هذا الكتاب صدر ضمن سلسلة **(رسائل جامعية)** التي تصدرها تهامة للنشر ـ بجدة، وهو عبارة عن بحث رصد فيه المؤلف الجانب القصصي في أدب الجاحظ. أعد البحث **عبد الله أحمد باقازي** وقد تناول فيه بالدراسة منهج الجاحظ القصصي وما اتسمت به قصصه من دقة الرصد والوصف وصدق الخيال والحس الفني. كما استعرض المؤلف بعضاً من موضوعات القصة حيث أوضح أنها تمثل طوراً من أطوار نمو القصة القصيرة. يقع الكتاب في (١٨٢) صفحة من القطع المتوسط.

النفط والسياسة العربية

تأليف **عبد العزيز حسين الصويغ**، تناول فيه دور النفط في السياسة العربية وإمكانية استخدامه كسلاح قوي ومؤثر لحل القضية الفلسطينية حيث إنه يمثل شريان الحياة في الدول الصناعية الغربية، كما ناقش الكتاب مستقبل النفط وبدائل الطاقة المنافسة. يقع الكتاب في (٢٥٤) صفحة من الحجم المتوسط، وصدر عن مركز الخليج للتوثيق والإعلام بالرياض.

ازاهير من ربوع عسير

الكتاب من إعداد نادي أبها الأدبي في منطقة عسير ويتضمن مختارات من مشاركات الشباب السعودي في المسابقة الأدبية الأولى التي أقامها النادي خلال عام ١٤٠٠ هـ. وقد شملت المسابقة موضوعات الشعر العربي الفصيح، الشعر الشعبي والقصة القصيرة. يقع الكتاب في (٩٤) صفحة من الحجم المتوسط.

الجهاد في الإسلام: مراقبة ومطالبة

من تأليف **الأستاذ أحمد محمد جمال**.. تناول فيه آراء الفقهاء في جهاد النفس وجهاد العدو، كما تحدث عن دعوة الإسلام إلى السلام مبيناً أهداف الحروب الإسلامية وأخلاقياتها. الكتاب من مطبوعات رابطة العالم الإسلامي. يقع الكتاب في (٨٢) صفحة من الحجم الصغير.

الشخصية العربية

من تأليف **إبراهيم يحيى الشهابي**.. تحدث فيه عن مفهوم الشخصية عامة مبيناً أن عنصري تكوينها هما الفكر واللغة ثم تناول الشخصية العربية ومحاولات الأعداء لهدمها من خلال العنصرين ثم استعرض بعض المفهومات في نظر الشخصية العربية. الكتاب قامت بنشره وتوزيعه مكتبة دار الفتح بدمشق. يقع الكتاب في (٢٠٠) صفحة من الحجم المتوسط.

الوجيز في الاقتصاد الإسلامي

كتيب تأليف **الدكتور محمد شوقي الفنجري**، تناول فيه دراسة الاقتصاد الإسلامي، نشأته وتطوره، ثم دراسة مقارنة مع الاقتصاديات الوضعية السائدة. يقع الكتيب في (٤٨) صفحة من القطع الصغير. من منشورات دار ثقيف للنشر والتأليف ـ الطائف.

علي بن المقرب العيوني حياته وشعره

من تأليف **الدكتور علي بن عبد العزيز الخضيري**، وهي دراسة عن حياة الشاعر علي بن المقرَّب العيوني نسبة إلى الأسرة العيونية التي حكمت البحرين والأحساء من عام ٤٦٦ هـ، إلى عام ٦٣٦ هـ. هذا الشاعر الذي لم ينصفه زمانه بما صادف من عنت، كما لم تنصفه صفحات التاريخ إذا وُضع عطاؤه وما كتب عنه في كفتي ميزان، حيث زاد إنتاجه على الخمسة آلاف ومائتي بيت في مختلف الأغراض. يقع الكتاب في (٤٦٠) صفحة من الحجم المتوسط.. نشر دار الرسالة ـ بيروت.

والجدير بالذكر أن موضوع الكتاب عبارة عن رسالة نال بها الباحث شهادة الدكتوراه من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ كلية اللغة العربية ـ الرياض.

الملك فيصل والقضية الفلسطينية

بحث تناول فيه **الدكتور السيد عليوة** القضية الفلسطينية ودور جلالة المغفور له الشهيد فيصل بن عبد العزيز، وقد نال البحث جائزة الملك فيصل الثانية في مسابقة دارة الملك عبد العزيز. شملت الدراسة مقومات، أدوات ونتائج سياسة الملك فيصل الهادفة إلى نصرة القضية الفلسطينية واستعادة الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني من منطلق التضامن الإسلامي والعربي الذي تمثله السياسة الخارجية للمملكة. يقع الكتاب في (١٥٨) صفحة من القطع المتوسط. والكتاب يأتي رقم (٢٤) من مطبوعات دارة الملك عبد العزيز.

الخراسانيون ودورهم السياسي في العصر العباسي الأول

هو الكتاب الثاني في سلسلة (رسائل جامعية) التي تصدرها تهامة للنشر ـ بجدة. وهو عبارة عن رسالة نالت بها مؤلفتها **ثريا حافظ عرفة** درجة الماجستير. وقد استعرضت فيه دور الخراسانيون في نشر الدعوة العباسية وإقامة الدولة العباسية وتسيير شؤونها في العصر العباسي الأول مع تتبع حركة استمرار نفوذهم بعد مقتل أبي مسلم الخراساني حتى قيام الدولة الطاهرية التي دامت خمساً وخمسين عاماً، ثم توارثوا بعدها شرطة بغداد. يقع الكتاب في (١٩٦) صفحة من القطع المتوسط.



بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى :

انفروا خفافًا وثقالًا وجاهدوا

بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ...

صدق الله العظيم

الآية رقم ٤١ سورة التوبة

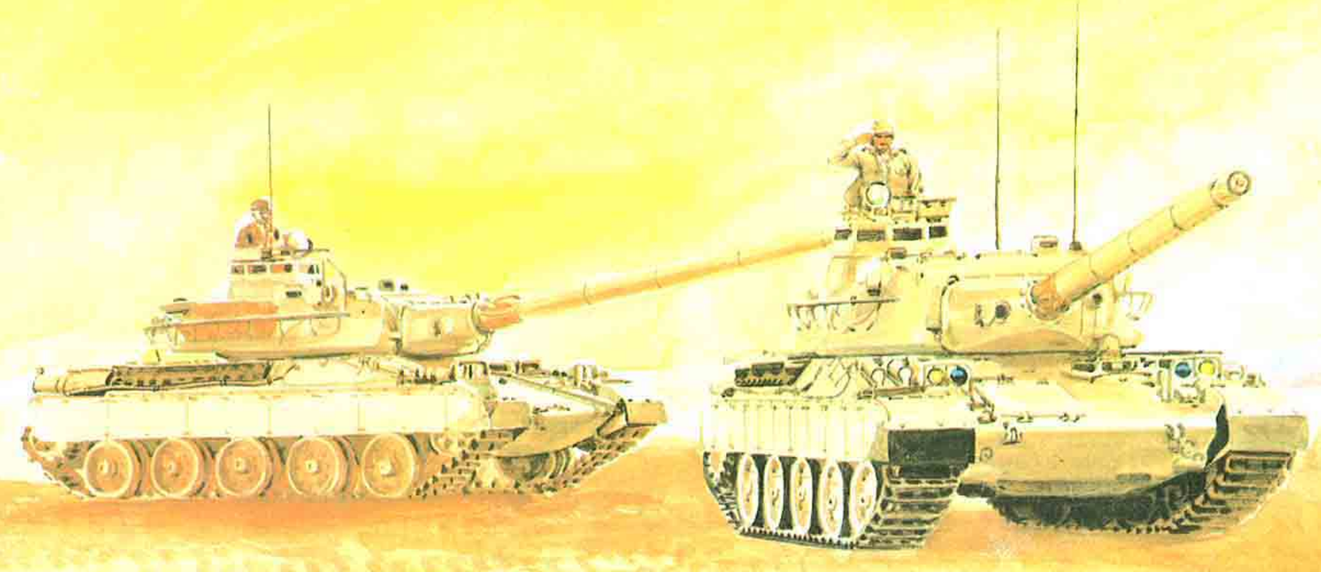






بالجيش العربي السعودي

يدعوك للإلتحاق جنديًا في صفوفه



بادر بمراجعة قيادة المنطقة العسكرية التي تسكن فيها أو قيادة سلاح المدرعات لمن هم في المنطقة الوسطى

وللمزيد من المعلومات يرجى الاتصال بالتليفون رقم ٤٧٧٠٥٤٣/٤٧٧٠٥٤٧/٤٠٣٠٠٩٣ الرياض .